

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) . (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) . (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) .

الإهداء

إليك .. يا علة الموجودات ، وسيد الكائنات
إليك .. يا منقذ الإنسانية من ظلمات الجهل ، وباعث الروح والعلم في الأجيال.
إليك .. يا رسول الله ، وخاتم النبيين.
أرفع بكلتا يدي هذه الوريقات التي بحثت فيها عن سيرة سبطك الأكبر ، وريحانتك الذي
غذيته من كمال النبوة ، وأورثته هيبتك ، وسؤددك. وهي بضاعتى المزجاة التي أعددتها ذخري يوم
الوفادة عليك ، فعسى أن تقع من مقامكم الرفيع موقع القبول وهو حسبي.

تقديم

لامام المصلح كاشف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام السبط أبو محمد الزكي أول الأسباط الأحد عشر من نسل محمد (ص) سيد الأنبياء
ونسل علي سيد البشر وأول من اجتمع فيه نور النبوة ونور الإمامة فكان مجمع النورين وأحد
النيرين وملتقى البحرين (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) علي بحر
نور الإمامة وفاطمة بحر نور النبوة والكرامة ، يخرج منهما اللؤلؤ الأخضر بخضرة السم في السماء
والمرجان الأحمر بحمرة الأرض من الدماء.

الحسن أول الأئمة الامناء من صلب سيد الأوصياء ، الحسن الذي أظهر الحق وأزهق الباطل
وحقن بصلحه الدماء.

وقد كانت ولادته في ليلة النصف من رمضان على أشهر الأقوال وقد صادف املائي لهذه
الكلمات هذه الليلة التي هي ليلة النور وليلة الفرح

والسرور لأهل البيت الذين يجب أن نفرح لفرحهم ونحزن لحزنهم. فالى سيد الكائنات ، وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم أزف الأناشيد والتهاني والترانيم مهنيا لهم بهذا المولود المبارك الذي يقول فيه علة الوجود ومراة المعبود وفي أخيه : « نعم الجمل جملكما ونعم الراكبان أنتما ».

وإني لا أحاول من هذه المقالة التي جرى بها القلم على العجالة أن أذكر ما لأبي محمد الزكي (ع) من عظمة المآثر ومآثر العظمة وكبرياء الجبروت وجبروت الكبرياء وعلو المفاسر والمناقب ومفاخر العلياء كلاً ثم كلاً فان صقر باعي ونسر يراعي على سعة معرفتي واطلاعي ينحطان ويستقطان عن العروج إلى ذلك العرش المتمرد بمناعته على العقول والذي لا تنال منه الأفكار مهما تعالت وتغالت سوى الدهشة والذهول.

وإنما أريد أن أتعرض إلى ناحية من نواحي حياته وآية واحدة من آيات معجزاته ومعجزات آياته ، وهي ناحية صلحه مع الطاغية ابن الغاوي والغاوية معاوية ، فان هذه الناحية قد تعقدت وليست أسمك جلابيب الغموض وساءت في توجيهها الظنون وباءت بالفشل كل الفروض وسرى الشك وتضعضت أركان الإيمان حتى من أخص أصحابه وأصحاب أبيه ٧ ، والخلص من شيعته ومواليه فحمل الغيظ والغضب ذلك الطود الأشم على إساءة الأدب فقال : السلام عليك .. وكان الواجب أن يقول يا معز المؤمنين فقال عكسها. ولم يزل الغموض والالتباس يضيفي على القضية أسوأ لباس حتى على المعتقدين بامامته وعصمته. ولكن غلبت العاطفة فيها وصدمة الرزية على التعقل والروية. ولو أمعنوا النظرة وفسحوا المجال للفكرة لتحلى لهم جلاء الشمس ، ان كل الصلاح وصلاح الكل فيما فعله سلام الله عليه لا من حيث التعبد والتسليم والخضوع للامر الواقع مهما كان خيراً أو شراً ولا من حيث الاعتقاد بالعصمة ، وإن عمل المعصوم لا بد

وأن يكون موافقا للحكمة ، كلا بل لو تدبرنا الواقعة ونظرناها من جميع أطرافها وظروفها وملابساتها وتئاتجها ومقدماتها لا تضح لنا على القطع واليقين أن ما فعله سلام الله عليه هو المتعين ولا يصح غيره ، نعم هو الحزم بعينه وهو الظفر بخضمه وهو عين الفتك بعدوه من حيث الفنون الحربية والسياسة الزمنية فعل فعل القائد المحنك والحازم المحرب فحارب عدوه بالسلم وغلب عليه بالصلح ، فآخذ ناره وهتك ستاره وأبدى للناس عاره وعيابه ، وما كان من الصلاح إلا أن يحاربه بالصلح لا بالسلاح ويذبحه بأعماله لا بقتاله ونباله وهذا اتم للحجة واقطع للمعاذير وابلغ في دفع الريب والشبهة وإيضاح كل هذا وناثرته بحيث يرى بالعين ويلمس باليد يحتاج إلى فضل بيان وقوة جنان وسعة في القول ولا يساعدني على شيء من ذلك جسمي العليل وبصرى الكليل وكثرة اشغالي وبالي البالي وضيق مجالى وسوء حالى. وعسى أن يلطف جل شأنه فيسمح لى بانتهاز فرصة أخرى أستطيع أن اعطي البيان حقه في هذا المضمار واكشف عن هذا الغموض المحجب والاستار حتى يظهر الحق وتسطع الانوار ، ولكن لا أجد بدا من أن اختتم كلمتى هذه بالحق المحض وزبدة المخض.

وهي على الجملة والطفى أنه كما كان الواجب والمتعين الذي لا محيص عنه في الظروف التي ثار بها الحسين سلام الله عليه على طاغوت زمانه أن يحارب ويقاوم حتى يقتل هو واصحابه وتسبى عياله ودائع رسول الله كما كان هذا هو المتعين في فن السياسة وقوانين الغلبة والكياسة مع قطع النظر عن الاوامر الإلهية والمشيتة الازلية كذلك كان المتعين والواجب الذي لا محيص عنه في ظروف الحسن (ع) وملابساته هو الصلح مع فرعون زمانه ولو لا صلح الحسن وشهادة الحسين ٨ لما بقى للإسلام أسم ولا

رسم ولضاعت كل جهود محمد (ص) وما جاء به للناس من خير وبركة وهدى ورحمة ، فان أبا سفيان ونغله معاوية وسخله يزيد دبوا كل التدابير واعملوا كل الحيل لمحو الاسلام ورد الناس إلى جاهليتهم الاولى وعبادة اللات والعزى ولعل إلى هذه النكتة الدقيقة اشار النبي (ص) بالحديث المشهور ، الظاهر بصحته ظهور النور ، يقول ٦ « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا » لعله يعنى أن الحسن إمام في قعوده كما أن الحسين إمام في قيامه ونهضته.

وكانت جمهرة المؤرخين وأرباب التراجم والسير تسرد قضية الحسن سلام الله عليه وصلحه مع معاوية على سطحها الظاهر وشكلها البسيط من غير تحليل ولا تعليل ولا تعمق وتحقيق ومن دون نظر إلى ظروف الواقعة وملابساتها ومبادئها وغاياتها ولذا قد يستبق إليها نوع من الاستنكار لعدم النظر إليها بنظر التدبر والاعتبار.

ولكن بما أن الحق والحقيقة نور ، والنور إذا اشتد يشق الستور ويأبى إلا الظهور قيض الله في هذا العصر بعض الافاضل من ذوى الاقلام البارة والافهام الفارعة والانظار السديدة والافكار الحرة فكشفوا بمؤلفاتهم عن حياة الحسن (ع) وسيرته وصلحه الغموض والتعقيد وازاحوا لثام بعض الاوهام التي زلق فيها بعض الكتبة من المعاصرين ومن الذين قبلهم.

ومن عرف فالف واجاد فيما جمع وصنف ، وترجم للحسن (ع) في حياته فاحسن ، واتقن ، وجمع فبرع العالم الفاضل النجيب الاديب الشيخ باقر القرشي ايده الله بروح العناية منه والتوفيق ، فقد رفع إلى بعض فصول الجزء الاول من مؤلفه (حياة الحسن) فوجدت فيه روح الطموح

وطموح الروح ووجدت فيه نفسا وثابة قد جرت في أشواط السباق ، وإذا كانت في البداية فهي
على وشك الوصول إلى الغاية. واحسن شاهد على فضل كتابه نفس كتابه.
(سبوح لها منها عليها شواهد)

شكر الله مساعيه وبلغه امانيه.

بدعاء ابيه الروحي

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

صدر من مدرستنا العلمية بالنجف الاشرف

بتأريخ ٢٠ شهر الصيام المبارك سنة ١٣٧٣ هـ.ج.

مقدّمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

. ١ .

للامام أبي محمد الحسن (ع) تأريخ مشرق ، حافل بأروع صفحات البطولة والجهاد ، وسيرة ندية تنبض بالعدل والتقوى ، وتتدفق بالقابليات الفذة ، والنزعات الخيرة ، وتلتقي بها سجاحة الخلق ، واصالة الرأي ، وعمق التفكير ، وقد اجمع المترجمون له أنه من احلم الناس ، واقدروهم على كظم الغيظ ، والصبر على الأذى والمكروه ، فما عرف من سيرته أنه قابل مسيئاً بأساءته ، ولا جازى مذنباً بذنبه ، وإنما كان يغدق عليهم بالاحسان ويقابلهم بالمعروف ، شأنه شأن جده الرسول (ص) الذي وسع الناس باخلاقه وحلمه.

وحسبها شهادة تدل على عظيم حلمه ادلى بها الد خصومه ، واحقد اعدائه مروان بن الحكم حينما بادر إلى حمل جثمانه الطاهر ، فاستغرب منه سيد الشهداء وقال له : « اتحمل جثمانه ، وكنت تجرعه الغصص؟! »

فقال مروان : « كنت افعل ذلك بمن كان يوازي حلمه الجبال » وكما كان من احلم الناس ، فقد كان من ابرز رجال الفكر في سداد الرأي وصواب التفكير ، وقد تجلّى ذلك في صلحه مع معاوية ، وتجنّبه من فتح باب الحرب ، فان البلاد كانت تضج بالحزبية ، وباع زعماء القبائل وقادة الجيش ذمهم على معاوية ، وانحازوا إلى معسكره لا

إيماننا بقضيته ، وانما طمعا بامواله ، واستجابة لرغباتهم النفسية التي تطمع بالنفوذ والسيطرة ، والثراء العريض ، مضافا إلى ذلك خبث جنوده ، وشدة خلافهم ، وإيثارهم للسلم ، وغير ذلك من العوامل التي سنذكرها بالتفصيل في غضون هذا الكتاب ، فاستسلم ٧ للامر الواقع ، وصالح معاوية ، وقد صان بذلك الأمة ، وحفظ دماءها ، وجنبها من المضاعفات السيئة التي لا يعلم مدى خطورتها الا الله ، واجمع الرواة أنه كان أندى الناس كفا ، واوصلهم لعباد الله ، واعطفهم على الفقراء والمحرومين حتى لقب بكريم اهل البيت مع أنهم اصول الكرم ومعدن السخاء والمعروف وكانت تترى عليه وفود من الفقراء والمحتاجين فيفيض عليهم ببره ، ومعروفه وينقذهم بوافر عطاياه من ذل السؤال والحاجة إلى السعة والبسط في العيش والاستغناء عما في أيدي الناس.

واتفقت كلمة المؤرخين أنه كان اعبد أهل زمانه ، وأتقاهم وأكثرهم عبادة ، وخوفا من الله ، وقد حج بيت الله الحرام خمسا وعشرين حجة وان النجائب تقاد بين يديه ، وقد عمل جميع الوسائل التي يتقرب بها إلى الله ، وتجرد عن لهو الحياة ، ونبد جميع زخارفها ، وسنذكر ذلك بالتفصيل عند التحدث عن مثله ، ومظاهر شخصيته العظيمة.

ان سيرة الامام (ع) في جميع صورها من اروع سير العظماء والمصلحين الذين تعتز بهم الامة في جميع مجالاتها ، ويكفيها خلودا أنها شابهت سيرة النبي (ص) وحكت كريم طباعه وسجاياه.

. ٢ .

ومشكلة تواجهنا في تأريخ الامام أبي محمد هي الاخبار الموضوعة التي ألصقت بتاريخه النير ، فقد دسها في التأريخ الاسلامي بعض الرواة من

اجراء السلطة الحاكمة فنسبوا له ما هو بعيد عنه ، اتهموا الامام انه كان عثمانى الهوى ، وانه كان يندد بموقف أبيه يوم الدار ، لأنه لم يقم بعمليات النجدة ، ولم ينقذ عثمان ، وينجيه من أيدي الثوار ، كما أنه لم يكن من رأيه . كما رووا . أن يستجيب أبوه إلى رغبة الجماهير الذين هتفوا باسمه واصروا على ترشيحه لمنصب الخلافة ، وان امير المؤمنين عصاه . على حد تعبيرهم . واستجاب لدعوة الثوار .

والصقوا بسيرته الوضاعة انه كان كثير الزواج ، والطلاق ، وقد بالغوا في ذلك إلى حد بعيد فرووا أنه كان في اكثر أيامه يعقد على امرأة ويطلق أخرى ، والسبب في ذلك كله هو الخط من شأنه ، والتقليل من أهميته وقد دون تلك الروايات المؤرخون ، واستند إليها كتاب العصر وفي طليعتهم الدكتور طه حسين^(١) فقد مال إليها ، وارسلها إلى القراء ارسال المسلمات ، ولم تثبت في سندها ليتضح له أن رواها قد وصمو بالوضع والانحراف عن أهل البيت ، وقد فندنا القسم الكثير منها في بحوثنا ودللنا على مواضع الضعف الذي فيها سواء أكان من ناحية السند أو من غيره .

إن اهم شيء تستدعيه ضرورة البحث هي غرلة الاخبار ، ومعرفة رواها والتوثق منهم فمن كان صحيحا في نقله بعيدا عن الكذب غير متهم في دينه فيؤخذ بروايته ، ويعول عليها في بناء التأريخ الاسلامي ، ومن كان من الرواة منزلقا في احضان السلطة ويكتب لأغراضها ، ويدون لتدعيم سلطانها وهو في نفس الوقت غير متحرج ولا متأثم من الكذب والوضع فان الواجب أن ترد روايته ولا يعتمد على نقله ، والإسلام قد

(١) استند الدكتور طه حسين في كتابه على وبنوه الى الروايات الموضوعة وسندكرها في غضون هذا الكتاب وندلل على ما يرد عليها من المؤخذات .

أمرنا بصراحة بالتثبت في اخبار المتهمين في دينهم ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) ^(١) والآية صريحة الدلالة في وجوب التثبت في اخبار الفساق ، واي أثم اعظم من ارتكاب الوضع وتعمد الكذب ، وهي في عمومها شاملة للاخبار عن الموضوعات الخارجية ، ومنها الاخبار عن الحوادث التاريخية وغيرها.

وعجيب . وان كان خارجا عن الصدد . أن تؤخذ بعين الرضا والقبول روايات شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسي ^(٢) والجلاد سمرة بن جندب ، ويعول عليها في بناء العقيدة الاسلامية مع أن في الكثير منها خروجاً على سلطان العقل وحكمه ، وخروجاً على حكم الاسلام الذي ما آمن . والحمد لله . بالخرافات والاهام.

ان تنقية الاخبار ضرورة ملحة لكل باحث سواء أكانت متصلة بشئون الدين أو في غيره ولزوم طرح ما رواه المنحرفون واجراء السلطة فيما انفردوا بروايته.

. ٣ .

والشيء البارز في العصر الذي عاش فيه الامام الحسن (ع) انتشار الحزبية ، وتفاعل تياراتها الهائلة ، فقد صمم الحزب القرشي . الذي شكل قبل وفاة النبي (ص) - على صرف الخلافة الاسلامية عن أهل البيت (ع)

(١) سورة الحجرات : آية ٦ .

(٢) كشف الغطاء عن خرافات ابي هريرة الامام شرف الدين في كتابه « ابو هريرة » وكذلك بحث عن موضوعاته ومفترياته العلامة الكبير الشيخ محمود ابو رية في كتابه « شيخ المضيرة ».

لاسباب أهمها التهاالك على الامرة والسلطان ، والحسد لعثرة النبي (ص) على ما منحها الله من الفضائل والمواهب ، وقد أثر عنهم « ان النبوة والخلافة لا يجتمعان في بيت واحد » وهو كلام لا يعضده الدليل في جميع مناحيه ، وقد تعرض ابن عباس الى تزيفه بمنطقه الرصين في محاورته مع عمر بن الخطاب ، فقد قال له عمر « بعد حديث طويل دار بينهما » :

« يا ابن عباس ، أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد (ص)؟ ». قال ابن عباس : فكرهت أن اجيبه ، فقلت له : إن لم أكن ادرى فان امير المؤمنين يدرى :

فقال عمر : « كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتححفوا على قومكم بجحا ، بجحا ، فاختارت قريش لا نفسها فاصابت ، ووفقت. » وخاف ابن عباس من شدة عمر وغلظته أن يجابه بتزييف كلامه فطلب منه الاذن ليصارحه بالواقع قائلاً : « يا امير المؤمنين ، إن تأذن لي في الكلام ، وتمط عني الغضب تكلمت .. ».

« تكلم يا ابن عباس ».

« أما قولك يا امير المؤمنين : اختارت قريش لأنفسها فاصابت ووفقت ، فلو ان قريشا اختارت لانفسها من حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، واما قولك : انهم ابوا أن تكون لنا النبوة والخلافة ، فان الله عز وجل ، وصف قوما بالكراهة ، فقال : « ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله فأحبط اعمالهم ».

فتار عمر وقد لسعه قول ابن عباس : فقال له :

« هيهات يا بن عباس .. قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك عليها فتزيل منزلتك مني

.. » وخاف ابن عباس من سطوته فاجابه بناعم القول :

« ما هي يا أمير المؤمنين؟ فان كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك ، وإن كانت باطلاً فمثلي أمار الباطل عن نفسه ، . »
وهدأت ثورة عمر فقال له :
« بلغني أنك تقول : إنما صرفوها . اي الخلافة . عنا حسداً وبغياً وظلماً! »
فاجابه ابن عباس بمنطقه الفياض :
« أما قولك يا أمير المؤمنين : ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم ، وأما قولك حسداً فان آدم حسد ، ونحن ولده المحسودون!! »
فتار عمر ، وصاح به
« هيهات هيهات!! أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول .. »
وانبرى ابن عباس فرد عليه مقالته :
« مهلاً يا أمير المؤمنين!! لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .. »^(١)

وكشفت هذه المحاورة عما تكنه قريش في نفوسها من الموحدة والكراهية لآل البيت فاختارت
صرف الخلافة عنهم ، ويرى عمر أنها وفقت في ذلك ، ولكنها في الحقيقة لم توفق ، ولم تصب
الرأي والرشد ، فقد انتج اختيارها أن يفوز الأمويون بالحكم ، وهم أعداء الاسلام وخصومه ،
ومجزرة كربلاء الرهيبة احدى مظاهر عدائهم ونقمتهم من الاسلام ، فقد صدرت الأوامر المشددة
من القيادة العسكرية العليا إلى الجيش بإبادة اهل البيت واستئصال شأفتهم ، وأن لا يبقى على
مسرح الحياة أحد من نسل آل محمد (ص) فاييدت تلك الصفوة الطاهرة من عترة الرسول (ص)

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٤ ، شرح نهج البلاغة ٣ / ١٠٧ .

وتقطعت أوصالها على صعيد كربلاء ، وحملت ودائع النبوة وكرائم الوحي سبائا تطوف بها اردال العرب واجلافهم من بلد إلى بلد ، ولما انتهت سبائا آل النبي (ص) الى يثرب يلتفت عمرو بن سعيد عامل يزيد عليها وهو جذلان مسرور الى قبر رسول الله (ص) فيخاطب جدته الطاهر ويقول له :

« يوم بيوم بدر يا رسول الله. »^(١)

ثم رقى منبر النبي ، وخاطب المسلمين فقال : . ويا لهول ما قال . « أيها الناس. إنها لدمه بلدمة ، وصدمة بصدمة ، كم خطبة بعد خطبة ، حكمة بالغة فما تغني النذر. » وقبله قال يزيد :

لست من خندق إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل هذا هو اختيار قريش الذي وفقت فيه . كما يقولون . قد اوجب هضم العترة الطاهرة التي هي عذيلة القرآن الكريم في لزوم مراعاتها والاحتفاء بها ، فانا لله وإنا إليه راجعون

. ٤ .

وقد نظرنا الى الحوادث . التي جرت في عصر الامام أبي محمد (ع) . نظرة امعان وتدبر ، فان التاريخ . كما ذكرنا . قد خلط بالموضوعات حتى اصبح من العسير أن يخلص المؤرخ إلى الحق في أيسر الأمور ، وقد استلخصنا من تلکم الحوادث كثيرا من الجوانب التي لها صلة في الكشف عن حياة الامام (ع) وبتصوير العصر الذي نشأ فيه.

وقد نشر هذا الكتاب قبل احدى عشرة سنة ، ونفذت نسخه ، ولم

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٣٦١ .

يعد لها أي وجود في الأسواق ، وقد ترجمه إلى اللغة الاوردية فضيلة العلامة الجليل السيد محمد باقر النقوي حفظه الله ، وقد طبع في الهند بمطبعة (اصلاح كجهو ابهار) وإن كثيرا ممن تهمهم امثال هذه البحوث قد رغبوا في اعادة طبع الكتاب بعد نفاذ نسخه ، وكنت أرجئ ذلك إلى وقت آخر أملا في اعادة النظر فيه لأني اعتقد أن فيه بعض الفصول تحتاج إلى مزيد من البسط والتفصيل وقد تفضل علي أخي العلامة التقى الشيخ هادي القرشي فابدى رغبته الملحة في مراجعة الكتاب ومعاودة النظر فيه فلم أر بدا من اجابته فراجعت الجزء الاول منه ، واضفت إليه كثيرا من البحوث ، ولعل القارئ يجد أن هذه الطبعة غير الطبعة الأولى لما فيها من الاضافات ، واناقة الطبع ، وروعة التنسيق ودقة الاخراج التي اشتهرت بها مطابع الآداب.

وقبل أن انهي هذا التقلسم ارفع اعمق الامتنان ، وجزيل الشكر إلى حضرة المحسن الوجيه الحاج محمد رشاد عجينة لتبرعه بطبعه سائلا من الله أن يوفقه لكل مسعى نبيل وأن يتولى جزاءه عن ذلك انه ولي التوفيق.

النجم الأشرف

باقر شريف القرشي

٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

لريحانة الرسول (ص) وسبطه الأول الإمام الزكي الحسن بن المؤمنين علي (ع) حياة مثالية وسيرة فواحة عطرة تتدفق بها طاقات الاسلام الثرة الندية ، وتمثل فيها سيرة النبي (ص) وأخلاقه واتجاهاته ، وتتجسد فيها جميع عناصر التربية الاسلامية الرفيعة فهي . بحق . من اروع الشخصيات الفذة التي لمعت في سماء الأمة الإسلامية ، وفي طليعة الذوات الخيرة التي تحلى بها قاموس الإنسانية ، وذلك لما اتصفت به من الحلم والعلم والخلق والسجادة والسخاء وغير ذلك من الصفات الرفيعة التي شابهت صفات الرسول وحكت اخلاقه.

وحفلت حياة الامام (ع) بالمصاعب والكوارث ، وامتنحن امتحانا عسيرا بالامويين الذين جرعه اقسى الوان الخطوب والآلام فقد ابتلى بهم الامام كما ابتلى بهم جده وأبوه من قبل ، فقد كان الامويون يكونون في دخائل نفوسهم واعماق قلوبهم بغضا عارما للهاشميين ، ومصدر ذلك العداء يرجع الى التنافر الذاتي بين الاسرتين واختلاف طباعهما وتباين اتجاههما ، فقد كان الهاشميون يمثلون الارحية والشمم والإباء والوفاء وحماية الضعيف وقرى الضيف ، وكانت أندية العرب ومجالسهم تتحدث عن مكارمهم ولين طباعهم ، وعما تركوه في ربوع مكة من أنظمة للعدل واسباب للنعيم والتجارة ، وأما (الامويون)

فقد عرفوا باللؤم والجفاء والغلظة والغدر والخيانة ، وعدم الاستجابة أو المساهمة في أي عمل من أعمال الخير ، وهم في جاهليتهم واسلامهم سواء لم تصدر منهم بادرة من بوار الكرم أو ظاهرة من ظواهر الاصلاح والنفع العام يقول فيهم الجاحظ :

« ليس لهم قدم مذكور ولا يوم مشهود فلا سابقة ولا جهاد ، وإذا كان شيء من هذا فانما يكون فيما يضر الناس ».

ولما أسس الهاشميون في الجاهلية حلف الفضول الذي كان شعاره مناصرة المظلوم حتى يدفعوا عنه ظلامته ، ومنع القوي من ظلم الضعيف ، والقاطن من الاعتداء على الغريب كان الامويون وحدهم قد تخلفوا عن مناصرة هذا الحلف والانتماء إليه لدوافع أهمها ان هذا الحلف يتنافى مع ميولهم التي طبعت على الظلم والاعتداء ، والغرور والحسد للهاشميين.

(٢)

ولما صدع الرسول الاعظم (ص) برسائله الخالدة الداعية الى يقظة الضمير وتحرير العقول ثقل على الامويين هذا المجد الذي اختص بالهاشميين ، وعظم عليهم الأمر فألهبت قلوبهم بالحقد والكراهية ، وقد تحدث الحكم ابن هشام مع قرينه في الشرك أبي جهل فاعرب له عما يكنه في قرارة نفسه من البغض العارم للهاشميين وعدم الاستجابة لدعوة الاسلام قائلا :

« تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذا ، واللات لا نؤمن به ولا نصدق » . وقد اجمعت كلمتهم على مكافحة الدعوة الاسلامية فألبوا على الرسول (ص) القبائل وقادوا الجيوش لمناجزته ، ولكن الله رد كيدهم في نحركم

ونصر الاسلام وأعز رسوله فقد تحطمت قوى الامويين ومن تابعهم من شذاذ الآفاق وأعداء الاسلام ، واتجهت الجيوش الاسلامية الظافرة الى احتلال مكة المكرمة ، وقد وقع أبو سفيان أسيرا هو والعباس بيد القوات الاسلامية الزاحفة فأمر الرسول (ص) بحبسهما في المضيق ليشاهد أبو سفيان قوة المسلمين وضخامة جيشهم ، واجتازت عليه القوات العسكرية الهائلة فوقف مذهولا مبهوتا قد انهارت قواه وانطلق يقول للعباس :

« لقد اصبح ملك ابن اخيك اليوم عظيما!! »

فأجابه العباس : انها النبوة

فقال أبو سفيان بصوت خافض متحجر : نعم اذن

إنها لكلمة يسمعها بأذنه فلا يفقهها قلبه فما كان مثل هذا القلب ليفقه الا معنى الملك والسلطان ، كما يقول السيد قطب : ^(١)

واطلق رسول الله (ص) سراح أبي سفيان ، ومنحه العفو كما منح أهل مكة فانطلق يهرول قد غمرته عظمة المسلمين وقوتهم وهو يهتف بين قومه . « من دخل داره فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن »

ولما سمعت هند زوجته ذلك وشعرت بخوفه وإيثاره العافية وطلبه للسلم جعلت تصيح وهي حانقة مغیضة « اقتلوا الخبيث الدنس الذي لا خير فيه ، قبح من طليعة قوم ، هلا قاتلتم ، ودفعتم عن انفسكم وبلادكم!! » تحرض بذلك قريشا على الحرب ، وتلهب في نفوسهم نار الثورة ، وروح العصبية ، ودخل رسول الله (ص) مكة فاتحا ، وقام بتطهير البيت الحرام من الاوثان والاصنام ، وقد حطمها امير المؤمنين (ع) فكسر لاقم وهبلهم ، وصعد بلال فوق ظهر الكعبة يؤذن للصلاة فلما سمعه

(١) العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ١٨١ .

أبو سفيان انخلع قلبه وصرخ مناديا بلا اختيار.
« لقد أسعد الله عتبة بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد ».

(٣)

ولما اندحرت قوى الإلحاد وانهارت معنوية المشركين لم يجد الامويون بدا من الدخول في حظيرة الاسلام فدخلوا فيه وهم أذلاء صاغرون ، قد كسرت شوكتهم ، واخذت نارهم ، وقد ظلت قلوبهم مترعة بالحق والكراهية للاسلام ، وقد شعر الرسول (ص) بذلك فاصدر قراره الحاسم بابعاد رءوسهم عن يشرب عاصمة المسلمين وحرّم عليهم الدخول إليها ، وقابلهم بالاستهانة والتحقير ، فقد أقبل أبو سفيان راكبا ومعه معاوية وأخوه أحدهما قائد ، والآخر سائق فلما رأهم النبي (ص) قال :

« اللهم ، ألعن القائد والسائق والراكب » ^(١)

وأقبلت امرأة الى رسول الله (ص) أرادت التزويج بمعاوية فنهاها عن ذلك وقال لها :
« إنه صعلوك » ^(٢).

ومتى كان هذا الصعلوك كاتب الوحي أو مقربا عند النبي ^(٣) . كما يقولون .

(١) تاريخ الطبري ١١ / ٣٥٧ وقعة صفين ٣٤٤.

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ٢٩٦.

(٣) ذكر الفيروزآبادي في سفر السعادة ص ١٤٩ في فضل ما روى في فضل معاوية ما نصه : « ليس فيه حديث صحيح » وقال العلامة المحقق محمد بن عقيل ! في « النصائح الكافية » ما نصه « اما كتابة معاوية ، للوحي والتنزيل فلم تصح ، ومن ادعى ذلك فليثبت أية آية نزلت فكتبها معاوية ، اللهم الا ان يأتينا بالحديث الموضوع انه كتب آية الكرسي بقلم من ذهب جاء به جبرئيل هدية لمعاوية من فوق العرش ،

لقد قابل الرسول (ص) عموم الامويين بالاستهانة والتحقير والخط من شأنهم وذلك لأنه استشف من وراء المغيبات أنهم مصدر الفتن والاضطراب والقلق بين المسلمين فباعدهم ، وقد رأى (ص) في منامه أنهم ينزون على منبره نزو القردة والخنازير فانزل الله تعالى عليه قوله : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) وما رؤي بعد ذلك ضاحكا ^(١).

(٤)

ولما انقصر ظهر الاسلام وانحسرت روحه بموت الرسول (ص) انصبت الفتن على المسلمين كقطع الليل المظلم حتى فقدوا الرشد والصواب فناصروا عترة الرسول (ص) الذين هم وديعة النبي فابعدهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها وسلبوا الخلافة الاسلامية من أيديهم ، وتهاكوا على الإمرة والسلطان ، وقد مهد الخليفة الثاني الحكم للامويين فاستعمل معاوية واليا على الشام واطلق له العنان فلم يحاسبه على إسرافه ، ولم يعاتبه على تبذيره وبذخه كما فعل مع بقية عماله وقد قيل له في ذلك فاعتذر لنفسه ، واعتذر عنه قائلا : ذاك كسرى العرب؟

نعوذ بالله من الفرية على الله وعلى امينه ورسوله « وقال السيد قطب : في (العدالة الاجتماعية) ص ١٨٢ إن أبا سفيان حين اسلم رجا النبي (ص) في ان يسند إلى معاوية شيئا يعتز به أمام العرب ، ويعوضه عن سبة التأخر في الاسلام ، وانه من الطلقاء الذين لا سابقة لهم في الاسلام ، فاستخدمه النبي (ص) في الرسائل والحوائج والصدقات ولم يقل احد من الثقات انه كتب للنبي كما اشاع انصاره بعد استقرار الملك كما يصنع سائر الدعاة ، وإن كان استخدام النبي (ص) لمعاوية محل ريب لأن الرسول (ص) كان ينظر إليه وإلى أسرته نظرة ريبة لشكه (ص) في اسلامهم.

(١) تاريخ الخطيب ٩ / ٤٤ ، تفسير الطبري ٥ / ٧٧ ، اسد الغابة ٣ / ١٤ .

ولم يكتف بهذا المد للأمويين ، وبهذا الاحسان الذي أسداه إليهم فقد قتل حبل الشورى الذي انتج فوزهم بالخلافة وتلاعبهم بمقدرات الأمة وامكانياتها ، وجر الخطوب والويلات لها ، وانتهاك كرامة النبي (ص) في عترته وذريته.

ولما استولى الامويون على زمام الحكم كان هدفهم طوي هذا الدين ، وقلع جذوره ، ومحو سطره ، وابادة معمله وآثاره ، ولو لا فيض عارم في مبادئه ، وقوة كامنة في طاقاته ، وتضحيات العلويين لانتشاله ، وعناية قبل كل شيء فيه من الله تعالى لا صبح الاسلام معدوم الأثر من دنيا الوجود لأنه حينما استتب لهم الأمر وصفا لهم الجو ظهر مدى حقدهم البالغ على الاسلام ، وظهرت رغبتهم في الملك والسلطان فكانوا لا يفكرون الا بذلك ولا يحلمون الا بأن تكون دولة المسلمين العوبة بأيدي ابنائهم وصبيانهم ، وقد ادلى بذلك أبو سفيان بكلمته التي القاها أمام أسرته وذويه قائلاً لهم :

« يا بني أمية ، تلاقفوها تلقف الكرة فو الذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار وما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثته »^(١).

قال هذه الكلمة أبو سفيان : بم رأى ومسمع من عثمان وهي صريحة في ارتداده وظاهرة في الحاده والواجب الشرعي يحتم على عثمان أن يقيم عليه الحد باعتباره خليفة المسلمين ، وهو مسئول عن تنفيذ احكام الدين وتطبيق حدوده ولكنه اعار ذلك أذنا صماء ، واهمل ما وجب عليه.

وحينما نشبت اظفار معاوية بالملك اتضح عداؤه للسافر للاسلام والمسلمين ، وقد برز ذلك في أقواله وأعماله واتجاهاته فقد خطب في النخيلة وكانت نشوة الظفر عليه بادية فقال :

« يا أهل العراق ، والله إني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ،

(١) مروج الذهب ١ / ٤٤٠.

ولا لتتحجوا ولا لتزكوا ، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك .. » ^(١)

وأى قيمة للصلاة والصوم والزكاة والحج ، وأي أثر لسائر الطقوس الدينية عند ابن هند التي نهشت كبد سيد الشهداء حمزة ، انه ما قاتلهم من اجل ذلك ولا من اجل المطالبة بدم عثمان الذي أقام الدنيا وأقعدھا بسببه ، وإنما قاتلهم من اجل الظفر بالملك والسلطان.

لقد منيت البلاد الاسلامية أيام حكمه وسلطانه بالظلم والجور والاستبداد ، ومنى المسلمون بالاستعباد والاستغلال ، فقد قضت سياسته الارهابية الملتوية بارسال الاخيار والمصلحين الى ساحات الاعدام وظلمات السجون ، فقد اعدم الصحابي العظيم حجر بن عدي وإخوانه الصالحين لأنهم انكروا على ولاته سبهم لأمير المؤمنين وسيد المتقين.

إن البارز في سياسة معاوية نشر الارهاب والخوف ، وإشاعة الفتن والاضطراب ، وإباحة الغدر والخيانة ، والولوغ في دماء المسلمين فقد أسرف هو وعماله في ذلك حتى قتلوا الاطفال الصغار والشيوخ العاجزين بعد ما تجاوزوا الحد في قتل الرجال وسجن النساء ، وقد ارتطمت البلاد بالفتن وضج الناس من الظلم والجور.

وقد ساند سياسته فريق من المرتزقة وباعة الضمير الذين وضعوا دنياهم فوق رءوسهم ودينهم تحت أقدامهم فراحوا يلقون عليه التقديس ، ويخلعون عليه النعوت الحسنة ويبررون جرائمه وموبقاته ، وهم ما بين راو وخطيب وزعيم فاحذوا يذيعون بين الشاميين قربه من الرسول وانه وارثه حتى انقضى ربح من الزمن وهم لا يظنون ان هناك احدا أقرب إلى النبي (ص) من معاوية وبني أمية ، كما افتعلوا الاحاديث الكثيرة في

(١) شرح النهج ٤ / ١٦ .

الثناء عليه وضرورة تكريمه وتقديره ، ومضافا لهذا الفريق المرتزق البطانة التي ظفر بها كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد بن أبيه وأضرابهم من دهاة العرب وابالسة الدنيا فقد اخذوا في تسديده واحكام سلطانه وتخذيّل اعدائه حتى اصبحت مقاومة حكمه من الصعوبة بمكان ، فقد عجز أمير المؤمنين (ع) عن مقاومته ومناجزته حيث افسد عليه جيشه وتركه في ارباض الكوفة يتمنى النزوح عن هذه الدنيا ومفارقة ذلك المجتمع المصاب باخلاقه حتى قضى ٧ شهيدا صابرا.

(٥)

ولما فجع الاسلام ونكب المسلمون بقتل وصي الرسول (ص) ، وبايعت الحواضر الاسلامية سبط النبي الامام الحسن اخذ معاوية وعملاؤه يدبّرون نفس الخطة التي دبّروها مع أبيه من قبل فافسدوا عليه جيشه وخواصه بالمال تارة وبالارهاب أخرى حتى بلغ بهم التخاذل والانحطاط مبلغا فظيما فقد كاتبوا معاوية بتسليم الامام له أسيرا سرا أو علانية إن شاء ذلك وانضمت إلى ذلك عوامل أخرى سنذكرها مشفوعة بالتفصيل في غضون هذا الكتاب ، فرأى ٧ أنه إن قاوم معاوية قاومه بيد جذاء ولو ضحى بنفسه لذهبت تضحيته سدى وتعود بالضرر الجسيم على الاسلام والمسلمين فوقف (ع) مع عدوه موقف الحازم اليقظ والبصير المحنك فصالح معاوية وحفظ دمه ودم أهل بيته والبقية الصالحة من المؤمنين ، وقد كشف ذلك عن سمو رأيه وعمق نظره ، ولم يترك (ع) بعد الصلح جهاده المقدس فقد انبرى يعمل في تحطيم عروش الدولة الأموية ، ويبين اخطارها على العقيدة الاسلامية ، وقد تصدى لمعاوية بالذات فذكر مثالبه وموبقاته في بلاطه وذلك حين سافر (ع) الى الشام.

وسيقف القارئ الكريم في بحوث هذا الكتاب على مدى الآلام المرهقة التي تجرّعها سبط الرسول (ص) وريحاته من معاوية ، ومن جلاوزته ، ويقف على ما ألمّ به من الحن والبلوى ، والاستهانة به حتى من خلص أصحابه وأصحاب أبيه ، فقد جابهوه بعد إبرام الصلح باقسي القول وأمره وكان أشد على نفسه من ضربات السيوف ، وقد صبر سلام الله عليه على ما انتابه من الخطوب ، وبث حزنه وشكواه الى الله.

وبحثنا في هذا الكتاب عن مظاهر شخصيته ، وعن سيرته الندية ، التي هي . بحق . من اروع ما حفل به تأريخ المسلمين من المآثر والمفاخر ، كما ذكرنا الأدوار التي اجتازت عليه ، وما في عصره من الظواهر الاجتماعية فان الاحاطة بذلك . فيما نعلم . ضرورة ملزمة يقتضيها البحث ، وقد بحثنا عن ذلك كله ببحث حر جهد ما توصل إليه تتبعنا ، ومن الله التوفيق وهو ولي القصد.

النحف الأشرف : ١ / صفر سنة ١٣٧٣ هـ

باقر شريف القرشي

اجتماع النورين

نشأت الصديقة فاطمة سيدة بنات حواء في إبان الدعوة الإسلامية وترعرعت والاسلام في مرحلة الارتقاء ، وقد قام بدور تربيته منقذ الانسانية وسيد ولد آدم الرسول محمد (ص) فغذاها من حكمه وكماله ، وأفرغ عليها أشعة من روحه المقدسة ، واشبعها من مكرمات نفسه العظيمة ، لتكون قدوة لنساء أمته ، ومثالا للكمال الانساني ، وعنوانا للطهر والعفاف.

وحمل الرسول (ص) في نفسه من الحب لها ما لم يحمله لغيرها ذلك لأنها البقية الصالحة من زوجته الطاهرة أم المؤمنين خديجة (رض)^(١)

(١) خديجة بنت خويلد بن اسد القرشية الأسدية زوج النبي (ص) واول من آمنت به وصدقته باجماع المسلمين وكانت تدعى في الجاهلية « الطاهرة » وهي ذات ثراء عريض كانت تستأجر الرجال للتجارة في اموالها ، وقد بلغها عن رسول الله (ص) صدق حديثه وعظم امانته وكرم اخلاقه فبعثت إليه وعرضت عليه التجارة في اموالها فاجاب الى ذلك وخرج الى الشام مع غلام لها اسمه ميسرة فلما قدم (ص) الى الشام استظل تحت شجرة وكانت قريبة من صومعة راهب فاطل الراهب وقال لميسرة من هذا الرجل؟ فقال له : إنه من قريش من اهل الحرم فقال الراهب. ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ، ثم باع رسول الله (ص) الأموال التي جاء بها ، واشترى ما اراد ثم قفل راجعا إلى مكة واعطى خديجة الأموال وقد ربحت ربحا كثيرا ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، فبعثت خلف النبي فقالت له : إني قد رغبت فيك لقرابتك مني وشرفك في قومك وامانتك عندهم ، وحسن خلقك وصدق حديثك ، وعرضت عليه الزواج بها ، وكانت من اوسط قريش نسبا واعظمهم شرفا واكثرهم مالا ، وخرج الرسول (ص) فعرض مقاتلتها على اعمامه فخرج عمه حمزة ودخل على ابيها خويلد فخطبها منه فاجابه الى ذلك فتزوج بها رسول الله (ص) وكان عمرها اربعين سنة وعمره الشريف خمس وعشرون سنة وقيل غير ذلك ، ولما بعث رسول الله كانت اول من آمنت به وآزرته ، وكان لا يسمع شيئا يكرهه .

التي منحته بعطفها وحنانها ، وآمنت به قبل غيرها ، ورصدت جميع أموالها وامكانياتها لتقوم دعائم الاسلام وتشبيد دعوته حتى نفذ جميع ما عندها من الثراء العريض ، ولم ينس الرسول (ص) تلك اليد البيضاء التي اسدتها على الاسلام فقد قابلها بالشكر الجزيل والثناء العاطر ، فكان بعد موتها دوما يترحم عليها ويذكر وفاءها واحسانها حتى وجدت عليها عائشة ، وانطلقت تقول له : « ما تذكر من عجوز حمراء الشدين ^(١) قد أبدلك الله خيرا منها » فغضب النبي (ص) من هذا التوهين فقال لها :

« ما أبدلني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس ، وواستني بما لها حين حرمني الناس ، ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها .. » ^(٢)

من رد عليه وتكذيب له مما يحزنه إلا خففت عنه وهونت عليه امر الناس وصدقته ، ولعظم جهادها في الاسلام بشرها رسول الله بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، وكان جبرئيل يحمل لها السلام من الله ، وقال (ص) في حقها : « خير نساء العالمين اربع : مريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة ابنة خويلد وفاطمة بنت محمد » وما فتئ رسول الله (ص) يذكرها حتى انه إذا ذبح شاة يتبع رفيقات خديجة فيهدي لهن من لحمها ، وقد توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل إنها توفيت بعد موت ابي طالب بثلاثة ايام فتتبع على رسول الله (ص) المصائب بعد فقدته لهما. توفيت في رمضان وكان عمرها خمسا وستين سنة ودفنت بالحجون ، جاء ذلك في اسد الغابة والاصابة والاستيعاب.

(١) الشدين : مفردة شديق . بالكسر والفتح . جانب الفم.

(٢) اسعاف الراغبين المطبوع على هامش نور الابصار ص ٩٦ ، وروى ما يقرب من ذلك في مسند احمد ٦ / ١٥٠ والاصابة واسد الغابة والاصابة في ترجمة خديجة ، وسنن ابن ماجه في باب الغيرة من ابواب النكاح.

لقد واسته خديجة حينما وجدت عليه جبابرة قريش ، فوقفت الى جانبه تحميه وتصون دعوته بأموالها الضخمة كما رزق منها الولد ولم يرزقه من غيرها فقد رزق منها سيدة نساء العالمين شبيهة القديسة مريم بنت عمران في عفافها وطهاره ذيلها فاطمة الزهراء ٣ التي بتلها الله عن النظر وهو السبب في تسميتها « بالبتول » كما ان السبب في تسميتها بفاطمة ان الله قد فطمها وذريتها من النار ^(١)

سمو منزلتها :

وادلى الرسول (ص) بعظيم منزلة الزهراء ٣ وسمو مكانتها عند الله فقال (ص) مخاطبا لها :
« إن الله يرضى لرضاك ويعضب لغضبك » ^(٢)
وأخذ بيدها وقال للمسلمين :
« من عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد (ص) وهي بضعة مني ، وهي قلبي ، وهي روعي التي بين جنبي

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٩٦ وقد جاء فيه ان عليا سأل رسول الله (ص) لم سميت فاطمة؟ فقال (ص). « إن الله قد فطمها وذريتها من النار » وذكره الحافظ محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص ٢٦ وجاء فيه ان الامام علي بن موسى الرضا روى الحديث في مسنده ولفظه ان رسول الله (ص) قال : « إن الله عز وجل فطم ابنتي فاطمة وولدها ومن احبهم من النار » وعن ابن عباس (رض) قال : قال رسول الله (ص) إن ابنتي فاطمة حواء إذ لم تحض ولم تطمث وانما سماها فاطمة لأن الله عز وجل فطمها ومحبيها عن النار ، اخرج النسائي.

(٢) ذكر في كل من اسد الغابة والاصابة وذخائر العقبى ص ٣٩.

من آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » ^(١)

لقد قرن الرسول راحتها براحته وسعادتها بسعادته ، وقد تضافرت الاخبار التي أثرت عن النبي (ص) بذلك فقد قال (ص) :

« إنما فاطمة شجنة مني ^(٢) ييسطني ما ييسطها ^(٣) ويقبضني ^(٤) ما يقبضها » ^(٥) .

وروت عائشة عن مدى حفاوته (ص) وتكرمه للزهراء (ع) فقالت : إنها إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها وأخذ بيدها فأجلسها في مجلسه ^(٦) .

وسئلت عائشة فقيل لها :

. أي الناس كان أحب الى رسول الله (ص)؟

فقالت : فاطمة

فقيل لها ، ومن الرجال؟

فقالت : زوجها إن كان ما علمت صواما قواما ^(٧) .

وأخرج الامام احمد بن حنبل في (مسنده) ان النبي (ص) قال :

(١) نور الابصار ص ٤١ .

(٢) الشجنة : العضو المشتبك والغصن.

(٣) البسط : السرور.

(٤) القبض : الاستياء.

(٥) مستدرك الحاكم ٣ / ١٥٤ .

(٦) مستدرك الحاكم ٣ / ١٥٧ ، اسعاف الراغبين ص ١٦٩ .

(٧) مستدرك الحاكم ٣ / ١٥٧ ، وذخائر العقبى ص ٣٥ وجاء فيه زيادة على الرواية جديرا بقول الحق ، وعن بريدة

كما في الاستيعاب قال : كان أحب النساء الى رسول الله (ص) فاطمة ومن الرجال علي .

(فداؤها أبوها) قال ذلك ثلاث مرات ^(١) .

وبلغ من حبه ، وتقديره لها أنه إذا سافر جعلها آخر الناس عهدا به ، وإذا قدم من سفره جعلها أول من يقصده ^(٢) .

وروى أنس بن مالك أن رسول الله (ص) كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل البيت ، ويتلو قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) الآية.

لقد كان كلف النبي (ص) واشفاقه على بضعته الزهراء (ع) فوق كلف الآباء واشفاقهم على أبنائهم ^(٣) ومن المعلوم الذي لا ريب فيه ان الرسول (ص) لم يمنحها هذا العطف ، ولم يفيض عليها هذا التكريم لأنها ابنته ولا عقب له سواها فان شأن النبوة بعيد كل البعد عن المحابة والاندفاع بعاطفة الهوى والحب ، وانما صنع ذلك لتشديد الفضيلة

(١) الصواعق المحرقة ص ١٠٩ .

(٢) مستدرك الحاكم ٣ / ١٥٤ .

(٣) كتب المستشرق « لامنس » في كتابه « فاطمة وبنات محمد » مغالطات وبحوثا معكوسة يقول عند التحدث عن سيدة النساء فاطمة (ع) ما نصه « ولم يكن شأنها في بيت والدها خطيرا ظاهرا الأثر بادي الخطورة ، بل لقد كان خطرها اقل من خطر عائشة وزينب ، وحفصة ، واطراف يقول : ولقد كانت تعامل في بيت والدها معاملة عادية » ان لا منس معروف بعمالته للاستعمار وبحقده على الاسلام ، فمن اي مصدر استنتج منه هذه النتائج ، وقد طفحت الكتب الاسلامية بالاحبار المتظافرة الواردة عن النبي (ص) في سمو منزلتها وعظيم شأنها عنده (ص) وما ذكرناه من الاحاديث السابقة التي اجمع المسلمون على روايتها تدل بوضوح على مدى تكريم النبي لها (ص) ، وانما اراد (لا منس) تشويه الاسلام والخط من اهم شخصياته الرفيعة.

ورفع مستوى القيم الرفيعة فانه (ص) لم يجد في بنات المسلمين ونسائهم من تضارع ابنته في كمالها وعفافها وطهارة ذيلها فقد تجسست فيها جميع المثل الخيرة من العلم والعبادة والتقوى وغير ذلك من الصفات التي عز وجود بعضها في بنات حواء.

خطبة الامام لها :

ولما أشرفت كريمة الرسول (ص) على ميعة الشباب تشرفت مشيخة الصحابة بمقابلة الرسول (ص) وعرضوا عليه رغبتهم في التشرف بمصاهرته فقد جاء أبو بكر خاطبا فرده (ص) وقال له : « أنتظر بها القضاء » وأعقبه عمر فرده بمثل ما رد به صاحبه ^(١) ، ولما علم المسلمون أن أمر الزهراء بيد الله تعالى وليس للنبي (ص) أن يبت فيه ، وجموا عن مذاكرته في ذلك ، ومضت فترة من الزمن اجتمع في خلالها نفر من الصحابة بعلي فذكروا له قربه من الرسول (ص) وشدة بلائه في الاسلام ومناصرته للنبي في جميع المواقف والمشاهد ، وحفزه على خطبة كرمته ليفوز بمصاهرته ويحوز الى شرف جهاده شرف المصاهرة ، فسار (ع) بين احجام واقدام يمشي في خطو متمهل وئيد حتى دخل على النبي (ص) وقد أخذه صمت رهيب ^(٢) فالتفت (ص) إليه مستفسرا :

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ١١ ، تأريخ الخميس ١ / ٤٠٧ ذخائر العقبى ص ٢٩

(٢) علل بعض الحاقدين على امير المؤمنين ذلك الصمت انه كان يخاف من النبي (ص) ان يرده لفقره ، وهو تحليل موهوم فان النبي (ص) لا يعني من المسلم الا فضائله وتقواه ولم يعر اي اهتمام للثراء وتضخم الاموال ، ولقد آخى بينه وبين علي مع علمه بفقره ، فقد جاء في مستدرک الحاكم ٣ / ١٤ وفي الاستيعاب ٣ / ٣٥ ما نصه : ان رسول الله (ص) لما آخى بين اصحابه جاءه علي (ع) فقال : آخيت

« ما حاجة ابن أبي طالب؟ »

فغالبه الحياء برهة ثم اجاب :

« ذكرت فاطمة يا رسول الله »

فاجابه الرسول والسرور باد على وجهه ، وابتسامة ظاهرة على شفثيه قائلا :

« مرحبا إن الله أمرني أن أزوجهك من ابنتي » ^(١)

وتغمر المسرات قلب الامام بما أراد له الخالق الحكيم من خير الدنيا والآخرة فهو ابن عم الرسول (ص) وسيصبح له صهرا ، وورد في بعض التفاسير انه هو المعنى بهذه الآية « وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا » ^(٢) ويلتفت النبي الى أصحابه فيخبرهم بما أمره الله به قائلا :

« لقد أتاني ملك ، فقال لي : يا نبي الله ، إن الله يقرئك السلام ، ويقول لك : إني زوجت فاطمة من علي في المأل الأعلى فزوجها منه في الأرض » ^(٣).

ويدخل الرسول (ص) على ابنته ، وقد اترعت نفسه الشريفة بالافراح فيخبرها بذلك قائلا لها « زوجتك خير أمي اعلمهم علما وافضلهم

بين اصحابك ولم تزاخ بيني وبين أحد فقال له رسول الله : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » الى غير ذلك من الاخبار التي دلت على أنه نفس النبي (ص) وانه اخوه ووصيه ووزير وخليفته من بعده على امته ولم يحز الامام هذه المنزلة الا الا لعظيم اتصاله بالله.

(١) نور الابصار ص ٤٢ كنز العمال ٦ / ٢١٨ ، المستدرک ٣ / ١٥٣ .

(٢) مجمع البيان ٩ / ١٧٥ طبع بيروت .

(٣) ذخائر العقبى ص ٣٢ .

حلما وأولهم سلما» ^(١).

ويقول لها مرة أخرى.

« يا فاطمة ، أما علمت أن الله عز وجل اطلع على اهل الارض ، فاختار منهم أباك فبعثه نبيا ، ثم اطلع ثانية فاختار بعلك فاوحى إلي فانكحته ، واتخذته وصيا .. » ^(٢)
ويقول لها :

« إنه لأول أصحابي اسلاما أو أقدم أمتي سلما ، وأكثرهم علما وأعظمهم حلما » ^(٣).
ومع توفر هذه المثل الرفيعة والقيم العليا في شخصية الامام (ع) كيف لا يزوجه الرسول (ص) من كريمته التي لا كفؤ لها في المسلمين سوى أمير المؤمنين كما جاء بذلك الحديث الشريف « لو لم يخلق علي ما كان لفاطمة كفؤ » ^(٤).

المهر :

وأنبى الرسول (ص) وقد غمرته موجات من السرور الى الامام قائلا له :
« ما عندك من المهر؟ »

اجابه الامام أنه لا يملك شيئا من متع الدنيا سوى فرسه ، ودرعه ، وكانت الدرع مما أفاء الله بها عليه من غنائم بدر ، فقال له النبي (ص) :

(١) اخرجه الخطيب في المتفق والسيوطي في جمع الجوامع ٦ / ٣٩٨.

(٢) كنز العمال ٦ / ١٥٣.

(٣) مسند أحمد ٥ / ٢٦ ، مجمع الزوائد ٦ / ١٠١ ، الرياض النضرة ٢ / ١٩٤.

(٤) كنوز الحقائق للمناوي ص ١٢٤ ، من لا يحضره الفقيه ٣ / ٢٤٩.

« أما فرسك فلا بد لك منها ، وأما درعك فبعه ».

وانطلق الامام الى السوق فباع درعه باربعمائة وثمانين درهما ، وجاء بالثمن معقودا في طرف ثوبه ^(١) فوضعه بين يدي الرسول (ص) وقد غلبه الحياء حيث يعلم ان هذا المهر هو اقل ما يبذله الفقراء مهرا لازواجهم ولكن الرسول (ص) أحب مصاهرته لا لشيء من حطام الدنيا ولا لغير ذلك مما يقول أمره الى التراب بل انما خصه بهذه المكرمة لأنه الفرد الاول في أمته الذي امتاز على غيره بسبقه الى الاسلام ^(٢) وجهاده عن حياض هذا الدين بالاضافة الى عبقرياته الاخرى التي لا تتوفر بعضها في أي انسان.

الجهاز :

وعند ما قبض الرسول (ص) المهر ناول بعضا منه بلالا ليشتري شيئا من الطيب والروائح وناول بعضه الآخر سلمان وأم سلمة ليشتريا بقية الأثاث ، وما هي إلا ساعة حتى تم جهاز العرس وكان إهاب كبش إذا ارادا أن يناما قلباه على صوفه ، ووسادة من آدم حشوها ليف ^(٣)

(١) كنز العمال ١١٤ / ٧ ، وجاء في تأريخ الخميس ١ / ٤٠٧ انه باع بعيرا له وبعض أمتعته وأعطاه مهرا وهو مخالف لما عليه المشهور من أنه باع درعه واعطى ثمنه مهرا لفاطمة.

(٢) جاء في كل من المستدرك ٣ / ١١٢ والاستيعاب ٣ / ٣١ أنه بعث النبي (ص) يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ، وكذا جاء في غيرهما من المصادر وقد اجمع المسلمون انه اول من اسلم وآمن بالرسول (ص).

(٣) الطبقات الكبرى ٨ / ١٤ رواه بسنده عن جعفر بن محمد عن ابيه (ع)

وسريرا مشروطا ^(١) ورحيين وسقاء وجرتين ^(٢) وغير ذلك مما هو زهيد في بادئ الرأي ولكنه في نظر الاسلام أثمن من الجوهر واعلى من الأمتعة الثمينة التي توجد عند الملوك وذوي الثراء العريض ، وقد استنتج المستشرق الانكليزي « لامنس » من هذا الجهاز المقدس نتيجة معكوسة يقول : « وبالأحرى أن هذا الجهاز الذي أمر به محمد (ص) دليل على الكراهية التي في نفس محمد (ص) لابنته فاطمة ولزوجها وكانت كراهيته له لا تقل عنها » ^(٣)

ولحقه « لامنس » على الاسلام وجهله بحكم تشاريعه استنتج ذلك فقد اعتقد أن مظاهر الحب من الوالد تجاه ولده تتجلى فيما اذا اكثر له من ملاذ الحياة ونعيمها ومباهجها ، ولم يعلم أن مقام الرسول (ص) اسمى من أن يخضع لعاطفة الحب التي تجر إلى زخارف الحياة ، فانه في عمله هذا كان في مقام التشريع والتأسيس لأهم نقطة حيوية في الاسلام تبنى عليها سعادة المسلمين وهي تسهيل الزواج وعدم تعقيده بزيادة المهر ، فان المهر الذي ارتضاه لابنته ، وهذا الجهاز الزهيد الذي هيأه لها مع أنها أعز ابنائه وبناته انما هو سنة من نظامه الرفيع الخالد الذي كره المغالاة في المهر فان

(١) مشروطا : اي مشدودا بشريط ، وهو خوص مفتول . يشرط ، اي : يشد ويربط به السرير والرواية ذكرها ابو نعيم في حلية الاولياء ٣ / ٣٢٩ رواها بسنده عن عكرمة.

(٢) مسند احمد بن حنبل ١ / ١٠٤ ، كنز العمال ٧ / ١١٣ ، وجاء في مستدرك الحاكم ٢ / ١٨٥ قال جهز رسول الله (ص) : فاطمة في خميل وقرية ووسادة حشوها ليف ، وجاء في ذخائر العقبى ص ٣٥ ان عليا (ع) قال : لقد تزوجت فاطمة ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار.

(٣) فاطمة وبنات محمد.

زيادته تمنع الفقراء والبؤساء من الاقتران ، ولهذه الغاية النبيلة قال (ص) : « أفضل نساء امتي أقلهن مهرا » ^(١) ويقول الامام موسى بن جعفر ٧ : كان الرجل على عهد رسول الله يتزوج المرأة على السورة من القرآن وعلى الدرهم وعلى الخنطة ، القبضة ^(٢) وقد زوج (ص) أحد أصحابه وجعل صداق زوجه تعليم سورة من القرآن الكريم ^(٣) ، لقد حثت الشريعة الاسلامية على الزواج وتساهلت في صداقه ، والغت التفاضل بين الزوجين ، وجعلت المسلم كفء المسلمة ، والحكمة في ذلك هو قمع الفساد والقضاء على البغاء ، وتكثير النسل ، وقد خفيت هذه العلل والاسباب على « لامنس » الذي لا ينظر الى الاشياء الا من زاوية المادة فاستنتج النتيجة السالفة على غير هدى جاهلا بالنظم الاسلامية الداعية الى سعادة المجتمع ودفع الشقاء عنه.

خطبة العقد :

ولما تم شراء الجهاز دعا رسول الله (ص) جماعة من المهاجرين والانصار لحضور مجلس العقد فلما مثلوا عنده اجرى (ص) خطبة النكاح وهذا نصها :

« الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع بسلطانه ، المرهوب من عذابه وسطواته ، النافذ أمره في سمائه وارضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، ويميزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد ٦ إن الله تبارك اسمه وتعالى عظمتة جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا

(١) من لا يحضره الفقيه ٣ / ٢٤٣ .

(٢) تهذيب الاحكام ٧ / ٣٦٦ .

(٣) صحيح مسلم ١ / ٥٤٥ .

او شج به الارحام والزمها الأنام ، فقال عزّ من قائل : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) وأمر الله يجري الى قضائه ، وقضاؤه يجري إلى قدره ، ولكل قضاء قدر ، ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) ثم ان الله عز وجل أمرني أن ازوج فاطمة من علي ، وأشهدكم أني زوجت فاطمة من علي على اربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة ، فجمع الله شملهما ، وبارك لهما ، وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة ، وأمن الأمة اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .. »

ولم يكن الامام حاضرا مجلس العقد ، وإنما كان في حاجة لرسول الله (ص) وحينما انتهت خطبة العقد دخل امير المؤمنين على النبي (ص) فلما رآه تبسم وقال له : « يا علي ، إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة ، واني قد زوجتكها على اربعمائة مثقال فضة » فقال أمير المؤمنين : رضيت ، وخر (ع) ساجدا لله شاكرًا له ، ولما رفع رأسه من السجود قال (ص) : « بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدكما واخرج منكما الكثير الطيب »^(١) وأمر الرسول (ص) أن يقدم للمدعوين وعاء فيه بسر ، وقال لهم : « انتهبوا فتخاطف المدعوون منه^(٢) وبعد الفراغ تفرقوا وهم يدعون للزوجين بالسعادة والهناء والذرية الطاهرة.

(١) نور الابصار ص ٤٢ وذكرت مع اختلاف يسير في الرياض النضرة ٢ / ١٨٣ وذخائر العقبى ص ٢٩ وغيرها.

(٢) ذخائر العقبى ص ٣٠ ، الرياض النضرة ٢ / ١٨١.

الوليمة :

ولما حانت ليلة اقتران النورين قال رسول الله (ص) وقد غمرته الافراح :

يا علي : لا بد للعروس من وليمة

فانطلق سعد بن عبادة فتبرع بكبش وتبرع الانصار بأصوع من ذرة^(١) ودعي المسلمون لتناول طعام العشاء وتقول اسماء : ما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمة علي^(٢) وقام المدعوون فتناولوا الطعام ، وبعد الفراغ منه اقبلوا يهنئون الامام ويباركون له.

الزفاف :

وطلب النبي (ص) من أم سلمة أن تذهب بكرمته الى دار أمير المؤمنين فمضت أم سلمة مع حفنة من النساء تقدمهن أمهات المؤمنين قد زفن الصديقة الطاهرة الى بيت الامام وهن يرتلن الاهازيج والأشعار ، وبعد ما فرغ الرسول (ص) من صلاة العشاء انطلق الى دار علي فاستقبلته أم أيمن فقال لها بصوت فياض بالبشر :

« هاهنا أخي؟ »

وملكت الدهشة أم أيمن فراحت تقول :

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ١٣ اسد الغابة ٥ / ٥٢١ وفي كنز العمال ٧ / ١١٤ ان رسول الله (ص) قال : لا بد

للعروس من وليمة ثم امر بكبش فجمعهم عليه.

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤ وجاء في الرياض النضرة ٢ / ١٨٢ عن جابر قال : حضرنا عرس علي فما رايت عرسا

كان احسن منه حشونا البيت طيبا وأتينا بتمر وزيت فاكلنا منه.

« بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ... فمن أخوك؟ »

« علي بن أبي طالب »

« وكيف يكون أخاك وقد زوجته ابنتك؟ »

« هو ذلك يا أم أيمن »

ودخل النبي (ص) فنهض الزوجان تكريماً واجلالاً له فالتفت إلى فاطمة وأمرها بان تناوله ماء فاحضرت له قعباً فيه ماء فاخذه ومج فيه وقال لها : قومي فنضح بعض ذلك الماء على ثدييها ^(١) ورأسها وهو يرفع صوته بالدعاء الى الله.

« اللهم ، إني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم »

وقال لعلي : عليّ بماء ، فاحضره له فاخذ منه شيئاً ثم مجه فيه وصبه على رأسه وانطلق يدعو له :

« اللهم : إني اعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم »

ثم قال له ادبر فادبر وصب بقية ذلك الماء بين كتفيه ، ودعا له وقال له : ادخل باهلك باسم الله والبركة ^(٢) وانصرفت النسوة إلى منازلها وتخلفت أسماء بنت عميس فقال لها (ص) : « من أنت؟ »

« أنا التي أحرس ابنتك ، إن الفتاة ليلة بنائها لا بد لها من امرأة قريبة منها ، إن عرضت لها حاجة أو أرادت أمراً أفضت بذلك إليها .. »

فشكر النبي (ص) ذلك منها وانطلق يوافي ابنته بدعائه :

« إني أسأل الهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان

الرجيم ... »

وقام النبي (ص) فاغلق الباب بيده وانصرف وهو يدعو لهما خاصة

(١) وفي رواية فصب الماء بين يديها.

(٢) كنز العمال ٧ / ١١٤ .

لا يشترك أحدا في دعائه حتى توارى في حجرته ^(١) وكان تأسيس هذا البيت الجديد في السنة الثانية من الهجرة ^(٢). ويمتد الزمن بعد زواج الامام ٧ والعيش هادئ ، والحياة البيتية كل يوم في سرور قد غمرتها المودة والوداعة ، وبذل المعونة وترك الكلفة واجتناب هجر الكلام ومرد ، فكان الامام يشارك زوجته في شئونها البيتية ويعينها بما تحتاج إليه فكانت حياتهما أسمى مثل للرابطة الزوجية الرفيعة.

وفي فترات تلك المدة السعيدة عرض للصديقة (ع) حمل وكان الرسول يبشر بطلائه وأنه غلام وذلك حينما جاءت إليه أم الفضل تطلب منه تفسير رؤياها ^(٣) قائلة له يا رسول الله (ص) إني رأيت

(١) مجمع الهيتمي ٦ / ٢٠٧.

(٢) تأريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٧ جاء فيه ان عليا تزوج في السنة الثانية في رمضان وبني بها في ذي الحجة ، وذكر المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ١٨٧ ان تزويج الامام ٧ بفاطمة كان بعد سنة من الهجرة وقيل اقل من ذلك وكان عمر الامام علي ٧ في ذلك الوقت إحدى وعشرين سنة وخمسة اشهر وعمر الصديقة ٣ خمس عشرة سنة وخمسة اشهر كما ذكر ذلك ابن حجر في المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٥٧ وذكر المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٤٠٣ ان عمر الزهراء ٣ كان ثماني عشرة سنة وعلي ٧ عمره خمس عشرة سنة وجاء هذا أيضا في طبقات الصحابة ج ٨ ص ١٣ وجاء في البحار ج ١٠ ص ٤ ان عمرها الشريف كان عشر سنين وانما توفيت وعمرها ثماني عشرة سنة.

(٣) أم الفضل : هي زوجة العباس بن عبد المطلب واسمها لبابة وهي بنت الحارث الملالية وهي اول امرأة آمنت بعد خديجة (رض) وهي شقيقة ميمونة زوجة النبي (ص) وهي إحدى الروايات عن النبي كذا جاء في الاصابة ج ٤ ص ٤٨٣ وفي الاستيعاب المطبوع على هامش الاصابة ج ٤ ص ٣٩٨ ، ان النبي (ص) كان

في المنام أن عضوا من أعضائك سقط في بيتي ، فقال لها (ص) : خيرا رأيت تلد فاطمة غلاما
فترضيه بلبن قثم ^(١).

وكان المسلمون آنذاك ينتظرون بفارغ الصبر وخصوصا الرسول ﷺ ساعة ولادة الصديقة شوقا
الى المولود المبارك لتطيب به للإمام (ع) ولزوجته الحياة وتظللهم السعادة ، ونختم الفصل لاستقبال
الوليد الجديد.

يزورها ويقبل عندها وروت عنه احاديث كثيرة ، وقد ولدت أم الفضل للعباس ست رجال لم تلد امرأة مثلهم وهم
الفضل وبه كانت تكنى ويكنى زوجها العباس أيضا ابا الفضل ، وعبد الله الفقيه ، وعبيد الله الفقيه ، ومعبد ، وقثم ،
وعبد الرحمن ، وأم حبيبة سابعة ، وفي أم الفضل يقول عبد الله بن يزيد الهلالي :

ما ولدت نجية من فحل بجل نعلمه وسهل
كسنة من بطن أم الفضل اكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل وخاتم الرسل وخير الرسل
(١) تأريخ الخميس ج ١ ص ٤١٨ جاء فيه ان الحسن (ع) لما ولد ارضعته أم الفضل ، وفي الإصابة ج ٤ ص ٤٨٤
ان الرؤيا التي قصتها أم الفضل كانت قبل ولادة الحسين (ع) فلما ولد ارضعته.

الوليد الجديد

أطل على العالم الاسلامي نور الامامة من بيت أذن الله أن يرفع ، ويذكر فيه اسمه ، وانبثق من دوحة النبوة والإمامة فرع طيب زاك رفع الله به كيان الاسلام ، وأشاد به صروح الايمان ، وأصلح به بين فئتين عظيمتين.

لقد استقبل حفيد الرسول (ص) وسبطه الاكبر سيد شباب أهل الجنة دنيا الوجود في شهر هو أبرك الشهور وأفضلها حتى سمي شهر الله ، وهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، وكان ذلك في السنة الثانية ، أو الثالثة من الهجرة^(١) وقد شوهدت في طلعة الوليد طلعة الرسول (ص) وبدأت فيه شمائل النبوة ومحاسن الإمامة.

(١) الإصابة ج ١ ص ٣٢٨ ، الاستيعاب ج ١ ص ٣٦٨ تأريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٣ ، دائرة المعارف للبستاني ج ٧ ص ٣٨. ذكر هؤلاء ان ولادته ٧ كانت في السنة الثالثة من الهجرة في النصف من شهر رمضان ، وجاء في شذرات الذهب ج ١ ص ١٠ ان ولادته كانت في الخامس من شهر شعبان. وهو اشتباه ظاهر ولعله اشتبه بالامام الحسين (ع) فان ولادته كانت في الخامس من شهر شعبان وذهب جماعة ان ولادته «ع» كانت في السنة الثانية من الهجرة ، وجاء في مرآة العقول ص ٣٩٠ ما نصه : إن التحقيق انه لا منافاة بين تأريخ الولادة لأن كلا مبنى على اصطلاح في مبدأ التأريخ غير الاصطلاح الذي عليه بناء الآخر وتفصيله ان فيه ثلاث اصطلاحات « الأول » : ان يكون مبدؤه في شهر ربيع الأول فان الهجرة إنما كانت فيه ، وبناء الصحابة عليه إلى سنة ستين ورواية ان الحسن ولد سنة اثنتين من الهجرة محمول على هذا المبنى. « الثاني » ان يكون مبدؤه شهر رمضان السابق على شهر ربيع الأول الذي وقعت فيه الهجرة لأنه اول السنة الشرعية ورواية ان الحسن (ع) ولد سنة ثلاث مبنى على هذا. « الثالث » : ما اخترعه عمر وهو ان مبدؤه المحرم انتهى.

وما افاده صاحب « مرآة العقول » رافع للتعارض بين القولين واما ما افاده

ولما أذيع نبأ ولادة الصديقة المولود المبارك غمرت موجات من السرور والفرح قلب النبي (ص) فسارع إلى بيت ابنته . أعز الباقيين ، والباقيات عليه من ابنائه . ليهنئها بمولودها الجديد ويبارك به لاخته امير المؤمنين ، ويفيض على المولود شيئاً من مكرمات نفسه التي طبق شذاها العالم بأسره ولما وصل (ص) الى مثنوى الامام نادى :

« يا أسماء : هاتيني ابني .. »

فانبرت أسماء ، ودفعته إليه في خرقة صفراء فرمى بها.

وقال :

« ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء؟ »

وقام (ص) فسره ، وألباه بريقه^(١) وضمه إلى صدره ، ورفع يديه بالدعاء له.

الاستاذ محمد فريد وجدي في « دائرة المعارف ج ٣ ص ٤٤٣ » ان ولادة الحسن ٧ كانت قبل الهجرة بست سنين فهو مخالف لاجماع المؤرخين فانه قبل الهجرة لم يكن الامام امير المؤمنين متزوجاً بالصديقة كما اوضحنا ذلك ، واما كيفية ولادة الصديقة بالامام (ع) فقد جاء بيانها في تأريخ الخميس ج ١ ص ٤٧٠ انه لما حان وقت ولادتها بعث إليها رسول الله (ص) أسماء بنت عميس وأم ايمن فقرأتا عليها آية الكرسي والمعوذتين وحدثت أسماء فقالت : قبلت فاطمة بالحسن (ع) فلم أر لها دماً فقلت يا رسول الله إني لم أر لفاطمة دماً في حيض ولا نفاس فقال (ص) أما علمت ان فاطمة طاهرة مطهرة لا يرى لها دم في طمث ولا ولادة ، وكانت مدة حملها به ستة اشهر ، وذهب صاحب « الفصول المهمة » الى خلافه وعليه فلم يولد مولود عمره ستة اشهر فعاش إلا عيسى بن مريم ٧ كما ذكر ذلك فقيد العلم الأميني ؛ في « اعيان الشيعة ج ٤ ص ٣ ».

(١) سرأه : قطع سرتة ، ألباه بريقه ، مأخوذ من اللباء ، وهو اول اللبن عند الولادة ، والمراد انه «ص» اطعمه بريقه كما يطعم الصبي اللباء.

« اللهم : إني أعيذه بك ، وذريته من الشيطان الرجيم .. »^(١)

سنن الولادة :

واخذ (ص) باجراء مراسيم الولادة وسننها على مولوده المبارك وهي :

١ . الأذان والإقامة :

وأذن (ص) في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى^(٢) وفي الخبر « ان ذلك عصمة للمولود من الشيطان الرجيم »^(٣).

همسة رائعة همس بها خير بني آدم في أذن وليده ، ليستقبل عالم الوجود باسمي ما فيه ، فاي بداية منح بها الانسان افضل من هذه البداية التي منح بها السبط الاكبر؟! فان اول صوت قرع سمعه هو صوت جده الرسول (ص) علة الموجودات ، وسيد الكائنات ، وأنشودة ذلك الصوت. « الله اكبر لا إله إلا الله. »

بهذه الكلمات المنطوية على الإيمان بكل ماله من معنى يستقبل بها الرسول (ص) سبطه فيغرسها في اعماق نفسه ، ويغذي بها مشاعره ، وعواطفه لتكون انشودته في بحر هذه الحياة.

٢ . التسمية :

والتفت (ص) إلى أمير المؤمنين ، وقد أترعت نفسه العظيمة بالغبطة والمسرات فقال له :

(١) دائرة المعارف للبستاني ٧ / ٣٨.

(٢) مسند الامام احمد بن حنبل ٦ / ٣٩١ ، صحيح الترمذي ١ / ٢٨٦ ، صحيح أبي داود ٣٣ / ٢١٤ ، وقيل إنه لم يفعل ذلك بنفسه ، وإنما او عز إلى اسماء بنت عميس وأم سلمة أن تفعل ذلك به ساعة الولادة ذكره الشبلنجي في نور الابصار ص ١٠٧.

(٣) الجواهر كتاب النكاح.

« هل سميت الوليد المبارك؟ »

فأجابه الامام :

« ما كنت لأسبقك يا رسول الله. »

وانطلق النبي (ص) فقال له :

« ما كنت لأسبق ربي .. »

وما هي الا لحظات وإذا بالوحي يناجى الرسول ، ويحمل له « التسمية » من الحق تعالى يقول
له جبرئيل : « سمه حسنا » ^(١).

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٧٠ وجاء فيه ان امين الوحي جبرئيل هبط على النبي (ص) فقال له : إن ربك
يقرؤك السلام ويقول لك علي منك بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبى بعدك فسم ابنك هذا باسم ولد هارون ، فقال
له (ص) وما كان اسم ابن هارون يا جبرئيل؟ فقال شير فقال له (ص) : إن لساني عربي فقال : سمه الحسن ففعل (ص)
ذلك.

وقريب من هذا ذكره العاملي ؛ في « اعيان الشيعة » وجاء في « اسد الغابة » ، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٧٠
ان اسم الحسن لم يكن معروفا في الجاهلية وجاء في تاريخ الخميس ان رسول الله اسماه بهذا الاسم في اليوم السابع من
ولادته ، وهذا القول بعيد لأن التسمية وقعت عقيب الولادة بلا فصل كما ذهب إليه كافة المؤرخين ، وجاء في
الاستيعاب ج ١ ص ٣٦٨ ، وفي الأدب المفرد ص ١٢٠ انه لما ولد الحسن ٧ جاء رسول الله «ص» فقال اروني ابني
فما اسميتموه؟ قالوا حربا ، فقال «ص» بل هو حسن ، فلما ولد الحسين قال اروني ابني فما اسميتموه؟ قالوا حربا ، فقال
«ص» بل هو حسين ، فلما ولد الثالث قال ما اسميتموه؟ قالوا حربا ، فقال «ص» بل هو محسن ، ثم قال ٦ إني
سميتهم باسماء ولد هارون شير وشبير ، ويمكن ان يقال إن هذه الرواية موضوعة ، أولا إن العداء بين الهاشميين وآل حرب
غير خفي فما هو المحبذ لآل البيت بتسمية ابنائهم باسم حرب الذي ينتمى

حقا إنه اسم من أحسن الأسماء وكفى به جمالا وحسنا أن الخالق الحكيم هو الذي اختاره ليدل جمال لفظه على جمال المعنى وحسنه.

٣ . العقيدة :

(١) وانطوت سبعة أيام على ولادة حفيد الرسول (ص) فاتجه (ص) إلى بيت الإمام (ع) ليقوم ببعض التكريم والاحتفاء فجاء بأقصى ما عنده من البر والتوسعة فعق عنه بكبش واحد (٢) واعطى القابلة منه الفخذ وصار فعله هذا سنة لأئمة من بعده.

٤ . حلق رأسه :

وحلق (ص) رأس حفيده بيده المباركة ، وتصديق بزنته فضة على

إليه الأمويون وثانيا إن إعراض الرسول «ص» عن اسم حرب حين ولادة الحسن «ع» هو كاف في إعراض آل البيت عن تسمية الحسين والمحسن بهذا الاسم ، وثالثا إن المحسن لم يولد في حياة الرسول «ص» فهذه الامور تبعد صحة الرواية التي ذكرها صاحب « الاستيعاب » وغيره وروى احمد بن حنبل في مسنده عن علي «ع» انه قال : لما ولد لي الحسن سميت به باسم عمي حمزة ولما ولد الحسين سميت به باسم اخي جعفر فدعاني رسول الله «ص» فقال إن الله قد امرني ان اغير اسم هذين فسماهما حسنا وحسينا ، وهذه الرواية أيضا ضعيفة فان الرسول «ص» اسمى حفيديه عقيب ولادتهما ولم يذهب احد الى ما ذكره الامام احمد.

(١) العقيدة في اللغة صوف الجذع وشعر كل مولود من الناس وهي مأخوذة من العق وهو الشق والقطع سمي الشعر المذكور بذلك لأنه يخلق عنه والعقيدة من المستحبات الأكيدة وذهب بعض الفقهاء الى وجوبها ، وقال «ص» حين ذبحها بسم الله عقيدة عن الحسن اللهم عظمها بعظمه وحمها بلحمه اللهم اجعلها وقاءا لمحمد وآله.

(٢) تأريخ الخميس ج ١ ص ٤٧٠ مشكل الآثار ١ / ٤٥٦ ، الحلية ٧ / ١١٦ ، صحيح الترمذي ١ / ٢٨٦ ، اعيان الشيعة ج ٤ ص ١٠٨ ، وذكر الشبلنجي في نور الابصار

المساكين^(١) وظلى رأسه بالخلوق^(٢) حقا لم نر حنانا مثل هذا الحنان ، ولا عطفًا يضارع هذا العطف.

٥ . الختان :

واجرى (ص) عليه الختان في اليوم السابع من ولادته^(٣) لأن ختان الطفل في ذلك الوقت اطيب له وأطهر^(٤).

٦ . كنيته :

وكناه النبي (ص) أبا محمد^(٥) ولا كنية له غيرها ، وبهذا

والطحاوى في مشكل الآثار ١ / ٤٥٦ ، والحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٢٣٧ ان رسول الله ﷺ علق عن الحسن والحسين عن كل واحد بكبشين وهذه الرواية ضعيفة فقد طعن بها شمس الدين الذهبي في تلخيص المستدرک المطبوع على هامش مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٢٣٧ فقال إن راويها سوار وهو ضعيف الرواية هذا أولا وثانيا ان أئمة الفقه لم يذكروا في تشريع العقبة إلا واحدة.

(١) تاريخ الخميس ١ / ٤٧٠ ، نور الابصار ص ١٠٧ صحيح الترمذي ١ / ٢٨٦ وجاء فيها ان زنة شعره كانت درهما او بعض درهم.

(٢) الخلق : طيب مركب من زعفران وغيره ، وفي البحار ١٠ / ٦٨ ان العادة في الجاهلية كانوا يظلون رأس الصبي بالدم ، فقال ﷺ : الدم من فعل الجاهلية ، ونهى اسماء عن فعل ذلك.

(٣) نور الابصار : ص ١٠٨ .

(٤) جواهر الاحكام كتاب النكاح ، وجاء فيه ان رسول الله ﷺ قال : طهروا اولادكم يوم السابع فانه اطيب ، واطهر ، واسرع لنبات اللحم ، وان الارض تنجس من بول الأغلف اربعين يوما.

(٥) اسد الغابة ٢ / ٩ ، والكنية هي ان تصدر بأب او أم ، وهي من سنن الولادة فعن الامام محمد الباقر ﷺ : إنا لنكني اولادنا في صغرهم مخافة النبز ان يلحق بهم.

انتهت جميع مراسيم الولادة التي قام النبي (ص) بها لسبطه الأكبر.

ألقابه :

ولقب (ع) بالسبط ، والزكي ، والمجتي ، والسيد ، والتقّي.

ملاحمه :

أما ملاحمه ، فكانت تحاكي ملامح جده الرسول (ص) فقد حدث أنس ابن مالك قال : لم يكن أحد أشبه بالنبي من الحسن بن علي ^(١) وقد صور رواة الأثر صورته بما ينطبق على صورة جده (ص) فقالوا : إنه كان ابيض مشربا بحمرة ادعج العينين ^(٢) ذا وفرة ^(٣) عظيم الكراديس ^(٤) بعيد المنكبين ^(٥) جعد الشعر ^(٦) كث اللحية ^(٧)

(١) فضائل الاصحاب : ص ١٦٦ ، وفي صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٧ عن علي ٧ قال : الحسن اشبه برسول الله ٦ ما بين الصدر الى الرأس ، والحسين اشبه بالنبي ٦ ما كان اسفل من ذلك ، وفي الاصابة عن البهي قال : تذاكرنا من اشبه النبي ٦ من اهله فدخل علينا عبد الله بن الزبير ، فقال : انا احذثكم بأشبه اهله به ، واحبهم إليه الحسن بن علي ، ورواه الهيثمي في مجمع ٩ / ١٧٥ ، وفي المخر ص ٤٦٩ ان فاطمة ٣ كانت ترقص ولدها الحسن وتقول له : وا بآبي شبه ابي غير شبيه بعلي

(٢) الادعج : شدة في سواد العين مع سعتها.

(٣) الوفرة : الشعر السائل على الأذنين ، او هو الشعر المجتمع على الرأس.

(٤) الكراديس : جمع مفردة الكردوسة ، وهي كل عظمين الثقيا في مفصل او العظم الذي يجتمع عليه اللحم ، والمراد ضخم الاعضاء.

(٥) المنكبين تشبة منكب ، وهو مجتمع راس الكتف والعضد.

(٦) الجعد : الشعر الذي فيه التواء ، وتقبط ، وهو خلاف المسترسل.

(٧) كث اللحية : قصرها مع كثرة شعرها.

كأن عنقه إبريق فضة ^(١) وهذه الأوصاف تضارع أوصاف النبي (ص) حسب ما ذكره الرواة من أوصافه (ص) ، وكما شابه جده في صورته فقد شابهه ومائله في أخلاقه الرفيعة ^(٢) .
رأى النبي (ص) أن سبطه الحسن (ع) صورة مصغرة عنه ، يضارعه في أخلاقه ، ويحاكيه في سمو نفسه ، وانه قبس من سنائه ، يرشد أمته من بعده الى طريق الحق ، ويهديها إلى سواء السبيل ، واستشف (ص) من وراء الغيب أن كل ما يصبو إليه في هذه الحياة من المثل العليا سيحققه على مسرح الحياة ، فافرح عليه أشعة من روحه العظيمة ، وقابله بالعناية والتكريم ، وأفاض عليه حنانه وعطفه ، من حين ولادته ونشأته ، وسنقدم عرضا مفصلا للإلوان ذلك التكريم والاحتفاء الذي صدر من النبي (ص) تجاه الحسن في حال طفولته وصباه.

(١) تأريخ الخميس ١ / ١٧١ ، وذكر البستاني في دائرة المعارف ٧ / ٣٨ بعض هذه الاوصاف.

(٢) تأريخ يعقوبي ٢ / ٢٠١ ، وعن الغزالي في احياء العلوم ان رسول الله ﷺ قال للحس : « اشبهت خلقي وخلقي » .

ذكاء وعبقريّة

ومما لا شبهة فيه أن للتربية الصالحة أهمية كبرى في تكوين الطفل ، وتنمية مداركه ، كما أن سلوك الوالدين لهما الأثر الفعال في نمو ذكائه ، وفي سلوكه العام ، وطفولة الامام الحسن (ع) قد التقت بها جميع هذه العناصر الحية ، فالرسول (ص) تولى تربية سبطه ، وافاض عليه بمكرمات نفسه ، والامام أمير المؤمنين (ع) غذاه بحكمه ومثله ، والعذراء القديسة أفضل بنات حواء قد غرست في نفس وليدها الفضيلة والكمال ، وبذلك سمت طفولته فكانت مثالا للتكامل الانساني ، وعنوانا للسمو والتهديب ، ورمزا للذكاء والعبقرية.

لقد ذهب بعض علماء النفس إلى أن الطفل في اصغر ما يلزمه من العادات ، وفي أهم الخصائص العقلية ، والخلقية ، وفي الموقف العام الذي يقفه من الناس ، وفي وجهة النظر العامة التي ينظر بها إلى الحياة أو العمل في كل هذه الأشياء مقلد إلى حد كبير ، وقد يكون التقليد أحيانا شعوريا مقصودا ، ولكنه في أغلب الحالات يكون لا شعوريا ، فاذا منح الطفل بتقليده الأشخاص المهذبن ظل متأثرا باخلاقهم وعواطفهم ، وإن هذا التأثير في أول الأمر يعتبر تقليدا ، ولكنه سرعان ما يصبح عادة ، والعادة طبيعة ثانية ، والتقليد هو أحد الطريقتين اللذين تكتسب بهما الخصائص الفردية ، وتتكون بهما الأخلاق الشخصية^(١).

إن الامام الحسن (ع) على ضوء هذا الرأي ، هو الفرد الاول في خصائصه العقلية ، والخلقية لأنه نشأ في بيت الوحي ، وترى في مدرسة التوحيد ، وشاهد جده الرسول (ص) الذي هو اكمل انسان ضمه هذا الوجود ، يقيم في كل فترة من الزمن صروحا للعدل ، ويشيد دعائم الفضيلة والكمال ، قد وسع الناس باخلاقه ، وجمعهم على كلمة التوحيد وتوحيد

(١) علم النفس في الحياة لما ندر.

الكلمة ، فتأثر السبب بذلك ، وانطلق يسلك خطى جده في نصيح الناس وارشادهم فقد اجتاز مع أخيه سيد الشهداء (ع) ، وهما في دور الطفولة على شيخ لا يحسن الوضوء ، فلم يدعهما السمو في النفس ، وحب الخير للناس أن يتركوا الشيخ على حاله لا يحسن وضوءه ، فحدثا نزاعا صوريا أمامه ، وجعل كل منهما يقول للآخر : أنت لا تحسن الوضوء ، والتفتا إلى الشيخ بأسلوب هادئ وجعلاه حاكما بينهما قائلين له :

« يا شيخ ، يتوضأ كل واحد منا أمامك ، وانظر أي الوضوءين أحسن؟ » فتوضأ أمامه ، وجعل الشيخ يعن في ذلك فتنبه إلى قصوره ، والتفت إلى تقصيره من دون أن يأنف فقال لهما : « كلاكما ، يا سيدي : تحسنان الوضوء ، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لا يحسن ، وقد تعلم الآن منكما ، وتاب على يديكما ... »^(١)

وهذه البادرة ترينا بوضوح ان اتجاه الرسول (ص) في هداية الناس بالطرق السليمة والاخلاق الرفيعة قد انطبعت في ذهن الامام الحسن ٧ وهو في دور الصبا حتى صارت من خصائصه ومن طبائعه لقد ذهب بعض علماء النفس إلى وراثة الخلق الفردي ، وان لها أثرا مهما في تكوين اخلاق الشخص وأنها لا تقل أهمية عن التقليد ، يقول « هكسلي » :

« ما من أثر أو خاصية لكائن عضوي الا ويرجع كلها الى الوراثة ، أو إلى البيئة ، فالتكوين الوراثي يضع الحدود ، لما هو محتمل ، والبيئة تقرر أن هذا الاحتمال سيتحقق ، فالتكوين الوراثي ليس الا القدرة على التفاعل مع أية بيئة بطريق خاص .. » .
وقد أيد هذه النظرية (جنجيز) فقال : « إن كل انسان لديه

(١) البحار ١٠ / ٨٩ .

قوى موروثة كامنة ، ولكن اظهار أية واحدة يقف على الظروف التي تحيط بهذه القوى عند نموها
«.

وقاعدة الوراثة تقضى ان الامام الحسن (ع) في طليعة من ظفر بهذه الظاهرة فقد ورث ما
استقر في نفس جده (ص) من القوى الروحية ، والثروة الاصلاحية الهائلة يضاف إلى ذلك تأثره
بالبيئة الصالحة التي تكونت من أسرته ومن خيار المسلمين وصلحائهم.

وملك الامام الحسن (ع) بمقتضى ميراثه من الذكاء ، وسمو الادراك ما لا يملكه غيره ، فقد
حدث الرواة عن مدى نبوغه الباكر ، فقالوا : إنه كان لا يمر عليه شيء إلا حفظه ، وكان يحضر
مجلس جده (ص) فيحفظ الوحي فينطلق إلى أمه فيلقيه عليها ، فتحدث به أمير المؤمنين (ع)
فيتعجب ، ويقول :

« من أين لك هذا؟! »

« من ولدك الحسن. »

واختفى الامام (ع) في بعض زوايا البيت ليسمع ولده ، ويقبل الحسن على عادته ليلقي على
أمه ما حفظه من آيات الوحي والتنزيل فيرتج عليه ، ولا يستطيع النطق فتبادر البتول قائلة :

« يا بني ، لما ذا أرتج عليك؟! »

« يا أماه .. لا تعجي مما عراني ، فان كبيرا يرعاني!! »^(١).

وهذه البادرة تدل بوضوح على مدى ادراكه الواسع ، الذي يبصر به الاشياء من بعيد ،
ويستشف به ما غاب عنه من وراء حجاب.

(١) مناقب ابن شهر اشوب ٢ / ١٤٨ ، البحار ١٠ / ٩٣.

حفظه للحديث :

وحفظ (ع) وعمره الشريف اربع سنين الشيء الكثير مما سمعه من جده (ص) ونشير إلى بعض ما رواه عنه.

١ . قال (ع) : علمني رسول الله (ص) كلمات أقولهن في الوتر : (اللهم ، اهديني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فانك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت » ^(١)

٢ . وروى عمير بن مأمون ، قال : سمعت الحسن بن علي (ع) يقول : (من صلى صلاة الغداة ، فجلس في مصلاه حتى تطلع الشمس كان له حجاب من النار ، أو قال : ستر من النار) ^(٢) .

٣ . وقال له بعض أصحابه : ما تذكر من رسول الله (ص)؟ فقال (ع) : أخذت ثمرة من تمر الصدقة ، فتركته في فمي فنزعها بلعابها ، فقليل يا رسول الله ، ما كان عليك من هذه الثمرة ، قال إنا آل محمد لا تحمل لنا الصدقة ^(٣) .

٤ . وسئل (ع) عما سمعه من رسول الله (ص) ، فقال : سمعته يقول لرجل : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فان الشر ريبة والخير

(١) صحيح الترمذي ١ / ٩٣ مستدرک الحاكم ٣ / ١٧٢ تاريخ ابن عساکر ٤ / ٢٠ .

(٢) اسد الغابة ٢ / ١١ .

(٣) اسد الغابة ٢ / ١١ والمراد من الصدقة المحرمة على آل البيت هي الصدقة الواجبة كالزكاة والفقرة دون غيرها من الصدقات المندوبة.

طمأنينة»^(١).

٥ . وحدث (ع) أصحابه عن خلق جده الرسول (ص) وسيرته فقال : كان رسول الله (ص) إذا سأله أحد حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول.

٦ . قال (ع) : سمعت رسول الله (ص) يقول : « ادعوا لي سيد العرب . يعني عليا . فقالت له عائشة : الست سيد العرب؟ فقال لها أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب ، فدعى له الإمام فلما مثل بين يديه أرسل خلف الأنصار ، فلما حضروا التفت إليهم قائلاً :

يا معشر الأنصار ألا ادلكم على شيء ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا ، قالوا بلى يا رسول الله فقال : هذا علي فأحبهوه بحبي واكرموه بكرامتي فان جبرئيل أخبرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل^(٢) وقد

(١) تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٠١ وفي مسند احمد ١ / ٢٠٠ انه ٧ قال سمعت رسول الله قد قال : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فان الصدق طمأنينة ، وان الكذب رية.

(٢) حياة علي بن ابي طالب للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ص ٨٣ وذكر الدكتور زكي مبارك في التصوف الإسلامي ج ١ ص ٢٧٤ في بيان مأخذ عقيدة الصوفية في سيد الأنبياء محمد ٦ يقول : ومن الخير ان ننص على ان هذا الشطط استند فيه الصوفية إلى حديث « أنا سيد الأنبياء » وهو حديث شك فيه العلماء فقد جاء في كتاب العجلوني المسمى « كشف الخفاء والالتباس ، عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس » ان الحسن بن علي روى ان الرسول قال (ادعوا لي سيد العرب) يعني عليا فقالت له عائشة : الست سيد العرب ، فقال أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب ، ثم حدثنا العجلوني ان الذهبي يجنح إلى الحكم على هذا الحديث بالوضع ، اقول : لم يتبين لنا بجلاء ما افاده الدكتور زكي.

نقل علماء الفقه ورواة السنة الشيء الكثير عنه (ع) مما سمعه وشاهده من رسول الله (ص) فيما يتعلق بأحكام الشريعة المقدسة وآدابها وذلك يدل على نبوغه وعبقريته وإدراكه الواسع ، والناظر في دور طفولته (ع) يهيم بها إعجابا وإكبارا وتقديسا وذلك لما لها من آيات للكمال والفضيلة والذكاء ، ولما أنيطت بلون من التربية الرفيعة التي لم يظفر بها إنسان فيما نحسب.

مبارك في مأخذ عقيدة الصوفية ولبيان الحال نقول إنهم قد انفردوا عن بقية فرق الاسلام بالتزامهم بجهتين (الأولى) إن هناك تعبنا اوليا وهو مجمع التعينات وهو المسمى بالعقل الأول والصادر الأول في لسان الفلاسفة القدامى ، ومستندهم في ذلك هي البراهين التي اقيمت في الفلسفة التي منها إن الواحد لا يصدر منه إلا الواحد (الثانية) تطبيق العقل الأول والصادر الأول على الحقيقة الأحمديّة المقدسة وبهذا التطبيق انحازوا عن الفلاسفة ، وحجتهم في ذلك هي الأخبار كحديث (أنا سيد الناس) (ولو لاي لما خلقت الأكوان) وانا نبي وآدم بين الماء والطين ، ونحوها من الأخبار الدالة على إثبات مطلوبهم بنحو من الدلالة العقلية ، والمتصوفة إنما كانوا متصوفة بالتزامهم بالجهة الأولى التي ذهبت إليها الفلاسفة ، فكان الأجدد بالدكتور ركي مبارك ان لا يطلق القول في ان عقيدة الصوفية قد اخذت من الأخبار وعليه ان يبين ان استنادهم إلى الأخبار إنما هو لتطبيق العقل الأول والصادر الأول على الحقيقة الأحمديّة ، وكان المناسب له التعرض الى مناقشة الصوفية في الجهة الأولى ، وبيان السر في تشكيك العلماء في حديث (أنا سيد الناس) هل كان مصدره ضعف الراوى ، او من جهة اعتماد الصوفية عليه والأخير غير صالح للتضعيف والأول غير معلوم.

تكریم و حفاظة

واشاد كتاب الله العزيز بفضل اهل البيت واحتفى بهم رسول الله (ص) ففرّغهم بمحكم الكتاب ، وفرض على الأمة مودّتهم وحبهم ، ولا بد لنا أن نشير إلى بعض ما ورد في الكتاب ، والسنة في حق أهل البيت (ع) فان ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما نحن فيه ويكشف لنا عن مدى خطورة الامام الحسن (ع) وعظم شأنه ، وسمو منزلته ، وإلى القراء ذلك :

الكتاب العزيز :

ونطق كتاب الله العظيم . الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه . بفضل أهل البيت ، وبسمو مكانتهم عند الله ، وحسبنا أن نشير إلى بعض آياته :

١ . آية المودة :

وفرض الله على المسلمين مودة أهل البيت (ع) وقد نطق القرآن بذلك قال تعالى : (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**) ^(١) وروى ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية قال بعض المسلمين : يا رسول الله من قرابتك الذين أوجب علينا طاعتهم؟ فقال (ص) : علي وفاطمة وابناهما ^(٢) وروى أبو نعيم بسنده عن جابر ، قال جاء اعرابي إلى النبي

(١) سورة الشورى : آية ٢٣

(٢) تفسير الفخر الرازي ٧ / ٤٠٦ ، الدر المنثور ٧ / ٧ ، تفسير النيسابوري

(ص) فقال : يا محمد أعرض عليّ الاسلام ، فقال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وان محمدا عبده ورسوله ، قال : تسألني عليه أجرا؟ قال : لا . إلا المودة في القربى ، قال : قرياي
أو قرياك؟ قال : قرياي ، قال هات أبايعك ، فعلى من لا يحبك ولا يحب قرياك لعنة الله ، قال
(ص) آمين ^(١) وصرح الامام الحسن (ع) أنه من المعنيين بهذه الآية في بعض خطبه قال (ع) :
« وأنا من أهل البيت الذين أفترض الله مودتهم على كل مسلم ، فقال تبارك وتعالى : (قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) فاقتراف
الحسنة مودتنا أهل البيت. » ^(٢)

وإلى مضمون الآية الكريمة يشير الامام الشافعي في قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله ^(٣)
وأفاد الفخر الرازي ما نصه : « وإذا ثبت هذا . يعنى أنها نزلت في علي وفاطمة وابناهما . وجب
أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ، وتدل عليه وجوه « الاول » قوله تعالى : (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي
الْقُرْبَى) ووجه الاستدلال به ما سبق ، وهو ما ذكره من قبل من أن آل محمد (ص)

في تفسير سورة الشورى ، تفسير ابن جرير الطبري ٥ / ١٦ ، الكشاف في تفسير سورة الشورى ، الصواعق المحرقة : ص
١٠٢ ، ذخائر العقبى : ص ٢٥ نور الابصار : ص ١٠٠ .

(١) حلية الأولياء ٣ / ٢٠١ .

(٢) مستدرک الحاكم ٣ / ١٧٢ ، مجمع الزوائد ٩ / ١٤٦ ، الصواعق المحرقة ص ١٠١ ، مجمع البيان في تفسير سورة
الشورى ٩ / ٢٩ .

(٣) الصواعق المحرقة : ص ٨٨ .

هم الذين يثول أمرهم إليه ، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ، ولا شك ان فاطمة وعليا والحسن والحسين (ع) كان التعلق بينهم وبين رسول الله (ص) أشد التعلقات ، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر ، فوجب أن يكونوا هم الآل « الثاني » لا شك ان النبي (ص) كان يحب فاطمة (ع) قال (ص) : « فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها » وثبت بالنقل المتواتر عن محمد (ص) أنه كان يحب عليا والحسن والحسين : ، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله ، لقوله تعالى : (**وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**) ولقوله تعالى : (**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**) ولقوله : (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**) ولقوله سبحانه :

و (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**) « الثالث » إن الدعاء للآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة ، وهو قوله : اللهم صل على محمد وآل محمد ، وارحم محمدا وآل محمد « وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب » ^(١)

إن مودة أهل البيت من أهم الواجبات الاسلامية ، ومن أقدس الفروض الدينية لأن فيها أداء لأجر الرسالة ، وصلة للرسول (ص) ، وشكرا له على ما لاقاه من عظيم العناء في سبيل انقاذ المسلمين من الشرك وعبادة الأوثان ، فحقه على الأمة أن توالي عترته ، وتكن لها المودة والاحترام.

٢ . آية التطهير :

ومن آيات الله البينات الدالة على عصمة اهل البيت من الذنوب ، وعلى طهارتهم من الزيف والآثام ، آية التطهير قال تعالى : (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ**)

(١) تفسير الفخر الرازي في ذيل تفسير آية المودة في سورة الشورى.

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)^(١) وهي صريحة الدلالة في العصمة ،
ويقع البحث في الآية من جهات :

أ . دلالتها على العصمة :

وكيفية الاستدلال بها على عصمة أهل البيت ، انه تعالى حصر إرادة إذهاب الرجس . أي المعاصي . بكلمة انما ، وهي من أقوى أدوات الحصر وبدخول اللام في الكلام الخبري وبتكرار لفظ الطهارة وذلك يدل . بحسب الصناعة . على الحصر والاختصاص ، ومن المعلوم أن ارادة الله تعالى يستحيل فيها تخلف المراد عن الارادة (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)
وبذلك يتم الاستدلال بها على عصمة أهل البيت من كل ذنب ومعصية.

ب . المختصون بها :

واجمع ثقة الرواة أنها نزلت في رسول الله (ص) وفي أمير المؤمنين ٧ وفاطمة ، والحسين (ع)
ولم يشاركهم أحد في هذه الفضيلة^(٢) فقد روى الحاكم بسنده عن أم سلمة أنها قالت : في بيتي
نزلت هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) قالت : فأرسل رسول الله
(ص) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي ، قالت أم سلمة : يا
رسول الله ما أنا من أهل

(١) سورة الأحزاب :

(٢) انظر تفسير الفخر ٦ / ٧٨٣ ، النيسابوري في تفسير سورة الاحزاب ، صحيح مسلم ٢ / ٣٣١ ، الخصائص الكبرى ٢ / ٢٦٤ ، الرياض النضرة ٢ / ١٨٨ ، خصائص النسائي ٤ ، تفسير ابن جرير ٢٢ / ٥ ، مسند الامام احمد بن حنبل ٤ / ١٠٧ سنن البيهقي ٢ / ١٥٠ ، مشكل الآثار ١ / ٣٣٤ وغيرها.

البيت؟ قال « إنك إلى خير وهؤلاء أهل بيتي ، اللهم أهل بيتي احق »^(١).

وفي رواية أم سلمة الأخرى : « قالت في بيتي نزلت : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » ، وفي البيت فاطمة وعلى والحسن والحسين فجللهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا »^(٢)

وروى الخطيب البغدادي بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) في قوله تعالى : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » قال : جمع رسول الله (ص) عليا وفاطمة والحسن والحسين (ع) ثم أدار عليهم الكساء فقال : هؤلاء أهل بيتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وأم سلمة على الباب فقالت : يا رسول الله أأست منهم؟ فقال : إنك لعلى خير ، أو إلى خير »^(٣).

ويدل على اختصاص الآية بهم وعدم شمولها لغيرهم ما رواه ابن عباس قال : « شهدت رسول الله (ص) تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب (ع) عند وقت كل صلاة فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت » إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » الصلاة رحمكم الله ، كل يوم خمس مرات »^(٤).

واخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء قال : حفظت من رسول الله (ص) ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغد إلا أتى باب علي فوضع يده على جنتي الباب ، ثم قال : الصلاة ،

(١) مستدرک الحاكم ٢ / ٤١٦ ، اسد الغابة ٥ / ٥٢١.

(٢) الدر المنثور ٥ / ١٩٩.

(٣) تأريخ بغداد ١٠ / ٢٧٨.

(٤) الدر المنثور.

الصلاة « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »^(١)
وروى أبو برزة قال : صليت مع رسول الله (ص) سبعة أشهر فاذا خرج من بيته أتى باب فاطمة (ع) فقال : السلام عليكم « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »^(٢)

وروى أنس بن مالك قال : كان النبي (ص) يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر ، ويقول : الصلاة يا أهل البيت « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا »^(٣)

وقال الامام الحسن (ع) في بعض خطبه :
« وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ، ويصعد من عندنا ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا. »^(٤)
لقد تواترت الاخبار الصحيحة التي لا مجال للشك في سندها ، وفي دلالتها ، على اختصاص الآية الكريمة في الخمسة من أهل الكساء : ، وعدم تناولها لغيرهم من أسرة النبي (ص).

ج . خروج نساء النبي :

وليس لنساء النبي (ص) نصيب في هذه الآية ، فقد اختص بها أهل الكساء ، وللتدليل على ذلك نذكر ما يلي :

١ . خروجهن موضوعا عن الأهل ، فإنه موضوع لعشيرة الرجل

(١) الدر المنثور.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٦٩ .

(٣) ذخائر العقبى : ص ٢٤ .

(٤) مستدرک الحاكم ٣ / ١٧٢ .

وذوى قريانه ، ولا يشمل الزوجة ، ويؤكد هذا المعنى ما صرح به زيد ابن ارقم حينما سئل من أهل بيته . اي النبي (ص) - نساؤه؟ فقال . لا . وأيم الله ، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها ، وقومها ، أهل بيته أصله ، وعصبته ، الذين حرموا الصدقة بعده ^(١) .

٢ . انا لو سلمنا أن الأهل يطلق على الزوج فلا بد من تخصيصه ، وذلك للاخبار المتواترة التي تقدم ذكرها وهي توجب تقييد الاطلاق من دون شك.

د . مزاعم عكرمة :

وزعم عكرمة أن الآية نزلت في نساء النبي (ص) وكان ينادى بذلك في السوق ^(٢) وبلغ من اصراره وعناده أنه كان يقول : (من شاء باهلتها أنها نزلت في أزواج النبي) ^(٣) وعكرمة لا يعول على روايته ، ولا يوثق به ، وذلك لما يلي :

١ . انه من الخوارج ^(٤) وموقف الخوارج من الامام أمير المؤمنين معروف ، من ناحية النصب والعداء.

٢ . انه قد عرف بالكذب واشتهر به فعن ابن المسيب « انه قال لمولى اسمه برد لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس » ^(٥) وعن عثمان بن مرة أنه قال للقاسم : ان عكرمة حدثنا عن ابن عباس كذا :

(١) صحيح مسلم ٢ / ٢٣٨ ، تفسير ابن كثير ٣ / ٤٨٦ .

(٢) اسباب النزول للواحدي : ص ٢٦٨ .

(٣) الدر المنثور ٥ / ١٩٨ .

(٤) طبقات القراء ١ / ١٥ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٢١٦ .

(٥) الكلمة الغراء للامام شرف الدين نقلا عن ميزان الاعتدال.

فقال القاسم : يا بن اخي إن عكرمة كذاب يحدث غدوة حديثا يخالفه عشيا ^(١) ومع اتهامه بالكذب كيف يمكن التعويل على حديثه.

٣ . انه كان فاسقا يسمع الغناء ، ويلعب بالنرد ، ويتهاون في الصلاة وانه كان خفيف العقل ^(٢).

٤ . إنه كان منبوذا عند المسلمين ، فقد جفوه ، وتجنبوه ، وبلغت من كراهيتهم له أنه لما توفي لم يصلوا عليه ، ولم يشهدوا تشييع جنازته ^(٣) ومع هذه الطعون التي احتفت به كيف يمكن التعويل على روايته؟ مضافا إلى أنها من أخبار الآحاد حتى لو لم تكن بالضعف فإنها لا تصلح لمعارضة الأخبار الصحيحة المتواترة.

٣ . آية المباهلة :

من آيات الله الباهرات التي أشادت بفضل أهل البيت (ع) آية المباهلة قال تعالى : (فَصَنِّ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) ^(٤) فقد روى الجمهور بطرق مستفيضة ^(٥) أنها نزلت

(١) معجم الأدباء في ترجمة عكرمة.

(٢) تهذيب التهذيب ٧ / ٢٦٣.

(٣) تهذيب التهذيب

(٤) سورة آل عمران :

(٥) تفسير الجلالين ١ / ٣٥ ، تفسير روح البيان ١ / ٤٥٧ ، تفسير الكشاف ١ / ١٤٩ ، تفسير البضاوي ص ٧٦ ، تفسير الرازي ٢ / ٦٩٩ ، صحيح الترمذي ٢ / ١٦٦ سنن البيهقي ٧ / ٦٣ ، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، مسند احمد بن حنبل ١ / ١٨٥ مصابيح السنة للبغوي ٢ / ٢٠١.

في أهل البيت (ع) وان ابناءنا اشارة إلى (الحسنين) ، ونساءنا الى فاطمة ، وانفسنا إلى علي .
وموجز قصة المباهلة ان وفدا من نصارى نجران قدموا على رسول الله (ص) ليناظروه في دينه ،
وبعد حديث دار بينهما اتفقا على « المباهلة » وهي أن يتهلوا أمام الله تعالى فيجعلوا لعنته
الخالدة وعذابه المعجل على الكاذبين ، وعينوا زمانا خاصا لها .

وخرج رسول الله (ص) في اليوم الذي اتفقا عليه ، وقد اختار للمباهلة أعز الناس لديه ،
وأكرمهم عند الله ، وهم الحسن والحسين ، وسيدة النساء فاطمة ، وأمير المؤمنين ، واحتضن
(ص) الحسين وامسك بيده الأخرى الحسن ، وسارت خلفه الزهراء وهي مغشاة بملاءة من نور الله
، وأمير المؤمنين يسير خلفها وهو باد الجلال ، وخرج السيد والعاقب بولديهما وعليهما الحللي
والحلل ، ومعهم نصارى نجران وفرسان بني الحرث على خيولهم ، وهم على أحسن هيئة واستعداد
، وقد اجتمعت الجماهير الحاشدة وهي تراقب الحادث الخطير ، ويسأل الناس بعضهم بعضا ،
هل تباهل النصارى؟ أو تكف عن ذلك وبينما هم على هذا الحال إذ تقدم السيد والعاقب إلى
رسول الله (ص) وقد بدا عليهما الدهول والارتباك قائلين :

« يا أبا القاسم بمن تباهلنا؟. ».

فأجابهم (ص) :

« أباهلكم بخير أهل الأرض وأكرمهم على الله ، وأشار إلى علي وفاطمة والحسين . »

وقدما له سؤالا مقرونا بالتعجب :

« لمّ لا تباهلنا بأهل الكرامة ، والكبر ، وأهل الشارة ، ممن آمن

بك ، وأتبعك؟!!!»

فقال رسول الله (ص) :

« أجل. أباهلكم بهؤلاء خير أهل الأرض وأفضل الخلق. »

فذهلوا ، وذابت قلوبهم من الخوف والرعب ، ورجعوا قافلين الى الاسقف زعيمهم يستشيرونه

في الأمر قائلين :

« يا أبا حارثة. ما ذا ترى في الأمر؟ »

فأجابهم الاسقف ، وقد غمرته هيبه آل الرسول (ص) قائلا :

« أرى وجوها لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله »

ولا يكتفي بذلك بل يدعم قوله : بالبرهان واليمين التي تؤيد مقالته :

« أفلا تنظرون محمدا رافعا يديه ، ينظر ما تحيئان به ، وحق المسيح . إن نطق فوه بكلمة . لا

ترجع إلى أهل ، ولا إلى مال!!!! »

وجعل يصيح بهم :

« ألا ترون إلى الشمس ، قد تغير لونها ، والأفق تنجع فيه السحب الداكنة ^(١) ، والريح تهب

هائجة سوداء ، حمراء ، وهذه الجبال يتصاعد فيها الدخان ، لقد أطل علينا العذاب ، أنظروا إلى

الطير وهي تقيء حواصلها وإلى الشجر كيف تتساقط أوراقها ، وإلى هذه الأرض كيف ترجف

تحت أقدامنا.!!!!»

الله أكبر .. لقد غمرت المسيحيين عظمة تلك الوجوه المقدسة ، وآمنوا بما لها من الكرامة

والشأن عند الله ، ووقفوا خاضعين أمام النبي (ص) ونفذوا طلباته ، وقال (ص) :

« والذي نفسي بيده إن العذاب تدلى على أهل نجران ، ولو لا عنوا لمسحوا قرده وخنازير ،

ولأضطرم عليهم الوادي نارا ، ولأستأصل الله

(١) الداكنة : السحابة السوداء.

نجران وأهله حتى الطير على الشجر ، وما حال الحول على النصارى كلهم ... »^(١)
ودلت قصة المباهلة على عظيم منزلة أهل البيت ، وسمو مكانتهم ، وأنهم افضل خلق الله
وأحبهم إلى رسول الله (ص) ، ولا يداني فضلهم أحد من سائر العالمين.

٤ . سورة هل أتى :

ونزلت في أهل البيت (ع) سورة مباركة من سور القرآن الكريم وهي سورة « هل أتى » فقد
روى جمهور المفسرين والمحدثين أنها نزلت فيهم^(٢) والسبب في نزولها ان الحسن والحسين (ع) مرضا
فعادها جدهما رسول الله (ص) مع بعض الصحابة ، فقالوا للامام : لو نذرت لله إن عافى ولديك
، فنذر (ع) صوم ثلاثة أيام شكرا لله إن برئ ، وتابعته الصديقة ٣ وجاريتها فضة في هذا النذر ،
ولما ابل الحسنان من المرض صاموا جميعا ، ولم يكن عند أمير المؤمنين (ع) في ذلك الوقت شيء
من الطعام ليجعله افطارا لهم فاستقرض ثلاثة أصواع من الشعير ، فعمدت الصديقة (ع) في اليوم
الاول إلى صاع فطحنته وخبزته فلما آن وقت الإفطار ، وإذا بمسكين يستمنحهم من القوت شيئا
، فتبرع الامام في افطاره ، وتابعه الجميع في صنعه ، وناولوا طعامهم إلى المسكين وقضوا ليلتهم ،
ولم يذوقوا من الطعام شيئا ، واصبحوا وهم صائمون ،

(١) نور الابصار : ص ١٠٠ .

(٢) تفسير الفخر ٨ / ٣٩٢ ، روح البيان ٦ / ٥٤٦ ، النيسابوري في تفسير سورة هل أتى ، اسباب النزول للواحدى
: ص ٣٣١ ، الدر المنثور في تفسير سورة هل أتى ، ينابيع المودة ١ / ٩٣ ، الرياض النضرة ٢ / ٢٢٧ .

فلما حل وقت الافطار ، والطعام بين أيديهم ، وإذا بيتيم على الباب يشكو ألم الجوع ، فتبرعوا جميعا بقوتهم ، وطووا ليلتهم ، ولم يذوقوا سوى ماء القراح ، وفي اليوم الثالث قامت سيدة النساء فطحنت ما فضل من الطعام وخبزته ، فلما حان وقت الافطار قدمت لهم الطعام ، وسرعان ما طرق الباب أسير يشكو الجوع فسحبوا أيديهم من الطعام ، ومنحوه له ، سبحانك اللهم أي مبرة أعظم من هذه المبرة ، وأي ايثار اعظم من هذا الايثار!!!

وفي اليوم الرابع جاء رسول الله (ص) لزيارتهم ، فرأهم ويا لهول ما رأى ، رأى الصفرة بادية على الوجوه ، الارتعاش حل في أجسامهم من الضعف ، فتغير حاله وانطلق يقول :
« وا غوثاه أهل بيت محمد يموتون جوعا!! ».

ولم ينته الرسول (ص) من كلامه حتى هبط عليه أمين الوحي ، وهو يرفع إليه سورة « هل اتى » وفيها اجمل الثناء وعاطر الذكر لأهل البيت قال تعالى : (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالْغَدْرِ وَخَافُونَ يَوْمًا * كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا.)

لقد شكر الله سعيهم على هذا الايثار الذي لا نظير له في عالم المبرات والاحسان ، وأورثهم في دار الآخرة الفردوس يتقلبون في نعيمه ، وجعل ذكرهم خالدا ، وحياتهم قدوة ، وجعلهم أئمة للمسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وبهذا ينتهي بنا المطاف عن بعض الآيات التي نزلت في حق أهل البيت : ، وهي من دون شك تتناول الامام الحسن (ع) ، وتدلل على خطورة شأنه ، وسمو منزلته عند الله.

السنة :

أما الأخبار التي أثرت عن النبي (ص) في سبطه الأكبر ، وأشادت بعظيم شأنه ، وبينت عما يكنه الرسول (ص) في نفسه من عميق الود ، وخالص الحب فهي على طوائف ثلاثة « الأولى » إنها مختصة به « الثانية » وردت فيه وفي أخيه سيد الشهداء (ع) « الثالثة » في أهل بيته ، ومن المعلوم ان الامام الحسن (ع) من أبرارهم فتشمله بالضرورة تلك الأخبار وهذه المناحي قد تضافرت بها النصوص وتواترت حتى افادت القطع واليقين ، وإلى القراء ذلك.

الطائفة الاولى :

- اما ما أثر عن النبي (ص) فيما يخص سبطه فهي روايات عدة نقتصر منها على ما يلي :
- ١ . روى البراء بن عازب ^(١) قال : رأيت النبي (ص) والحسن على عاتقه ، يقول : « اللهم ، إني أحبه فاحبه » ^(٢)
 - ٢ . وروت عائشة قالت : إن النبي (ص) كان يأخذ حسنا ، فيضمه

(١) البراء بن عازب يكنى ابا عمارة ، شهد مع رسول الله ﷺ واقعة بدر ، ولكنه لم يأذن له في الجهاد لصغر سنه ، وغزا مع رسول الله ﷺ اربع عشرة غزوة ، وهو الذي فتح الري سنة اربع وعشرين في قول ابي عمرو الشيباني ، وشهد مع امير المؤمنين ٧ الجمل وصفين ، والنهروان ، نزل الكوفة وابتنى بها دارا ، ومات ايام مصعب بن الزبير ، جاء ذلك في اسد الغابة ١ / ١٧١ ، والاستيعاب.

(٢) صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق ، ورواه الترمذي في صحيحه ٣٠٧ / ٢

إليه ثم يقول : « اللهم ، إن هذا ابني ، وأنا أحبه ، فأحبه ، وأحب من يحبه .. » ^(١)

٣ . وروى زهير بن الاقمر قال : بينما الحسن بن علي يخطب بعد ما قتل علي (ع) إذ قام إليه رجل من الأزد آدم طوال ، فقال : لقد رأيت رسول الله (ص) واضعه في حيوته ، يقول : (من أحبني فليحبه ، فليبلغ الشاهد الغائب) ولو لا عزمة من رسول الله (ص) ما حدثتكم ^(٢) .

٤ . وروى أبو بكر قال : رأيت رسول الله (ص) على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة ، وعليه أخرى ، ويقول : (إن ابني هذا سيد . ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين

ورواه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ٨ / ٣٤ .

(١) كنز العمال ٧ / ١٠٤ ، وذكره الهيثمي في مجمع ٩ / ١٧٦ ، وتظافت الاخبار بهذا المضمون عن النبي ﷺ فعن سعيد بن زيد قال : احتضن رسول الله ﷺ حسنا ثم قال : (اللهم إني قد أحببته فأحبه) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ٧ / ١٠٥ وقال أخرجه الطبراني وأبو نعيم ، وذكر ابن حجر في الإصابة ٣ / ٧٨ قال : وأخرج البغوي من طريق يزيد بن أبي زياد عن يزيد بن أبي الحسن عن سعد بن زيد الانصاري أن النبي ﷺ حمل حسنا ، ثم قال : اللهم إني أحبه فأحبه مرتين ، وروى أبو نعيم في حليته عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « اللهم ، إني أحبه ، فأحبه وأحب من يحبه » يقولها ثلاث مرات .

(٢) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩٧ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥ / ٣٦٦ الصواعق المحرقة : ص ٨٢ .

من المسلمين» (١).

- ٥ . وروى ابن عباس قال : اقبل النبي (ص) وقد حمل الحسن على رقبته فلقيه رجل ، فقال نعم المركب ركبت يا غلام ، فقال رسول الله (ص) ونعم الراكب هو. (٢)
- ٦ . وروى عبد الله بن عبد الرحمن بن الزبير قال : أشبه أهل النبي (ص) وأحبهم إليه الحسن رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال : ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ، ولقد رأيته وهو راکع فيفرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر (٣)
- ٧ . وروى ان النبي ﷺ صلى احدى صلاتي العشاء فسجد سجدة أطال فيها السجود ، فلما سلم قال له الناس : في ذلك فقال : (إن ابني هذا . يعنى الحسن . ارتحلنى فكرهت أن أعجله) (٤)

(١) الإصابة ١ / ٣٣٠ ، صحيح البخاري ذكره في الصلح ، ورواه الامام احمد بن حنبل في مسنده ٥ / ٤٤ باسناده عن المبارك عن الحسن عن ابي بكرة قال : كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس ، وكان الحسن بن علي يثب على ظهره إذا سجد ، ففعل ذلك غير مرة ، فقالوا له : والله إنك لتفعل بهذا شيئا ، ما رأيناك تفعله باحد ، قال المبارك : فذكر شيئا ثم قال : إن ابني هذا سيد وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين من المسلمين ، وذكره ابن حجر في صواعقه وجاء في العقد الفريد ١ / ١٦٤ ان الرسول ﷺ دخل على ابنته فاطمة فوجد الحسن طفلا يلعب بين يديها ، فقال لها : إن الله سيصلح على يدي ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

(٢) الصواعق : ص ٨٢ ، حلية الاولياء.

(٣) الإصابة ٢ / ١١

(٤) البداية والنهاية ٨ / ٣٣

٨ . وصعد ٦ على المنبر ليخطب ، فجاء الحسن فصعد المنبر ، فوضعه على رقبته حتى كان يرى بريق خلخاله من أقصى المسجد ، وهما يلمعان على صدر الرسول ، ولم يزل على هذه الحالة حتى فرغ ٦ من خطبته ^(١)

٩ . وقال ٦ : « من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن » ^(٢)

١٠ . وقال ٦ : « الحسن ريحاني من الدنيا » ^(٣) ١١ . وروى انس بن مالك قال دخل الحسن على النبي ٦ فأردت أن أميطه عنه ، فقال ٦ : « ويحك يا أنس دع ابني ، وثمرة فؤادي ، فان من آذى هذا فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » ^(٤)

هذه طائفة من الاخبار التي وردت عن النبي ٦ في سبطه الاكبر ، ويلمس فيها أسمى الوان التكريم والحفاوة والحب العميق.

الطائفة الثانية :

أما ما أثر عن النبي ٦ في حق السبطين ٨ فكوكبة من الروايات الصحاح التي دونها الثقات والحفاظ ، وهي صريحة

(١) البحار ٦ / ٥٨

(٢) فضائل الاصحاب : ص ١٦٥ ، البداية والنهاية ٨ / ٣٥

(٣) الاستيعاب ٢ / ٣٦٩

(٤) كنز العمال ٦ / ٢٢٢

الدلالة في أنهما ٨ من أعز الناس عند رسول الله صلى عليه وآله ومن أحبههم له ، ونذكر منها ما يلي :

١ . روى سعيد بن راشد ، قال : جاء الحسن والحسين ٨ يسعيان الى رسول الله ﷺ فأخذ أحدهما فضمه الى إبطه ، ثم جاء الآخر فضمه إلى إبطه الأخرى ، وقال : (هذان ريحانتي من الدنيا من أحبني فليحبهما) ^(١) وكان النبي ﷺ دوما يضيف عليهما هذا اللقب ، وقد وردت بذلك روايات عديدة ^(٢)

٢ . وروى انس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال ﷺ : « الحسن والحسين » وكان يقول : لفاطمة ادعي ابني فيشمهما ويضمهما إليه ^(٣)

٣ . وروى أسامة بن زيد قال : طرقت النبي ﷺ ذات ليل في بعض الحاجة فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل

(١) ذخائر العقبى : ص ١٢٤

(٢) روى ابو نعيم في حلية الاولياء ٣ / ٢٠١ عن جابر ان رسول الله ﷺ قال : لعلي بن ابي طالب ٧ سلام عليك يا ابا الريحانتين اوصيك بريحانتي من الدنيا خيرا فعن قليل ينهد ركنك والله خليفتي عليك ، قال فلما قبض النبي ﷺ : قال علي ٧ : هذا احد الركنين اللذين قال النبي ﷺ فلما ماتت فاطمة ٣ قال علي (ع) : هذا الركن الآخر الذي قال النبي ﷺ : وفي كنز العمال ٧ / ١١٠ عن سعد بن مالك قال دخلت على النبي ﷺ والحسن والحسين يلعبان على ظهره ، فقلت يا رسول الله أتحبهما؟ فقال : ومالي لا احبهما ، وانهما ريحانتي من الدنيا

(٣) صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٦ فيض القدير ١ / ١٤٨

على شيء لا ادري ما هو؟ فلما فرغت من حاجتي ، قلت : ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ قال فكشفه فاذا هو حسن وحسين على وركيه ، فقال : (هذان ابناي ، وابنا ابنتي ، اللهم ، إني احبهما فأحبهما وأحب من يحبهما)^(١)

٤ . وروى سلمان الفارسي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (الحسن والحسين ابناي من احبهما احبني ، ومن احبني أحبه الله ، ومن أحبه الله ادخله الجنة ، ومن أبغضهما ابغضني ومن ابغضني ابغضه الله ، ومن ابغضه الله ادخله النار »^(٢)

٥ . وروى ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما »^(٣)

٦ . واعتلى ﷺ أعواد المنبر يخطب ، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران ، وهما يمشيان ويعثران ، فنزل ﷺ عن المنبر فحملهما ، ووضعهما بين يديه ، وقال : صدق الله

(١) صحيح الترمذي ٢ / ٢٤٠ ، كنز العمال ٧ / ١١٠ ، وذكر آخر الحديث ابن حجر في صواعقه ص ١١٤
(٢) مستدرک الحاكم ٣ / ١٦٦ ، وتغيير يسير رواه الهيثمي في مجمع ٩ / ٨١١ وكذلك في كنز العمال ٦ / ٢٢١
(٣) مستدرک الحاكم ٣ / ١٦٧ ، صحيح ابن ماجة ، وتضافرت الاخبار الواردة عن النبي ﷺ ان سبطيه سيدا شباب اهل الجنة ، روى الترمذي في صحيحه ٢ / ٣٠٦ عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة » ورواه احمد بن حنبل في مسنده ٣ / ٣ ، وروى الخطيب البغدادي في تاريخه ١ / ١٤٠ بسنده عن علي ٧ قال قال : رسول الله ﷺ : (الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة)

إذ يقول : (**أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**) (لقد نظرت إلى هذين الصبيين وهما يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما)^(١)

٧ . وروى ابن عباس قال : بينا نحن ذات يوم مع النبي ﷺ إذ أقبلت فاطمة سلام الله عليها تبكي ، فقال لها رسول الله ﷺ : فداك أبوك ، ما يبكيك؟ قالت إن الحسن والحسين خرجا ، ولا أدري أين باتا ، فقال لها رسول الله ﷺ : لا تبكين فان خالقهما ألطف بهما مني ومنك ، ثم رفع يديه ، فقال : اللهم احفظهما وسلمهما ، فهبط جبرئيل ، وقال يا محمد ، لا تحزن فانهما في حظيرة بني النجار ، نائمان ، وقد وكل الله بهما ملكا يحفظهما ، فقام النبي ﷺ ومعه أصحابه حتى أتى الحظيرة فاذا الحسن والحسين ٨ معتنقان نائمان ، وإذا الملك الموكل بهما قد جعل أحد جناحيه تحتهم والآخر فوقهما ، يظلهم ، فأكب النبي ﷺ عليهما يقبلهما ، حتى انتبها من نومهما ، ثم جعل الحسن على عاتقه اليمين ، والحسين على عاتقه اليسر ، فتلقاها أبو بكر ، وقال يا رسول الله : ناولني أحد الصبيين أحمله عنك ، فقال ﷺ نعم المطي مطيها ، ونعم الراكبان هما ، وأبوهما خير منهما ، حتى أتى المسجد فقام رسول الله ﷺ على قدميه وهما على عاتقيه ثم قال :

« معاشر المسلمين ، ألا أدلكم على خير الناس جدا وجدة؟ »

« بلى يا رسول الله »

« الحسن والحسين ، جدهما رسول الله ﷺ خاتم المرسلين ، وجدتهما خديجة بنت خويلد ،

سيدة نساء أهل الجنة »

(١) صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٦ ، صحيح النسائي ١ / ٢٠٩

ثم قال ٦ : « ألا أدلكم على خير الناس عما وعمه؟ » قالوا : بلى يا رسول الله
« الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب ، وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب . »
ثم قال : « أيها الناس ، ألا أدلكم على خير الناس خالا وخالة؟ » قالوا : بلى يا رسول الله
« الحسن والحسين ، خالهما القاسم بن رسول الله ، وخالتهما زينب بنت رسول الله . »
ثم قال : اللهم ، انك تعلم أن الحسن والحسين في الجنة ، وعمهما ، في الجنة ، وعمتهما في
الجنة ، ومن أحبهما في الجنة ، ومن أبغضهما في النار .^(١)
ودل الحديث على مدى حبه ٦ لسبطيه ، وانهما أحب أهل بيته إليه ، وآثرهما عليه ، ومن
المعلوم أن شأن النبوة بعيد عن الاندفاع بعواطف الحب ، فانه ٦ لم يمنحهما هذا الحب الا لانهما
مصدرا كل فضيلة ، ومنبعا كل خير .
٨ . وروى جابر ، قال دخلت على النبي ٦ والحسن والحسين على ظهره ، وهو يقول : « نعم
الجميل جملكما ، ونعم العدلان أنتما »^(٢) وبهذا المضمون روى عمر قال رأيت الحسن والحسين ٨
على عاتقي النبي ٦ فقلت نعم الفرس تحتكما فقال النبي ٦ ونعم الفارسان هما^(٣) وقد نظم ذلك

(١) ذخائر العقبى : ص ١٣٠

(٢) كنز العمال ١٠٨ / ٧ ، مجمع الهيثمي ٩ / ١٨٢

(٣) مجمع الهيثمي ٩ / ١٨١ ، كنز العمال ٧ / ١٠٦

شاعر العقيدة السيد الحميري في قوله :

اتى حسنا والحسين الرسول وقد برزا ضحوة يلعبان
فضمهما وتفاداهما وكانا لديه بذاك المكان
ومرا وتحتهما عاتقاه فمنع المطيعة والراكبان
٩ . وروى يعلى بن مرة الثقفي ^(١) قال : جاء الحسن والحسين يستبقان الى رسول الله ﷺ
فضمهما إليه ، وقال : إن الولد مبخله مجبنة ^(٢)

١٠ . وقال ٦ : (الحسن والحسين سبطان من الاسباط) ^(٣)

١١ . وبلغ من مزيد حبه واشفاقه على سبطيه أنه كان يعوذهما خوفا عليهما من الحسد ، فقد
روى أبو نعيم بسنده عن عبد الله ، قال : كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ إذ مر الحسن والحسين
وهما صبيان ، فقال : هات ابني أعوذهما بما عوذ به إبراهيم ابنيه اسماعيل ، واسحاق ، فقال : «
اعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ، ومن

(١) روي في المستدرک الحديث عن يعلى بن منبه الثقفي ، وراجعنا كتب التراجم فلم نجد يعلى بن منبه وإنما الموجود
يعلى بن مرة ، ولعل ما وقع ما في المستدرک كان سهوا ، وجاء في كل من الاصابة ، واسد الغابة ان يعلى بن مرة من
افاضل الصحابة ، روى عن رسول الله ﷺ وعن امير المؤمنين ٧ وشهد مع النبي ﷺ الحديبية ، وباع بيعة الرضوان وشهد
خيبر ، والفتح وهوازن والطائف.

(٢) مستدرک الحاكم ٣ / ١٦٨ ، مسند الامام احمد بن حنبل ٤ / ١٧٢

(٣) الصواعق المحرقة : ص ١١٤ ، كنز العمال ٦ / ٢٢١

كل شيطان وهامة» ^(١) وليس في سجل المودة الانسانية أجمل من هذا الحنان ، ولا أكرم من هذا العطف.

١٢ . ومما اشتهر بين المسلمين قوله ٦ : « الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا » ^(٢) واضفى ٦ على حفيديه حلة الامامة ، وهي من أهم الصفات الماثلة فيهما وذلك لما تستدعيه من المثل العليا التي لا تتوفر إلا عند من اختاره الله واصطفاه من بين عباده ، فقد خص الله بها خليله إبراهيم قال تعالى : (**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**) ^(٣) وستحدث عن الامامة ، وما يعتبر في الامام من المؤهلات ، والصفات عند عرض مثله ٧.

الطائفة الثالثة :

وتواترت النصوص الصحيحة عن النبي ٦ في لزوم مودة أهل بيته ، وانه حرب لمن حاربهم ، وسلم لمن سالمهم ، وقرنهم بمحكم الكتاب ، وجعلهم سفن النجاة ، وأمان الأمة ، وإلى القراء بعض تلك السنن.

(١) حلية الاولياء ٥ / ٤٤ الفضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣ / ١٧٧

(٢) البحار ١٠ / ٧٨ ، وجاء في نهضة المجالس ٢ / ١٨٤ ، وفي الاتحاف بحب الاشراف : ص ١٢٩ ان رسول الله ٦ قال للحسن والحسين : « انتما الامامان ولماكما الشفاعة » وجاء في منهاج السنة ٤ / ٣١٠ ان رسول الله ٦ قال : للحسين ٧ « هذا امام ابن امام اخو امام ابو أئمة تسعة ».

(٣) سورة البقرة : آية ١٢٤

- ١ . روى زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال : لعلي وفاطمة والحسن والحسين : (أنا حرب لمن حاربتهم وسلم لمن سالتهم » ^(١)
- ٢ . وعن أبي بكر قال : رأيت رسول الله ﷺ خيم خيمة ، وهو متكئ على قوس عربية ، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين : فقال : « معشر المسلمين أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة ، وحرب لمن حارهم ، وولي لمن والاهم ، لا يحبهم إلا سعيد الجد ، طيب المولد ، ولا يبغضهم إلا شقي الجد ردىء الولادة » ^(٢)
- ٣ . وروى احمد بن حنبل أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين ، وقال : « من احبني ، وأحب هذين وأباهما ، وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة » ^(٣)
- ٤ . وروى جابر ، قال رسول الله ﷺ : ذات يوم بعرفات ، وعلى تجاهه « ادن مني يا علي خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها ، والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن منها ادخله الله الجنة » ^(٤)
- ٥ . وروى ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف

(١) كنز العمال ٧ / ١٠٢ ، سنن ابن ماجه ص ١٤ ورواه ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي هريرة.

(٢) الرياض النضرة ٢ / ٢٥٢

(٣) مسند احمد ١ / ٧٧ ينابيع المودة ص ١٦٤ صحيح الترمذي ٢ / ٢ / ٣٠١

(٤) مسند احمد ١ / ٧٧

فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلّفوا فصاروا حزب ابليس (١)

٦ . روى زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، احدهما اعظم من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » (٢)

إن حديث الثقلين من أوثق الأحاديث النبوية ، وأكثرها ذيوعا ، وقد اهتم العلماء به اهتماما بالغاً لانه يحمل جانباً مهماً من جوانب العقيدة الإسلامية ، كما انه من اظهر الأدلة التي تستند إليها الشيعة في حصر الامامة في أهل البيت ، وفي عصمتهم من الاخطاء والاهواء لان النبي ﷺ قرّهم بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا يفترق أحدهما عن الآخر ومن الطبيعي أن صدور آية مخالفة لاحكام الدين تعتبر افتراقاً عن الكتاب العزيز ، وقد صرح النبي ﷺ بعدم افتراقهما حتى يردا عليه الحوض ، فدلالته على العصمة ظاهرة جلية ، وقد كرر النبي ﷺ هذا الحديث في غير موقف من المواقف لأنه يهدف الى صيانة الأمة والمحافظة على استقامتها وعدم انحرافها في المجالات العقائدية ، وغيرها أن تمسكت بأهل البيت ولم تتقدم عليهم ، ولم تتأخر عنهم.

واستيفاء البحث في جوانب الحديث يستدعى وضع كتاب خاص ، وقد كفانا مؤونة البحث عنه ما ذكره العلماء من التحقيق الرائع في جميع مناحي الحديث سواء أكان من ناحية السند أم الدلالة وغيرها (٣)

(١) مستدرک الحاكم ٣ / ١٤٩

(٢) صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٨ ، اسد الغابة ٢ / ١٢

(٣) المراجعات : ص ٤٩ - ٥٢ ، الاصول العامة للفقهاء المقارن ص ١٦٤ - ١٨٧

٧ . روى أبو سعيد الخدرى قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له .. » ^(١)

يقول الامام شرف الدين في مرجعاته القيمة في بيان الحديث ما نصه « وأنت تعلم أن المراد من تشبيههم : بسفينة نوح أن من لجأ إليهم في الدين فأخذ فروعه وأصوله عن أئمتهم الميامين نجا من عذاب النار ، ومن تخلف عنهم كان كمن آوى « يوم الطوفان » إلى جبل ليعصمه من أمر الله ، غير أن ذاك غرق في الماء وهذا في الحميم والعياذ بالله. والوجه في تشبيههم : باب حطة هو أن الله تعالى جعل ذلك الباب مظهرا من مظاهر التواضع لجلاله والبخوع لحكمه ، وبهذا كان سببا للمغفرة.

هذا وجه الشبه ، وقد حاوله ابن حجر إذ قال : . بعد أن أورد هذه الاحاديث وغيرها من أمثالها .

« ووجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكرا لنعمة مشرفهم وأخذ بهدي علمائهم نجا ، من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم ، وهلك في مفاوز الطغيان » إلى أن قال : (وباب حطة . يعني وجه تشبيههم بباب حطة . ان الله جعل دخول

(١) مجمع الزوائد ٩ / ١٦٨ ، وجاء في مستدرک الحاكم عن حنش الكناي قال : سمعت أبا ذر يقول : وهو آخذ بباب الكعبة : أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم ، ومن انكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله يقول : « مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا . ومن تخلف عنها غرق » وقد تضافرت الأخبار بهذا النص.

ذلك الباب الذي هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سببا للمغفرة ، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سببا لها «^(١)

٨ . قال ٦ : « معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب . »^(٢)

٩ . قال ٦ : « من مات على حب آل محمد مات شهيدا ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ، ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه : آيس من رحمة الله .. »^(٣)

١٠ . قال ٦ : « واجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ، ومكان العينين من الرأس ، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين »^(٤)

(١) المراجعات : ص ٥٤

(٢) المراجعات : ص ٥٨ نقلا عن كتاب الشفاء ص ٤٠

(٣) المراجعات : ص ٥٩ نقلا عن الامام التلعلي في تفسير آية المودة من تفسيره الكبير

(٤) المراجعات نقلا عن الشرف المؤبد ص ٥٨ .

ان الواجب على المسلمين أن يجعلوا أهل بيت نبيهم مكان الرأس من الجسد ، ومكان العينين من الرأس ، فيتمسكوا بأهدافهم ، يأخذوا بأفعالهم وأقوالهم ، ولو أنهم حققوا ذلك لكانوا سادات الامم وهداة الشعوب ولكنهم ناصبوهم العداة ، واخروهم عن مراتبهم ، وأزالوهم عن مكانتهم ، فاصيبت الامة بالنكسات ، وحفت بها الخطوب والاحطار فانا لله وإنا إليه راجعون.

١١ . قال (ص) : لا تزول قدما عبد . يوم القيامة . حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه ، ومن أين اكتسبه ، وعن محبتنا أهل البيت ^(١) »
إن المسلمين مسئولون أمام الله عن مودة أهل البيت وعن حبهم ، ومن اظهر ألوان الحب الأخذ بأقوالهم والاقتداء بهم في جميع المجالات.

١٢ . قال (ص) : من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي ، فليوال عليا من بعدي ، وليوال وليه وليقتد بأهل بيتي من بعدي فانهم عترتي ، خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي فويل للمكذبين بفضلهم من امتي ، القاطعين فيهم صلتى ، لا أناهم الله شفاعتي ^(٢) »

ونقتصر على هذه السنن التي أثرت عن الرسول ٦ في أهل بيته ، وهناك عشرات أمثالها ذكرت في كتب الحديث وهي تهتف بفضلهم ، وتلزم المسلمين بالرجوع إليهم في جميع المجالات.

(١) المراجعات نقلا عن السيوطي في احياء الميت ، والنبهاني في اربعينه.

(٢) كنز العمال ٦ / ٢١٧ .

احتفاء المسلمين به :

واحتفى المسلمون بالامام الحسن احتفاء بالغا فكان كبار الصحابة يقابلونه بالتحلة والتكريم ، ويتسابقون الى القيام بخدمته ، فهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة كان إذا ركب الحسن والحسين ٨ بادر فأمسك لهما الركاب وسوى عليهما الثياب ، وقد لامه مدارك بن زياد على ذلك فنهره وقال له :

« يا لكع أو تدري من هذان؟! هذان ابنا رسول الله ﷺ أو ليس مما أنعم الله به علي أن أمسك لهما الركاب ، وأسوي عليهما الثياب .. » ^(١)

وبلغ من تعظيم المسلمين وتكريمهم لهما انهما كانا يفدان الى بيت الله الحرام ماشيين فما اجتازا على ركب الا ترجل ذلك الركب اجلالا واكبارا لهما ، وإذا طافا بالبيت الحرام بلغ زحام الناس عليهما مبلغا هائلا لم يشاهد نظيره لاجل السلام عليهما والتبرك بزيارتهم ^(٢) وكان أبو هريرة إذا رأى الامام الحسن (ع) مقبلا قام إليه فقبله بسرته لأنه رأى رسول الله ﷺ يفعل ذلك ^(٣) وحقا للمسلمين أن يكرموا حفيد نبيهم ويقدسوه بعد ما كرمه النبي ﷺ ورفع من شأنه.

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢١٢ ، مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ١٤٣

(٢) البداية والنهاية ٨ / ٣٧

(٣) مسند الامام احمد بن حنبل ٢ / ٢٥٥ ، انساب الاشراف للبلاذري

الفاجعة الكبرى

وقطع الحسن ٧ شوطا من طفولته مع جده الرسول ٦ حتى توسعت مداركه وفتت ملكاته ، وهو ناعم البال قرير العين ، يستقبل الحياة كل يوم بثغر باسم وبهناء وسعادة ، يرى من جده ٦ الحنان والعطف ، ومن مشيخة الصحابة التعظيم والتكريم ، وقد رأى ٧ ما منح به الاسلام من التوسع وكثرة الغزوات حتى دخل الناس في دين الله افواجا افواجا ، فقد تحطمت عروش الشرك واندحرت قوى الاتحاد ، وغزت الجيوش الاسلامية مكة التي هي اعز بلد وامنعه في الجزيرة العربية ، وقام الاسلام وهو عبل الذراع مفتول الساعد شامخ الكيان وسرت موجات فتحه الى أغلب شعوب الأرض ، وقد غمرت قلوب المسلمين المسرات على هذا النصر الذي أعزهم الله وأيدهم به وكان أشد المسلمين فرحا واعظمهم سرورا بهذه الانتصارات التي حققها الاسلام أهل البيت .

ولكن لم تدم لهم الحالة الهائلة فقد عبس الزمن في وجوههم ، واكفهر ، وغزا قلوبهم بخوف غامض وحزن بهيم فقد آن للرسول ٦ أن يفد على الله ، وينتقل الى حظيرة القدس ، وقد بدت له طلائع الرحيل وامارات الانتقال وهي :

١ . وكانت أول النذر بمغادرته لهذه الحياة نزول الوحي عليه بهذه الآية (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ**

مَيِّتُونَ) وقد اثار كوامن التوجس في نفسه فقد سمعه المسلمون ينعى نفسه ويقول :

« ليتنى اعلم متى يكون ذلك؟ »

ونزلت عليه بعد هذه الآية سورة « النصر » فكان يسكت بين التكبير والقراءة ويقول :

« سبحان الله وبحمده ، استغفر الله واتوب إليه »

وقد ساور قلوب المسلمين الخوف والجزع فانطلقت قلوبهم قبل السنتهم تستفهم عن هذه الحالة الرهيبة فاجابهم ٦ :

« إن نفسي قد نعت لي » ^(١)

وحينما سمع المسلمون ذلك قدّت قلوبهم وانهارت قواهم ، وغامت أبصارهم بفيض من الدموع ، وأصابتهم رجفة هزت كيانهم واشاعت في نفوسهم الجزع والخوف.

٢ . ونزل عليه القرآن الكريم في تلك السنة مرتين فاستشعر بذلك حضور الاجل المحتوم ^(٢) واخذ يعنى نفسه ، ويعلن مفارقه لهذه الحياة وقد تصدعت القلوب لهذا النبأ وطافت بالمسلمين أمر الوان المحن والخطوب

حجة الوداع :

ولما علم الرسول ٦ بانتقاله الى دار الخلود ، وهو قد تحمل في سبيل ارشاد المسلمين وهدايتهم من العنت والعناء ما تنوء بحمله النفوس رأى أن يتم النهاية لرسالته المقدسة ويضع الخطّة السليمة التي تضمن لامته من بعده السعادة والنجاح فحج ٦ من اجل ذلك حجته الأخيرة الشهيرة بحجة الوداع ، في السنة العاشرة من الهجرة واشاع بين الوافدين لبيت الله الحرام ان هذا الالتقاء هو آخر العهد بهم قائلًا :

« اني لا ادري لعلّي لا القاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ابدا .. »

وجعل يطوف على الجماهير ويعرفهم بما يضمن لهم السعادة والنجاح « يا أيها الناس ، اني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل

(١) مناقب ابن شهر اشوب ١ / ١٢٧ .

(٢) الخصائص الكبرى ٢ / ٣٦٨

بيتي .. » ^(١)

لقد قرن بين الكتاب والعترة الطاهرة وجعل التمسك بهما منجاة من الفتن والزيف ، ولو أن
الامة تابعت في قوله ، وتمسكت بهما لما حلت بها الاهواء والخطوب وما عراها الذل والهوان ، وما
اختلفت كلمتها ، ولا تشعبت الى فرق واحزاب (**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**)

غدير خم :

ولما فرغ النبي ٦ من أداء مناسك الحج اتجه الى يثرب فلما وصل موكبه الى غدير خم هبط
عليه أمين الوحي فأمره أن يحط رحله في رمضاء الهجير ، وينصب الامام أمير المؤمنين خليفة من
بعده ومرجعاً لأمته ، وكان أمر السماء يحمل طابعا مهما بالغ الخطورة ، فقد نزل عليه الوحي
بهذه الآية :

(**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ النَّاسِ**) ^(٢) واضطرب النبي من هذا الانذار وهذا التهديد ، إنه إن لم ينفذ ما أراد الله في
تقليد أمير المؤمنين بهذا المنصب الخطير فما بلغ رسالة الله وضاعت جميع أتعابه وجهوده ، فانبى
٦ بعزم ثابت الى تنفيذ ذلك وإن اغضب الطامعين بالخلافة والمنحرفين عن الامام ٧ ، فوضع ٦
اعباء المسير وحط رحله في ذلك المكان القاحل وكان الوقت قائضا حتى كان الرجل يضع طرف
ردائه تحت قدميه ليتقى من الحر وامر صلى الله

(١) صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٨

(٢) سورة المائدة نزلت هذه الآية في يوم الغدير ذكر ذلك الواحدى في اسباب النزول ص ١٥٠ والفخر الرازي في
تفسيره الكبير وغيرهما.

عليه وآله باجتماع الجماهير فلما اجتمعوا صلى بهم فلما انفلت من صلاته أمر أن توضع حدائج الابل لتكون له منبرا فصنعوا له ما اراد فاعتلى عليها وكان عدد الحاضرين مائة الف أو يزيدون ، وقد اتجهوا بقلوبهم قبل اسماعهم الى الرسول ليسمعوا ما يلقي عليهم ، وانبرى ٦ فبين لهم . اولاً . جهاده المقدس واتعابه الشاقة في سبيل ارشادهم وانقاذهم من حضيض الشرك والعبودية ، وذكر لهم . ثانياً . جملة من الاحكام الاسلامية والآداب الدينية فأمرهم بتطبيقها على واقع حياتهم ، وبعد ذلك قال لهم :

« فانظروا كيف تخلفوني في الثقليين »

فناداه مناد من القوم

« وما الثقلان يا رسول الله؟ »

فاجابه ٦ : « الثقل الاكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا ، والآخر الاصغر عترتي وان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا »

ثم أخذ بيد علي حتى بان بياض إبطيهما وعرفه القوم اجمعون وقال :

« أيها الناس ، من أولى الناس بالمؤمنين من انفسهم؟ »

فاجابوه « الله ورسوله اعلم »

فقال ٦ : إن الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من انفسهم ، فمن كنت مولاه

فعلي مولاه قال ذلك ثلاث مرات او أربع مرات ، ثم قال :

« اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، واحب من أحبه ، وابغض

من ابغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وادر الحق معه حيث دار الا فليبلغ الشاهد الغائب »^(١)

ولما انهى ٦ خطابه الشريف الحافل بتكريم أمير المؤمنين ٧ وتقليده للخلافة العظمى انبرى الى النبي (ص) حسان ابن ثابت فاستأذنه ان يتلو احدى روائع نظمه ليصف بها هذه المناسبة الخالدة فاذن له في ذلك فانطلق يقول :

يناديهم يوم الغدير نبـيهم بخـم واسمع بالرسول مناديا
فقال فمن مولاكم ونبـيكم فقالوا ولم ييدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنـت نبينا ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له : قم يا على فاني رضيتك من بعدى إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له اتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذى عادى عليا معاديا^(٢)

واقبل المسلمون على اختلاف طبقاتهم يبايعونه بالخلافة ويهتفون بامرة المؤمنين ، وأمر الرسول ٦ أمهات المؤمنين أن يسرن إليه ويهتفنه^(٣) وممن هنأه عمر بن الخطاب فقد صافحه وقال له :

(١) حديث الغدير من الاحاديث المتواترة القطعية ، اجمع المسلمون على روايته ، وقد بحث عنه من حيث السند والدلالة نابغة الاسلام سماحة الحجة الاميني سلمه الله في موسوعته الخالدة « الغدير » وقد خص الجزء الاول من كتابه في البحث عن ذلك ، وصحب معه في بقية الاجزاء جيشا من الشعراء والادبا الذين أشادوا بذكرى الغدير فترجم لهم وذكر ما لهم من التراث الأدبي والعلمي.

(٢) الغدير ٢ / ٣٤

(٣) الغدير ١ / ٢٧١ نقلا عن روضة الصفا للمؤرخ خاوندشاه في الجزء الثاني ص ١ / ٢٧٣

« هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وامسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ... » ^(١)

وفي ذلك اليوم الخالد في دنيا الحق والفضيلة نزلت هذه الآية الكريمة : (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) ^(٢)

لقد تمت النعمة الكبرى ، وكمل الدين بولاية أمير المؤمنين ، وامام المتقين ، وقد خطا النبي ٦ بذلك الخطوة الاخيرة للمحافظة على المجتمع الاسلامي وعلى التشريع الاسلامي فلم يترك الامة حيرى تسودها الفوضى والانحلال بل نصب لها علما وهاديا ومرشدا الى سواء السبيل.

ان بيعة الغدير من اوثق الادلة واكثرها وضوحا على اختصاص الخلافة والامامة بالامام أمير المؤمنين ٧ ، وقد احتج بها الامام الحسن على احقية أبيه بالخلافة وذلك في خطابه الذي القاه بعد الصلح فقد جاء فيه : « إنا أهل بيت أكرمنا الله بالاسلام ، واختارنا واصطفانا واذهب عنا الرجس ، وطهرنا تطهيرا ، لم تفرق الناس فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما من آدم الى جدي محمد صلى الله فلما بعثه الله للنبوّة واختاره للرسالة وانزل عليه كتابه ثم امره بالدعاء الى الله عز وجل فكان أبي اول من استجاب لله ولرسوله ، وأول من آمن وصدق الله ورسوله ٦ وقد قال الله في كتابه المنزل على نبيه المرسل : (**أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**) فجدي الذي على بينة من ربه وأبي الذي يتلوهُ وهو شاهد منه « إلى أن قال » وقد سمعت هذه الامة جدي

(١) مسند احمد ٤ / ٢٨١

(٢) سورة المائدة ذكر نزول الآية في يوم الغدير السيوطي في الدر المنثور والخطيب البغدادي في تاريخه ٨ / ٢٩٠ وغيرها

يقول : ما ولت امة امرها رجلا ، وفيهم من هو اعلم منه الا لم يزل يذهب أمرهم سفالا حتى يرجعوا الى ما تركوه. وسمعه يقول لابي : أنت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي. وقد رأوه وسمعه حين أخذ بيد أبي بغدير خم ، وقال لهم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وآل من وآله وعاد من عاده ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب ^(١) »

لقد حفلت كتب التاريخ الاسلامي بذكر احتجاج أهل البيت : واعلام شيعتهم ببعة الغدير على أحقية الامام أمير المؤمنين بمنصب الخلافة الاسلامية ، ولكن القوم أعرضوا عن الحديث وأولوه حسب ميولهم وأهوائهم.

استغفاره لاهل البقيع :

ولما رجع الرسول الله عليه وآله من حجه إلى يثرب اقام بها حفنة من الايام ، وقد احاطت به الهواجس والهموم وارق ليلة طال فيها أرقه فاستدعى أبا مويهبة ^(٢) في الليل البهيم فلما مثل عنده أمره بمصاحبته الى البقيع وقال له :

« لقد أمرت بالاستغفار لاهل البقيع فلذا بعثت إليك للانطلاق معي ... »

وسار الرسول ٦ حتى انتهى الى البقيع فسلم على الاموات وهنأهم بما هم فيه وأخذ يخبر عن الفتن السود التي ستنصب على أمته من بعده قائلا :

(١) الغدير ١ / ١٩٧

(٢) ابو مويهبة مولى لرسول الله اشتراه واعتقه

« السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنئكم ما أصبح الناس فيه ، فقد اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها اولها ، الآخرة شر من الاولى .. »
وانطلق يحدث ابا مويهبة عن مغادرته لهذه الحياة قائلا له :
« إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها ثم الجنة بعد ذلك فاحترت لقاء ربي والجنة »
«

فقال له أبو مويهبة : بأبي أنت وأمي ألا تأخذ مفاتيح خزائن الدنيا وتكون مخلدا فيها ثم الجنة بعد ذلك؟ .. »
فاجابه الرسول ٦ عن رغبته الملحة في ملاقاته الله « لا والله لقد احترت لقاء ربي » ثم استغفر لاهل البقيع وانصرف الى منزله (١)

سرية اسامة :

ولما علم الرسول ٦ أن لقاءه بربه لقريب أراد أن يعزز خلافة أمير المؤمنين ٧ التي عقد أواصرها في « غدير خم » وأن يقضي على روح الشغب والتمرد ليتم الامر بعد وفاته بسهولة الى الامام ٧ فرأى أن خير ضمان لتحقيق ذلك اخلاء عاصمته من جميع المناوئين للامام ٧ وارسالهم الى ساحة الجهاد لغزو الروم فأمر أصحابه بالتهيؤ الى ذلك ولم يبق احدا من أعلام المهاجرين والانصار كابي بكر وعمر وأبي عبيدة وبشير بن سعد وامثالهم (٢) وأمر

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٩٣ تاريخ الطبري ٣ / ١٩٠ وذكر المجلسي في بحاره ٦ / ١٢١ ان رسول الله (ص) لما احس بالمرض اخذ بيد علي ٧ وتبعه فريق من الناس فتوجه الى البقيع واستغفر لاهله.
(٢) كنز العمال ٥ / ٣١٢ ، طبقات ابن سعد ٤ / ٤٦ ، تاريخ الخميس ٢ / ٤٦

عليهم اسامة بن زيد ^(١) وذلك لأربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشر للهجرة ، وقال لاسامة : « سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش ، فاغز صباحا على أهل ابني ^(٢) وحرِّق عليهم ، واسرع السير لتسبق الاخبار ، فان أظفرك الله عليهم فاقل اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع معك .. »

وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر ألم المرض به فاصابته حمى ملازمة وصداع شديد قيل انهما كانتا مسببين عن الطعام المسموم الذي ذاقه في خير فكان يقول! « ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلته بخير ^(٣) »

ولما اصبح اليوم التاسع والعشرين من صفر رأى أصحابه وقد دب فيهم التمرد والتخاذل خرج بنفسه مع ما مني به من المرض فحثهم على

(١) اسامة بن زيد : بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى الكلبي أمه أم إيمان ، واسمها بركة مولاة رسول الله (ص) وحاضنته اختلف في سنه يوم مات رسول الله (ص) فقتل ابن عشرين سنة ، وقيل ابن تسع عشرة ، وقيل ابن ثمان عشرة سنة ، سكن بعد موت النبي (ص) وادى القرى ثم رجع الى المدينة فمات بالجرف في آخر خلافة معاوية وكانت وفاته سنة ثمان او تسع وخمسين من الهجرة وقيل سنة اربع وخمسين جاء في الاستيعاب المطبوع عن هامش الاصابة ١ / ٣٤ . ٣٥ ، ومما يؤسف انه انحراف عن الحق فانه لم يبايع امير المؤمنين حينما آلت إليه الخلافة والسبب في ذلك ان هبات الامويين واموالهم الوفيرة التي اغدقوها عليه حرفته عن امير المؤمنين.

(٢) ابني . بضم الهمزة وسكون الباء ثم نون مفتوحة بعدها الف مقصورة . : ناحية بالبلقاء من ارض سوريا بين عسقلان والرملة وهي قرب موة التي استشهد عندها زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب.

(٣) مستدرك الحاكم ٣ / ٥٨

المسير وحفزهم على الخروج ، وعقد اللواء بنفسه لأسامة وقال له :

« اغز بسم الله ، وفي سبيل الله ، وقاتل من كفر بالله »

فخرج بلوائه معقودا ودفعه الى بريدة ، وعسكر بالجرف ، وثاقل القوم من الالتحاق به واطهروا التمرد والتخاذل يقول عمر لأسامة :

« مات رسول الله ﷺ وأنت علي امير؟! »^(١)

وانطلقت الستهم بالنقد اللاذع والاعتراض المر على تأمير أسامة ، وثاقلوا من الالتحاق بالجيش فوصلت كلماتهم الى مسمع الرسول ﷺ وقد ازدادت به الحمى المبرحة واخذ منه الصداق القاسي مبلغا ليس بالقليل فغضب ﷺ وخرج وهو معصب الرأس مدثر بقطيفته وقد يرّجّ به الحزن لانه رأى أن الوسيلة التي مهدها لغايته ستبوء بالفشل وعدم النجاح فصعد المنبر وذلك في يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول ، فظاهر سخطه البالغ وغضبه الشديد على عدم تنفيذهم لأوامره قائلا :

« أيها الناس ، ما مقالة بلغتنى عن بعضكم في تأميري أسامة؟ ولئن طعنتم في تأميري أسامة

لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله وإيم الله إنه كان خليقا بالامارة وإن ابنه من بعده خليق بها »

ثم نزل عن المنبر ودخل بيته^(٢) وجعل يوصي بالالتحاق به وهو يقول :

« جهزوا جيش اسامة »

« نفذوا جيش اسامة »

« لعن الله من تخلف عن جيش أسامة »

(١) السيرة الحلبية ٣ / ٣٤ وغيره من المحدثين والمؤرخين

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ٣٤

ولم تثر حفاظ نفوسهم هذه الأوامر المشددة ، ولم يرهف عزمهم هذا الاهتمام البالغ من النبي ٦ وهو في ساعاته الأخيرة فقد تشاقلوا عن الخروج ، وتخلفوا عن الجيش ، واعتذروا للرسول ٦ بشتى المعاذير وهو . بأبي وأمي . لم يمنحهم العذر ، وأظهر لهم الغيظ والسخط ، والمتأمل في هذا الحادث الخطير يستنتج ما يلي :

١ . إن اهتمام النبي ٦ بشأن اخراج القوم من يثرب ولعنه لمن تخلف من الالتحاق بجيش اسامة يدل بوضوح لاختفاء فيه على غايته المنشودة وهي اخلاء عاصمته من الحزب المعارض لامير المؤمنين ٧ ليصفو له الأمر بسهولة ، وتتم له الخلافة بمجدوء وسلام.

٢ . ان تخلف القوم عن الجيش وطعنهم في تأمير اسامة ما كان المقصود منه الا الظفر بالسلطة والحكم ، واحكام قواعد سياستهم فانهم اذا انصرفوا الى الغزو ونزحوا عن عاصمة الرسول ٦ فان الخلافة لا محالة تفوت من أيديهم ، ولا مجال لهم حينئذ الى التمرد والخلاف.

٣ . ان السبب في عدم تولية الرسول ٦ قيادة الجيش لذوي السن والموجهين من الصحابة انما هو للاحتياط على مستقبل الأمة ، وصيانتها من الاضطراب والفتن من بعده ، فانه لو اسند القيادة إليهم لاتخذوها وسيلة الى أحقيتهم بالخلافة ومطالبتهم بالحكم فسد ٦ عليهم هذه النافذة لئلا يتصدع شمل الامة ، ويضطرب أمنها.

وأما الحكمة من تأميره ٦ لأسامة وهو حدث السن فقد كان عمره آنذاك سبعة عشر عاما او يزيد عليها بيسير فهي ما يلي :

(أ) . سد جميع نوافذ الخلاف والطعن في خلافة امير المؤمنين عليه

السلام لأنه حدث السن فان أسامة اصغر منه سنا وقد اسند إليه اهم الوظائف العسكرية في جيشه.

(ب) . الغاء التقدم في السن ، وعدم الاعتناء به في استحقاق المناصب الرفيعة مع حرمان الشخص من القابليات والمواهب ، فان ادارة شئون الامة وقيادتها انما يستحقها ذوو الكفاءات والحزم والادارة وقد صرح ٦ بهذه الفكرة الاصلاحية بقوله :

« من تقدم على قوم من المسلمين وهو يرى أن فيهم من هو أفضل منه فقد خان الله ورسوله ، والمسلمين » ^(١)

وقال ٦ : « من استعمل عاملا من المسلمين ، وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين » ^(٢) ان الاسلام يحرص كل الحرص على تعيين خيرة الرجال وأكثرهم كفاءة للعمل في جهاز الحكم ليضعوا المصلحة العامة نصب اعينهم ويكونوا أمناء فيما يجبونه من الناس وفيما ينفقونه على المرافق العامة ، وان يسيروا بين الناس بسيرة قوامها العدل الخالص ، ولا يكون ذلك بتقدم السن وانما يكون بالدراية والاطلاع على ما تحتاج إليه الامة في جميع مجالاتها العامة ^(٣)

(ج) . انه ٦ في تأميره لاسامة قد كبح جماح المناوئين لأمر المؤمنين ، وكسر شوكتهم وحطم معنوياتهم ، واقصاهم الى حد بعيد ، وقد فطنوا الى ما دبر ٦ فطعنوا في تأمير

(١) سنن البيهقي : ١٠ / ١١١ مجمع الزوائد

(٢) تمهيد الباقلاني : ص ١٩٠

(٣) قد بسطنا البحث في هذه الجهة في كتابنا المائل للطبع نظام الحكم والادارة في الاسلام.

أسامة ، وتناقلوا من الالتحاق بكتيبتيه ، ولم يبرحوا مقيمين بالجرف حتى لحق الرسول ٦ بالرفيق الأعلى.

هذه بعض البوادر التي تطل على المتأمل في سرية أسامة وهي صريحة الدلالة على قصده ٦ من تمهيد الأمر للامام امير المؤمنين بعد وفاته بحدوء وسلام^(١) كما تدل بوضوح على وجود الموامرة الخطيرة التي دبرها القوم ضد خليفته ووصيه كما ولعلنا سنذكر ذلك مفصلا في بعض الفصول.

اشتداد مرضه :

واشتدت الحمى عليه حتى كأن به لهما منها ، وكانت عليه قطيفة فاذا وضع أزواجه وعواده أيديهم عليها شعروا بحرها^(٢) ووضعوا الى جواره إناء فيه ماء بارد فما زال يضع يده فيه ويمسح به وجهه ، واقبل المسلمون يهرعون الى عيادته وقد خيم عليهم الجزع والذهول فازدحمت حجرته بهم فنعى إليهم نفسه واوصاهم بما يضمن لهم السعادة والنجاح قائلا :

« أيها الناس يوشك أن اقبض قبضا سريعا فينطلق بي ، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم الا اني مخلف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي »

ثم اخذ بيد علي ورفعها وقال :

« هذا علي مع القرآن ، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يرثي علي الحوض »^(٣)

(١) المراجعات والنص والاجتهاد للامام شرف الدين ، وقد حلل فيهما سرية اسامة ، تحليلا رائعا.

(٢) حياة محمد لهيكل ص ٤٨٤.

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر

وكان الاجدر بالأمة أن تتابع الرسول ﷺ وتواكب أرائه فتتبع أمير المؤمنين وتسلم له قيأتها لانه يسير بمنهج القرآن ويحكم بما انزل الله ، ولو انها حققت ذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ لنجت من جميع النكسات وما اصببت به من الفتن والخطوب ، ولتقدم الاسلام بخطى ثابتة متزنة وسادت في العالم مبادئ الحق والعدالة.

اعطاء القصاص من نفسه :

وخرج علة الكائنات وسيد الموجودات وهو مثقل قد تعصب بعمامته ليعلن المساواة العادلة التي جاء بها ، ويعطي القصاص من نفسه لو كان منه اعتداء على اي انسان فاعتلى أعواد المنبر وبين للمسلمين مدى ما عاناه من الجهود في سبيل ارشادهم وهدايتهم ثم قال :
« ان ربي عز وجل حكم واقسم أن لا يجوز ظلم ظالم ، فانشدكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة الا قام ليقتص مني فالقصاص في دار الدنيا أحب الى من القصاص في دار الآخرة على رءوس الملائكة والأنبياء .. »

ووجم الحاضرون عن الجواب ، وذهلوا حتى عن نفوسهم ، وساد فيهم صمت رهيب أى واحد له ظلامة او حق عند الرسول ﷺ وهو مشرع العدالة الكبرى ومثال اللطف الالهي ، وقد خيم عليهم الجزع لأنهم عرفوا أن كلامه كلام مودع لهذه الحياة ، وانبرى من اقصى القوم شخص يسمى سودة بن قيس فادعى ان رسول الله ﷺ اصابه بسوط في بطنه ، وهو يريد القصاص منه فأمر ﷺ بلالا أن يحضر له السوط ليقتص منه سودة وانطلق بلال وهو مبهور قد ملكت احاسيس نفسه هذه العدالة الكبرى فراح يجوب في ازقة يثرب

وهو رافع عقيرته قائلاً :

« أيها الناس اعطوا القصاص من أنفسكم في دار الدنيا ، فهذا رسول الله قد اعطى القصاص من نفسه »

ومضى الى دار النبي ﷺ فاخذ السوط ، وجاء به الى رسول الله ﷺ فأمره أن يدفعه الى سودة ليقتص منه وتوجه المسلمون بقلوبهم قبل ابصارهم الى سودة ينظرون هل يقتص من النبي ﷺ؟ وهو بتلك الحالة قد فتك به المرض وأضناه السقام ، وانبرى سودة وهو مرتعش الخطا قد غمرته عظمة الرسول وهيبته فقال له :

« يا رسول الله اكشف لي عن بطنك .. »

فكشف ﷺ عن بطنه فقال له سودة بصوت خافض :

يا رسول الله ، أتأذن لي أن اضع فمي على بطنك؟

فأذن له ﷺ فوضع سودة فمه على بطن رسول الله ﷺ ودموعه تتبلور على خديه وهو يقول :

« اعوذ بموضع القصاص من رسول الله من النار يوم النار »

فقال له النبي ﷺ : اتعفو يا سودة أم تقتص؟

بل اعفو يا رسول الله

فرفع ﷺ يده بالدعاء له قائلاً :

اللهم ، اعفو عن سودة كما عفا عن نبيك محمد ^(١)

وتصدعت قلوب المسلمين ، وبلغ بهم الحزن الى قرار سحيق ، وايقنوا بنزلة القضاء المرهوب

والرزء القاصم

(١) البحار ٦ / ١٠٣٥

توجع الزهراء

واحاط الاسى بابنة الرسول وألم بها الخطب واضر الحزن بقلبها الرقيق المعذب ، فقد شاهدت
أباها يعاني اشد الألم والكرب وهو يقول :
(واكرياه)

ويمتلئ قلبها باللوعة والحزن فتجيبه

« واكريا لكربك يا أبتى »

فنظر إليها وقد غام بصرها بالدموع فاشفق عليها وقال لها :

« لا كرب على أبيك بعد اليوم .. »

ولما اشتدت حالته تغير وضع الزهراء (ع) فكانت شاحبة اللون خائرة القوى ذاهلة اللب قد
ساورتها الهواجس والهموم واحاطت بها الآلام والاحزان فلما رآها تصدع قلبه وأراد أن يزيل عنها
كابوس الحزن فاجلسها الى جنبه فاسر إليها بمحديث فلم تملك عند سماعه الا ان تجرى عيناها
بالدموع ومال ٦ إليها ثانية فالقى عليها كلاما قابلته ببسمات فياضة بالبشر والرضا ، وعجبت
عائشة من هذا الصنيع وراحت تقول :

« ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن!! »

وسألتها عما قال لها رسول الله ٦ فامتنعت عن اجابتها ، ولما تصرمت الايام اخبرت عن
سبب ذلك البكاء والسرور فقالت أخبرني :

« ان جبرئيل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة ، وانه عارضني هذا العام مرتين ، وما اراه
الا قد حضر أجلى »

فهذا سبب لوعتها وبكائها واما سبب سرورها فتقول أخبرني .

« انك اول أهل بيتي لحوقا بي ، ونعم السلف انا لك .. ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الامة .. »

لقد دفع ٦ عن حبيبته الأسى باخبارها بعدم طول الفراق بينها وبينه ، ولما علمت أن لقاء أبيها بربه لقريب انطلقت الى بيتها فجاءت بولديها وهي تذرف من الدموع مهما ساعدتها الجفون فقالت له : « أبه هذان والداك فورثهما منك شيئا .. »

ففاض عليهما الرسول من مكرمات نفسه ، وورثهما من كمالاته قائلا :

« اما الحسن فان له هبتي ، وسؤددي ، وأما الحسين فان له جرأتي وجودي » ^(١)

ويقوم الحسن من عنده وقد ورث منه الهيبة والسؤدد ، وورث منه سيد الشهداء الجرأة والجود ، وهل هناك مما تحويه البسيطة ميراث خير من هذا الميراث الحاوي لكمالات النبوة وسؤددها ، وقد كان الحسن بحكم ميراثه رمزا للهيبة الأحمدية ، ومثالا للسؤدد النبوي فقد روى (أنه كان عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك.) ^(٢)

التصدق بما عنده

وكانت عند الرسول ٦ قبل مرضه سبعة دنانير فخاف أن يقبضه الله إليه وهي عنده فأمر أهله أن يتصدقوا بها ، ولكن انشغالهم بتمريضه والقيام بخدمته انساهم تنفيذ أمره ، فلما افاق من مرضه سأله ما فعلوا بها؟ فاجابوه أنها ما تزال باقية عندهم فطلب منهم أن

(١) كنز العمال ٧ / ١١٠ شرح النهج ٤ / ٤ .

(٢) مناقب ابن شهر اشوب.

يُحضروها فلما جيء بها إليه وضعها في كفه وقال :
« ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه »^(١)
ثم تصدق بها على فقراء المسلمين ، ولم يبق منها عنده شيء.

الرزية الكبرى

واستشف الرسول ﷺ من وراء الغيب أن امته من بعده سوف تنصب عليها الفتن كقطع الليل المظلم وتتوالى عليها الخطوب السود فتترد على أعقابها بعد الإيمان . كما أخبر ﷺ . فكبر ذلك وعظم عليه ، وزاد في حزنه وأساه وهو في ساعاته الأخيرة اطلاعه على المؤامرة الكبرى التي دبرت ضد وصيه وخليفته وباب مدينة علمه وذلك بتخلف القوم وثناقلهم عن الالتحاق بسرية أسامة فرأى ﷺ أن يسلك طريقا آخر يصون امته من الضلال ويحميها من الفتن والاختلاء فقال ﷺ :

« اثبتوني بالكثف والدواة ، اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا .. »^(٢)

ما اعظمها من نعمة ، واغلاها من فرصة لو استغلوها وسارعوا الى تنفيذها وتحقيقها لوقوا انفسهم ووقوا الاجيال اللاحقة من الزيغ والانحراف ولكنهم حرموا انفسهم السعادة ، وسدوا نوافذ الرحمة والهداية عليهم وعلى من يليهم من الاجيال ، فقد خدعتهم الدنيا وهالكوا على الامرة وعلموا قصد الرسول ﷺ وعرفوا غايته انه سيوصي بامير المؤمنين ويعزز بيعة يوم الغدير فتفوت بذلك أهدافهم وتضيع مصالحهم فانبرى إليه أحدهم بكل وقاحة

(١) مسند احمد ١ / ٣٥٥ وغيره.

(٢) الرواية اخرجها الطبراني في الاوسط ، البخاري ومسلم.

وصلافة رادا عليه قائلًا :

« حسينا كتاب الله »

والمأمل في هذا الرد تفتتح أمامه الكوة التي تطل على تأمرهم وعلى مخططاتهم في اقضاء أمير المؤمنين عن جهاز الحكم فانهم لو كانوا يحتملون ان رسول الله ﷺ لا يوصي بالخلافة إليه وانما يوصي بحماية الثغور أو بالمحافظة على طقوسه الدينية لما قابله بهذه الجرأة وماردوا رغبته ، ولكنهم علموا ما يريد فقاموا بعمليات التخريب والافساد ، وعلى اي حال فقد كثر الخلاف والتشاجر في ذلك ، وانطلقت النسوة من وراء الستر فقلن لهم :

« الا تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ؟ »

فتار عمر وصاح فيهن لئلا يفسد عليهم الامر قائلًا :

« انكن صويحبات يوسف إذا مرض عصرتن اعينكن ، واذا صح ركبتن عنقه .. »

فرمقه الرسول ﷺ بطرفه وقد ازعجه كلامه فقال له :

« دعوهن فانهن خير منكم »

وكادت أن تفوز الجبهة التي رغبت في تنفيذ ارادة الرسول فانبرى احد المعارضين فسددهم

سهما افسد عليهم أمرهم فقال : ويا لهول ما قال :

« إن النبي ليهجر .. »^(١)

(١) ذكر الحادثة البخاري عدة مرات في ٤ / ٦٩ وص ٩٩ وفي ج ٦ / ٨ وكنتم اسم القائل لهذه الكلمة وصرح ابن الاثير في نهاية غريب الحديث وغيره ان القائل هو عمر بن الخطاب ، وقد اعترف عمر في حديثه مع ابن عباس انه صد النبي (ص) عن الكتابة في علي وعترته ، كما في شرح النهج المجلد الثالث ص ١١٤

اي خطب حل بالاسلام مثل هذا الخطب ، وأى رزية مني بها المسلمون مثل هذه الرزية أفيحكم على علة الموجودات وسيد الكائنات بالهجر؟ لقد رجع القوم الى جاهليتهم الاولى وتناسوا مقام النبي ﷺ فقابلوه بأمر الكلام وأقساه ، فانا لله وإنا إليه راجعون.

إنها الرزية الكبرى ، والرزء القاصم الذي يذيب هوله القلوب ، فقد حيل بين المسلمين وبين سعادتهم ، وأقصي عنهم الخير ، وكان ابن عباس اذا ذكر الحادث المؤلم يتفجع ويكي حتى تسيل دموعه على خديه كأنها نظام اللؤلؤ ويتنهد ويقول : يوم الخميس ، وما يوم الخميس! قال رسول الله : اتتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتابا ان تضلوا بعده أبدا فقالوا ان رسول الله يهجر^(١)

ولم يسمعوا نصوص القرآن الكريم وهي تتلى عليهم آناء الليل ، وأطراف النهار ، وقد دلت على عصمة النبي ﷺ قال تعالى : (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) وقال تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) الى غير ذلك من الآيات التي نصت على عصمته من الهجر ، ولكن القوم قد غرّهم الدنيا ، وراقهم زبرجها فانحرفوا عن طريق الحق ، ومالوا عن سنن العدل ، وتركوا الأمة تتردى في ميادين الجهالة والغواية ، وسدوا عليها نوافذ الرحمة والهداية.

الى الرفيق الاعلى

ولما قرب دنو النبي ﷺ الى حظيرة القدس بعث الله

(١) مسند احمد ١ / ٣٥٥

إليه ملك الموت ليسمو بروحه الطاهرة الى جنة المأوى ، والى سدرة المنتهى وجاء ملك الموت فاستأذن من أهل بيت الوحي بالدخول على رسول الله ٦ فاخبرته الزهراء ٣ بأن النبي ٦ في شغل عنه لأنه كان قد أغمي عليه من شدة المرض ، وبعد برهة كرر الطلب فافاق الرسول ٦ من اغمائه فقال لابنته :

. أتعرفيه؟

. لا يا رسول الله

. إنه معمر القبور ، ومخرب الدور ، ومفرق الجماعات

فأنهد كيائها ، واحاط بها الدهول ، وارسلت ما في عينها من دموع وراحت تقول بصوت خافت حزين النبرات « وا ويلتاه لموت خاتم الأنبياء وا مصيبتاه لممات خير الاتقياء ، ولانقطاع سيد الاصفياء ، وا حسرتاه لانقطاع الوحي من السماء ، فقد حرمت اليوم كلامك .. »

واشفق الرسول ٦ على بضعته فارسل لها كلمة فيها سلوى وعزاء فقال لها :

« لا تبكي فانك اول أهلي لحوقا بي .. » ^(١)

واذن ٦ لملك الموت بالدخول عليه فلما مثل عنده قال له :

« يا رسول الله ، إن الله ارسلني إليك وأمرني أن اطيعك في كل ما تأمرني إن أمرني أن اقبض

نفسك قبضتها ، وان امرني أن أتركها تركتها ... »

فقال ٦ أتفعل يا ملك الموت؟

بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرني.

(١) درة الناصحين ص ٦٦

ثم دخل جبرئيل فقال : يا احمد ان الله قد اشتاق إليك .. ^(١) «
ولما علم أهل البيت أن النبي ٦ سيفارقهم في هذه اللحظات اذهلهم الخطب وبلغ بهم الحزن الى قرار سحيق ، وجاء الحسن والحسين فالتقيا بانفسهما على الرسول ليودعاه الوداع الأخير وهما يذرغان الدموع فجعل ٦ يقبلهما وهما يقبلانه وأراد أمير المؤمنين أن ينحيهما عنه فقال ٦ :
« دعهما يتمتعان مني وامتع منهما فستصيبهما بعدي أثرة ... »
ثم التفت الى عواده فقال لهم :
« قد خلفت فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنتي ، والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي انهما لن يفترقا حتى اللقاء على الحوض .. » ^(٢)
واستدعى وصيه وخليفته امير المؤمنين فقال له :
« ضع رأسي في حرك فقد جاء أمر الله فاذا فاضت نفسي فتناولها وامسح بها وجهك ، ثم وجهني الى القبلة وتولى أمري ، وصل علي أول الناس ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي واستعن بالله عز وجل .. »
واخذ أمير المؤمنين رأس النبي ٦ فوضعه في حجره ومد يده اليمنى تحت حنكه ، واذن ٦ لملك الموت باستلام روحه المقدسة ، واخذ ٦ يعاني آلام الموت وشدة النزاع حتى فاضت نفسه الزكية فمسح بها الامام وجهه ^(٣) ونعاه الى الحاضرين

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ٤٨

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ١١٤

(٣) المناقب ١ / ٢٩ ، وتضافرت الاخبار بأن رسول الله (ص) توفى في حجر علي ٧ فقد جاء في كنز العمال ٤ / ٥٥ ان ابا غطفان قال سألت ابن عباس

لقد انطوت ألوية العدالة في ذلك اليوم الخالد في دنيا الاحزان ، واخذت مصابيح الكمال والفضيلة ، وما اصبحت الانسانية بكارثة كهذه الكارثة فقد مات المنقذ العظيم ، واحتجب النور الذي اضاء الطريق للانسان وهداه الى سواء السبيل.

وطاشت احلام المسلمين أمام هذا الخطب المريع فما بعد رسول الله ﷺ للناس عزاء ولا للأسى على فقدته مدى ولا انتهاء ، لقد ذهب محمد عن هذه الدنيا وغرب نور محياه فانطلقت اللسان نادية والاعين باكية ، وعلى الصراخ والعويل من بيت النبي ﷺ وكان أكثر أهل بيته لوعة واشدهم مصابا هي بضعته الزهراء فقد وقعت على جثمانه وهي مذهولة اللب من شدة الوله والحزن وهي تبكي امر البكاء وتقول :

« واأبتاه ، الى جبرئيل انعاه! ... واأبتاه جنة الفردوس مأواه! .. واأبتاه أجاب ربا دعاه!!.

« (١)

وسرى النبأ المفجع الى مدينة الرسول ﷺ فتركها تمور في الحزن واجتمع المسلمون وهم حيارى قد أخرجهم الخطب وألم بهم الحادث المريع وهم ما بين وأجم وصائح ومشدوه ونائح ونهوا الى

فقلت له لما توفي رسول الله ﷺ راسه في حجر من؟ فقال توفي وهو الى صدر على ، فقلت له ان عروة حدثني عن عائشة انها قالت توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري فقال لي : أتعتقل؟! والله لتوفي رسول الله وهو الى صدر على وهو الذي غسله واخرجه ابن سعد في ص ٥١ من القسم الثاني من الطبقات.

(١) سنن ابن ماجة وجاء فيه ان حماد بن زيد قال رايت ثابت راوى الحديث حينما يحدث به يبكي حتى تختلف اضلاعه

واد من الالم ماله قرار.

وقام أمير المؤمنين وقد حفت به الآلام والاحزان فأخذ في تجهيز الرسول ٦ فغسله ^(١) وهو يقول : « بابي أنت وأمي طبت حيا وميتا .. » ^(٢)

وبعد الفراغ من تجهيزه وضعه على السرير ، فاول من صلى عليه هو الله من فوق عرشه ثم جبرئيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم الملائكة زمرا زمرا ^(٣) ودخل المسلمون يلقون على الجثمان المقدس نظرة الوداع ، ويؤدون فريضة الصلاة ^(٤) وبعد الانتهاء قام الإمام فحفر القبر ولما فرغ منه

(١) وفاء الوفاء ١ / ٢٢٧ وجاء في كنز العمال ٤ / ٥٣ ان الامام عليا غسل رسول الله (ص) وكان الفضل واسامة يناولانه الماء من وراء الستر ، وجاء فيه أيضا انه قد اختلف في كفته فقيل كفن في ثلاثة اثواب وقيل في حلة يمانية وقميص ، وذكر اقوالا اخرى في كفته (ص) ونقل ان ابا قلاعة كان يقول الا تعجب من اختلافهم في كفن رسول الله (ص)

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ / القسم ٢ / ٦٣

(٣) حلية الاولياء ٤ / ٧٧

(٤) كنز العمال ٤ / ٥٤ وجاء فيه ان الامام أمير المؤمنين (ع) لما وضع الجثمان . المعظم على السرير لاجل الصلاة عليه قال للمسلمين لا يقوم عليه امام منكم ، هو امامكم ، حيا وميتا فكان الناس يدخلون رسلا رسلا فيصلون عليه صفا صفا ليس لهم امام وامير المؤمنين (ع) واقف الى جانب الجثمان وهو يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، اللهم ، انا نشهد انه قد بلغ ما انزل إليه ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى اعز الله دينه وتمت كلمته ، اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما انزل إليه وثبتنا بعده واجمع بيننا وبينه وكان الناس يقولون آمين آمين حتى صلى عليه الرجال والنساء والصبيان ، واختلف في تاريخ وفاته ٦ فقيل .

لقى المغيرة خاتمه في القبر ، وقال لأمر المؤمنين ٧ خاتمي ، فقال ٧ لولده الحسن : أدخل فناوله خاتمه ، ففعل ٧ ذلك ، وكان مقصد المغيرة من ذلك أن يدخل القبر الشريف بعد ما خرج منه أمير المؤمنين ليفتخر على الصحابة بأنه آخر الناس عهدا برسول الله فالتفت أمير المؤمنين الى مقصده ، فامر الحسن بدخول القبر ، فكان آخر الناس عهدا برسول الله ٦ (١)

وقام الامام أمير المؤمنين فوارى الجسد العظيم في مقره الأخير ووقف على القبر يروي بهاء عينيه ، وارسل كلمات تنم عن لوايح حزنه وتشكله قائلاً :

« ان الصبر لجميل الا عنك ، وان الجزع لقبيح الا عليك ، وان المصاب بك لجليل ، وانه قبلك وبعدك لجليل ... » (٢)

واذاب الهول العظيم ، والمصاب المؤلم قلب الامام الحسن (ع) وهو في سنة المبكر فذبلت منه نضارة الصبا وروعته فقد رأى من يحذب عليه ويفيض عليه من رقيق حنانه يوارى في الثرى ، ورأى أبويه وقد اضناهما الدهول واحاط بهما الأسى على فقد الراحل العظيم فترك ذلك في نفسه شديد الألم ولاذع الحزن ... لقد مضى الرسول (ص) الى الرفيق الاعلى وكان عمر

- في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول (جاء في وفاء الوفاء ١ / ٢٢٦ و ٢٢٧ وقيل في اليوم الثامن والعشرين من صفر ذكره الطبرسي في اعلام الورى ص ٧ ، وقيل في اليوم الثاني من ربيع الاول ذكره ابن واضح في تاريخه ٢ / ٩٣ وقيل غير ذلك.

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ٧٧

(٢) نهج البلاغة محمد عبده ٣ / ٢٢٤ ، والجلل الهين الحقير ، والمراد ان المصائب قبل مصيبة الرسول (ص) وبعدها هيبة حقيرة.

الحسن سبع سنين ^(١) وهو دور تنمو فيه مدارك الطفولة ، وتكون فيه فكرة الطفل كالعدسة اللاقطة تنقل الى دخائل النفس كثيرا من المشاهدات والصور وينطبع فيها جميع ما يمر عليها من حزن وسعادة ، كما انه قد تكون لبعض الاطفال النابجين اللياقة والاستعداد لأن يفهم الغاية من بعض الاعمال والمواقف ، وقد رافق الامام الحسن في ذلك الدور الاحداث الخطيرة التي وقعت قبل وفاة جده الرسول ٦ من امتناع القوم من الالتحاق بسرية أسامة وعدم استجابتهم للنبي ٦ حينما امر باعطائه الدواة والكتف ليكتب لأتمته كتابا يقيها من الفتن والضلال فعرف . من غير شك . الغاية من ذلك ، وعلم ما دبره القوم من المؤامرات ضد أبيه فترك ذلك في نفسه كامن الحزن والوجد وانبرى ينكر على القوم غصبهم لحق أبيه كما سنبينه في عهد الشيخين.

(١) كشف الغمة : ص ١٥٤.

فى عهد الشيخين

وحينما مضى النبي (ص) الى جنة المأوى ، وسمت روحه الى الرفيق الاعلى ، انثالت الفتن على المسلمين تترى كقطع الليل المظلم ، وعصفت بهم امواج عارمة من الانشقاق والاختلاف زعزعت كيانهم وصدعت شملهم ، ومزقت وحدتهم ، وقد بين تعالى ما يبنى به المسلمون بعد وفاة نبيه من الارتداد والاختلاف قال تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ..)^(١)

فأي رزية اعظم من رزية الانقلاب؟ وأي كارثة اقسى من كارثة الارتداد بعد الايمان!! لقد ترك القوم جثمان نبيهم لم يواروه في مقره الأخير وهاكوا على الامرة والسلطان ، وصمموا على صرف الخلافة الاسلامية عن أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل ، وقد تحدث الامام أمير المؤمنين ٧ عن غيب ما فعلوه وسوء ما ارتكبهه يقول ٧ :

« حتى اذا قبض رسوله رجع قوم على الاعقاب ، وغالتهم السبل واتكلوا على الولايع^(٢) ووصلوا غير الرحم ، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته ، ونقلوا البناء عن رص أساسه^(٣) فبنوه في غير موضعه معادن كل خطيئة ، وأبواب كل ضارب في غمرة »^(٤)

لقد استأثروا بالامر ، ونقلوه عن اهله ومعدنه ، ووضعوه في غير محله ، وقد فاجئوا أهل البيت (ع) . والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر

(١) سورة آل عمران : آية ١٤٤

(٢) الولايع : جمع وليجة وهي بطانة الانسان وخاصته

(٣) الرص : مصدر رصص الشئ أى الصق بعضه ببعض ومنه قوله تعالى (كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) .

(٤) نهج البلاغة محمد عبده ٢ / ٤٨

بصرف الامر عنهم والاعتداء عليهم ، وتركوهم يتجرعون الغصص ، ويتوسدون الارق وتساورهم الهموم ، فما اعظم رزيتهم؟! وما اشد محتهم وبلاءهم!!

لقد تسرع القوم الى عقد البيعة ، وانتهزوا الفرصة في انشغال امير المؤمنين بتجهيز جثمان النبي ٦ فلم يمهله حتى يفرغ من مواراته ٦ لئلا يفوت الامر منهم ، وتضيع امانيهم وآمالهم في الاستيلاء على زمام الحكم والسلطان .. وعلى أي حال فلا بد لنا من البحث عن فصول تلك المأساة الكبرى . بايجاز . فانها ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الامام الحسن ٧ ، فان صرف الامر عن أهل البيت : كانت له مضاعفاته السيئة ونتائجه الخطيرة ، واهمها طمع الطلقاء وابنائهم خصوم الاسلام واعداء الله في الخلافة الاسلامية ، ومناجزتهم لاهل بيت النبوة ومعدن الرحمة ، حتى اضطر سبط النبي ٦ الامام الحسن ٧ في دوره الى الصلح مع معاوية وتسليم الامر له ، والى القراءة بيان ذلك.

السقيفة

وترك القوم النبي ٦ مسجى في فراش الموت ، لم يهتموا في شيء من أمره فقد سارع الانصار الى سقيفة بني ساعدة ^(١) وعقدوا لهم اجتماعا سرى أحاطوه بكثير من الكتمان والتحفظ ، واحضروا معهم شيخ الخزرج سعد بن عباد ^(٢)

(١) السقيفة : الصفة تشبه البهو ، كانت مجمعا للانصار ودارا لندوتهم

(٢) سعد بن عباد : سيد الخزرج ، وزعيم الانصار اعترف له قومه بالسيادة ، وقد اشتهر بالجود والسخاء هو وابوه وجده وابنه قيس ، ويقال لم .

فتداولوا في شئون الخلافة والسلطان ، وكان شيخ الخزرج قد ألم به المرض فخطب في القوم فلم يتمكن أن يسمع كلامه للناس وانما كان يقول ويبلغ مقالته بعض اقربائه ، وكان منطق خطابه ان الغنم بالغرم ، والانصار هم الذين غرموا في سلسلة الحروب وحركات الجهاد التي قام بها الرسول ﷺ فهم احق بالأمر وأولى به من غيرهم وهذا هو نص خطابه :

يا معشر الانصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ، ان محمدا ﷺ لبث بضع عشر سنة في قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان فما آمن به من قومه الا القليل ، وما كانوا يقدرّون على أن يمنعوا رسول الله ﷺ ولا أن يعزّوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن انفسهم ضيما عموا به حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة فرزقكم الله الايمان به وبرسوله والمنع له ولاصحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه ، فكنتم اشد الناس على عدوه منكم ، وأثقله على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لامر الله طوعا وكرها ، واعطى البعيد المقادة صاغرا

- يكن في الأوس والخزرج بيت واحد فيه اربعة اشخاص اسخياء متتالون الا بيت سعد ، وهو احد النقباء ، شهد مع رسول الله (ص) العقبة وبدرا ، وقد تخلف عن بيعة ابي بكر ، وخرج غاضبا من المدينة فتبعه خالد بن الوليد وصاحب له فكمنوا له له ليلا فطعنناه والقيناه في البئر ، واوهم خالد على بعض الحمقى ان الجن هي التي قتلتنا وانشدوا على لسانها بيتين من الشعر :

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده
كانت وفاته بحوران من ارض الشام سنة خمس عشرة من الهجرة وقيل سنة اربع عشرة ترجم في كل من الاصابة ، والاستيعاب واسد الغابة وغيرها

داخرا ، حتى اثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيا فكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير العين ، استبدوا بهذا الأمر دون سائر الناس فانه لكم دون الناس ... » فاجابه الأنصار بالرضا والطاعة قائلين « وفقت في الرأي وأصبت في القول ، ولن نعدوا ما رأيت نوليك هذا الامر فانك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رضى .. »^(١)

لقد القى الانصار المقادة والسمع لسيد الخزرج ، واعربوا له عن رغبتهم الملحة في ترشيحه لمنصب الخلافة ، وهنا امور تدعو الى العجب وتبعث الى التساؤل في أمر الانصار وهي :

١ . إنهم حضنة الاسلام ، واعضاد الملة ، وحماة الدين فلما ذا أسرعوا في شأن الخلافة ، وتناسوا مبايعتهم لأمير المؤمنين في غدير خم ، وتنكروا لوصايا النبي ﷺ في أهل بيته وعترته؟!
٢ . لما ذا هذا التستر في مكان منزو عن الانظار والابصار؟! ولما ذا هذا التكتم والحيطة في اخفاء الامر؟!!

٣ . لما ذا لم يأخذوا رأي العترة الطاهرة في شأن البيعة واستبدوا بالأمر؟!
وأكبر الظن انهم وقفوا على المؤامرة الخطيرة التي دبرها كبار المهاجرين ضد أمير المؤمنين فخافوا أن يفوز المهاجرون بالخلافة ، ويحرموا منها لذا أسرعوا لانتهاز الفرصة وبادروا الى ترشيح سعد الى مركز الخلافة.

فذلكة عمر

ولم يكن أبو بكر في يثرب عند وفاة النبي (ص) وإنما كان بالسنع^(٢)

(١) تأريخ الطبري ٣ / ٢٠٧

(٢) السنع : محل يبعد عن المدينة بميل ، وقيل هو احد عواليها يبعد عنها باربعة اميال او ثلاثة.

فخاف عمر بن الخطاب أن يفوز احد بالخلافة قبل مجيء أبي بكر فصنع فذلكة دلت على سياسته النفسية وخبرته الفائقة باحوال المجتمع فقد اوقف حركة البيعة ، وشغل الناس حتى عن تفكيرهم فقد راح يهز بيده السيف ويهتف بصوت عال.

« إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد مات. وإنه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران .. والله ليرجعن رسول الله فيقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن ارجفوا بموته ... »

وجعل لا يمر باحد يقول : مات رسول الله الا خبطه بسيفه ، وتهده وتوعده ^(١) واستغرب المسلمون من هذه البادرة ، واستطابها السذج والبسطاء ، فقد جاءهم بالأمل اللذيذ والحلم الجميل فان النفوس تأبى أن تدعن بموت العظيم ، وتتمسك بحياته بالخيال والأوهام ، وقد ساق إليها عمر أطيّب الاماني واروع الآمال ، اخبرها بحياة عزيزها ومنقذها ، وأملها باظهار دينه على الدين كله ، و اضاف الى كلامه اعنف الارهاب والتهديد وعزاه إلى رسول الله ﷺ بتقطيعه الايدي والارجل ممن ارجف بموته ، كما تواعد هو بالقتل لمن فاه بموت النبي ﷺ واستمر على هذا الحال يبرق ويرعد ، ويتهدد ويتواعد حتى وصل أبو بكر إلى يثرب فاحتف به عمر وانطلقا إلى بيت رسول الله ﷺ فكشف أبو بكر الرداء عن وجه النبي (ص) وإذا بجثمانه الطاهر قد رحلت منه روحه الزكية ، فخرج وهو يفند مقالة عمر والتفت إلى الجماهير الحائرة التي اذهلها الخطب فقال لها :
« من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان

(١) شرح ابن ابي الحديد.

الله حي لا يموت ... وتلا قوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) .

وتلقى الجمهور مقالة أبي بكر بالإذعان ، وراحوا يلهجون بالآية واسرع عمر الى تصديق مقالة أبي بكر ولم يبد اية معارضة له ، واحتف به ، وسار معه يشد عضده ، ويحمي جانبه .
ولا بد لنا من وقفة قصيرة امام هذه البادرة الغريبة فانها تدعو إلى التساؤل من عدة امور وهي :

١ . هل صحيح ان عمر قد خفي عليه موت الرسول ٦؟ والقرآن الكريم قد أعلن أن كل انسان لا بد أن يتجرع كأس الحمام قال تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) وقال تعالى في نبيه : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) وقال تعالى : (أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ) الآية ، بالاضافة الى أن الرسول ٦ قد نعى نفسه غير مرة الى المسلمين وأخبرهم بأنه يوشك أن يدعى فيجيب ، وكان عمر نفسه يقول لأسامة قبل وفاة النبي ٦ : مات رسول الله وأنت علي أمير .
٢ . ما هو السر في تهديده وتوعيده لمن أرجف بموت رسول الله ٦؟ ولما ذا ينكل رسول الله المرجفين؟ فهل أن قولهم ارتداد عن الدين او خروج عن حظيرة الاسلام كي يستحقون تقطيع الأيدي والأرجل؟

ان من امعن النظر في هذه الحادثة يتضح له المقصود من فعل عمر وهو اشغال الناس عن مبايعة أي انسان قبل مجيء أبي بكر. إن عمر لم يكن من البلهاء والأغبياء كي يخفى عليه موت الرسول ٦ وان حماسه البالغ وقيامه بعمليات التهديد والتوعيد ، وسكون

ثورته حينما جاء أبو بكر كل ذلك يدل بوضوح لا خفاء فيه على أن هذه الحادثة جزء من المخطط المرسوم قبل وفاة النبي ﷺ في صرف الخلافة عن أهل بيته واستئثارهم بها ، ويذهب المستشرق لامنس الى أنه كانت بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة مؤامرة في صرف الخلافة عن أهل البيت : قبل وفاة النبي ﷺ يقول :

« إن الحزب القرشي الذي يرأسه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح لم يكن وضع حاضر ، ولا وليد مفاجأة أو ارتجال ، وإنما كان وليد مؤامرات سرية مبرمة حيكت أصولها وربت أطرافها بكل احكام ، وإن ابطال هذه المؤامرة ، أبو بكر ، عمر بن الخطاب ، أبو عبيدة بن الجراح ، ومن اعضاء هذا الحزب عائشة وحفصة ، . »

وهو رأي وثيق للغاية فان الامعان في تتبع خطوات القوم ، والتدبر في افعالهم يقضي بقدوم المؤامرة ، وانهم حاكوا اصولها منذ زمان بعيد ، فان تناقلهم من الالتحاق بسرية اسامة ، ومراسلة بعض ازواج النبي ﷺ لآبائهن في التريث عن المسير ، وترشيحهن لآبائهن لامامة الجماعة ، والرد على النبي ﷺ فيما رامه من الكتابة وغير ذلك من القرائن والشواهد مما يدل بوضوح على قدم المؤامرة ، وانهم بنوها على خطط وثيقة مدروسة احيطت بالامعان والتدبر ، وليست وليدة الوقت الحاضر ، ولا وليدة المباغلة والمفاجأة.

مباغلة الانصار :

ولما عقد الانصار أمرهم على تولية سيد الخزرج سعد بن عبادة كان ابن عمه بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي ، واسيد بن خضير زعيم الاوس ينافسانه في السيادة ، وحسداه على ترشيحه لهذا المنصب الرفيع ، فاضمرا

له الحقد وأجمع رأيهما على صرف الأمر عنه وانضم إليهما عويم بن ساعدة الأوسي ، ومعن بن عدى حليف الانصار ، وكانا من حزب أبي بكر ومن اوليائه على عهد رسول الله ﷺ بالاضافة الى ذلك انهما كانا يضمرا ان الحقد والشحناء لسعد بن عباد فانطلقا الى أبي بكر وعمر مسرعين فاحبرهما باجتماع الانصار في السقيفة وانهم قد اجمعوا على تولية سعد بن عباد^(١) فذهل أبو بكر وقام مسرعا ومعه عمر وتبعهما أبو عبيدة بن الجراح^(٢) وسالم مولى أبي حذيفة ولحقهم آخرون من حزبهم من المهاجرين ، فكبسوا الانصار في ندوتهم فغاض لون سعد واسقط ما في أيدي الانصار وساد عليهم الوجوم والذهول ، واراد عمر أن يتكلم فمال إليه أبو بكر فهمس في أذنه قائلا :

« رويدك يا عمر حتى اتكلم .. »

وافتح أبو بكر الحديث فقال :

« نحن المهاجرون أول الناس اسلاما ، وأكرمهم احسابا ، وأوسطهم دارا ، وأحسنهم وجوها ، وأمسهم برسول الله ﷺ رحما وانتم اخواننا في الاسلام ، وشركاؤنا في الدين نصرتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا. فنحن الأمراء وانتم الوزراء ، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به ، فقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين . يعني عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح ... »^(٣)

ان أوثق الأدلة التي أقامها أبو بكر على احقية المهاجرين بالخلافة

(١) العقد الفريد ٣ / ٦٢

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٨

(٣) العقد الفريد ٣ / ٦٢

والإمرة هي ما يلي :

١ . إنهم أول الناس اسلاما

٢ . إنهم أمس الناس رحما برسول الله ﷺ

ولم يفصح في استدلاله عن أول من آمن بالله ، واستجاب لدعوة نبيه ، ووقف إلى جانبه يصد عنه الاعتداء ، ويحميه من جبايرة قريش وهو الامام أمير المؤمنين ٧ ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته ، وأبو سبطيه ، وباب مدينة علمه ، فقد تناساه أبو بكر ورشح أبا عبيدة ، وابن الخطاب لمنصب الخلافة ، وهل كانت له ولاية على المسلمين حتى يرضى لهم ويختار من يتولى قيادتهم ويدير شئونهم وقد علق الامام أمير المؤمنين على احتجاجه بقوله : « احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة » وما ابلغ هذا القول!! وما أروع هذا الاحتجاج!! فقد تمسك المهاجرون بقرهم للنبي ﷺ واستدلوا به على احقيتهم بالأمر ، وتغافلوا عن عترته وذريته ووديعته وعدلاء كتاب الله ، وقد خاطب أمير المؤمنين أبا بكر بذلك ، واستدل عليه بعين ما استدل به أبو بكر على الانصار فقال له :

فإن كنت بالقرى حججت خصيمهم فغـيرك اولى بالنبي وأقرب

وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشـيرون غيب

وخاطب ٧ القوم مرة أخرى فقال لهم : « والله ، إني لأخوه . اى أخ الرسول ﷺ . ووليه وابن عمه ووارث علمه ، فمن احق به منى » ^(١) لقد عدل القوم عن أبي الحسين وتناسوا فضائله ومآثره ووصايا النبي ﷺ فيه طمعا في الخلافة وتهاكما على الامارة.

(١) خصائص النسائي : ص ١٨ ، مستدرک الحاكم ٣ / ١٢٦

بيعة ابي بكر :

ولما انهى أبو بكر خطابه السالف الذي رشح فيه عمر وأبا عبيدة لمنصب الخلافة اسرع إليه عمر فقال له : « يكون هذا وأنت حى؟! ما كان أحد ليؤخرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله (ص) ... »

ولا نعلم متى أقامه الرسول ٦ في مقامه الذي هو فيه ، وقد أخرج ٦ من يشرب مع بقية أصحابه جنودا مسلحين وولى عليهم أسامة بن زيد وهو شاب حدث السن ، يمثل هذا اللف والدوران تمت البيعة لأبي بكر ، وقد تسابق إلى بيعته عمر وبشير ، وتبارى إلى البيعة جميع اعضاء حزبهم فبايعه اسيد بن حضير ، وعويم بن ساعدة ، ومعن بن عدى ، وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة وخالد بن الوليد ، واشتد هؤلاء على حمل الناس على البيعة ، وكان اشداهم حماسا عمر فقد لعبت درته شوطا في الميدان وارغم الممتنعين على البيعة وقابلهم بالقسوة والعنف ، وقد سمع الانصار يقولون في سعد :

« قتلتم سعدا »

فاندفع يقول :

« اقتلوه ، قتله الله فانه صاحب فتنة » ^(١)

ولما تمت البيعة لأبي بكر بهذه الصورة التي يحف بها الارهاب والتهديد اقبل به حزبه يرفونه الى مسجد رسول الله ٦ زفاف العروس ^(٢) والنبي ٦ ملقى على فراش الموت ، قد

(١) العقد الفريد ٣ / ٦٢

(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد ٢ / ٨

انشغل أمير المؤمنين ٧ بتجهيزه ، فلما أخبر تمثل بقول القائل :

واصبح أقوام يقولون ما اشتهوا ويطغون لما غال زيدا غوائل^(١)
لقد بويح أبو بكر يمثل هذه العجالة والمباغته ، وكان عمر يرى عدم مشروعية هذه البيعة ووجه
إليها لاذع النقد فقال فيها كلمته المشهورة :
« إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، وقى الله المسلمين شرها ، فمن دعاكم الى مثلها فاقتلوه. »
(٢)

وحفلت هذه الكلمة باقصى الوان النقد والتشهير واحتوت على ما يلي :

- ١ . إن عمر وصم البيعة (بالفلتة) وسواء أكان معناها الشر والخطيئة والزلة ، أو المباغته والمفاجأة فانها اعظم ما تكون في ميدان القدح والذم.
 - ٢ . إنه دعا الله أن ينقذ المسلمين من شرها ويقبهم من مضغفاتها السيئة.
 - ٣ . انه حكم بقتل من دعا لمثل هذه البيعة
- وانما طعن عمر في انتخاب أبي بكر وقدح في بيعته لانها لم تعتمد على اسس سليمة ، ولم تبتن
على منطق رصين وحفلت بما يلي من المؤاخذات :
- ١ . إن القوم لم يأخذوا رأي العترة الطاهرة فيها واستبدوا بالأمر وقد تناسوا وصايا النبي ٦ فيها
، واهملوا ما أمرهم الرسول ٦ من الاقتداء والتمسك بذريته يقول الامام شرف الدين طيب الله
مثواه :

(١) شرح النهج ٢ / ٥

(٢) صحيح البخاري ١٠ / ٤٤ ومسند احمد ١ / ٥٥ وتمام المتون ص ١٣٧

« فلو فرض أن لا نص بالخلافة على أحد من آل محمد ٦ وفرض كونهم مع هذا غير مبرزين في حسب أو نسب أو اخلاق أو جهاد ، أو علم ، أو عمل ، أو إيمان ، أو اخلاص ، ولم يكن لهم السبق في مضامير كل فضل ، بل كانوا كسائر الصحابة ، فهل كان مانع شرعي ، أو عقلي ، أو عرقي يمنع من تأجيل عقد البيعة الى فراغهم من تجهيز رسول الله ٦؟ ولو بأن يوكل حفظ الامن الى القيادة العسكرية مؤقتا حتى يستتب أمر الخلافة؟

أليس هذا المقدار من التريث كان أرفق بأولئك المفجوعين؟ وهم وديعة النبي لديهم ، وبقيته فيهم. وقد قال الله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) أليس من حق هذا الرسول . الذي يعز عليه عنت الامة ويحرص على سعادتها ، وهو الرؤوف بها الرحيم لها . أن لا تعنت عترته فلا تفاجأ بمثل ما فوجئت به . والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر ^(١) »

النبي ٦ مسجى على فراش الموت لم يغيبه عن عيون القوم مثواه ، وراحوا بهلع وجشع يتسابقون الى الحكم والسلطان ، واهملوا عترته ، واجمعوا على محافاتهم ، وهضم حقوقهم ، وسلب تراثهم ، ومنذ ذلك اليوم واجهت العترة الوانا قاسية من النكبات والخطوب فارقت دماؤها ، وسبيت نساؤها ، ولم ترع فيها قرابة النبي ٦ التي هي اولى بالرعاية والعطف من كل شيء . ٢ . ومما يؤخذ على هذه البيعة انها لم تكن جامعة لاهل الحل والعقد الذي يعتبرونه هم شرطا اساسيا في حصول الاجماع وفي مشروعية الانتخاب ، فقد الغى القوم استشارة الطبقة الرفيعة في الاسلام فلم يعتنوا

(١) النص والاجتهاد ص ٧

بآرائها ولم يأخذوا موافقتها في الخليفة الجديد ، كما ان المكان الذي اجرى فيه الانتخاب كان مخفيا الى ابعد الحدود يقول عبد الوهاب النجار
« يرى المطلع على الشكل الذي حصلت به بيعة أبي بكر ان الاستشارة في أمرها كانت ناقصة نقصا ظاهرا لان المعقول في مثل هذه الحال أن يتخذ المسلمون مكانا يجتمعون فيه وان يؤذن الناس به من قبل .. » ^(١)

إن انتخاب أبي بكر كان مشوها الى أبعد الحدود ، فقد انسحبت عن اختياره وانتخابه الشخصيات الفذة التي ساهمت في بناء كيان الاسلام وفي طليعتها الامام أمير المؤمنين ٧ ومن يمت إليه من الهاشمين ووجوه الصحابة كسلمان الفارسي ، وأبي ذر وعمار بن ياسر ، وأبي بن كعب ، ومن الهاشمين الزبير وعتبة بن أبي لهب والعباس وغيرهم كما امتنع جميع الانصار أو بعضهم عن البيعة ، وقالوا « لا نباع الا عليا » ^(٢) ومع انسحاب هذا العدد الضخم من الانتخاب ، وفيهم الضروس ، والرؤوس ، والاعلام من المهاجرين والانصار كيف تكون البيعة مشروعة ، والانتخاب صحيحا؟!!!

٣ . ان المسلمين قد أرغموا على بيعة أبي بكر ، وأكروها عليها ولم تكن ناشئة عن اختيارهم وارادتهم فقد لعبت درة عمر في تحقيقها وايجادها حتى ذهل المسلمون ، ولم يشترطوا في ضمن العقد أن يسير الخليفة على كتاب الله وسنة نبيه كما اشترطوا ذلك على الخلفاء من بعده ولعل لهذه الاسباب حكم عمر بعدم مشروعيتها ، وعدم مشروعية أساليبها ، كما حكم بالقتل لمن يعود لمثلها.

(١) الخلفاء الراشدون : ص ١٦

(٢) تأريخ ابن الاثير

امتناع امير المؤمنين عن البيعة :

وامتنع أمير المؤمنين ٧ عن البيعة ، واعلن سخطه البالغ على أبي بكر لأنه نخب تراثه ، وسلب حقه ، وهو يعلم أن محله من الخلافة محل القطب من الرحي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير . على حد تعبيره . لذلك كان ٧ لا يظن ان احدا يرقى منبر الخلافة غيره وقد اعلن ذلك بوضوح لما جاء إليه عمه العباس وطلب منه أن يبايعه فقال له :

يا بن أخي امدد يدك أبايعك ، فيقول الناس : عم رسول الله ٦ بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان. «
فاجابه الامام :

« ومن يطلب هذا الأمر غيرنا »^(١)

لقد قلده النبي ٦ بهذا المنصب الرفيع يوم غدیر خم ، واعلن له الولاية على مالأ من الناس ، بالاضافة الى وصاياه المتظافرة التي حث فيها أمتة على متابعتة ، وتسليم قيادتها بيده ، يقول الدكتور طه حسين في هذا الموضوع ما نصه :

« نظر العباس في الأمر فرأى ابن أخيه أحق منه بوراثنة هذا السلطان لأنه ربيب النبي ، وصاحب السابقة في الاسلام ، وصاحب البلاء الحسن الممتاز في المشاهد كلها ، ولأن النبي كان يدعوه أخاه حتى قالت له أم أيمن : ذات يوم مداعبة تدعوه أخاك وتزوجه ابنتك! ولأن النبي قال له : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي. وقال للمسلمين يوما آخر : من كنت مولاه فعلى مولاه. من أجل ذلك اقبل العباس

(١) الامامة والسياسة ١ / ٤

بعد وفاة النبي على ابن اخيه فقال له : ابسط يدك ابايعك .. »^(١)
لقد تخلف امير المؤمنين عن البيعة فلم يسالم القوم ، ولم يمنحهم الرضا واعلن سخطه عليهم ،
وحاججهم وناظرهم ، وقد حفل نهجه بتدمره البالغ وسخطه الشديد على القوم لأنهم سلبوا تراثه
، وجحدوا ولايته وحقه.

احتجاج ومناظرات :

واحتج الامام أمير المؤمنين ٧ على القوم بأنه أولى بالامر واحق به منهم ، وكذلك احتج
عليهم من يمت إليه من الهاشمين ، وذوي السابقة في الاسلام من اعلام المهاجرين والانصار ،
والى القراء بعض تلك الاحتجاجات :

١ . الامام امير المؤمنين

ولما اخذ أمير المؤمنين ٧ قسرا ليباع أبا بكر قال له القوم بعنف :
« بايع أبا بكر »

فاجابهم وهو رابط الجأش ثابت الجنان

« أنا احق بالأمر منكم ، لا أبايعكم وانتم اولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الامر من الانصار
واحتججتهم عليهم بالقرابة من النبي ٦ وتأخذونه منا أهل البيت غصبا ، أستم زعمتم للانصار
أنكم اولى بهذا الامر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة ، وسلموا إليكم الامارة ، وأنا
احتج عليكم بمثل ما احتججتهم به على الانصار نحن اولى برسول الله حيا وميتا ، فانصفونا ان
كنتم تؤمنون وإلا فبوءوا بالظلم وانتم تعلمون .. »

(١) على وبنوه ص ١٩

وسلك ٧ بهذا الاحتجاج الصارم الطريقة التي سلكها المهاجرون أمام الانتصار من انهم امس
الناس رحما برسول الله ، وهذا الملاك الذي هتف به المهاجرون واتخذوه وسيلة لتحطيم آمال
خصومهم موجود في الامام ٧ على النحو الاكمل فهو ابن عم النبي ٦ وختنه على ابنته ، ومما
وسع ابن الخطاب أمام هذا المنطق الا أن يسلك طريق العنف ، وهو طريق من يعوزه الدليل
والبرهان فقال له :

« إنك لست متروكا حتى تباع »

فصاح به أمير المؤمنين

« احلب حلبا لك شطره ، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غدا .. »

وثار الامام وهتف يزار

« والله ، يا عمر لا اقبل قولك ، ولا اباعه .. »

وخاف ابو بكر ان يصل الأمر الى ما لا تحمد عقباه فاقبل على الامام يتلطف به ويقول له
بناعم القول.

« إن لم تباع فلا أكره .. »

وحاول أبو عبيدة ارضاء الامام فقال له :

« يا بن عم إنك حدث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم
بالامور ولا ارى أبا بكر إلا أقوى على هذا الامر منك وأشد احتمالا واضطلاعا به ، فسلم لأبي
بكر هذا الأمر ، فانك إن تعش ويطل بك بقاء ، فانت لهذا الامر خليف وبه حقيق في فضلك
ودينك وعلمك ، وفهمك وسابقتك ، ونسبك وصهرك .. »

وأثارت هذه المخادعة كوامن الالم والاستياء في نفس الامام فاندفع يخاطب المهاجرين ويذكر
لهم مآثر اهل البيت : قائلا :

« الله الله يا معشر المهاجرين! .. لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره ، وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه؟ .. فو الله يا معشر المهاجرين لنحن احق الناس به . لأننا أهل البيت . ونحن أحق بهذا الامر منكم ، ما كان فينا القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، الدافع عنهم الامور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا .. »^(١)

ودفع الامام باحتجاجة الرائع جميع شبه القوم فلم يترك لهم نافذة الا سدّها ببليغ حجته وقوة برهانه ، فان أبلغ ما تمسك به أبو عبيدة لاثبات ولاية أبي بكر أنه أكبر سنا من امير المؤمنين وذلك عنده مقياس الصواب وفصل الخطاب ، ولكنه منطق مفلوج في نظر الاسلام ، فان المقياس عنده في قيم الرجال أن تتوفر فيهم المواهب والكفآت والعقريات فمن تمتع بها فهو الخليفة بزعمه الامة ، وبإدارة شئونها ، ولهذا الجهة نظر الامام في احتجاجة فبين لهم الصفات الرفيعة الماثلة في أهل البيت : من الفقه بدين الله ، والعلم بسنن رسوله والاضطلاع بامور الرعية ودفع الشر والمكروه عنها ، والقسم بينها بالسوية ، وهذه الصفات التي اعتبر الاسلام مثولها في الحاكمين والمسئولين لم تتوفر الا عند أهل البيت : فهم احق بالأمر وأولى به من غيرهم.

٢ . الزهراء

واحتجت سيدة نساء العالمين بحجج بالغة على القوم ، وبينت لهم سوء ما فعلوا ، وعظيم ما ارتكبوا قالت سلام الله عليها :

(١) الامامة والسياسة ١ / ١١ - ١٢

« ويجهم انى زحزحوها . أي الخلافة . عن رواسي الرسالة؟! وقواعد النبوة ، ومهبط الروح الأمين ، الطين ^(١) بأمر الدنيا والدين ، ألا ذلك هو الخسران المبين ، وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا والله منه نكير سيفه وشدة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره في ذات الله ، وتالله لو تكافئوا ^(٢) على زمام نبذه إليه رسول الله ﷺ ، لاعتقله ^(٣) وسار بهم سيرا سجحا ^(٤) لا يكلم خشاشه ^(٥) ولا يتتبع راكبه ^(٦) ولأوردتهم منهلا روبا فضفاضا ^(٧) تطفح ضفتاه ^(٨) ولا يترنم جانباه ^(٩) ولأصدرهم بطانة ^(١٠) ونصح لهم سرا واعلانا ، غير متحل منهم بطائل الا بغمر الناهل ^(١١) وردعة سورة الساعب ^(١٢) ولفتح عليهم بركات من السماء والارض ، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون ، الا هلم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجباً!! وإن تعجب فقد اعجبك

(١) الطين : الخبير

(٢) التكافؤ : التساوي

(٣) اعتقله : أي وضعه بين ركابه ، وساقه كما يعتقل الرمح

(٤) سجحا : أي سهلا

(٥) الخشاش : عود يجعل في انف البعير يشد به الزمام

(٦) لا يتتبع راكبه . أي لا يصيبه اذى

(٧) فضفاضا : أي يفيض منه الماء

(٨) تطفح ضفتاه : أي يمتلئ ويفيض جانباه

(٩) الترنم : الصوت

(١٠) اصدرهم بطانة : أي اشبعهم وافاض عليهم بالنعم والخيرات

(١١) غمر الناهل : أي رى الظمان

(١٢) ردعة سورة الساعب : كسر شدة الجوع

الحادث الى أي لجأ لجئوا؟! وبأى عروة تمسكوا لبئس المولى ولبئس العشير ، بئس للظالمين بدلا ، استبدلوا والله الذنابي بالقوادم ، والعجز بالكاهل ^(١) فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، الا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، يحهم أئمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع امن لا يهدي إلا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون ، أما لعمر إلهكن لقد لقحت ، فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوها طلاع العقب دما عبيطا وذعافا ممقرا ^(٢) هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف التالون غب ما اسس الاولون ، ثم طيبوا عن انفسكم نفسا وطمأنوا للفتنة جأشا ، وابشروا بسيف صارم ، وبقرح شامل يدع فيئكم زهيذا ، وجمعكم حصيدا ، فيا حسرة لكم انلزمكموها وانتم لها كارهون .. » ^(٣)

وشجبت بضعة الرسول ٦ في خطابها الرائع البليغ الاعتداء الصارخ على آل البيت : ، ونددت بمن غصب الخلافة الاسلامية منهم ، فان القوم قد وضعوها في غير موضعها ، وضيعوا بذلك عترة نبيهم وهم رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة والامامة ، وفي بيوتهم هبط الروح الامين ، وتنزل الذكر الحكيم ، وقد حفل خطابها القيم بامور بالغة الخطورة وهي :

١ . انها ذكرت اهم الاسباب الوثيقة التي من اجلها زهد القوم

(١) الكاهل : سند القوم ومعتمدتهم يقال « فلان شديد الكاهل » اي منيع الجانب

(٢) الذعاف : الطعام الذي يجعل فيه السم ، المقتر : المر

(٣) بلاغات النساء ص ٢٣ ، اعلام النساء م ٣ / ١٢١٩ . ١٢٢٠ الاحتجاج للطبرسي البحار للمجلسي شرح النهج

في أبي الحسين ، ونقموا منه :

(أ) . نكير سيف الامام الذي حصد به رءوس المشركين والملحدين ونافح به عن رسول الله
٦ في جميع المواقع والمشاهد ، ووتر به الاقربين والابعدين في سبيل اقامة دعائم الدين ، ومن
الطبيعي أن ذلك اولد في نفوس القوم عظيم الحقد والكراهية.

(ب) . شدة وطأته ٧ فقد كان حتف الكافرين ، وغيظ المنافقين ، لم يصانع ، ولم يحاب ،
ولم تأخذه في الله لومة لائم وهو القائل « وأيم الله لانصفن المظلوم من ظالمه ، ولاأخذن الظالم
بجرامته ، حتى اورده منهل الحق وان كان كارها »

(ج) . تتمره في ذات الله ، فقد وهب ٧ نفسه لله ، ورصد جميع طاقاته لاحياء دين الله ،
واقامة سننه ، وقد قذف نفسه في لهوات الحروب ، وخاض الغمرات والأهوال ، ووطأ صماخ
المشركين باخمصه حتى استقام امر هذا الدين ، وقام على سوقه عبل الذراع كل ذلك ببركة جهوده
، وعظيم جهاده.

ان هذه الاسباب : هي التي أدت الى بغض القوم وحقدهم عليه ، بالاضافة الى حسدهم
على ما منحه الله من المواهب والكمالات ، والحسد يولد ضغنا وحقدا في النفوس ، ويلقى الناس
في شر عظيم.

٢ . ان الامة لو قلدت امورها الى أمير المؤمنين ، وتابعت قول رسول الله ٦ فيه لظفرت بما يلي

:

١ . انه يسير فيهم بسيرة العدل والحق ، ويحكم بما انزل الله تعالى ولا يضام في ظل حكمه
احد ، ولا تهدر كرامة اي فرد منهم.

٢ . انه يوردهم منهلا عذبا ، ويقود ركبهم الى شاطئ الامن والسلامة ويفيض عليهم بالخير
والبركات ، ويغدق عليهم بالنعم فلا يشكو

احد في ظل عدله الحرمان والجوع والفقر.

٣ . انه ينصح لهم في السر والعلانية ، ويهديهم الى سواء السبيل

٤ . ان الامام سلام الله عليه لو تقلد زمام الحكم لما تحلى من دنياهم بطائل ، وما استأثر من اموالهم بشيء ، ولشاركهم في البأساء والضراء وقد حقق ذلك حينما آلت إليه أمور المسلمين ، فقد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعامه بقرصيه وما وضع لبنه على لبنه ، وواسى الفقراء والمحرومين وقد قال كلمته الخالدة في المواساة.

« أقنع من نفسي بان يقال أمير المؤمنين ، ولا اشاركهم في مكاره الدهر وجشوبة العيش » ولم يحفل تأريخ المسلمين بحاكم مثله في زهده ، وورعه ، وعدله ، وتجنبه عن اموال الرعية ، وقد بقيت سيرته من اروع الامثلة التي يعتز بها المسلمون.

٥ . ان الامام (ع) لو تولى الخلافة من بعد الرسول ٦ لانتشرت الخيرات والبركات ، وعمت النعم جميع ارجاء البلاد ، واكل الناس من فوق رؤوسهم ومن تحت ارجلهم ، ولكن المسلمين حرموا انفسهم السعادة وحرموها لالاجيال اللاحقة من بعدهم ، فقد استبدلوا الذنابي بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، وتركوا من يهديهم الى الحق ويسير فيهم بسيرة العدل.

٣ . واستشفت بضعة الرسول ٦ من وراء الغيب النتائج الفظيعة التي تترتب على ما ارتكبه القوم وهي كما يلي :

(أ) انتشار الفتن بين المسلمين ، وانشقاق صفوفهم وتفلل وحدتهم

(ب) . تنكيلهم وارهاقهم من قبل السلطات الجائرة.

(ج) . استبداد الظالمين بشئونهم

وقد تحققت هذه النتائج الخطيرة على مسرح الحياة حينما استولى الأمويون على زمام الحكم ، فقد حكم معاوية رقاب المسلمين وولى عليهم جلاوزته الجلادين امثال سمرة بن جندب ، وبسر بن ارطاة ، وزباد بن أبيه ، فامعنوا فى ارهاق المسلمين والتنكيل بهم ، واذاعوا الخوف بين المسلمين ، وفي عهد زياد كان الناس يقولون : « انج سعد فقد هلك سعيد » وتولى من بعده يزيد فاستعمل على المسلمين ابن مرجانة ففعل الأفاعيل المنكرة التي سود بها وجه التاريخ ، وهكذا اخذت الخلافة الاسلامية تنتقل من ظالم الى ظالم ، ومن جائر الى جائر حتى ضجت البلاد من الظلم والجور والاستبداد.

ولهذه الاسباب الوثيقة التي بينتها فى خطابها ناهضت الحكم القائم ، وناجزته بجميع امكانياتها ، وطالبت المسلمين بالقيام لقلب الحكم ، ودعتهم الى الثورة لاستنقاذ الحق الغصيب فقد طاف بها زوجها المظلوم اربعين يوما على بيوت المهاجرين والانصار تسألهم النجدة والنصرة فكانوا يقولون لها :

« يا بنت رسول الله .. قد مضت بيعتنا لهذا الرجل »

فتجيبهم مستنكرة

« افتدعون تراث رسول الله يخرج من داره الى غير داره؟ »

واخذوا يعتذرون لها قائلين :

« يا بنت رسول الله .. لو أن زوجك سبق إلينا قبل أبي بكر لما عدلنا به »

ومجيبهم أمير المؤمنين

« أفكنت أدع رسول الله فى بيته لم ادفنه ، ثم أخرج انازع الناس سلطانه؟ »

وتدعم بضعة الرسول قول أمير المؤمنين فتقول :

« ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له .. وقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه »^(١)

وقد خطبت سلام الله عليها خطبتها الشهيرة واستنهضت . في كثير من فصولها . همم المسلمين وحفزتهم على الثورة وطالبتهم بارجاع الخلافة الى أمير المؤمنين فقد قالت مخاطبة بني قيلة :

« أيها بني قيلة ، أأهضم تراث أبي وانتم بمراى ، ومسمع تبلغكم الدعوة ، وشمكم الصوت وفيكم العدة ، ولكم الدار والجنن ، وانتم نخبه الله التي انتخبت وخيرته التي اختار . باديتهم العرب ، وبادهتم الامور ، وكافحتم البهم ، حتى دارت بكم رحى الاسلام ، ودر حلبة وخبت نيران الحرب ، وسكنت فورة الشرك ، وهدأت دعوة الهرج ، واستوثق نظام الدين ، أفتأخرتم بعد الاقدام ، ونكصتم بعد الشدة ، وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكصوا أيمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا في دينكم ، فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلمهم ينتهون .. »^(٢)

وقد اثارت حفاظ النفوس ، والهبت نار الثورة في خطابها الكبير إلا أن أبا بكر استقبلها بالاعتذار ، واللين ، وظهر لها بالغ الاحترام والتقدير فاخذ الثورة وشل حركتها ، فلم تجد سلام الله عليها مجالا لاسترجاع حق أمير المؤمنين ٧ واخذت تبث الشكوى والشجى الى أبيها وخلدت الى الصبر على ما انتابها من المحن والخطوب.

٣. الامام الحسن

وما استقر في نفس أمير المؤمنين ٧ من اللوعة والأسى على

(١) الامامة والسياسة ١ / ١٢

(٢) اعلام النساء ٣ / ١٢١٤

ضياع حقه وغصب تراثه قد استقر في نفس وليده الامام الحسن ٧ فقد انطلق إلى مسجد جده ٦ فرأى أبا بكر على منبر المسجد يخطب الناس فالتاع ووجه إليه لاذع النقد قائلاً له :

« انزل ... انزل عن منبر أبي ، واذهب الى منبر أبيك!! »

وبحث ابو بكر ، وتطلعت ابصار الناس إلى القائل فاذا هو حفيد الرسول ٦ وريحانته ، فاخذتهم الحيرة والدهشة ، وساد عليهم الوجوم ، واسترد أبو بكر خاطره فتدارك الموقف فقال له بناعم القول :

« صدقت والله. إنه لمنبر أبيك لا منبر أبي .. »^(١)

إن احتجاج الامام الحسن ٧ . وهو في غضبون الصبا . انبعث عن نضوج وطموح وذكاء ، وكشف عن آلام مرهقة كان يكنها في اعماق نفسه على ضياع حق أبيه.

كان يرى المنبر يرقاه جده الرسول ٦ وهو يدعو الناس الى الله ، ويهديهم الى سواء السبيل ، وقد اختفى ذلك النور ، واحتجب ذلك الصوت ، وهو لا يجد أحدا خليقاً بأن يخلفه سوى أبيه سيد الاوصياء الذي نافع عن رسول الله ٦ في جميع المواقف والمشاهد.

(١) الرياض النضرة ١ / ١٣٩ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ١٧ مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ٩٣ المناقب ٢ / ١٧٢ وجاء في الإصابة ٢ / ١٥ ان هذا الاحتجاج كان من الامام الحسين ، وجاء في الصواعق المحرقة ص ١٠٥ وفي الصبان المطبوع على هامش نور الابصار ص : ١٢٥ ان الحسن قال لأبي بكر هذه الكلمة ، ووقع للحسين ذلك مع عمر بن الخطاب.

٤ . سلمان الفارسي

واندفع سلمان الفارسي ابن الاسلام البار ، ومنيع التقوى والصلاح ، الى الانكار على القوم والاحتجاج عليهم فقد راح يتكلم مع أبي بكر قائلاً له :
« يا أبا بكر .. الى من تسند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه؟! وإلى من تفزع اذا سئلت عما لا تعلمه؟ وما عذرک في تقدم من هو اعلم منك ، واقرب الى رسول الله ، واعلم بتأويل كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه ، ومن قدمه النبي في حياته ، واوصاكم به عند وفاته ، فبذتم قوله ، وتناسيتم وصيته ، واخلفتم الوعد ، ونقضتم العهد ، وحللتهم العقد ، الذي كان عقده عليكم ، من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد! » ^(١)

٥ . عمار بن ياسر

وانطلق الطيب ابن الطيب عمار بن ياسر الى محاجة القوم فقال لهم :
« يا معاشر قريش .. ويا معاشر المسلمين ، إن كنتم علمتم وإلا فاعلموا أن أهل بيت نبيكم أولى به واحق بارثه ، وأقوم بامور الدين ، وآمن على المؤمنين ، واحفظ لملته ، وانصح لأمته فمروا صاحبكم فليرد الحق الى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ، ويضعف أمركم ، ويظهر شقاقكم ، وتعظم الفتنة بكم ، وتختلفون فيما بينكم ، ويطمع فيكم عدوكم ، فقد علمتم أن بني هاشم أولى بهذا الامر منكم ، وعلي أقرب منكم الى نبيكم ، وهو من بينهم وليكم بعهد الله ورسوله ، وفرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد حال عند سد النبي ﷺ أبوابكم التي كانت الى المسجد كلها غير بابه ، وإثاره إياه بكرمته فاطمة ، دون ساير من خطبها إليه منكم ، وقوله ﷺ : انا مدينة العلم ، وعلي بابها ، ومن

(١) احتجاج الطبرسي ص ٤٢ - ٤٣

أراد الحكمة فليأتها من بابها ، وانكم جميعا مضطرون فيما اشكل عليكم من أمور دينكم إليه ، وهو مستغن عن كل أحد منكم الى ما له من السوابق التي ليست لأفضلكم عند نفسه ، فما بالكم تحيدون عنه ، وتبتزون عليا على حقه ، وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، بئس للظالمين بدلا ، اعطوه ما جعله الله له ، ولا تولوا عنه مدبرين ، ولا ترتدوا على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين .. (١)

٦ . خزيمة بن ثابت

وانبرى الصحابي العظيم خزيمة بن ثابت فقال : « أيها الناس ، الستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قبل شهادتي وحدي ، ولم يرد معي غيري؟ فقالوا بلى. قال : فاشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل ، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم ، وقد قلت ما علمت ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .. »

٧ . أبو الهيثم بن التيهان

وانطلق الصحابي الكبير أبو الهيثم بن التيهان فقال : « وأنا أشهد على نبينا ﷺ أنه أقام عليا يوم غدير خم ، فقالت الانصار ما أقامه الا للخلافة ، وقال بعضهم : ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله ﷺ مولى له ، وكثر الخوض في ذلك فبعثنا رجالا منا الى رسول الله ﷺ فسألوه عن ذلك؟ فقال : قولوا لهم : على ولي المؤمنين بعدي ، وانصح الناس لأمتي ، وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، إن يوم الفصل كان ميقاتا .. »

(١) احتجاج الطبرسي ص ٤٣

٨ . سهل بن حنيف

واندفع سهل بن حنيف فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي وآله ثم قال :
« يا معشر قريش ، اشهد على رسول الله ٦ وقد رأيته في هذا المكان . يعني في جامعته . وقد
أخذ بيد علي بن أبي طالب ٧ وهو يقول : أيها الناس هذا علي إمامكم من بعدي ، ووصيي في
حياتي؟ وبعد وفاتي ، وقاضي ديني ، ومنجز وعدي ، وأول من يصافحني على حوضي ، وطوبى
لمن تبعه ، ونصره ، والويل لمن تخلف عنه وخذله .. ».

٩ . عثمان بن حنيف

وقام عثمان بن حنيف فقال : « سمعنا رسول الله ٦ يقول : أهل بيتي نجوم الأرض فلا
تتقدموهم فهم الولاة من بعدي فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ، وأي أهل بيتك؟ فقال :
علي والطاهرون من ولده .. »

١٠ . أبو أيوب الانصاري

وقال أبو أيوب الانصاري : « اتقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم ، وردوا إليهم حقهم
الذي جعله الله لهم ، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا ٧ ومجلس بعد مجلس
يقول : أهل بيتي أئمتكم بعدي ، ويومئذ الى على ويقول : هذا أمير البرة ، وقاتل الكفرة مخذول
من خذله ، منصور من نصره فتوبوا الى الله من عملكم ، إن الله تواب رحيم ، ولا تتولوا عنه
مدبرين ، ولا تتولوا عنه معرضين .. » ^(١)

(١) الاحتجاج للطبرسي ٤٣ - ٤٤ وذكره غيره.

١١ . عتبة بن أبي لهب

وقام عتبة بن أبي لهب وهو يذرف الدموع وينشد :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقة واعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن^(١)
الى غير ذلك من الاحتجاجات الصارمة التي اقامها كبار المسلمين وثقاتهم على احقية الامام
٧ بالأمر ، ولكن القوم اعاروا ذلك أذنا صماء واصبروا على صرف الخلافة عن أهل البيت .:

كبس دار الامام

وتخلف امير المؤمنين ٧ عن بيعة أبي بكر ، واحتج عليه بأنه اولى بالخلافة منه ، واعلن سخطه
البالغ على القوم ، وقد انضم إليه اعلام الاسلام ، ووجوه المسلمين كعمار بن ياسر ، وأبي ذر ،
والزبير ، وخالد بن سعيد ، وغيرهم ، فكانوا يعقدون الاجتماع في داره ، ويتداولون فيها
الاحاديث ، وثقل على أبي بكر ذلك ، وعظم عليه ، فاقتضت سياسته أن يكبس دار الامام ،
ويقابله بالشدة والصرامة ، ويتخذ معه جميع الإجراءات الحاسمة ، فاصدر أوامره الى عمر بكبس
داره ، وحمله على البيعة قسراً ، فراح عمر يشند ومعه الشرطة والجنود ، وقد رأى ان خير وسيلة
لحمل الامام على الطاعة ان يحرق داره ، ويشعل فيها النار ، فحمل مشعلاً من النار ، وحمل
القوم حزمة الحطب وانطلقوا مسرعين يعلوهم الغضب ليحرقوا البيت الذي اذن الله أن يرفع ،
ويذكر فيه اسمه!! البيت الذي

(١) تأريخ ابي الفداء ١ / ١٥٦

اذهب الله عن أهله الرجس ، وطهرهم تطهيراً!! وهجم عمر على الدار وهو مغيط مخنق يصيح
باعلى صوته.

« والذي نفس عمر بيده ليخرجن ، أو لأحرقنها على من فيها؟ » ^(١) فعذله طائفة ، وحذرت
من عقوبة الله قائلة :

« ان فيها فاطمة .. »

فصاح فيها غير مكترث ولا مبال

« وإن! وإن! »

وطالعتهم حبيبة الرسول ﷺ وبضعته ، وقد علاها الرعب ، واستولى عليها الذهول فوجهت
إليهم لاذع القول :

« لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا ، وقطعتم
امرکم بینکم لم تستأمرونا ، ولم تردوا لنا حقاً ».

وتبدد جبروت القوم ، وذاب عنفهم ، واسرع عمر الى أبي بكر يحفره على المضى في حمل
الامام على البيعة قائلاً :

(١) ان تهديد عمر لامير المؤمنين بحرق داره إن لم يبايع ثبت بالنصوص المتواترة ودونه اغلب المؤرخين فقد ذكرت في
الامامة والسياسة ١ / ١٢ . ١٣ ، شرح النهج لابن ابي الحديد ١ / ٣٤ تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٢ ط دار المعارف تاريخ
ابي الفداء ١ / ١٥٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٥ ، اعلام النساء ٣ / ٢٠٥ ، الاموال لابي عبيد ١٣١ ، مروج الذهب
١ / ٤١٤ ، الامام على لعبد الفتاح ١ / ٢١٣ وذكرها في الجزء الرابع ص ١٧١ ، ونظمها شاعر النيل حافظ ابراهيم
فقال :

وقولة لعلي قالمها عمر اكرم بسامعها اعظم بملقيها

حرق دارك لا ابقى عليك بما ان لم تباع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير ابي حفص بقائلها امام فارس عدنان وحاميها

« ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟! »

فارسل أبو بكر قنفذا خلف الامام فابى ٧ من الحضور ، فانطلق عمر ومعه معاونوه الى بيت الامام ففرع الباب ، واقتحم على الاسد عرينه فانطلقت بضعة الرسول ٦ وهي تحتف بابيها وتستغيث به قائلة :

« يا أبت ، يا رسول الله ... ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب ، وابن أبي قحافة!!؟ »

وتصدعت القلوب ، وذابت النفوس من هول المصاب ، وانصرف القوم باكين ، وبقي ابن الخطاب ومعه حزيه وبدا عليه الحنق والغضب ولم يجد معه تعنيف بضعة الرسول ، فاخرج أمير المؤمنين بعنف وانطلق به إلى أبي بكر ، فقال له :

« بايع »

« وإن لم افعل؟ » « »

فبادر القوم ، وقد اضلهم الهوى قائلين له :

« والله. الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك .. »

فصمت ٧ برهة ، ونظر الى القوم ، فاذا ليس له معين ولا ناصر فقال بصوت حزين النبرات.

« إذا تقتلون عبد الله ، وأخا رسوله!! »

واندفع ابن الخطاب ، وهو مندلع الثورة فرد على الامام

« اما عبد الله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا!! »

وتناسى عمر ان امير المؤمنين اخو النبي ، ونفسه وباب مدينة علمه ، والتفت الى أبي بكر يحثه

على الايقاع به ، قائلاً :

« الا تأمر فيه بأمرك؟؟ »

وحاذر أبو بكر من الفتنة ، وخاف ان تندلع نيران الثورة فقال :
« لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جانبه .. »
واطلقوا سراح الامام فراح يهرول الى قبر النبي ٦ يستنجد به ويناجيه وهو يبكي أمر البكاء رافعا صوته.

(يَا بَنَ أُم) .. (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي ، وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ..)

لقد استضعفه القوم ، واستوحده ، واستباحوا حرمة ، وقفل ٧ الى البيت راجعا وهو كئيب حزين قد أحاط به الهم والاسى ، واتضح له ما يكنه القوم في نفوسهم من الحقد والكراهية له.

مصادرة فذك

ولما فتحت الجيوش الاسلامية حصون خيبر قذف الله الملح والرعب في قلوب أهالي فذك ، وخيم عليهم الذعر والخوف فهرعوا إلى رسول الله ٦ ونزلوا على حكمه ، وصالحوه على نصف اراضيهم فكانت ملكا خالصا له لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ، ولما انزل الله تعالى على نبيه قوله : (وَأَنْتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ) بادر ٦ فانخل فاطمة فذكا ، ووضعت يدها عليها وتصرفت فيها تصرف الملاك في املاكهم ، وبعد وفاته ٦ اقتضت سياسة أبي بكر أن يصادرها ، وينتزعها من يد الزهراء ٣ لئلا تقوى شوكة الامام ، ويغلب جانبه ، وهو حرب اقتصادية باعته اضعاف الروح المعارضة ، وشل الحركة المعادية له ، وهذا ما عليه الدول قديما وحديثا أمام خصومها ، وقد مال الى هذا الرأي علي بن مهنا العلوي قال :
« ما قصد أبو بكر ، وعمر بمنع فاطمة عنها . اي عن فذك . إلا

أن يقوى علي بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة .. » ^(١)

وبعد ما استولى أبو بكر على فذك ، واخرج منها عامل الزهراء انبرت سلام الله عليها إليه فطالبته بردها فما اجابها الى ذلك ، وطلب منها إقامة البينة على صدق دعواها ، وهو من الغرابة بمكان . اولاً . ان ذلك لا ينطبق بحال على ما قرر في الفقه الاسلامي من أن صاحب اليد لا يطالب بالبينة ، وانما البينة على المدعي ومع عدم وجودها فلا حق له الا اليمين على المنكر ، والزهراء سلام الله عليها هي صاحبة اليد ، فلا تطالب بالبينة وانما يطالب بها أبو بكر ، ومع عدم وجودها عنده فلا حق له سوى اليمين عليها ، ولكنه أهمل ذلك وصمم على أن تقيم البينة . وثانياً . ان فاطمة سيدة نساء هذه الأمة ، وخير نساء العالمين ، على حد تعبير أبيها رسول الله ﷺ واجمع المسلمون على أنها ممن انزل الله فيهم آية التطهير ، وهي تدل على طهارة ذيلها وعصمتها ، وهي اصدق الناس لهجة حسب قول عائشة ^(٢) أفلا يكفى ذلك كله في تصديقها ، واجابة قولها؟

وعلى اي حال فقد مضت ربحانة الرسول ﷺ فاحضرت أمير المؤمنين ، وأم أيمن فشهدا عنده ان رسول الله ﷺ انحلها فذكا ، فرد الشهادة واعتذر بأن البينة لم تتم ، وهذا لا يخلو أيضاً من المؤاخذات . اولاً . انه لا يتفق مع القواعد الفقهية فانها صريحة في أن الدعوى اذا كانت على مال أو كان المقصود منها المال فانها تثبت بشاهد ويمين فان اقام المدعي شاهدا واحدا فان على الحاكم أن يحلفه بدلا من الشاهد الثاني فان حلف اعطاه الحق ، وإن نكل رد الدعوى ،

(١) اعلام النساء ٣ / ١٢١٥

(٢) حلية الأولياء ٢ / ٤١ ، مستدرک الحاكم ٣ / ١٦٠

ولم يطبق ذلك أبو بكر فالغى الشهادة ورد الدعوى ، وثانيا . انه رد شهادة أمير المؤمنين ، وهو مع القرآن ، والقرآن معه لا يفتقران كما قال رسول الله ﷺ (١) . وثالثا . انه رد شهادة السيدة الصالحة أم إيمان وقد شهد رسول الله ﷺ بأنها من أهل الجنة (٢)

وخرجت سيدة النساء من عند أبي بكر وهي تتعثر باذيالها من الخيبة قد انهد كيانها ولم بها الشجى والحزن يقول الامام شرف الدين نصّر الله مثواه.

فليتة اتقى فشل الزهراء في مواقفها بكل ما لديه من سبل الحكمة ، ولو فعل لكان ذلك أحمد في العقبي ، وابتعد عن مظان الندم ، وأنأى عن مواقف اللوم ، واجمع لشمل الامة واصلح له بالخصوص

وقد كان في وسعه أن يربأ بوديعة رسول الله ﷺ ووحيدته عن الخيبة ويحفظها عن أن تنقلب عنه وهي تتعثر باذيالها ، وما ذا عليه ، إذ احتل محل أبيها لو سلمها فدكا من غير محاكمة؟! فان للامام أن يفعل ذلك بولايته العامة ، وما قيمة فدك في سبيل هذه المصلحة ، ودفع هذه المفسدة؟ « (٣)

إن أبا بكر لم يصنع الجميل ، ولم يفعل المعروف مع بضعة الرسول ﷺ فقد كان بوسعه أن يقر يدها على فدك ، ولا يستعمل معها اللف والدوران ، ولا يواجهها بمثل هذه القسوة والجفوة ، ولكن الأمر كما حكاه على بن الفارقي احد اعلام بغداد ومن المدرسين في مدرستها

(١) مستدرک الحاكم ٣ / ١٢٤ الصواعق المحرقة ص ٧٥

(٢) الاصابة

(٣) النص والاجتهاد : ص ٣٧

الغريبة ، واحد شيوخ ابن أبي الحديد فقد سأله
. أكانت فاطمة صادقة . في دعواها النحلة ؟.

. نعم

. فلم لم يدفع لها أبو بكر فدكا وهي عنده صادقة؟

قال ابن أبي الحديد : فتبسم ، ثم قال : كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه ، وحرمته وقلة
دعابته ، قال : لو اعطاها اليوم فدكا بمجرد دعواها لجاءت إليه غدا ، وادعت لزوجه الخالفة ،
وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكن حينئذ الاعتذار بشيء ، لأنه يكون قد سجل على نفسه بأنها
صادقة فيما تدعي كائنا ما كان من غير حاجة الى بينة ولا شهود «
نعم لهذه الجهة اجمع القوم على هضمها ، وسلب تراثها ، واستباحوا رد شهادة أمير المؤمنين ،
وتركوا عترة النبي ﷺ يتقطعون حشرات ، ويتصعدون زفرات قد خيم عليهم الهم والغم واخذهم من
الحزن ما يذيب لفائف القلوب ومن الوجمل ما تميد به الجبال.

ندم ابى بكر

وندم أبو بكر أشد الندم على ما فرط مع بضعة الرسول ﷺ وأخذ يؤنبه ضميره على ما صدر
منه من كبس دارها ، وحمل مشاعل النار لاحراقها فقال :
« وددت أني لم اكشف بيت فاطمة ، ولو انهم اغلقوه على الحرب. » ^(١)
وجزع جزعا شديدا على ما ارتكبه مع وديعة النبي ﷺ فانطلق مع صاحبه عمر الى بيتها ليطيها
خاطرها ويفوزا برضاها ،

(١) كنز العمال ٣ / ١٣٥ ، الطبري ٤ / ٥٢

فاستأذنا عليها فأبّت أن تأذن لهما ، ثم استأذنا ثانيا فأبّت ، فسارا الى أمير المؤمنين وطلبا منه أن يمنحهما الإذن لمقابلة وديعة النبي ٦ فانطلق ٧ الى الدار فالتمس من سيدة النساء أن تأذن لهما فاجابته الى ذلك فأذن (ع) لهما ودخلا فسلما عليها فلم تجهما ، وتقدما فجلسا أمامها فازاحت بوجهها عنهما ، وراحا يلحان أن تسمع مقالتهما ، فاذنت لهما في ذلك فقال أبو بكر : « يا حبيبة رسول الله والله ان قرابة رسول الله أحب الى من قرابتي ، وإنك لأحب الى من عائشة ابنتي ولوددت يوم مات أبوك أني مت ، ولا ابقى بعده ... أفتراني اعرفك وأعرف فضلك وشرفك وامنعك حقك وميراثك من رسول الله؟ الا أني سمعت رسول الله يقول :

« لا نورث ما تركناه فهو صدقة »

وقد فندت روايته بضعة الرسول ٦ بما اقامته . في خطابها الكبير . من اوثق الأدلة على بطلان قوله ومساواة النبي لعموم المسلمين في الميراث ، والتفتت سلام الله عليها إلى أبي بكر وقد اشركت عمر معه في خطابها قائلة :

« ونشدتكما الله ... ألم تسمعا رسول الله يقول : رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي ، فمن احب فاطمة ابنتي فقد أحبنى ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن اسخط فاطمة فقد أسخطني؟ »

فاجابا بالتصديق قائلين :

« اجل سمعناه يقول ذلك »

فرفعت كفيها إلى السماء وراحت تقول بفؤاد مكلوم

« فاني اشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني ، وما أرضيتمايني ... ولئن لقيت رسول الله

لأشكو كما إليه! »

وانطلق أبو بكر ييكي فقالت له :

« والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها .. » ^(١)

(فما كان أشدها كلمات أخف من وقعها ضربات السيف! مادت الأرض تحتها ، ودارت كالرحى حتى سارا من هول ما لقيتا يترنحان. وغادرا الدار وقد خبا أملهما في رضا زهراء الرسول ، وعلمتا مدى الغضب الذي أثاراه عليهما في قلبها ومدى السخط الذي باء به) ^(٢)

وحقا لأبي بكر أن ييكي ويحزن من غضب سيدة النساء عليه فقد قال رسول الله ﷺ لها :

« إن الله يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك » ^(٣)

لقد ضاقت الدنيا على أبي بكر ، ولاذ بدموعه ليخفف بها آلامه واحزانه فقد فاته رضاء بضعة الرسول ﷺ الذي هو من رضاء الله

كل هذه الحوادث كانت بمرأى من الامام الحسن ومسمع فكان لها الاثر في موطن شعوره فقد جعلته واجدا على من تقمص حق أبيه وناقما على من احتل مركزه

شجون الزهراء

وطافت بوديعة النبي ﷺ موجات من الهموم والاحزان

(١) الامامة والسياسة ١ / ١٤ ، اعلام النساء ٣ / ١٢١٤ ، الامام على ١ / ٢١٧

(٢) الامام على ١ / ٢١٧ . ٢١٨

(٣) مستدرک الحاكم ٣ / ١٥٣ ، اسد الغابة ٥ / ٥٢٢ ، تهذيب التهذيب ١٢ / ٤٤١ ، ميزان الاعتدال ٢ / ٧٢ ،

كنز العمال ٦ / ٢١٩ ، ذخائر العقبى ص ٣٩ مقتل الخوارزمي ١ / ٥٢

وغشيتها سحب من الكدر واللوعة ، على ضياع حقها ، وعلى فقد أبيها ، فقد حدثوا أنها لم تر ضاحكة ، ولا داخلها السرور بعده حتى لحقت به فكانت لا تفكر الا به ، ولا تذكر اسمه إلا مقرونا بالتفجع والآلام.

وكانت تزور جدته الطاهر فتطوف به وهي حيرى فتبل أديمه المقدس بدموع سخية ، وتلقي بنفسها على القبر وهي ذاهلة اللب ، مصدوعة الجسم ، منهدة الكيان فتأخذ من ثرى القبر قبضة فتضعها على عينيها ووجهها وتطيل من ثمها وتقيلها وهي تبكي أمر البكاء وترفع صوتها الحزين النبرات قائلة :

ما ذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا^(١)
ينظر الحسن ٧ الى هذا الحزن البهيم الذي حل بأمه الرؤم فينصدع قلبه ، ويذرف من الدموع مهما ساعدته الجفون ، يرى الحسن وهو في غضون الصبا لوعة المصائب التي دعت أمه الحنون حتى وهت قوتها ولون الاسى وجهها كأنها صورة جثمان قد فارقت الحياة ، فيغرق في الدموع والشؤون.

أي حزن هذا الذي حل بابنة الرسول ٦ وريحانته

(١) نور الابصار ص ٤٢ ، وذكر ابن شهر آشوب في المناقب ٢ / ١٣١ زيادة على هذين البيتين وهي :

قل للمغيب تحوت اطباق الثرى	إن كنت تسمع صرختي ونـدائيا
قد كنت ذات حمى بظل محمد	لا اختشي ضيما وكان جماليا
فاليوم اخضع للذليل واتقي	ضيما وادفع ظالمي بردائيا
فاذا بكت قمرية في ليلها	شجنا على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلن الحزن بعـدك مؤنسي	ولأجعلن النـدمع فيك وشاحيا

حتى ضربوا بها المثل في الحزن ، وعدوها من البكائين الخمس ^(١) الذين مثلوا الحزن والاسى على مسرح الحياة؟؟

وبلغ من عظيم حزنهما ان أنس بن مالك استأذن عليها ليعزيها بمصاحبها الجليل فاذنت له وكان ممن وسد رسول الله ﷺ في مقره الأخير فقالت.

« أنس بن مالك »

« نعم ، يا بنت رسول الله »

فقدمت له سؤالا مقرونا بالتفجع والآلام

« كيف طابت نفوسكم أن تخطوا التراب على رسول الله؟. » ^(٢)

وخرج أنس وقلبه كاد أن يقضي حسرة ، قد علا صوته بالبكاء ، وكانت سلام الله عليها تطالب أمير المؤمنين بالقميص الذي غسل فيه رسول الله ﷺ فاذا رآته شتمته ووضعتة على عينيها ، ويدوب قلبها من ألم الحزن حتى يغشى عليها.

وهكذا بقيت بضعة الرسول بعد أبيها قد اضناها الحزن ، وزاد في احزانها جحد القوم حقها وسلبهم لثرائها ، وبقي الحسن يشاهد ما منيت به أمه من الكوارث والخطوب وهو مصدوع الجسم ، قد ذبلت نضارة صباه لا يعرف في نهاره إلا شجرة الأراك حيث يمضي مع أمه ليساعدها في النوح ويخفف عنها اللوعة والحسرة ويستمر معها طيلة النهار في حزن وكمد فاذا اوشكت الشمس أن تغرب تقدمها مع أبيه وأخيه قافلين الى الدار فيجد الوحشة والهلم قد خيما عليها ،

(١) البكاءون الخمس : آدم ، ويعقوب ، ويوسف ، وعلي بن الحسين ، وفاطمة ، ذكر ذلك المجلسي في البحار ١٠ /

وقلع القوم الشجرة التي كانت تستظل بها فكانت تبكي مع ولديها في حر الشمس ، فقام أمير المؤمنين فبنى لها بيتاً أسماه بيت الاحزان فكانت تجلس فيه وتبكي على أبيها وتناجيه وتبته الشكوى.

وأحاطت بها الآلام ، وفتكت بها الامراض فلازمت الفراش ، ولم تتمكن من النهوض والقيام وبادرت نساء المسلمين يعدنها فقلن لها :

« كيف اصبحت من علتك يا بنت رسول الله؟. »

فرمقتهن بطرفها ، واعربت لمن عما تكنه في نفسها من الاسى قائلة « أجدي كارهة لدنياكن ، مسرورة لفراقكن ، القى الله ورسوله بحسرات منكن فما حفظ لي الحق ، ولا رعيت مني الذمة ، ولا قبلت الوصية ، ولا عرفت الحرمه. »^(١)

وعدنها بعض نساء النبي ﷺ فقلن لها :

« يا بنت رسول الله ... صيري لنا في حضور غسلك حظا ... »

فأبت وقالت :

« اتردن أن تقلن في ، كما قلتن في أمي ، لا حاجة لي في حضوركن »

الى الرفيق الاعلى

وبرح المرض بآبنة الرسول ، وانهك الحزن جسمها النحيل ، واضر الأسى بقلبها الرقيق المعذب ، حتى مشى إليها الموت وهي في فجر الصبا وروعة الشباب ... فوا لهفتاه على حبيبة النبي وريحانته ، لقد دنا إليها الموت سريعا ، وحن موعد اللقاء بينها وبين أبيها الذي اشتاقت إليه وتطلبت لقياه بفارغ الصبر.

(١) تاريخ يعقوبي ٢ / ٩٥.

ولما علمت بدنو الاجل المختوم منها استدعت امير المؤمنين فاوصته بوصيتها ، وأهم ما فيها أن يوارى جثمانها في غلس الليل البهيم ، وأن لا يصلي عليها ، ولا يقوم على قبرها أحد من الذين ظلموها وجحدوا حقها لأنهم اعداؤها وأعداء أبيها . على حد تعبيرها . وانصرف الامام وهو غارق في البكاء ، قد استجاب لأحاسيس نفسه الولهى الذي لم يترك الزمن فيها فراغا لغير الاسى والحزن.

واحبت ان يصنع لها نعش يوارى جثمانها المقدس لان الناس كانوا يضعون الميت على سرير تبدو فيه جثته فكرهت ذلك ، وما احبت أن ينظر إليها أحد فاستدعت اسماء بنت عميس^(١) واخبرتها بما ترومه فعملت لها سريرا يستر من فيه قد شاهدته يوم كانت في الحبشة ، فلما نظرت إليه تبسمت وهي اول ابتسامة شوهدت لها بعد وفاة أبيها^(٢)

(١) اسماء بنت عميس بن سعيد بن الحارث الخثعمي ، وامها هند بنت عوف ابن زهير من كنانة ، اسلمت قبل دخول رسول الله (ص) دار الازم بمكة ، وبايعت وهاجرت الى ارض الحبشة مع زوجها جعفر بن ابى طالب. وقالت يا رسول الله ، ان رجالا يفخرون علينا أن لسنا من المهاجرين الاولين ، فقال ﷺ : بل لكم هجرتان هاجرتم الى ارض الحبشة ونحن مرهنون بمكة ، ثم هاجرتم بعد ذلك. روت عن النبي (ص) ستين حديثا ، وكان عمر بن الخطاب يسألها عن تفسير المنام ، وفرض لها الف درهم ، ولما استشهد زوجها تزوجها ابو بكر فولدت له الطيب محمد ولما مات ابو بكر تزوجها امير المؤمنين (ع) وهي اخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي (ص) واخت أم الفضل زوج العباس ، ترجمت في اسد الغابة ٥ / ٣٩٥ وتهذيب التهذيب والاستيعاب ، واعلام النساء وطبقات ابن سعد وغيرها.

(٢) مستدرک الحاكم ٣ / ١٦٢

وفي اليوم الاخير من حياتها كانت فرحة مسرورة لعلمها باللحاق بابيها الذي بشرها انها تكون
اول أهل بيته لحوقا به ، وعمدت لولديها فغسلت لهما ، وأمرتهما ، بالخروج لزيارة قبر جدهما
فخرجا وهما يفكران في الأمر هل ان أمهما قد أخكتها العلة ، واضر الداء بها حتى لا تستطيع ان
تمضي الى بيت الاحزان الذي الفتة؟! او انها تريد أن تبكي في هذا اليوم في ثوبها؟! كيف البكاء
وشيوخ المدينة قد منعوها من البكاء؟! وغرقا في بحر من الهموم وتيار من الهواجس.

والتفتت الى سلمى بنت عميس^(١) وكانت تتولى خدمتها وتمريضها فقالت لها.

« يا أماه »

« نعم يا حبيبة رسول الله »

« اسكي لي غسلا »

فانبرت وأتت لها بما طلبته من الماء فاغتسلت فيه ، وهي على احسن ما تكون ، وقالت لها :

« ايتني بثيابي الجدد »

فناولتها ثيابها ، وهتفت بها ثانية « اجعلي فراشي وسط البيت »

فذهلت المرأة وقامت تتعثر باذيالها فصنعت لها ذلك فاضطجعت على فراشها ، واستقبلت

القبلة والتفتت الى سلمى قائلة :

« يا أمه ... اني مقبوضة الآن ، وقد تطهرت ، فلا يكشفني احد »^(٢)

(١) سلمى بنت عميس اخت اسماء وهي احدى الاخوات اللاتي قال فيهن رسول الله (ص). الاخوات مؤمنات ، وهي

زوج حمزة بن عبد المطلب جاء ذلك في اسد الغابة ٥ / ٤٧٩

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ١٧ وفي مسند الامام احمد بن حنبل ٦ / ٤٦١ وفي

وقبضت في وقتها وقد انطوت في ذلك اليوم الخالد في دنيا الاحزان اروع صفحة من صفحات الفضيلة والطهر والعفاف ، وانقطع بموتها آخر من كان في دنيا الوجود من نسل رسول الله وقفل الحسنان راجعين الى الدار فنظرا فاذا ليس فيها أمهم فبادرا الى سلمى فقالا.

« سلمى اين امناء؟ »

فبادرت إليهما ، وقد احاطت بها رعشة الدهول والارتباك ، وغامت عيناها بالدموع فقالت :

« يا سيدى إن أمكما قد ماتت ... فاخيرا بذلك أباكما .. »

وا شرفا على الموت بهذا النبأ المريع فبادرا الى المسجد ، وقد علا منهما البكاء فاستقبلهما المسلمون ، قائلين :

« ما يبكيكما يا بني رسول الله؟ لعلكما نظرتما الى موقف جدكما فبكيكما شوقا إليه؟ »

فاجابا بصوت مشفوع بالاسى والعبوات

« أو ليس قد ماتت أمنا فاطمة »

وسلبا شعور المسلمين بهذا النبأ المؤلم ، وتركوا الالم يحز في قلوبهم لانهم فقدوا بضعة نبيهم واعز ابنائه وبناته عنده ، وهم لم يحفظوا مكانتها ولم يؤدوا حقها ، وهرعوا من كل جانب الى دار الامام ليفوزوا بتشيع بقية النبوة ، القديسة الطاهرة ، وازدحموا على بيت الامام ، وقد علاهم الندم والاسى على عدم قيامهم بمراعاة بضعة نبيهم ٦ الذي بر بدينهم وديناهم. وامر الامام سلمان الفارسي أن يصرف الناس فخرج سلمان وصرفهم

ذخائر العقبي ص ٥٣ ان التي شهدت وفاة الصديقة هي أم سلمة لا سلمى بنت عميس.

واقبلت عائشة فارادت الدخول الى بيت الامام فمنعتها اسماء وقالت لها :

« لقد عهدت الي فاطمة أن لا يدخل عليها أحد .. »^(١)

وقام الامام الثاكل الحزين فغسل الجسد الطاهر وطيبه بالحنوط ، وادرجه في الاكفان ودعا باطفالها الذين لم ينتهلوا من حنان امهم فلقوا عليها نظرة الوداع ، وقد علا منهم الصراخ والعويل ، وبعد الفراغ من ذلك انتظر الهزيع الاخير من الليل فلما حل خرج مع حفنة من الرجال وهم يحملون الجثمان المقدس الى مقره الاخير ، ولم يخبر امير المؤمنين احدا من الناس سوى الصفوة من اصحابه تنفيذا لوصيتها^(٢) وحفر (ع) لها قبرا في البقيع على ما قيل^(٣) ووسدها فيه واهال عليها التراب ، ولما انصرف من كان معه من المشيعين وقف على حافة القبر ونار الحزن قد لسعت قلبه ، فجعل ينادي الرسول ، ويؤبى زهراء بكلمات تنم عن قلب افعم بالآلام والحسرات.

(١) اسد الغابة ٥ / ٥٢٤ ، كنز العمال ٧ / ١١٣

(٢) ذكر ذلك شراح البخاري من المجلد الثامن ص ١٥٧ وفي مستدر الحاكم ٣ / ١٦٢ عن عائشة قالت : دفنت فاطمة بنت رسول الله (ص) ليلا ودفنها على (ع) ولم يشعر ابو بكر حتى دفنت وصلى عليها علي ، ويوجد هذا الحديث في مسند احمد ١ / ٦ و ٩ وفي صحيح مسلم ٢ / ٧٢ وفي تاريخ الطبري ٣ / ٢١٢ وفي سنن البيهقي ٦ / ٣٠٠ وفي مشكل الآثار للطحاوي وذكره ابن كثير في تاريخه ٥ / ٢٨٥ وقال في ج ٦ / ٣٣٣ لم تزل فاطمة تبغضه مدة حياتها ، وفي السيرة الحلبية ٣ / ٣٩٠ قال الواقدي : ثبت عندنا ان عليا كرم الله وجهه دفنها رضي الله عنها وصلى عليها ومعه العباس والفضل ولم يعلموا بها احدا.

(٣) البحار ١٠ / ٥٢ وجاء فيه ان ابن بابويه يذهب الى انها دفنت في بيتها وذهب شيخنا ابو جعفر الطوسي الى انها دفنت اما في دارها او في الروضة.

« السلام عليك يا رسول الله ، عنى وعن ابنتك النازلة في جوارك ، والسريعة اللحاق بك ...
قل يا رسول الله عن صفيتك صبرى ، ورق عنها تجلدي ... الا أن في التأسي بعظيم فرقتك ،
وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدرى نفسك
... إنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة ، أما حزني فسرمد وأما
ليلي فمسهد ^(١) الى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم ، وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على
هضمها فاحفها السؤال ^(٢) واستخبرها الحال ... هذا ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر.
والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم ^(٣) فان انصرف فلا عن ملالة ، وان اقم فلا عن
سوء ظن بما وعد الله الصابرين .. » ^(٤)

(١) الليل المسهد : الذي ينقضي بالسهر

(٢) الاحفاء بالسؤال : الاستقصاء ، ويطلب سلام الله عليه من النبي ان يكثّر من سؤال بضعته لتخبره بما جرى عليها
من الخطوب والكوارث والآلام التي تجرعتها من صحابته.

(٣) القالى : المبعض ، والسئم ماخوذ من السامة وهي ملال الشيء

(٤) شرح النهج محمد عبده ٢ / ٢٠٧ . ٢٠٨ واختلف في تأريخ وفاتها ففي طبقات ابن سعد ٨ / ١٨ انها توفيت بعد
وفاة ابيها (ص) بثلاثة اشهر ، وكان عمرها يوم وفاتها عشرين سنة ، وفي مستدرک الحاكم ٣ / ١٦٢ انها توفيت بعد
وفاة ابيها بثمانية اشهر ، وقيل لم تمكث إلا شهرين ، وكان عمرها الشريف احدى وعشرين سنة ، وفي البحار ١٠ /
٦٠ انها توفيت بعد ابيها بخمسة وسبعين يوما ، وقيل باربعين يوما وكان عمرها ثمانى عشر سنة وشهرين نقله عن السيد
المرتضى علم الهدى وذكر اقوالا أخر.

واعلن الامام (ع) بهذه المناجاة الحزينة عن تظافر الأمة على هضم وديعة النبي ٦ في الوقت الذي لم يطل فيه غيابه ، ولم ينقطع ذكره ويطلب منه أن يستقصي في السؤال من بضعته لتخبره بما جرى عليها بعده من الشؤون والشجون ، وتعرفه بما لاقتته من الظلم والاذى والاضطهاد يصغي الامام الحسن ٧ الى هذه المناجاة الحزينة من أبيه فتلم به آلام مبرحة ، ويحف به حزن مرهق ، وتضاعف حزنه وشجاه حينما رأى أعز ما في الحياة عنده أمه الرءوم قد عاشت في هذه الدنيا وعمرها كعمر الزهور ، وفاجأها الموت وهي في شبابها الغض الازهار ، وقد حملت على الآلة الحديد في غلس الليل البهيم ولم يحضر أحد من المسلمين تشييعها عدا نفر قليل ، وهي بضعة النبي ٦ وريحانته ، ووديعته في امته واعز من أحب من أبنائه وبناته ، وقد ذاق من هذه الكوارث وهو في دوره الباكر مرارة الحياة ، وصار قلبه موطنًا للهموم ، ومركزًا للاحزان والشجون.

اعتزال الامام

وانصرف امير المؤمنين ٧ بعد أن ودع بضعة الرسول ٦ في الثرى ، وهو يبكي أمر البكاء ، وعاد الى البيت وهو كئيب حزين ، ينظر الى اطفاله وهم يندبون امهم ويبكون على فادح المصاب ، فتهيج أحزانه ، وتزداد آلامه ، ويشاهد حقه وتراثه فيرى الرجال قد تناهبوه فتلم به الكوارث والخطوب ، فأثر ٧ العزلة ، واحب الخلود الى السكون في داره ، وقد اعتزل ٧ عن الناس فصار جليس بيته ، لا يجتمع بالناس ، ولا يجتمعون به قد اعرض عن القوم ، واعرضوا عنه ، لا يراجعهم ، ولا يراجعونه ، ولا يشاركونه في جميع الامور اللهم إلا إذا حلت في ناديتهم مشكلة لا يعرفون جوابها ، ولا يهتدون لحلها ، فزعوا إليه ليكشف لهم الستار عنها ، وكان ٧ تارة يتولى جواب ذلك

بنفسه ، واخرى يحيله الى ولده الحسن للتدليل على فضله ومواهبه ، فمن ذلك ما حدث به الرواة ان اعرابيا سأل أبا بكر فقال له :

« إني اصبت بيض نعام فشويته وأكلته ، وانا محرم فما يجب علي؟. »

فتحير ابو بكر ولم يطق جوابا ، واحال الجواب الى عمر فتحير أيضا ، واحال الجواب الى عبد الرحمن فعجز عنه ، وفزعوا جميعا الى باب مدينة علم النبي ﷺ ليهديهم الى الجواب ، ووجه إليه الاعرابي السؤال السالف فقال (ع) :

« سل أي الغلامين شئت . وأشار الى الحسن والحسين . »

ووجه الاعرابي سؤاله الى الامام الحسن فقال (ع) له .
ألك إبل؟

. نعم .

. فاعمد الى ما أكلت من البيض نوقا فاضر بهن في الفحول ، فما ينتج منها ، اهده الى بيت

الله العتيق ، الذي حججت إليه .. »

والتفت إليه أمير المؤمنين

« يا بني. إن من النوق السلوب ، وما يزلق ^(١) »

فاجابه الحسن عن اشكاله.

« يا ابة. إن يكن من النوق السلوب ، وما يزلق فان من البيض ما يمرق ^(٢) وكان جوابه ٧

على وفق ما قرر في الفقه الاسلامي في كفارة الاحرام ، واستحسن أمير المؤمنين جوابه فالتفت ٧ الى حضار مجلسه ، وهو يشيد بمواهب ولده ، وغزارة علمه وفضله ، قائلا :

« معاشر الناس .. إن الذي فهم هذا الغلام هو الذي فهمه سليمان بن داود ^(٣)

(١) السلوب : الناقة التي مات ولدها او القته بغير تمام ، الزلوق : الناقة التي تلقت ولدها بغير تمام.

(٢) يمرق : مأخوذ من مرقت البيضة اي فسدت

(٣) مناقب ابن شهر اشوب ٢ / ١٥٠ نقله عن القاضي في شرح الاخبار

لقد كان امير المؤمنين ٧ مرجعا للفتيا في حياة أبي بكر وعمر ومفزعاً للمسلمين إن حلت
يناديهم مشكلة ، وقد اتفقت الكلمة انه اعلم الصحابة بشئون الدين واحكام الشرع.

وفاة ابي بكر

وظل أبو بكر متمصا للخلافة زمنا يسيرا يدير شئون الامة ، ويتصرف في أمورها ، قد اعتمد
على عمر وأسند إليه مهام الدولة ، ولما مرض مرضه الذي توفي فيه وثقل حاله ادلى بالامر من
بعده إليه وقد انكر عليه طلحة هذا الاختيار فقال له :

« ما ذا تقول لربك ، وقد وليت علينا فظا غليظا؟ تفرق منه النفوس وتنفض منه القلوب » ^(١)

فسكت أبو بكر ، واندفع طلحة قائلاً :

« يا خليفة رسول الله ، إنا كنا لا نحتمل شراسته وأنت حي تأخذ على يديه ، فكيف يكون

حالنا معه ، وأنت ميت وهو الخليفة .. » ^(٢)

ولم ينفرد طلحة بهذا الانكار بل شاركه جمهور المهاجرين والانصار فقد بادروا الى أبي بكر
وقالوا له :

« نراك استخلفت علينا عمر ، وقد عرفته ، وعلمت بوائقه فينا ، وأنت بين أظهرنا ، فكيف

إذا وليت عنا ، وأنت لاق الله عز وجل فسائلك ، فما أنت قائل؟ .. »

فجابههم أبو بكر بصوت خافض

(١) شرح النهج لابن ابي الحديد ١ / ٥٥

(٢) شرح النهج ٦ / ٣٤٣ ط دار احياء الكتب العربية

« لئن سألتني الله لاقولن استخلفت عليهم خيرهم في نفسي ... »^(١)

وكون عمر خيرهم في نفسه ليس مبررا له في ترشيحه للخلافة ، فان الاجدر أن يأخذ رأي المسلمين في ذلك ويستشير أهل الحل والعقد منهم عملا بقاعدة (الشورى) ولكنه اهمل ذلك ، واستجاب لعواطفه ورغبته الملحة في أن يتولى زمام الحكم من بعده خدنه وزميله ، وعلى أي حال فقد كان عمر الى جانبه يعزز مقالته ورأيه فيه قائلا :

« أيها الناس ، اسمعوا ، واطيعوا قول خليفة رسول الله ٦ .. »^(٢)

ودعا أبو بكر عثمان بن عفان ، وامره أن يكتب له العهد في عمر وأملاه عليه وهذا نصه :
« هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة ، آخر عهده في الدنيا نازحا عنها. وأول عهده بالآخرة داخلا فيها ، إني استخلفت عليكم عمر ابن الخطاب ، فان تروه عدل فيكم فذلك ظني به ورجائي فيه ، وإن بدل وغير فالخير أردت ، ولا اعلم الغيب (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) »^(٣)

وتناول عمر الكتاب ، وانطلق يهرول الى الجامع ليقرأه على الناس فقال له رجل :

« ما في الكتاب يا أبا حفص؟ »

« لا ادري. ولكني أول من سمع وأطاع .. »

فنظر الرجل إليه نظرة ربه وانبرى قائلا :

(١) الامامة السياسة ١ / ١٩

(٢) تأريخ الطبرى ٤ / ٥٢

(٣) الامامة والسياسة ١ / ١٩ ، تأريخ الطبرى ، طبقات ابن سعد

« ولكني والله أدرى ما فيه : أمرته عام أول ، وأمرك العام .. » ^(١)

لقد مهد أبو بكر الأمر الى عمر ، وعبد له الطريق ، وتناسى أمير المؤمنين فلم يشاوره في الامر ، ولم يرع حقه ، وقد نطق ٧ بعد سنين عما يكنه في نفسه من عميق الالم والحزن يقول في خطبته الشهيرة بالشقشقية :

فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شحا ، أرى تراثي نهباً ، حتى مضى الاول لسبيله ، فادلى بها الى فلان بعده ، ثم تمثل بقول « الأعشى » :

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر
فيا عجباً!! بينا هو يستقلها في حياته ^(٢) إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشظرا ضرعيها .. ^(٣)

وهذه الكلمات قد عبرت عن عظيم الوجد ، وبالغ الاسى الذي استقر في نفس الامام على ضياع حقه ، ويعتقد بعض كتاب العصر أن السبب في عدول أبي بكر عن اختياره ، هو تخلفه عن بيعته ، واحتجاجه عليه بأنه أحق بالأمر منه لقربته من رسول الله ٦ مما اوجب بغض أبي بكر له ، وحقده عليه.

وزاد المرض بأبي بكر ، وثقل حاله حتى وافاه الأجل المحتوم ^(٤)

(١) الامامة والسياسة ١ / ٢٠

(٢) اشارة الى قول ابي بكر بعد ما بوع « اقبلوني فلست بخيركم »

(٣) نهج البلاغة محمد عبده ١ / ٢٦٠ - ٢٧٠

(٤) توفي ابو بكر ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وعمره ثلاث وستون سنة ، ومدة خلافته سنتان وثلاثة اشهر ذكر ذلك المسعودي في مروج الذهب ٢ / ١٩١ وكان في الجاهلية معلماً للصبيان ،

فقام عمر في شئونه ، ودفنه في بيت النبي ٦ وفي جواره ، وبيت النبي ٦ لا يخلو اما أن يكون ميراثا كما تقول به بضعة الرسول ٦ أو يكون صدقة كما زعم أبو بكر فان كان ميراثا فلا يحل دفنه فيه الا بعد ارضاء الورثة ، وان كان صدقة فلا بد من ارضاء جماعة المسلمين ، ولم يتحقق كل ذلك.

خلافة عمر

وتولى عمر بن الخطاب أزمة الحكم بعد وفاة أبي بكر ، وتسلم قيادة الأمة بحدوء وسلام ، فساس البلاد بشدة وعنف بالغين ، وقد تحامى لقاءه أكابر الصحابة ، فلم يستطع أحد منهم أن يجاهر بآرائه ، أو ينقد الحكم القائم ، فان درة عمر . كما يقولون . كانت أهيب في النفوس من سيف الحجاج ، حتى ان ابن عباس لم يتمكن أن يصرح برأيه في جواز المتعة ، وحليتها الا بعد وفاة عمر ، وقد وصف الامام أمير المؤمنين ٧ بعد اعوام سياسة عمر ، وشدة عنفه يقول ٧ :
« فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسها ، ويكثر العثار فيها ، والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، إن اشفق لها خرم وان اسلس لها تقحم ، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس ، وتلون واعتراض .. »^(١)

وهو وصف دقيق للسياسة العمرية التي انتهجت منهج الشدة والغلظة في جميع مجالاتها حتى مني الناس بخبط وشماس وتلون واعتراض ، وبلغ من

وفي الاسلام خياطا ، وكان ابوه فقيرا ، يكتسب من صيد القمارى والدباسي ، ولما عمى وعجز ابنه عن القيام به التجأ إلى عبد الله بن جدعان احد رؤسا . مكة فنصبه ينادى على مائدته جاء ذلك في حق اليقين ١ / ١٨١
(١) نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١ / ١٦٢

عظيم عنفها ان امرأة جاءت تسأله عن أمر ، وكانت حاملا ، ولشدة خوفها اجهضت حملها ^(١) ويقول عثمان في شدة عمر وقسوته : « لقد وطئكم ابن الخطاب برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه فخفتموه ، ورضيتم به » ويذهب الناقدون الى هذه السياسة انها لا تمثل وجهة السياسة الاسلامية ، فانها لا تقر بحال سياسة العنف والارهاب ، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فأخذته هيبة النبي فارتعدت اعضاؤه فنهره ﷺ وقال له : « انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » إن الاسلام بنى على الرفق ، واللين ، والتسامح وليس لرئيس الدولة أن يسلك أي طريق يؤدي الى ارهاق المواطنين وعنائهم.

ومما يؤخذ على السياسة العمرية انها كانت تنهج إلى ايجاد الطبقة في الاسلام ، فقد التزم في سياسته المالية بتقديم بعض الطبقات على بعض في العطاء ، فقدم امهات المؤمنين على غيرهن ، وقدم البدرين على من سواهم ، والمهاجرين على الانصار ^(٢) ومن الطبيعي أن ذلك يتنافى مع المساوات التي جاء بها الاسلام.

ومما يرد على سياسة عمر أنه فرض الحصار على الصحابة في يثرب ولم يسمح لهم بمغادرتها وذلك يجافي الحرية التامة التي اقرها الاسلام ، ومنحها لجميع المواطنين. ولعل لهذه الجهات وصف أمير المؤمنين عهد عمر بأن المجتمع قد منى فيه بحبظ وشماس وتلون واعتراض.

(١) نهج البلاغة ١ / ١٧٤

(٢) الأموال لأبي عبيد ص ٢٢٤

اعتزال الامام

واعتزل الامام امير المؤمنين ٧ في دور الخليفة الثاني كما اعتزل في عهد الخليفة الاول ، فلم يشترك في شأن من شئون القوم ، ولم يتدخل في أمر من أمورهم ، حتى خفت صوته في جميع الحروب والمواقف اللهم الا رأيه الوثيق اذا استفتي حتى اشتهرت كلمة عمر في ذلك : لو لا علي لهلك عمر ^(١) فقد كان عمر لا يستغنى عن الامام من ناحية الفتيا لأن معلومات الخليفة في الفقه الاسلامي كانت ضئيلة للغاية فقد قضى في ميراث الجد مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم خاف في الحكم في هذه المسألة فقال : من أراد أن يقتحم جرائم جهنم فليقل في الجد برأيه ، ^(٢) وقال : لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي ٦ الا ارتجعت ذلك منها ، فقالت إليه امرأة :

« ما جعل الله لك ذلك ، إنه تعالى قال : (وَآتَيْنَهُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً) ^(٣) »

فانطلق عمر وهو يبدى للمسلمين عجزه قائلاً :

« كل الناس أفتقه من عمر حتى ربات الحجال! ألا تعجبون من إمام أخطأ ، وامرأة اصابته فاضلت إمامكم ففضلته .. ^(٤) »

(١) السنن الكبرى ٧ / ٤٤٢ ، تفسير الرازي ٧ / ٤٨٤

(٢) نهج البلاغة ١ / ١٨١

(٣) سورة النساء : آية ٢٠

(٤) نهج البلاغة ١ / ١٨٢

وعلى أي حال فقد كان عمر قليل البضاعة في الفقه الاسلامي ليست له دراية في كثير من مسائله ، فكان بطبيعة الحال مضطرا الى الرجوع الى باب مدينة علم النبي ﷺ ووصيه ليكشف له الستار عما أشكل عليه ، وقد تصدى ٧ بسخاء لهذه الناحية ، ولم يظن على القوم بعلومه ومعارفه لئلا تهمل أحكام الله وتتعطل حدوده ، وهو في نفس الوقت كان بعيدا عن القوم كل البعد فلم يشترك في شأن من شئوهم قد خلد الى الانعزال ، والابتعاد عنهم ، وأظهر لهم المسألة حرصا منه على كلمة الإسلام ، وخوفا على كلمة المسلمين من الانشقاق.

وقد قطع الامام الحسن ٧ في عهد عمر دور الصبا حتى أشرف على ميعة الشباب ، وقد اقتضت سياسة عمر أن يجلب السبطين ويجعل لهما نصيبا فيما يعتنمه المسلمون ، ووردت إليه حلل من وشي اليمن فوزعها على المسلمين ونسأهما ، فبعث الى عامله على اليمن أن يرسل له حلتين ، فأرسلهما إليه فكسأهما وقد جعل عطاءهما مثل عطاء أبيهما ، وألحقهما بفريضة أهل بدر ، وكانت خمسة آلاف ^(١).

ولم تظهر لنا أي بادرة عن الامام الحسن ٧ ما عدا ذلك ، ويعود السبب الى عدم تدخل أبيه أمير المؤمنين ٧ في شئون عمر وعدم اشتراكه في أي جانب من الجوانب العامة.

اغتياله :

واغتاله أبو لؤلؤة غلام المغيرة قطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت سرتة وهي التي قضت عليه ، وتعزو بعض المصادر سبب ذلك الى ان المغيرة جعل

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٢١

عليه خراجا ثقيلا فشكا حاله الى عمر فزجره وقال له :
« ما خراجك بكثير من أجل الحرف التي تحسنها .. »
فتأثر أبو لؤلؤة ، وأضمر له الشر في نفسه ، واجتاز عليه في وقت آخر فسخر منه عمر قائلا :

« بلغنى أنك تقول : لو شئت أن أصنع رحي تطحن بالريح لفعلت .. »
فاندفع أبو لؤلؤة وقد لسعته سحرته فاحبره بما يبيت له من الشر قائلا :
« لأصنعن لك رحي يتحدث الناس بها .. »
وفي اليوم الثاني قام بعملية الاغتيال ^(١) وقيل ان اغتياله كان وليد مؤامرة دبرها الناقمون على سياسته التي انتهجت منهج الشدة والقسوة ، وخلقت الطبقية بين المسلمين.
ومهما يكن من أمر فقد حمل عمر الى داره ، وجراحاته تنزف دما وبادر أهله فأحضروا له طبيبا فقال له :
« أي الشراب أحب إليك؟. »
« النبيذ »

فسقوه منه ، فخرج من بعض طعناته ، فقال الناس : خرج صديدا ثم سقوه لبنا فخرج من بعض طعناته ، فيئس منه الطبيب وقال له :
« لا أرى أن تمسى ^(٢) ولما أيقن ولده عبد الله بموته قال له :
« يا أبة. استخلف على امة محمد ﷺ فانه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك ، وترك إبلك أو غنمه لا راعي لها لمته ، وقلت له :

(١) مروج الذهب ٢ / ٢١٢ ، الاستيعاب

(٢) الامامة والسياسة ١ / ٢١

كيف تركت أمانتك ضائعة؟! فكيف بأمة محمد ﷺ فاستخلف عليهم .. »
فنظر إليه نظرة ريبة فقال له :

« إن استخلف عليهم فقد استخلف أبو بكر ، وإن أتركهم فقد تركهم رسول الله ﷺ .. » ^(١)
وأقام عبد الله في حديثه برهانا تدعمه الفطرة على ضرورة نصب الوصي ، وتعيين ولي العهد ،
وان من أهمه يستحق اللوم والتقريع ، وهو أمر واضح لا مجال للشك فيه ، والعجب من عمر وهو
في ساعاته الأخيرة كيف يقول إن رسول الله ﷺ ترك أمته ولم يستخلف عليها أحدا من بعده!!
وهو ﷺ الحريص على أمته الذي يعز عليه عنتها واختلافها ، وانشقاقها وقد لاقى في سبيل هدايتها
أعظم العناء وأشقه ، ولعل (الوجع) قد غلب على عمر فنسي النصوص المتضافرة من رسول الله
ﷺ في أمير المؤمنين ٧ وأنه ولي عهده وخليفته من بعده ، وتناسى بيعته له يوم غدير خم ، وقوله
له : « بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة » ولكن إنا لله ، وإنا إليه
راجعون.

الشورى :

ولما يئس عمر من الحياة ، وأيقن بنزول الأجل المحتوم أخذ يطيل التفكير ، ويمعن النظر فيمن
يتولى شئون الحكم من بعده ، وتذكر أقطاب حزبه الذين شاركوه في تمهيد الأمر الى أبي بكر ،
وصرفه عن أهل بيت

(١) مروج الذهب ٢ / ٢١٢

النبوة فطافت به آلام مبرحة لأنه لم يكن أحد منهم إلا اختطفته يد المنون فجزع عليهم وقال بنبرة الأسف : « لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته لأنه أمين هذه الامة ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته لأنه شديد الحب لله تعالى ... »

لقد اسف على هلاك أبي عبيدة وسالم ، ولو كانا حين لرشحهما لمنصب الخلافة ، فهل لهما سابقة الجهاد في الاسلام؟ أو أنهما كانا أثيرين عند رسول الله ﷺ ليستحقا هذا المنصب الخطير .
لقد فتش عمر في سجل الاموات عمن هو أهل للخلافة ، ونسي أمير المؤمنين ٧ الذي هو نفس النبي ﷺ وباب مدينة علمه ، وباب دار حكمته ، وأقضى امته ، وأبو سبطيه ، وناصره في جميع المشاهد والمواقف ، لقد نساه عمر فلم يذكره بقليل ولا بكثير ، وعلى اي حال فقد رأى عمر ان يجعلها شورى في جماعة زعم أن الامام أحدهم ، وهي مؤامرة خطيرة دبرت ضد أمير المؤمنين ٧ يقول الامام كاشف الغطاء ؛ :

« الشورى بجوهرها وحقيقتها مؤامرة واقعية ، وشورى صورية ، وهي مهارة بارعة لفرض عثمان خليفة على المسلمين رغما عليهم ولكن بتدبير بارع عاد على الاسلام والمسلمين بشر ماله دافع .. »

ودعا عمر أعضاء الشورى فلما مثلوا عنده قال لهم :

« أكلكم يطمع بالخلافة بعدي؟ .. »

ووجهوا عن الكلام ، فأعاد القول عليهم ثانيا فانبرى إليه الزبير فرد عليه مقالته قائلا :

« وما الذي يبعدنا منها!! وليتها أنت فقمتم بها ولسنا دونك في

قريش ، ولا في السابقة ولا في القرابة .. »

والتفت إليهم فقال :

« أفلا أخبركم عن أنفسكم؟! »

« قل : فانا لو استعفيناك لم تعفنا .. »

وأخذنا يدلي برأيه فيهم ، ويخبر عن نفسياتهم واتجاهاتهم واحدا بعد واحد فقال في الزبير :

« أما أنت يا زبير ، فوقع لقس^(١) مؤمن الرضا كافر الغضب ، يوما انسان ، ويوما شيطان ، ولعلها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير!! أفرأيت إن أفضت إليك ، فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاننا ، ومن يكون يوم تغضب!! وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الامة ، وأنت على هذه الصفة. »

ومع علمه بنفسية الزبير ، وأنه يوم إنسان ، ويوم شيطان وأنه مبتل بالبخل والشح ويلطم بالبطحاء على مد من شعير كيف يرشحه للخلافة ، ويجعله من أعضاء الشورى؟؟!!

وأقبل على طلحة فقال له :

« أقول أم أسكت؟. »

فزجره طلحة وقال له :

« إنك لا تقول من الخير شيئا .. »

« أما إني أعرفك منذ اصيبت إصبعك يوم أحد وائيا^(٢) بالذي حدث لك ، ولقد مات رسول

الله ﷺ ساخطا عليك بالكلمة

(١) الوقع : الضجر المتبرم ، واللقس من لا يستقيم على وجه

(٢) وائيا : غاضبا

التي قتلها يوم انزلت آية الحجاب ... »

وإذا كان رسول الله ﷺ قد توفى وهو ساخط على طلحة كيف يرشحه للخلافة الإسلامية التي هي نيابة عن الرسول؟ كما أنه يناقض ما قاله أخيرا في أعضاء الشورى من أن رسول الله ﷺ مات وهو راض عنهم ، يقول الجاحظ : « لو قال لعمر قائل : أنت قلت : إن رسول الله ﷺ مات وهو راض عن الستة فكيف تقول الآن لطلحة : إنه مات ٧ ساخطا عليك للكلمة التي قتلها ، لكان قد رماه بمشاقصه ^(١) ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا فكيف هذا » وأقبل على سعد بن أبي وقاص فقال له :

« إنما أنت صاحب مقنب ^(٢) من هذه المقانب ، تقاتل به ، وصاحب قنص وقوس ، وأسهم ، وما زهرة والخلافة وأمور الناس!! »

فسعد بن أبي وقاص . حسب فراسة عمر . رجل حرب ، وقتال ، وصاحب قنص وقوس فلا يصلح للخلافة ، وليس خليقا بها هو وأسرته فكيف يرشحه عمر لها ويجعله من أعضاء الشورى الذين لهم الأهلية لتسلم قيادة الحكم؟!

والتفت الى عبد الرحمن بن عوف فقال له :

« وأما أنت يا عبد الرحمن ، فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك به ، ولكن ليس يصلح هذا الامر لمن فيه ضعف كضعفك وما زهرة وهذا الامر!.. »

(١) المشاقص : جمع مشقص وهو نصل السهم اذا كان طويلا

(٢) المقنب : جماعة الخيل

ان عبد الرحمن رجل إيمان وتقوى . حسب رأي عمر . ومن إيمانه الذي اضفاه عليه الخليفة أنه عدل عن انتخاب العترة الطاهرة ، وسلم قيادة الامة ، ومقدراتها بأيدي الامويين خصوم الاسلام واعداء الرسول ٦ ثم ان الايمان بذاته . كما يقول عمر . لا يصلح لترشيح صاحبه للخلافة ما لم تكن له دراية تامة بشئون المجتمع ، وخبرة وافرة بما نحتاج إليه الامة في جميع مجالاتها ، وعبد الرحمن . حسب اعتراف عمر . رجل كيف لا يليق للخلافة فكيف يرشحه لها ويجعله من أعضاء الشورى البارزين؟! وأقبل على أمير المؤمنين فقال له :

« لله أنت ، لو لا دعاية فيك! أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح ، والمحجة البيضاء .. »

ومتى كانت لأمر المؤمنين ٧ الدعاية والمزاح ، وهو الذي ما الف في حياته لغير الجد في القول والعمل ، وعلى تقدير اتصافه بها ، فهي من خلق الأنبياء ومن خلق الرسول ٦ بالاختصاص ، فقد ورد أنه كان ٦ يداعب الرجل ليسره بذلك.

وهل من الحيلة على الاسلام ، والمحافظة على وحدة الامة ، ورعاية صالحها أن يفتل عمر حبل الشورى ويجعل أمير المؤمنين ٧ أحد أعضائها ، وهو . حسب اعترافه . لو تولى زمام الحكم لحمل المسلمين على الحق الواضح والمحجة البيضاء ، ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه ، ولا يتتبع راكبه ، ولأوردتهم منهلا روبا فضفاضا تطفح ضفتاه ، ولا يترنم جانباه ، ولأصدرهم بطانا ، ونصح لهم سرا واعلانا . كما تقول بضعة الرسول ووديعته . ويقول النبي ٦ : « إن ولوا عليا فهاديا مهديا »^(١)

(١) الاستيعاب ٣ / ٥

ان الامام أمير المؤمنين ٧ لو استولى على زمام السلطة لوفر للمسلمين ما يحتاجون إليه من خيرات الحياة وأوجد لهم الفرص المتساوية ، وصان المثل الاسلامية من التدهور والانحطاط ، فهل من الانصاف أن تصرف الخلافة عنه وتجعل شورى بأسلوب يؤدي الى فوز الامويين بالحكم؟! وأقبل عمر على عثمان فقال له :

« هيهنا إليك!! كأني بك قد قلدتك قريش هذا الامر لحبها إياك فحملت بني أمية ، وبني أبي معيط على رقاب الناس ، وآثرتهم بالفئء فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب ، فذبجوك على فراشك ذبحا. والله لئن فعلوا لتفعلن ، ولئن فعلت ليفعلن ، ثم أخذ بناصيته ، فقال : فاذا كان ذلك فاذكر قولي .. »^(١)

ومع علمه بأنه يحمل بني أمية ، وبني أبي معيط على رقاب الناس ، ويؤثرهم بفئء المسلمين كيف يرشحه للخلافة ، ويمكنه من رقاب المسلمين ويعرض الامة للويلات والخطوب!! وبعد ما أدلى بحديثه التفت الى الجمهور قائلاً :

إن رسول الله ٦ مات وهو راض عن هؤلاء الستة من قريش ، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم واحدا منهم .. »

ثم قال للمرشحين : « احضروا معكم من شيوخ الانصار ، وليس لهم من أمركم شيء ، واحضروا معكم الحسن بن علي ، وعبد الله بن عباس فان لهما قرابة ، وارجو لكم البركة في حضورهما وليس لهما من

(١) شرح النهج لابن ابي الحديد ١ / ١٨٥ . ١٨٦

أمركم شيء .. » ^(١)

وما هي البركة التي تحصل لأعضاء الشورى بحضور الامام الحسن ، وعبد الله بن عباس ، وهما لا يملكان من الامر شيئا ، قد جردهما من الادلاء بالرأي ، كما جرد شيوخ الانصار من ذلك ، ولم يسمح لأحد منهم أن ييدي برأيه ، ثم التفت الى أبي طلحة الانصاري ^(٢) فقال له : « يا أبا طلحة ، إن الله أعز الاسلام بكم فاختر خمسين رجلا من الانصار ، فالزم هؤلاء نفر بامضاء الامر وتعجيله .. »

والتفت الى المقداد بن الاسود فإوصاه بمثل ذلك ثم قال :

« اذا اتفق خمسة ، وأبى واحد منهم فاضربوا عنقه ، وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضربوا عنقيهما ، وان اتفق ثلاثة منهم على رحل ، ورضي ثلاثة منهم برجل آخر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس .. »
وخرج الامام أمير المؤمنين المظلوم المهتضم ، وهو ملتاع حزين من الشورى العمرية قد أيس من الامر فالتقى بعمه العباس فبادره قائلا :
« يا عم لقد عدلت عنا .. »

(١) الامامة والسياسة ١ / ٢٤

(٢) ابو طلحة الانصاري هو زيد بن سهل النجار ، شهد مع النبي ﷺ بدرا ، ولما آخى ٦ بين اصحابه آخى بينه وبين ابي عبيدة الجراح ، وكان ابو طلحة من الرماة المعدودين ، ومن الشجعان المشهورين ، قتل يوم حنين عشرين رجلا ، وتزوج بام انس بن مالك ، توفي بالمدينة سنة احدى وثلاثين ، وكان عمره سبعين عاما ، وقد صلى عليه عثمان بن عفان ، اسد الغابة ٥ / ٣٣٤

ومن أعلمك بذلك؟! »

« لقد قرن بي عثمان .. وقال : كونوا مع الاكثر ، ثم قال : كونوا مع عبد الرحمن ، وسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر لعثمان ، وهم لا يختلفون فاما أن يوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن .. » ^(١)

لقد كشف ٧ عن المؤامرة التي دبرها الخليفة الراحل ضده فقد قتل حبل الشورى بهذا الاسلوب ليصرف الامر عنه ، وقد كوت هذه الصور المؤلمة قلبه فراح يقول بعد سنين :
« حتى اذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة زعم أي أحدهم ، فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت أقرن الى هذه النظائر .. »

أجل والله ، متى اعترض الريب فيه مع أبي بكر حتى صار يقرن بطلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف فهل في هؤلاء من هو كفؤ للامام في دينه وعلمه ، وجهاده ، وسابقته للاسلام ، وإنما استجاب ٧ لئن يكون من أعضاء الشورى مع وجود هذه المفارقات بينه ، وبين القوم ، فقد بينه في حديثه مع عبد الله بن عباس ، وخلاصته أن عمر قد أهله للخلافة وكان من قبل يقول : لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد فاراد أن يظهر أن أقواله تناقض أفعاله ، ولهذا السبب الوثيق انضم مع أعضاء الشورى

نظرة في الشورى :

وتواجه الشورى العمرية عدة من المؤاخذات فقد ذكر الناقدون لها

(١) الطبري ٥ / ٣٥

أنها لم تستند الى الاساليب الصحيحة ، ولم تبتن على الاسس الوثيقة ، وانها لم تنشئ بأي حال صالح الامة ، ولم تهدف الى حماية المجتمع وصيانه من القلق والاضطراب ، وإنما الغرض منها صرف الخلافة عن أمير المؤمنين ٧ وحرمان الامة من التمتع في ظل حكمه العادل ، فهي لم تكن شورى واقعية ، وإنما كانت شورى صورية مشفوعة بالعصية والاحقاد ، والى القراء بعض تلك النقود التي ترد عليها :

١ . إن حقيقة الشورى ان تشترك الامة بجميع هيأتها في الانتخاب والاختيار في جو تتوفر فيه الحريات العامة لجميع الناجين ، والشورى العمرية قد فقدت هذه العناصر فقد حيل بين الشعب والاختيار فان عمر منح الاختيار الى ستة اشخاص ومن الطبيعي أنهم لا يملكون إلا آراءهم الخاصة فلا يمثلون الامة ولا يحكون ارادتها على أنه ضيق الدائرة فجعل المناط بأراء الثلاثة الذين ينضم إليهم عبد الرحمن بن عوف ، وجعل آراءهم تعادل آراء بقية الشعوب الاسلامية ، وهذا شكل من اشكال التزكية التي تستعملها بعض الحكومات التي تفرض ارادتها على شعوبها ، لقد تصادمت هذه الشورى مع إرادة الشعوب الاسلامية ، وتنافت مع حرياتهم ، وقد فرضت عليهم فرضاً.

٢ . إن هذه الشورى قد ضمت أكثر العناصر المعادية لأمر المؤمنين ٧ والحاكمة عليه ففيها طلحة التيمي وهو من أسرة أبي بكر الذي نافس الامام على الخلافة ، وكانت بين تميم والامام أشد المنافسة والخصومة وضمت الشورى عبد الرحمن بن عوف ، وهو صهر عثمان ، بالاضافة الى أنه كان حقوداً على أمير المؤمنين ٧ فهو من جملة الذين حملوا الخطب في بيعة أبي بكر لحرق بيت الامام ، وضمت الشورى سعد بن أبي

وقاص ، وكان يحقد على الامام من أجل اخواله الامويين فان أمه حمنة بنت سفيان بن أمية ، وقد أباد الامام صناديدهم في سبيل الاسلام فكانت نفس سعد مترعة بالحقد والعداء على الامام من أجلهم ، ولما بايع المسلمون الامام كان سعد في طليعة المتخلفين عن بيعته ، واحتوت الشورى على عثمان وهو شيخ الاسرة الاموية التي عرفت بالنصب لآل بيت النبي ٦ وقد ألب عمر هذه القوى كلها ضد الامام ، لئلا تؤل الخلافة إليه ، وقد تحدث ٧ بعد ان ولى الامر عن ضغن أعضاء الشورى وحقدهم عليه فقال :

« لكني اسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصره مع هن وهن »

لقد ألب عمر عن عمد جميع أحقاد قريش ، واضغانها ضد أخي رسول الله ووصيه وباب مدينة علمه استجابة لأحقاد قريش التي وترها الامام في سبيل الاسلام.

٣ . لقد عمد عمر الى اقضاء جميع العناصر الموالية للامام فلم يجعل لها نصيبا في الشورى ولم يرشح أحدا من الانصار وهم الذين آووا النبي ٦ ونصروه لأنه كان لهم هوى وميل للامام ٧ كما لم يجعل نصيبا فيها لعمار بن ياسر الذي هو أحد المؤسسين في بناء الاسلام ، وكذلك أقصى أبا ذر ، والمقداد وأمثالهم من أعلام الاسلام لأنهم كانوا شيعة لعلي ، وقصر الشورى على القوى المنحرفة عن الامام والمعادية له.

٤ . ومن عجيب أمر الشورى التي وضع برامجها عمر أنه يشهد بحق أعضائها ان رسول الله ٦ مات وهو راض عنهم ثم يأمر

بضرب أعناقهم إن تأخروا عن انتخاب أحدهم فهل ان ذلك موجب للخروج عن الدين ، والمروق من الاسلام حتى تباح دماؤهم!!؟

٥ . ومن غريب أمر هذه الشورى ان عمر جعل الترجيح للكفة التي تضم عبد الرحمن فيما اذا اختلف أعضاؤها ، وغض طرفه عن الجماعة التي تضم أمير المؤمنين ٧ فلم يعرها أي اهتمام بل الزمها بالخضوع لرأي عبد الرحمن بن عوف ، وتقديمه على أمير المؤمنين وهو صاحب المواهب والعقريات الذي لا ند له في علمه وورعه وتقواه فكيف يساويه بغيره ، والله تعالى يقول : (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أف لك يا زمان ، وتعسا لك يا دهر أياكون أمير المؤمنين ندا لأعضاء الشورى ، ويرجح عليه عبد الرحمن ، ولكنها الاحقاد والعصبيات التي أترعت نفوسهم بها قد أنستهم المقاييس ، وصدتهم عن جادة العدل.

٦ . ومما يؤخذ على هذه الشورى انها أوجدت التنافس بين أعضائها فقد رأى كل واحد منهم أنه كفؤ للآخر ، ولم يكونوا قبلها على هذا الرأي فقد كان سعد تبعا لعبد الرحمن ، وعبد الرحمن تبعا لعثمان ، والزيير من شيعة الامام ، وهو القائل على عهد عمر : « والله لو مات عمر بايعت عليا » ولكن الشورى قد نفخت فيه روح الطموح ففارق أمير المؤمنين وخرج عليه يوم الجمل ، وقد تولدت في نفوسهم بسبب الشورى الاطماع والاهواء ، ورجا الخلافة وتطلبها من ليس أهلا لها حتى ضجت البلاد بالفتن والاختلاف ، واضطربت كلمة المسلمين ، وتصدع شملهم ، وقد صرح بهذا الواقع المريع معاوية بن ابي سفيان في حديثه مع ابن حصين الذي أوفده زياد لمقابلته ، فقد قال له معاوية :

. بلغني ان عندك ذهنا ، وعقلا فاخبرني عن شيء أسألك عنه؟

. سلى عما بدا لك :

. أخبرني ما الذي شئت أمر المسلمين ، ومأثم وخالف بينهم؟؟

. قتل الناس عثمان

. ما صنعت شيئا

. مسير علي إليك وقتاله اياك

. ما صنعت شيئا

. مسير طلحة ، والزبير ، وعائشة ، وقتال علي إياهم!!

. ما صنعت شيئا

. ما عندي غير هذا يا أمير المؤمنين

- أنا أخبرك انه لم يشتت بين المسلمين ، ولا فرق أهواءهم إلا الشورى التي جعلها عمر الى ستة نفر ، وذلك ان الله بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فعمل بما أمره الله به ، ثم قبضه الله إليه ، وقدم أبا بكر للصلاة فرضوه لأمر دنياهم إذ رضيه رسول الله ﷺ لأمر دينهم ، فعمل بسنة رسول الله ﷺ وسار بسيرته حتى قبضه الله ، واستخلف عمر فعمل بمثل سيرته ، ثم جعلها شورى بين ستة نفر فلم يكن رجل منهم إلا رجاها لنفسه ، ورجاها له قومه ، وتطلعت الى ذلك نفسه ، ولو أن عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك خلاف .. »^(١)

هذه بعض آفات الشورى التي فتحت باب الفوضى والنزاع بين المسلمين ، وتركت الطلقاء وأبناءهم يتسابقون الى ميدان الخلافة الاسلامية وينزون على منابر المسلمين ، ويستأثرون بالفيء وينكلون باختيار المسلمين

(١) العقد الفريد ٣ / ٧٣ - ٧٤

وصلحائهم فانا لله وإنا إليه راجعون.

الانتخاب :

ولاقى عمر ربه ، ومضى الى مقره الأخير ^(١) فاحاط البوليس بأعضاء الشورى ، وألزمهم بالاجتماع لينفذوا وصية عمر ، ويختاروا للمسلمين حاكما منهم ، فاجتمع المرشحون في بيت المال ، وقيل في بيت مسرور بن محرمه وأشرف على الانتخاب الامام الحسن ٧ وعبد الله بن عباس ، وازدلف عمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة الى محل الانتخاب فجلسا في الباب ، فعرف قصدهما سعد بن أبي وقاص فنهرهما وقال :

« تريدان ان تقولوا : حضرنا ، وكنا في أهل الشورى؟! »

وتداول الاعضاء الحديث فيما بينهم عمن هو أحق بالامر وأولى به وأكثرهم قدرة وقابلية على ادارة شئون الحكم ، وانبرى إليهم أمير المؤمنين ٧ فأقام عليهم الحجة ، وحذرهم مغبة ما يحدث في البلاد من الفتن ان استجابوا لنزعاتهم ولم يؤثروا الحق فقال ٧ :

« لم يسرع أحد قبلي الى دعوة حق ، وصلة رحم ، وعائدة كرم فاسمعوا قولي ، وعوا منطقى ، عسى أن تروا هذا الامر من بعد هذا اليوم

(١) توفي عمر يوم الاربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، وكانت ولايته عشر سنين وستة اشهر ، واربع ليال وهو ابن ثلاث وستين سنة جاء ذلك في مروج الذهب ٢ / ١٩٨ وكان قبل الاسلام من الفقر والبؤس بمكان ، يقول عمرو بن العاص : « والله لقد رايت عمر واباه على كل واحد منهما عباءة قطوانية ، لا تجاوز مابض ركبته ، وعلى رقبته حزمة حطب » ذكر ذلك ابن ابي الحديد في شرح النهج ١ / ١٧٥

تنتضى فيه السيوف ، وتخان فيه العهود ، حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلال وشيعة لأهل الجهالة .. »^(١)

ولم يعوا منطق الامام ، ولم يتأملوا فيه ، وانطلقوا مدفوعين وراء أطماعهم وأهوائهم ، وكشف الزمن بعد حين صدق تنبؤ الامام ، فقد انتضوا السيوف ، وخانوا العهود ليصلوا الى صولجان الحكم والسلطان وصار بعضهم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعة لأهل الجهالة وعلى اي حال ، فقد كثر الجدل في الموضوع ، وانفضت الجلسة ولم تنته على محصل ، وكان الناس ينتظرون بفارغ الصبر النتيجة الحاسمة التي تسفر عن اجتماعهم ، فلم يظفروا بشيء ، وانعقد الاجتماع مرة أخرى ولكنه لم يسفر عن اي نتيجة وأخذت فترة الزمن التي حددها عمر تضيق فأشرف أبو طلحة الانصارى على الاعضاء وقال لهم :

« لا والذي نفس عمر بيده! لا أزيدكم على الايام الثلاثة التي أمرتم .. »

واقترب اليوم الثالث ، فانعقد الاجتماع فانبرى طلحة ، ووهب حقه لعثمان وانما فعل ذلك لعلمه بانخراجه عن أمير المؤمنين ٧ ، فاراد يقوي جانبه ، ويضعف جانب الامام ، وانطلق الزبير فوهب حقه للامام لأنه رأى الامام قد ضعف جانبه ، واندفع سعد فوهب حقه لعبد الرحمن ابن عوف لأنه ابن عمه^(٢) أما عبد الرحمن الذي أناط به عمر أمر الشورى وجعل رأيه هو الفيصل فكان يرى في نفسه الضعف وعدم القدرة على ادارة شئون الحكم ، فاتجه الى ترشيح غيره ، وكانت ميوله مع عثمان ،

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٢ / ٣١

(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد ١ / ١٨٩

واستشار القرشيين فزهدوه في أمير المؤمنين وحببوا له عثمان ، ودفعوه الى اختياره وانتخابه.

وحلت الساعة الرهيبة التي تغير فيها مجرى التاريخ فقال عبد الرحمن لابن اخته :

« يا مسور .. اذهب فادع لي عليا وعثمان.

« بأيهما أبدأ يا خال؟ »

« بأيهما شئت. »

فانطلق مسور ، فاحضر الامام ، وعثمان وحضر المهاجرون والانصار وازدحمت الجماهير في

الجامع لتأخذ القرار الحاسم فقام عبد الرحمن وقال :

« أشيروا علي في هذين . وأشار الى سليل هاشم ، وشيخ الامويين . » فانبرى إليه الطيب ابن

الطيب عمار بن ياسر فقال له :

« ان أردت ألا يختلف الناس فبايع عليا .. »

وأشار عليه بالرأي الصائب الذي يصون الامة من الاختلاف ، ويحميها من النزاع والانشقاق

، وانطلق المقداد فأيد مقالة عمار ، فقال :

« صدق عمار .. وإن بايعت عليا ، سمعنا وأطعنا .. »

فقام عبد الله بن ابي سرح أحد أعلام الامويين الذين ناهضوا النبي ﷺ وناجزوه فخاطب ابن

عوف فقال له :

« إن أردت ألا تختلف قريش فبايع عثمان .. »

واندفع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي فقال :

« صدق إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا .. »

وانبرى عمار بن ياسر فشتم ابن أبي سرح وقال له :

« متى كنت تنصح للإسلام؟؟! »

وصدق عمار فمتى كان ابن أبي سرح يقيم وقارا للاسلام ، او ينصح المسلمين ، ويهديهم الى طريق الحق ، وقد كان من اعدى الناس الى رسول الله ﷺ ولما فتح مكة أمر ﷺ بقتله ولو كان متعلقا باستار الكعبة^(١) ، أمثل هذا الوغد يتدخل في شئون المسلمين؟ ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون.

وتكلم بنو هاشم وبنو أمية ، واحتدم الجدل بين الاسرتين ، فانطلق ابن الاسلام البار عمار بن ياسر فقال :

« أيها الناس إن الله أكرمكم بنبيه ، وأعزكم بدينه ، فالى متى تصرفون هذا الامر عن اهل بيت نبيكم!!؟! »

لقد كان كلام عمار حافلا بمنطق الاسلام الذي وعاه قلبه فان قريشا وسائر العرب إنما اعزها الله بدينه وأسعدها بنبيه ، فهو مصدر عزهم وشرفهم ومجدهم ، فليس من الانصاف ولا من العدل أن يصرفوا الامر عن أهله وعترته ويضعونه تارة في تيم واخرى في عدي ، ويجهدون الآن ليضعونه في قبيلة اخرى وانبرى إليه رجل من مخزوم فقطع عليه كلامه قائلا :

« لقد عدوت طورك يا ابن سمية .. وما أنت وتأمير قريش لأنفسها!!؟! » وقد أترعت نفس الرجل بروح الجاهلية فراح يندد بابن سمية ، ويرى أنه عدا طوره ، وتجاوز حده لتدخله في شئون قريش ، وأي حق لقريش في هذا الامر؟! وهي التي ناهضت النبي ﷺ وناجزته ، ووقفت في وجه دعوته ، وإنما الامر للمسلمين يشترك فيه ابن سمية . الذي أعزه الله بدينه . وسائر الضعفاء الذين ساندوا الرسول ، وحاموا عن دعوته فهؤلاء لهم الرأي ولهم الحكم وليس لطغاة قريش أي رأي

(١) الاستيعاب ٢ / ٣٧٥

لو كان هناك منطق أو حساب
وعلى أي حال فبعد ما كثر النزاع بين القوى الاسلامية الواعية ، وبين القوى المنحرفة عنه
التفت سعد الى عبد الرحمن فقال له :
« يا عبد الرحمن .. افرغ من امرك قبل أن يفتتن الناس .. »
فاسرع عبد الرحمن الى الامام :
« هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ، وفعل ابي بكر وعمر؟ :
فرمقه الامام بطرفه واجابه بمنطق الايمان ، ومنطق الاحرار قائلا « بل على كتاب الله وسنة
رسوله واجتهاد رأيي .. »
ولا يتوقع من الامام ٧ غير ذلك فان مصدر التشريع في الاسلام كتاب الله وسنة نبيه فعلى
ضوءهما تسير الدولة ، وتعالج مشاكل الرعية ، وليس فعل ابي بكر وعمر من مصادر التشريع ،
وقد نهج أبو بكر في سياسته منهجا خاصا لم يوافقه عمر فيه ويرى انه كان بعيدا عن سنن
التشريع فقد كان لأبي بكر رأيه الخاص في خالد بن الوليد حينما قتل مالك بن نويرة^(١) وزنى
بزوجته فقد رأى أبو بكر أن خالدا تأول فأخطأ

(١) مالك بن نويرة بن حمزة التميمي ، اليربوعي ، يكنى أبا حنظلة ، ويلقب « الجفول » كان شاعرا فارسا شريفا ،
معدودا في قومه من فرسان بني يربوع في الجاهلية ، وكان من ارداف الملوك ، استعمله النبي ﷺ لوثاقته ونباهته على
صدقات قومه ، فلما بلغه وفاة النبي ﷺ امسك عن الصدقة ، وفرقها في قومه ، ولعله عمل في ذلك بالسنة التي نصت
على توزيع الزكاة على فقراء المنطقة فان فضل منها شيء يحمل الى بيت المال وإلا فلا ، ويقول في ذلك
فقللت خذوا اموالكم غير خائف ولا ناظر فيما يجيء من الغد
فان قام بالدين المخوف قائم اطعنا وقلنا الدين دين محمد .

فلا يستحق أن يقام عليه الحد ، ويرى عمر أنه لا بد من اقامة الحد عليه ولا مجال لاعتذار ابي بكر ، وسلك أبو بكر في سياسته المالية منهجا اقرب الى المساواة من سياسة عمر التي انتهجت في كثير من شئونها منهج الطبقة وتقدم بعض المسلمين على بعض في العطاء ، وحرّم عمر المتعتين وهما حسب اعترافه كانتا مشروعيتين في عهد رسول الله ٦ ولعمر فتواه المتعارضة في ميراث الجدة وغيرها فعلى أي منهج منها يسير ابن أبي طالب رائد العدالة الاجتماعية الكبرى في الارض ، ولو كان ٧ يروم الأمرة والسلطان لالتزم لابن عوف بشرطه ، وبعد ذلك يسير برأيه الخاص في الحكم ، ويعتقل المعارضين له ولكنه ٧ أبي ذلك وحججه إيمانه الوثيق أن يقر شيئا لا يراه مشروعاً. ولما يئس ابن عوف من الامام انبرى الى عثمان فشرط عليه ذلك فابدأ عثمان الموافقة لأي شرط وأرسل يده فصفق عبد الرحمن بكفه عليها وقال :

« اللهم. إني قد جعلت ما في رقبي من ذاك في رقة عثمان .. »

وعلا الضجيج والصخب بين الناس ، فقد فاز عميد الامويين بالحكم وآلت إليه امور الخلافة ، وانطلق أمير المؤمنين ٧ فقال لابن عوف :

« والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه ،

. وهذا الشعر يدل على إيمانه وتمسكه الوثيق بدينه ، وقد زحف إليه خالد بن الوليد ، ولم يؤمر بقتاله فغشيه في الليل ، وبعد اداء فريضة الصلاة خف بجيشه الى الاستيلاء على اسلحتهم ، وامسكهم ، وساقوهم اسرى الى خالد ، وفيهم زوجة مالك ليلي بنت المنهال ، وهى من اشهر نساء العرب في جبالها ، فافتن بها خالد ، وتجادل بالكلام مع مالك فقال له خالد : إني قاتلك : قال له مالك : .

دق الله بينكما عطر منشم» ^(١)

والتفت الى القرشيين فقال لهم :

« ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون. »

واندفع ابن عوف الى الامام يهدده

« يا علي ، لا تجعل على نفسك سبيلا »

وغادر الامام المسجد وهو يقول :

« سيلغ الكتاب أجله. »

وانطلق الطيب ابن الطيب عمار بن ياسر ، وهو يخاطب ابن عوف :

. أو بذلك امرك صاحبك . يعنى ابا بكر . قال والله إني قاتلك ، وكان عبد الله ابن عمر وابو قتادة الانصاري الى جانبه فعذلاه عن قتله فأبى وقال : لا اقاتل الله إن لم يقتله ، وامر ضرار بن الازور بضرب عنقه ، فالتفت مالك الى زوجته ، وقال لخالد : هذه التي قتلتني ، فقال له خالد : بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام ، فرد عليه مالك قائلاً : إني على الاسلام ، وقام ضرار فقتله صبرا وجعل خالد رأسه اثفية لقدر ، وقبض على زوجته وبنى بها في تلك الليلة ، ودرأ ابو بكر عنه الحد بدعوى انه تأول فأخطأ ، يراجع في تفصيل الحادث المؤسف النص والاجتهاد للامام شرف الدين.

(١) منشم : . بكسر الشين . اسم امرأة كانت بمكة عطارة ، وكانت خزاعة وجرحهم اذا ارادوا القتال تطيبوا من طيبها ، وكانوا اذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم ، فكان يقال اشأم من عطر منشم ، صحاح الجوهري ٥ / ٢٠٤١ وقد استحباب الله دعاء الامام فكانت بينهما اشد المنافرة والخصومة واوصى ابن عوف ان لا يصلي عليه عثمان.

« يا عبد الرحمن .. أما والله لقد تركته ، وانه من الذين يقضون بالحق ، وبه كانوا يعدلون .. »
وخرج المقداد ، وهو مثقل الخطا ويقول :
« تالله ما رأيت مثل ما أتى الى أهل هذا البيت بعد نبيهم!! واعجبا لقريش!! لقد تركت رجلا
ما اقول ولا أعلم أن أحدا أقضى بالعدل ولا اعلم ولا اتقى منه أما لو أجد أعوانا .. »
وقطع عليه عبد الرحمن كلامه فقال له :

« اتق الله يا مقداد ، فاني خائف عليك الفتنة .. »^(١)

واشرف الامام الحسن على الانتخاب فراعه ما رأى من انقياد القوم نحو الاغراض الشخصية ،
والمطامع ، واستبان له أن المهاجرين من قريش يحملون في نفوسهم حقدا وضغنا على أبيه ، وان
الدين لعق على ألسنتهم يحوطونه حيث ما درّت معاشهم ، وقد تركت تلکم الصور التي اجتازت
عليه في نفسه أشد الاستياء والتذمر ، وعرفته ان القوم يسرون وراء مصالحهم وأطماعهم ، ولا
شأن لهم بالمصلحة العامة ، وهنا نودع الامام الحسن لنلتقي معه في عهد الخليفة الثالث.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ١٩٤

فی عہد عثمان

نستقبل الحسن ٧ في عهد عثمان وهو في شرح الشباب وعنفوانه فقد كان عمره ينيف على عشرين عاما وهو دور يسمح لصاحبه أن يخوض معترك الحياة ، وأن يعطي رأيا في الناحية الاجتماعية فدخل الامام ٧ في دوره هذا . على ما قيل . ميدان الجهاد « والجهاد باب من أبواب الجنة » فانضم الى المجاهدين حيث اتجهت ألويتهم الفاتحة الى احتلال افريقية ، سنة ست وعشرين من الهجرة ^(١) وتذكر المجاهدون في حفيد الرسول ٦ شخصية جده ، فأبلوا بلاء حسنا حتى فتح الله على أيديهم وبعد ما وضعت الحرب أوزارها اتجه الحسن ٧ الى عاصمة جده ٦ والنصر حليفه وقلبه مفعم بالسرور والارتياح لتوسع النفوذ الاسلامي وانتشار دين جده ، ولما كانت سنة ثلاثين من الهجرة اتجهت الجيوش الاسلامية الفاتحة والتي يرف النصر عليها

(١) العبرج ٢ ص ١٢٨ و ١٢٩ لابن خلدون ، وجاء فيه ان عثمان وجه جيشا الى غزو افريقية في سنة خمس وعشرين وكانت قيادة الجيش بيد عبد الله ابن نافع وعقبة بن نافع بن عبد القيس ، فتوجه الجيش الى افريقية وكان عدده عشرة آلاف ، فلما وصلوا إليها لم يتمكنوا على فتحها وصالحهم اهلها على مال يؤدونه إليهم ، ثم ان عبد الله بن ابي سرح اخا عثمان من الرضاة استأذن عثمان على غزو افريقية وطلب منه ان يمدده بالجيش فاستشار عثمان الصحابة فحبذ إليه أكثرهم ذلك ، فجهز عثمان إليه جيشا من المدينة فيهم ابن عباس وابن العاص وابن جعفر والحسن والحسين فساروا الى افريقية ففتحوها وذلك في سنة ست وعشرين ولم يذكر صاحب الفتوحات الاسلامية انضمام الحسن والحسين ٨ الى الجيش.

الى احتلال طبرستان فانضم الحسن ٧ إليها^(١) وبركته فتح الله على أيديهم ورف لواء الاسلام عليها ، ففي سبيل المصلحة العامة وخدمة الدين اللذين هما فوق سائر الاعتبارات دخل الامام الحسن ٧ في ميدان الجهاد والكفاح ، والقى الستار على ما يكنه في نفسه من الاستياء على ضياع حق أبيه ، وهو درس رائع يجب أن تستفيد منه الاحزاب السياسية القائمة في البلاد من ان عنعنات الحزبية يجب ان تلغى أمام صالح البلاد والمجتمع.

وساس عثمان الامة حفنة من السنين فكانت سياسته بعيدة كل البعد عن سنة الرسول ٦ وسيرة الشيخين وبعيدة كل البعد عن روح ذلك العصر لأنها لم تتفق مع الناحية الدينية والاجتماعية لذلك كتب لها الفشل والخذلان ، وسبب ذلك يرجع الى عدم قدرة الخليفة على ادارة شئون الامة وعجزه من الناحية الادارية ، وضعف ارادته ضعفا يلمس في كافة أعماله ، وصدق « امرسن » في قوله :

« إن قوة الارادة سر النجاح ، والنجاح غاية الوجود ، فان قوة إرادة نابليون ، وكرت ، والاسكندر وغيرهم من رجال التأريخ هي التي

(١) تأريخ الامم والملوك ج ٥ ص ٥٧ و ٥٨ العبر ج ٢ ص ١٣٤ الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ١٧٥ جاء في كل هذه المصادر انه غزا سعيد بن العاص طبرستان سنة ثلاثين من الهجرة ، وكان الأصبهيد قد صالح سويد بن مقرن على مال بذله له في ايام عمر بن الخطاب ، فلما كان دور عثمان جهز إليهم جيشا بقيادة سعيد بن العاص ، كان فيه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وغيرهم فلما وصلوا إليها فتحوها ، وقال الراغب الاصفهاني في محاضرات الادباء ج ١ ص ٧٦ الأصبهيد هو صاحب الجبل وهو الصواب لا الأصبهيد.

خلدت اسماءهم ، وإنا لنرى عددا كبيرا من رجال التأريخ لم ينتج انخداهم على ما اشتهروا به من الشجاعة والحنكة والذكاء إلا عن تردهم ، وضعف إرادتهم ، وان من المحال أن ندخل معترك الحياة ، ونرجو الفوز فيها دون أن تكون لدينا إرادة قوية »^(١)

إن قوة الارادة لها الاثر التام في تكوين الشخص وفي خلوده في هذه الحياة ، وان الشخص الضعيف المغلوب على امره يستحيل أن يحقق أي هدف للامة أو يبني لها كيانا ، وقد حرص الاسلام كل الحرص على ابعاد ضعيف الارادة عن قيادة الامة ، ومنعه من مزاوله الحكم لأنه يعرض البلاد للاخطار ، ويجر لها الويلات والخطوب ، ويذهب بهيبة الحكم ومعنويته ويغري ذوي القوة بالتمرد والخروج من الطاعة.

إن عثمان كان فاقد الارادة الى حد بعيد ، فلم تكن له قدرة لمواجهة الاحداث ، ولا قابلية له للتغلب عليها فقد او كل شئون الدولة الى مروان يتصرف بها حسب ما يشاء ، ونقل ابن ابي الحديد عن بعض مشايخه ان الخليفة في الحقيقة والواقع مروان ، وعثمان له اسم الخلافة لا غير . وعلى أي حال فلا بد لنا أن نتبين قصة عثمان ، ونقف على حقيقتها وواقعها فان لها ارتباطا وثيقا بما نحن فيه ، فقد زعم غير واحد من المؤرخين أن الامام الحسن ٧ كان عثمانى الهوى ، وانه وقف يوم الدار مدافعا عن عثمان ، وحزن عليه بعد مقتله حزنا بالغا ، وانه كان يندد بأبيه لأنه لم يقيم بنجده وحمايته ، وقد مال لذلك الدكتور طه حسين وأرسلها الى القراء ارسال المسلمين من دون ان يتبين فيها ، ولا يعرف مدى واقعية ذلك إلا بعد التعرف على سياسة عثمان وسيرته فانها هي التي

(١) قوة الارادة لاوريسون سويت ماردن

تكشف عن زيف هذه الامور وعدم التقائها بواقع الامام ٧ الذي كان يحمل هدي جده الرسول
٦ وسيرة أبيه.

وقبل التحدث عن سياسة عثمان نود أن نبين أنا نلتقي في كثير من بحوثنا الآتية مع الدكتور
طه حسين فقد حاول تبرير عثمان ، وتنزيهه عن التهم التي الصقت به بوجوه بعيدة خالية من
التحقيق العلمي ، وقد تنصل في طليعة بحوثه عن عثمان عن كل هوى وتعصب طائفي ، فليس
هو شيعة لعثمان وليس شيعة لعلي ، وانما يريد أن يخلص في بحوثه للحق ما وسعه اخلاصه للحق
وحده^(١) ولكنه لم يلتزم بوعده فانطلق يتمسك بالاسباب الواهية لتصحيح أخطاء السياسة
العثمانية التي لم تسير في اي مرحلة من مراحلها كتاب الله وسنة نبيه ، وسيرة الشيخين ، حتى
نقم عليها خيار المسلمين وصلحاؤهم ، وثارت عليه الاقاليم الاسلامية ، واحاطت به جماهير
المسلمين يطالبونه أن يعتدل في سياسته وأن يسير على الطريق الواضح والمحنة البيضاء فلم
يستجب لذلك فاردوه صريعا ، قد شقيت الامة بحكمه ، وامتنحت بعد مقتله.

إن الواجب يقضى بأن ننظر الى هذه الاحداث بدقة وأمانة ، ونتمعق فيها ، ونبين معطياتها
فانها ترتبط بواقعنا الديني ، وليس لنا ان نلتمس المعاذير لأي شخص كان فيما اذا جافت سيرته
تعاليم الاسلام ، وتنافت مع مبادئه واحكامه ، والى القراء بعض تلك المؤاخذات التي تواجه
سياسة عثمان :

(١) الفتنة الكبرى ١ / ٥

عفو عن عبيد الله

واستقبل عثمان خلافته بالعفو عن عبيد الله بن عمر الذي ثار لمقتل أبيه فقتل بغير حق الهرمزان ، وجفينة ، وبنت أبي لؤلؤة ، وأراد قتل كل سبي بالمدينة فانتهى إليه سعد بن أبي وقاص فساوره وقابله بناغم القول حتى أخذ منه السيف ، وأودع في السجن حتى ينظر عثمان في امره ، ولما تمت البيعة لعثمان اعتلى أعواد المنبر ، وعرض على المسلمين قصة عبيد الله فقال : « وقد كان من قضاء الله ان عبيد الله بن عمر أصاب الهرمزان ، وكان الهرمزان من المسلمين ، ولا وارث له إلا المسلمون عامة ، وأنا إمامكم وقد عفوت أفتعفون؟ .. » فانبرى جمع من الناس فاعلنوا الرضا ، والاقرار للعفو سوى الامام أمير المؤمنين ٧ فقد انكر على عثمان ولم يرض بقضائه وقال له :

« أقد الفاسق فانه أتى عظيما ، قتل مسلما بلا ذنب .. »

وصاح الامام بعبيد الله « يا فاسق .. لئن ظفرت بك لأقتلنك بالهرمزان. » ^(١)

واندفع المقداد بن عمر فرد على عثمان قائلا :

« إن الهرمزان مولى الله ولرسوله ، وليس لك أن تحب ما كان لله ولرسوله .. » ^(٢)

ولم يرض ثقات المسلمين وصلحاءهم بهذا العفو واعتبروه تعديا على الاسلام وخرقا لحدوده فكان زياد بن لبيد إذا لقي عبيد الله يقول له :

ألا يا عبيد الله مالك مهرب ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر

(١) الانساب للبلاذري ٥ / ٢٤

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٤١

أصبت دما والله في غير حله حراما وقتل الهرمزان له خطر
على غير شيء غير أن قال قائل أتهمون الهرمزان على عمر
فقال سفيه والحوادث جمّة نعم أتهمه قد أشار وقد أمر
وكان سلاح العبد في جوف بيته يقلبه والامر بالامر يعتبر
وشكا عبيد الله الى عثمان فدعا زيادا فنهاه عن ذلك ، ولكنه لم ينته وقد تناول بالنقد عثمان
فقال فيه :

أبا عمرو عبيد الله رهن - فلا تشكك . بقتل الهرمزان
فانك ان غفرت الجرم عنه وأسباب الخطا فرسا رهان
لتعفو إذ عفوت بغير حق فمالك بالذي تخلي يدان
وغضب عثمان على زياد فنهاه وزجره حتى انتهى^(١) وأخرج عبيد الله من يشرب الى الكوفة ،
وأنزله دارا فنسب الموضع إليه ف قيل « كوفية ابن عمر » وروى الطبري ان عثمان استشار
الصحابة في شأن عبيد الله ، فأشار عليه قوم بالعفو ، وقالوا : يقتل عمر امس ويقتل ابنه اليوم ،
وأشار عليه جماعة منهم الامام أمير المؤمنين بالقعود ، فقال له عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين ،
ان الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، إنما كان هذا الحدث ،
ولا سلطان لك ، فاستجاب عثمان لرأيه وقال : أنا وليهم وقد جعلتها دية ، واحتملها في مالى^(٢)

وقد حفلت هذه البادرة بما يلي من المؤاخذات :

١ . ان الاسلام قد ألزم ولاية الامور باقامة الحدود وعدم التسامح

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٤١

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٤١

والتساهل فيها للحفاظ على النظام العام ، وصيانة النفوس ، وحمايتها من الاعتداء وليس للحاكم ان يقف موقف اللين والتسامح مع المعتدى مهما كانت له من مكانة مرموقة في المجتمع ، وقد أعلن ذلك الرسول ٦ وطبقه على واقع الحياة فقد سئل أن يعفو عن سارقة لشرف أسرته فأجاب :

« انما هلك من كان قبلكم لأنهم كانوا إذا أذنب الضعيف فيهم عاقبوه ، وإذا أذنب الشريف تركوه ، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها .. »^(١)

وجلد ٦ أصحاب الإفك ، وفيهم سطح بن اثاثة^(٢) وكان من أهل بدر ، هذا ما يقتضيه العدل الاسلامي الذي لا يفرق بين الابيض والاسود ، والضعيف والقوي ، والرئيس والمرءوس فهم سواسية أمام القانون ، وقد جافى عثمان ذلك ، وخالف ما يقتضيه العدل فلم يفد عبيد الله لأنه ابن عمر ، وفتى من فتیان قريش فآثر رضا آل الخطاب ورضا قريش فعفا عنه ، وابعده الى الكوفة ، ومنحه دارا يسكن فيها ، وقد فتح بذلك باب الفوضى والفساد ، ويمكن ذوي النفوذ أن ينالوا من الضعفاء ، الذين ليس لهم ركن يأوون إليه.

٢ . ان عثمان قد الغى رأى أمير المؤمنين الذي الزم بالقود ، وهو من دون شك أعلم بحدود الله واحكامه ، واستجاب لرأي ابن العاص الذي عرف بغيه وحقده على الاسلام.

٣ . ان المصلحة العامة كانت تقضى بالقود وعدم العفو عنه لأنه

(١) النظام السياسي في الاسلام ص ٢٢٧ نقلا عن الخراج لأبي يوسف ص ٥٠

(٢) اسد الغابة

لو قتله لكان اقطع للفساد ، وأنفى للقتل ، ولم يقدم أحد من ذوى النفوذ على ارتكاب هذه الجريمة ، فان ابن الخليفة قد اقتص منه ولكن عثمان لم يرع المصلحة العامة ، واستجاب الى الاغراض الخاصة التي تتنافى مع مصلحة الامة.

٤ . إن الولاية للامام إنما تثبت فيما اذا علم ان المقتول لا وارث له والهرمزان من فارس فكان اللازم على عثمان أن يفحص عن وارثه ويتبين واقعيته ، ومع عدمه تثبت له الولاية ، ولكنه لم يفعل ذلك ، ولم يتحقق في أمره فاضفى على نفسه أنه وارثه ووليه.

٥ . وليس للحاكم ان يعفو عن الدية ، وإنما له ان يصالح عليها كما يرى ذلك ملك العلماء الحنفى يقول :

« ان الامام له ان يصالح على الدية إلا أنه لا يملك العفو ، لأن القصاص حق المسلمين بدليل أن ميراثه لهم ، وإنما الامام نائب عنهم في الاقامة ، وفي العفو إسقاط حقهم أصلاً ورأساً وهذا لا يجوز ، ولهذا لا يملكه الاب والجد وإن كانا يملكان استيفاء القصاص ، وله ان يصالح على الدية »^(١). وعلى ضوء هذه الفتيا الحنفية فليس لعثمان صلاحية العفو عن الدية ، وهذا الاشكال يسجل على عثمان على ما رواه بعضهم من انه عفا عن الدية. هذه بعض المؤاخذات التي تواجه عثمان في عفوه عن عبيد الله وعدم قوده.

دفاع طه حسين

وحاول الدكتور طه حسين تبرير عثمان ، ونفي المسؤولية عنه ، وكان اعتذاره لا يحمل طابعا علميا ، ونسوق الى القراء مواضع دفاعه :

(١) بدائع الصنائع ٧ / ٢٤٥

١ . فما كان عثمان ليستفتح خلافته بقتل فتى من فتیان قریش ، وابن من أبناء عمر . وما كان عثمان ليهدر دم مسلم وذمين . وهو من أجل ذلك آثر العافية ، فأدى دية القتلى من ماله الخاص الى بيت مال المسلمين وحقق دم عبيد الله بن عمر ، وفي امضائه الحكم على هذا النحو سياسة رشيدة لو نظر الناس الى القضية نظرة سياسية خالصة ^(١) .

ان عثمان لو استفتح خلافته بقتل عبيد الله لوفى للمسلمين ما عاهداهم عليه من السير على ضوء كتاب الله وسنة نبيه ، وتطبيق أحكام الشرع على واقع الحياة ولكنه انطلق في ميدان السياسة فأثر العافية وأهمل أحكام الدين وقد علق سماحة الامام كاشف الغطاء ؛ على هذا الاعتذار بقوله :

« هذا من الاغلاط الواضحة فان دم عبيد الله قد هدره الشرع ولم يحقنه . هذا أولا . وثانيا ان القتل كان عن عمد وحكمه القصاص لا الدية وقد غلط الاولون وجاء الآخرون يوجهون غلطهم بغلط آخر .. » ^(٢)

٢ . ونعود فنقول إن عثمان كان ولي أمر المسلمين وله بحكم هذه الولاية أن يعفو ، ونزيد على ذلك أنه حين عفا لم يعطل حدا من حدود الله ، ولم يهدر دم الهرمزان وصاحبيه ، وإنما ادى ديتهم من ماله لبيت مال المسلمين الذي كان يرثهم وحده .. » ^(٣)

وقد علق عليه سماحة المغفور له كاشف الغطاء قال ما نصه :

(١) الفتنة الكبرى ١ / ٦٦

(٢) تعليقة مهمة للامام كاشف الغطاء على الفتنة الكبرى مخطوطة توجد في مكتبته العامة ، ودفاع طه حسين ونقد كاشف الغطاء إنما يتم على رواية الطبري من انه دفع الدية من ماله ولم يعف عنه

(٣) الفتنة الكبرى ١ / ٦٧

« وهذا أيضا غلط ادهى وأمر فان واجب ولي أمر المسلمين اقامة حدود الله لا تعطيلها ، واعطاء الدية في مورد القصاص من دون رضاء أولياء الدم تحكم في احكام الشرع وتلاعب بالدين. »

٣ . وقد أمر النبي ان تدرأ الحدود بالشبهات ، فلعل عثمان قد درأ هذا الحد عن عبيد الله بالشبهة التي تأتي من غضبه لأبيه واندفاعه مع شهوته الجاحمة. والله قد حجب الى المسلمين العفو حين يقدرون وجزاهم عليه خيرا ... »

وهذا من الاغلاط الفظيعة فان الغضب لا يصلح أن تدرأ به الحدود وإلا لوجب أن يدرأ الحد عن كل قاتل على نحو القتل على الاكثر إنما يصدر عن الغضب والثورة الجاحمة ، وقاعدة الحدود تدرأ بالشبهات لا تنطبق على ما نحن فيه فلها مواردها الخاصة والمورد ليس من مصاديقها ، ولو كان الغضب موجبا لسقوط القود لاعتذر به عثمان ، ودافع به عن نفسه حينما أنكر عليه أمير المؤمنين وغيره ، فهل الدكتور اعرف بمواقع السنة من عثمان؟! إن دفاع الدكتور خال من التحقيق ، وليست له أي صبغة تشريعية ولا يمكن ان يبرر عثمان ويقضى عنه المسؤولية.

ومهما يكن من أمر فان عفو عثمان عن عبيد الله لم يكن المقصود منه إلا تطيب قلوب آل الخطاب ، وارضاء القرشيين ، وليس فيه أي مصلحة للامة.

سياسته المالية

واحطاط الاسلام احتياطا شديدا في أموال الدولة ، وألزم الولاة

والحكام ان ينفقوها على المرافق العامة وعلى اصلاح الحياة ، ومكافحة الفقر ، واعالة الضعيف ، والانفاق على العاجزين كالارامل والايتام ، وليس لهم ان يدخروا منها لأنفسهم ، ولا أن يصطفوا منها لذرائعهم ، فليست طعمة لهم ، ولا ملكا يتصرفون فيها حيثما شاءوا ، يقول الامام أمير المؤمنين لعبد الله بن زمعة لما قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا :

« إن هذا المال ليس لي ولا لك ، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم ، فان شركتهم في حرب كان لك مثل حظهم ، وإلا فجنة أيديهم لا تكون لغير أفواههم .. » ^(١)

وكتب ٧ الى قثم بن العباس عامله على مكة :

« وانظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة ، مصيبا به مواضع الفاقة والخلات ، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا » ^(٢)

ويقول رسول الله ﷺ : « ان رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » ^(٣)
هذا هو نظر الاسلام بايجاز في الناحية المالية فهو يلزم المسؤولين بصرف أموال الدولة على انعاش المواطنين ، وانقاذهم من البؤس والحاجة ، وليس لهم بأي حال أن يتاجروا بها في شراء الضمائر ، وصلة غير المحتاج ، ولكن عثمان لم يطبق ذلك لا بكثير ولا بقليل ، فقد تسلط على الخزينة المركزية ، ووهب الاموال الطائلة بسخاء الى الامويين والى آل أبي معيط لتقوية نفوذهم

(١) نهج البلاغة ١ / ٤٦١

(٢) نهج البلاغة ٢ / ١٢٨

(٣) صحيح البخاري ٥ / ١٧

وتركيزهم في البلاد ، فقاموا بدورهم باستغلال المسلمين ، والتلاعب بمقدراتهم والتحكم في مصيرهم ، كما منح الاموال الطائلة الى الوجوه والاعيان الذين يخاف جانبهم ، ويحذر سطوتهم نظرا لنفوذهم السياسي في البلاد ، وقد أدى ذلك الى تضخم الثراء وتكدس الاموال عند طائفة من الناس حاروا في صرفها وفي انفاقها ، ومن الطبيعي أن ذلك يؤدي الى نشر الفاقة وذيوع الفقر والبؤس بين الناس الامر الذي يتنافى مع اتجاه الاسلام الذي يحرص كل الحرص على اسعاد المجتمع ، ونشر الرفاهية ، وبسط السعة بين الناس ونسوق بعض البوارد للاستدلال بما على ما ذكرناه :

١ . هباته للأمويين

ومنح عثمان أموال المسلمين الى أسرته ، وذوي قرياه الذين تنكروا للإسلام ، وقابلوه ، وناجزوه الحرب ، فأوصلهم وبرّ بهم ، وحملهم على رقاب الناس ، ووهبهم الثراء العريض يتمتعون فيه ، ويبالغون في البذخ والاسراف ، والى القراء بعض اولئك الذين أغدق عليهم بهباته :

أ . أبو سفيان

وهب عثمان الى أبي سفيان مائتي الف من بيت المال ^(١) أعطاه هذه المنحة وهو رأس المشركين يوم أحد ، ويوم الاحزاب ، وفي طليعة الحاقدين على الاسلام ، والناقمين منه ، وما دخل الدين في قلبه ، ولا انتزعت روح الجاهلية من نفسه ، وهو الذي انطلق الى قبر حمزة فركله برجله ، وقال : « يا أبا عمارة! .. إن الامر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا يتلعبون به. » ثم مضى مثلوج القلب ، ودخل على عثمان بعد أن فقد بصره فقال :

(١) شرح النهج ١ / ٦٧

« اللهم ، اجعل الامر أمر جاهلية ، والملك ملك غاصبية ، واجعل أوتاد الارض لبني أمية .. »^(١)

فهل من العدل والانصاف أن تمنح أموال المسلمين الى هذا المنافق الذي اترعت روحه بالعداء والبغض للإسلام؟! وهل تبيح الشريعة الاسلامية إعطاء هذه الاموال الى شخص ما آمن بالله طرفة عين؟!

ب . الحارث بن الحكم

وأجزل عثمان بالعطاء الى الحارث بن الحكم لأنه صهره من عائشة فقد أعطاه ثلاثمائة الف درهم^(٢) ووردت ابل الصدقة الى المدينة فوهبها له^(٣) وأقطعه سوقا في يثرب يعرف بتهروز بعد أن تصدق به رسول الله ﷺ على جميع المسلمين^(٤) وبما ذا استحق الحارث أن يمنح هذه الاموال الطائلة؟ فهل اسدى خدمة للإسلام او قام بعمل نفع به المسلمين حتى يستحق أن يوصل بهذه الاموال؟! هذا مع ان ابل الصدقة يجب ان تنفق على الفقراء والمعوزين ، كما أنه كيف خصه بصدقة رسول الله ﷺ مع أنها لجميع المسلمين ، فلا مبرر ولا مسوغ له في هذا العطاء الذي خالف أحكام الله ، وتنافى مع صالح الامة

ج . عبد الله بن سعد

وأعطى عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاعة جميع ما أفاء الله به من فتح إفريقية بالمغرب وهي من طرابلس الغرب الى طنجة ، ولم

(١) تأريخ ابن عساكر ٦ / ٤٠٧

(٢) انساب الاشراف ٥ / ٥٢

(٣) الانساب ص ٢٨

(٤) شرح النهج ١ / ٦٧

يشرك في عطائه أحدا من المسلمين ^(١) وهو أحد أعلام المشركين ، ومن الذين تنكروا للإسلام ، وكفروا بقيمه ، وسنذكر ترجمته في البحوث الآتية ما يثبت ذلك ، فكيف جاز لعثمان أن يوصله بهذه الاموال الهائلة ، ويمنحه هذا الثراء العريض.

د . الحكم بن أبي العاص

ويجدر بنا قبل أن نذكر هبات عثمان وصلاته للحكم أن نتعرف على واقعيته ، وبعض شئونه ليتضح أنه كان خليقا بالقطيعة والاقصاء ، وحديرا بالتوهين والاستخفاف ، وإن منحه أموال المسلمين أمر لا مبرر له بأي حال والى القراء ذلك :

١ . محاربته للإسلام

ووقف الحكم في وجه الدعوة الاسلامية فكان يحرض الناس على البقاء على عبادة الاوثان ، ويمنعهم من الدخول في حظيرة الاسلام ، وقد التقى مروان بحويطب فسأله عن عمره فأخبره به فقال له مروان : « تأخر اسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الاحداث؟! » فقال حويطب :

« والله لقد هممت بالاسلام غير مرة ، كل ذلك يعوقني أبوك يقول : تضع شرفك ، وتدع دين آبائك ، لدين محدث ، وتصير تابعا .. » ^(٢)

إن الحكم وبقية الاسرة الاموية ناهضت الاسلام ، وبذلت جميع امكانياتها في صد الدعوة الاسلامية ومكافحتها بشتى الاساليب ، ولكن الله رد كيدهم ، ونصر الاسلام واعز دينه.

(١) شرح النهج ١ / ٦٧

(٢) تاريخ ابن كثير ٨ / ٧٠

٢ . استهزأه بالنبي

كان الحكم من ألد أعداء رسول الله ﷺ ومن أحقدهم عليه وقد بالغ في إيذائه والتوهين به ، والاستخفاف بمقامه الرفيع ، فكان يمر خلفه فيغمز به ، ويحكيه ، ويخلج بأنفه وفمه^(١) والتفت النبي فرآه يفعل ذلك فقال : كذلك فلتكن ، فكان الحكم مختلجا يرتعش حتى مات ، وقد عيره بذلك عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال في هجاء عبد الرحمن بن الحكم :

إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلصنا مجنوننا
يمسي خميص البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطينا^(٢)

٣ . لعن النبي له

واستأذن هذا الخبيث الماكر على النبي ﷺ فقال ﷺ : ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين ، وقليل ما هم ، ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا ، وما لهم في الآخرة من خلاق^(٣) وأمر ﷺ الامام عليا أن يقوده كما تقاد الشاة ويأتي به إليه فأطلق الامام وجاء به وهو أخذ بأذنه حتى أوقفه بين يدي رسول الله ﷺ فلعنه ثلاثا ، ثم قال : أحله ناحية حتى راح إليه قوم من المهاجرين والانصار ، ثم دعا به ثانيا فلعنه ، وقال : إن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه ، وستخرج من صلبه فتن يبلغ دنخانها السماء ، فقال إليه قوم هو أقل ، وأذل من أن

(١) الانساب ٥ / ٢٧

(٢) الاستيعاب ١ / ١١٨

(٣) السيرة الحلبية ١ / ٣٣٧

يكون هذا منه ، فقال ٦ : بلى وبعضكم يومئذ شيعة^(١)

٤ . نفيه الى الطائف

وكان هذا الرجس الخبيث يفشى أحاديث رسول الله ٦ ويبالغ في ايذائه فنفاه الى الطائف ، وقال : لا يساكني^(٢) ولم يزل منفيا هو وأولاده طيلة خلافة الشيخين ، وقد توسط عثمان في شأنه عندهما فلم يستجيبا له وظل مبعدا منفيا.

٥ . رجوعه الى يثرب

ولما آل الامر الى عثمان أصدر عنه العفو فقدم الى يثرب ، وعليه فزر خلق وهو يسوق تيسا والناس ينظرون الى رثة ثيابه ، وسوء حاله ، فدخل دار عثمان ثم خرج وعليه جبة خز وطيلسان^(٣) وأوصله بمائة الف^(٤).

٦ . توليته على الصدقات

وولاه على صدقات قضاة فبلغت ثلاث مائة الف درهم فوهبها له^(٥) وقد ادى ذلك الى شيوع السخط والانكار عليه لأنه آوى طريد رسول الله ٦ ومنحه أموال الصدقة التي جعلها الله للفقراء والمحرومين وذوي الحاجة ، فكيف ساغ له أن يمنحها لهذا اللعين على لسان رسول الله ٦ ، والحكم في هذه المسألة للقراء.

(١) كنز العمال ٦ / ٣٩

(٢) الانساب ٥ / ٢٧

(٣) تاريخ يعقوبي ٢ / ٤١

(٤) المعارف : ص ٨٤

(٥) الانساب ٥ / ٢٨

٥ . سعيد بن العاص

ومنح عثمان سعيد بن العاص مائة الف درهم^(١) وهو من فساق بني أمية ، ومن فجارهم ، وكان أبوه من أعلام المشركين قتله الامام أمير المؤمنين يوم بدر^(٢) وقد أثار ذلك السخط على عثمان فانكر عليه ثقات المسلمين وصلحواؤهم.

٦ . الوليد بن عقبة

والوليد بن عقبة أخو عثمان من أمه ، وكان فاسقا ماجنا لا يرجو الله وقارا . كما سنبين ذلك عند التحدث عن ولاية عثمان وعماله . قدم الكوفة فاستقرض من عبد الله بن مسعود أموالا طائلة من بيت المال فأقرضه ، وطلبها منه عبد الله فكتب الوليد الى عثمان بذلك ، فرفع عثمان مذكرة الى ابن مسعود جاء فيها ، إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال ، فطرح ابن مسعود المفتاح وقال : كنت أظن أني خازن للمسلمين فأما اذا كنت خازنا لكم فلا حاجة لي في ذلك ، وأقام بالكوفة بعد ان استقال من منصبه^(٣) وكيف ساغ لعثمان أن يبدد أموال المسلمين ، ويهبها الى أعداء الله وخصوم الاسلام ، ولنترك الحكم في ذلك للقراء.

٧ . مروان بن الحكم

ومروان بن الحكم هر الذي لعنه رسول الله ﷺ وهو في صلب أبيه كما رواه الامام الحسن^(٤) ولما ولد جيء

(١) الانساب ٥ / ٢٨

(٢) اسد الغابة ٢ / ٣١٠

(٣) الانساب ٥ / ٣٠

(٤) مجمع الزوائد ١٠ / ٧٢

به الى رسول الله ٦ فقال : هو الوزغ ابن الوزغ ، الملعون ابن الملعون ^(١) ونظر إليه الامام أمير المؤمنين فقال له :

« ويل لك ، وويل لأمة محمد منك ومن بيتك إذا شاب صدغاك » ^(٢) وكان رأسا من رعوس المنافقين ، ووجهها من وجوه أهل الضلال والباطل ، وكان يلقب خيط باطل وفيه يقول الشاعر :
لعمرك ما أدرى واني لسائل حليمة مضروب القفا كيف يصنع
لحى الله قوما أمروا خيط باطل على الناس يعطي ما يشاء ويمنع ^(٣)
وقد عرف بالغدر ، ونقض الوعد ، وخيانة العهد ، يقول الامام أمير المؤمنين حينما كلمه السبطان في مبايعة مروان له :

لا حاجة لي في بيعته ، إنها كف يهودية لو بايعني بيده لغدر بسبابته أما إن له امرة كلعة الكلب انفه ، وهو أبو الاكبش الاربعة ، وستلقى الامة منه ومن ولده يوما أحمر .. ^(٤)
وهذا الوزغ الرجس قد بر به عثمان وأحسن إليه ، ومكنه من بيت المال يهب منه لمن شاء ، ويمنع عنه من شاء ، ونسوق الى القراء الهبات الضخمة التي منحها عثمان لمروان وهى :
١ . اعطاه خمس غنائم إفريقية ، وقد بلغت خمس مائة الف دينار وقد عيب عثمان على ذلك
وهجاه عبد الرحمن بن حنبل بقوله :

سأحلف بالله جهد اليمى ن ما ترك الله أمرا سدى

(١) مستدرک الحاكم ٤ / ٤٧٩

(٢) شرح ابن ابى الحديد ٢ / ٥٥

(٣) اسد الغابة ٤ / ٣٤٨

(٤) نخب البلاغة

ولكن خلقت لنا فتنة لكي نبتلي لك أو تبتلى
فان الامينين قد بينا منار الطريق عليه الهدى
فما أخذوا درهما غيلة وما جعلوا درهما في الهوى
دعوت اللعين فأدنيته خلافا لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس العبا د ظلما لهم وحميت الحمى^(١)

٢ . انه منحه الف وخمسين أوقية ولا نعلم انها من الذهب او الفضة وهي من جملة الامور التي
سببت النعمة على عثمان^(٢)

٣ . اعطاه مائة الف من بيت المال ، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها
بين يدي عثمان وبكى فنهزه عثمان وقال له :
« اتبكي إن وصلت رحمي؟ »

« ولكن أبكي لأني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضا عما كنت انفقته في سبيل الله ، في
حياة رسول الله ﷺ لو اعطيت مروان مائة درهم لكان كثيرا .. »
فزجره عثمان وصاح به

« الق المفاتيح .. يا بن أرقم ، فانا سنجد غيرك. »^(٣)
٤ . واقطعه فدكا ، ووهبها له^(٤) وهي على كل حال لا تصح هبتها لأنها إن كانت نحلة
لفاطمة ٣ كما تقول فهي لأبنائها ، وان كانت صدقة كما زعم أبو بكر فهي لجميع المسلمين ،
وليس لعثمان ان

(١) تأريخ ابي الفداء ١ / ١٦٨

(٢) سيرة الحلبي ٢ / ٨٧

(٣) شرح ابن ابي الحديد ١ / ٦٧

(٤) تأريخ ابي الفداء ١ / ١٦٨ ، المعارف ص ٨٤

يتصرف فيها على كلا الوجهين.

وعلى اي حال ، فأى خدمة أسداها مروان للامة ، وأي مكرمة أو مأثرة صدرت منه حتى يستحق هذا العطاء الجزيل ، ويمنح هذا الثراء العريض
هذه بعض اعطيات الخليفة ومنحه الى اسرته ، وذوى قرياه ، وهي من دون شك لا تتفق مع كتاب الله وسنة نبيه فانهما الزما بالمساواة بين القريب والبعيد ، وأهابا بالحاكمين ان لا يميزوا قوما على آخرين وأن يطبقوا العدل في جميع المجالات.

الانكار على عثمان :

وكان من الطبيعي أن تثير هذه السياسة سخط الاخيار ، والصلحاء والمتحرجين في دينهم بل وسخط العامة الذين ينظرون الى بني أمية نظرة ريبة وشك في اسلامهم ، ويرون في هذا العطاء امتدادا لهم وتقوية لنفوذهم وبسطة لسلطانهم ، حتى نقم من عثمان عبد الرحمن بن عوف الذي انتخبه وعينه حاكما على المسلمين ، فكان يقول : عاجلوه قبل ان يتمادى في ملكه وكان يقول للإمام أمير المؤمنين : خذ سيفك وأخذ سيفي فانه قد خالف ما اعطاني ، ولما حضرته الوفاة اوصى أن لا يصلي عليه ^(١)

لقد شاع التذمر بين المسلمين من جراء هذه السياسة الملتوية ، وقد انكرت عليه الخاصة والعامة حينما استأثر بالسفط الذي كان في بيت المال فأخذ منه ما حلى به بعض أهله وصعد على أثر ذلك أعواد المنبر فقال :

« لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت به أنوف أقوام .. »

وقد اثار سخط الناس هذا الكلام فتصدى أمير المؤمنين الى رده فقال له :

(١) الانساب للبلاذري

« إذن تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه » .
واندفع الصحابي العظيم عمار بن ياسر فأيد مقالة الامام ، وأعلن نقمته على عثمان فقال :
« أشهد ان أنفى أول راغم من ذلك .. »
ولما منح سعيد بن العاص مائة الف درهم ، انطلق الامام أمير المؤمنين مع جماعة من اعلام
الصحابة فعاثوا عليه عمله ، وانكروا عليه هذا العطاء فقال لهم :
« إن له قرابة ورحما .. »
فردوا عليه حجته ، وقالوا له :
« أفما كان لأبي بكر وعمر قرابة؟ .. »
فأجابهم :
« ان ابا بكر ، وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في اعطاء قرابتي .. » ^(١)
لقد نقم المسلمون من عثمان ، وسخط عليه خيارهم لأنه استأثر بالفيء ، ومنح أموال
المسلمين الى بني أمية ، ولم يطبق في سياسته العدل الاجتماعى الذي جاء به الاسلام .

اعتذار عثمان

واعتذر عثمان للناقدين لسياسته بأنه أوصل رحمه ، وبرّ بذى قرياه وليس فى ذلك مأثم عليه او
مخالفة للشرع . كما يراه . ولا بد لنا من وقفة قصيرة أمام هذا الاعتذار لنعرف مدى واقعيته ،
وصحته ، والذي

(١) الانساب ٥ / ٢٨

يقتضيه النظر أنه منطق مفلوج لا يتفق مع الشرع ، ولا يلتقي بصالح الامة وذلك . أولا . ان الاموال التي منحها لأسرته لم تكن من أمواله الخاصة لتكون له مندوحة في انفاقها عليهم ، وانما هي أموال المسلمين فيجب انفاقها عليهم ، وليس لرئيس الدولة أن يتصرف فيها بقليل ، ولا بكثير فقد ورد عقيل من يثرب وهو بائس مضطر الى أخيه أمير المؤمنين ٧ فطلب منه وفاء دينه ، فقال له الامام :

. كم دينك؟

. أربعون الفا

. ما هي عندي ، ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فادفعه إليك . بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك؟

. أتأمرني ان أدفع إليك أموال المسلمين ، وقد أئتموني عليها. ^(١)

هذا هو منطق الاسلام ، وهذا عدله ، وهذه مساواته إنه لا يفرق بين القريب والبعيد فالجميع سواسية في العطاء وغيره.

و - ثانيا . إن اسرته التي برّ بها خليقة بالقطيعة وجديرة بأن لا توصل لأنها ناهضت الاسلام وناجزته الحرب ، وهي الشجرة الملعونة في القرآن فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمرو ان النبي ٦ قال : رأيت ولد الحكم بن ابي العاص على المنابر كأثم القردة فانزل الله : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة : يعنى الحكم وولده ^(٢) وقالت عائشة لمروان سمعت رسول الله ٦ يقول

(١) اسد الغابة ٣ / ٢٣٤

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ٧٧ ، تفسير القرطبي ١٠ / ٢٨٣

لأبيك : « أبي العاص بن أمية » انكم الشجرة الملعونة في القرآن ^(١) وقد نهى الله عن موادة المعادين له ، وحرّم مواصلتهم قال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » ^(٢) لقد كان عثمان شديد الحب للامويين فقد قال : « لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتى يدخلوا عن آخرهم .. » ^(٣) وهذا الحب العارم لأسرته هو الذي أجهز عليه ، وحفز القوى الإسلامية الى الثورة عليه والاطاحة بحكمه وقتله.

٢ . منحه للاعيان

ووهب عثمان أموال المسلمين الى الوجوه والاعيان ، وذوي النفوذ السياسي ممن يحذر جانبهم ، فوصل طلحة بمائتي الف دينار ^(٤) وكانت له عليه خمسون الفا ، فقال له طلحة : تهيأ مالك فاقبضه ، فوهبه له ، وقال : هو لك يا أبا محمد على مروءتك ^(٥) ووصل الزبير بستمائة الف ، ولما قبضها جعل يسأل عن خير المال ليستغل صلته فدل على اتخاذ الدور في الاقاليم والامصار ^(٦) فبنى احدى عشرة دارا بالمدينة ، ودارين بالبصرة

(١) الدر المنثور ٤ / ١٩١

(٢) سورة المجادلة : آية ٢٢

(٣) مسند احمد ١ / ٦٢

(٤) طبقات ابن سعد

(٥) تأريخ الطبري ٥ / ١٣٩

(٦) طبقات ابن سعد

ودارا بالكوفة ، ودارا بمصر ^(١) ووهب أموالا طائلة لزيد بن ثابت حتى بلغ به الشراء انه لما توفي خلف من الذهب والفضة ما يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الاموال والضياع مائة الف دينار ^(٢) ومنح أموالا أخرى الى السائرين في ركابه ، والمؤيدين لسياسته ، وقد ذكر بالتفصيل تلك الهبات شيخ المحققين الاميني في موسوعته الخالدة ^(٣)

وبأي وجه تصحح هذه الهبات وهي أموال المسلمين وقد فرض فيها ان تصرف على اصلاح المجتمع ، وانقاذ الفقير والمحروم من البؤس والفاقة ، لا أن يتاجر بها في شراء الضمائر ، وتأيد الحكم القائم فان ذلك لا يقره الاسلام بحال من الاحوال.

٣ . استنثاره بالاموال

واستنزف عثمان بيوت الاموال فاصطفى منها ما شاء لنفسه وعياله ، وبالع في البذخ والاسراف فبنى دارا في يثرب شيدها بالحجر والكلس ، وجعل أبوابها من الساج والعمر ، واقتنى أموالا وجنانا وعيونا بالمدينة ^(٤) وكان ينضد اسنانه بالذهب ، ويتلبس بأثواب الملوك ، وانفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره ^(٥) ولما قتل كان عند خازنه ثلاثون الف الف درهم ، وخمسمائة الف درهم وخمسون ومائة الف دينار ، وترك الف

(١) صحيح البخاري ٥ / ٢١

(٢) مروج الذهب ١ / ٣٣٤

(٣) الغدير الجزء الثامن

(٤) مروج الذهب ١ / ٤٣٣

(٥) السيرة الحلبية ٢ / ٨٧

بغير وصدقات ببراديس وخير ، ووادي القرى قيمة مائتي الف دينار ^(١)
إن عثمان قد نهج منهجا خاصا في سياسته المالية ، فلم يتقيد بكتاب الله ، ولا بسنة نبيه ،
فتصرف في بيت المال تصرفا كيفيا فأخذ منه ما شاء ومنح من أحب ، ووهب لمن سار في ركابه ،
وقد وصف الامام امير المؤمنين هذه السياسة الملتوية بقوله :
« الى ان قام ثالث القوم . يعني عثمان . نافجا حضنيه ^(٢) بين ثيله ومعتلفه ^(٣) وقام معه بنو
أبيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع .. »
وهذا أبدع ما توصف به السياسة المنحرفة التي تتخذ الحكم وسيلة للشراء والتمتع بملاذ الحياة ،
ولا تقيم وزنا للامة ، ولا تعني بمصالحها وأهدافها.
وقد أصدر الامام أمير المؤمنين قراره الحاسم بعد ان استولى على زمام الحكم بمصادرة جميع
الاموال التي استأثر بها عثمان لنفسه ، والتي وهبها لخاصته وأقربائه ، وهذا نص قراره :
« الا ان كل قطعة اقطعها عثمان ، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال ،
فان الحق القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج به النساء ، وفرق في البلدان لرددته الى حاله
فان في العدل سعة

(١) طبقات ابن سعد ٣ / ٥٣

(٢) نافجا حضنيه : اي رافعا لهما ، والحضن ما بين الابط والكشح ، يقال للمتكبر : جاء نافجا حضنيه ، ويقال لمن
امتلاً بطنه طعاما : جاء نافجا حضنيه ، ومراده (ع) هو الثاني.

(٣) الثيل : الروث ، والمعتلف : موضع العلف يريد به ان همه الاكل والرجيع ، وهذا من ممض الذم كما يقول ابن ابي
الحديد.

ومن ضاق عنه الحق فالجور عنه أضيق .. »^(١)

وكان هذا الاجراء الذي اتخذه الامام على وفق العدل الاسلامي الذي حدد صلاحية المسؤولين ، ولم يطلق لهم العنان في التصرف بأموال الامة ، والاستئثار بها ، فليس لهم أن يصطفوا منها لأنفسهم ولا لذراريهم فهذا رسول الله ﷺ قد جاءته ابنته الوحيدة التي لا عقب له سواها تطلب منه ان يبغى لها وصيفا يخدمها لأن يديها قد مجلت من الرحى ، فلم يجد ﷺ مجالا لأن يأخذ من بيت المال ما يشتري به وصيفا يعين ابنته فردها ، وعلمها التسبيح الذي ينسب لها ، وقد سار على هذه السيرة وصيه وباب مدينة علمه الامام امير المؤمنين ﷺ فقد جاء أخوه عقيل يستميحه البر ، ويطلب منه السعة والرفاهية فاحمى له حديدة كاد ان يحترق من ميسمها ، هذا هو منطق الاسلام الذي جاء لاسعاد الشعوب واصلاحها وانقاذها من البؤس والفقر والحرمان.

مع الدكتور طه حسين

وتناقضت أقوال الدكتور طه حسين تناقضا صريحا في تصوير السياسة المالية التي انتهجها عثمان ، فتارة يسف في قوله فيزعم انه كان محافظا على سيرة عمر في سياسة المال فلم يخالفه في ذلك ، ولم يشذ عنه في جميع أعماله الادارية والحربية ، وفيما كان يأخذ به عامة المسلمين من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتزام السنة الموروثة ، واجتناب التكلف والابتداع^(٢) واخرى يستقيم في قوله فيذهب الى أنه انحرف عن سياسة عمر في الابقاء على بيت المال ، وفي ألا ينفق منه إلا بمقدار الحاجة الى الانفاق ، وأنه

(١) نهج البلاغة ١ / ٤٦

(٢) الفتنة الكبرى ١ / ٧٢

كان ينكر تشدد عمر ، ويرى أن في بيت المال ما يسع الناس أكثر مما وسعهم أيام عمر فهو نقد غير مباشر لسيرة عمر في سياسة بيت المال ^(١) ومعنى هذا انه لم يتقيد بسيرة عمر ، ولم يطبق سياسته على واقع حكومته وهذا يناقض ما ذكره أولا ، من انه كان يسير على وفق الاهداف التي سار عليها عمر.

وعلى أي حال فقد مال أخيرا الى تصحيح سياسته المالية وانما لم تخالف السنة الموروثة ، ولم تخل من الخير ومراعاة الصالح العام ، ونسوق نص كلامه في ذلك مع مواقع النظر فيه وهو كما يلي :

أفاد الدكتور ما نصه : « الشيء المحقق هو ان عثمان لم يدهن في دينه والشيء المحقق أيضا هو ان عثمان لم ير في سياسته تلك مخالفة خطيرة او غير خطيرة لسيرة الشيخين ، فهو لم يعتمد الجور ولا المحاباة ، وإنما وسع على الناس من أموالهم ، رأى في بيت المال غنى فأثر الناس به ، ولم يغل في الادخار. وأي حرج في أن يصل اصحاب النبي بشيء من هذا المال قليل او كثير ، وهم أئمة الاسلام وبناء الدولة وأصحاب البلاء الحسن ايام النبي ، وهم قد احتملوا من الشدة والحرمان شيئا كثيرا! وقد صدق الله وعده وأكثر الخير ، فأبي الناس أحق من هؤلاء المهاجرين ان يستمتعوا بشيء من هذا الخير الكثير .. » ^(٢)

ومواقع النظر في كلامه ما يلي :

١ . انه ذهب الى أن عثمان لم يدهن في دينه ، وأنه لم ير في سياسته مخالفة خطيرة او غير خطيرة لسيرة الشيخين ، ولم يعتمد الجور ولا المحاباة.

(١) الفتنة الكبرى ١ / ٧٤

(٢) الفتنة الكبرى ١ / ٧٧

أما ان عثمان لم يدهن في دينه فيزيفه اعلانه للتوبة ، وانه قد جافى العدل ، وانحرف عن الطريق القويم وهذا نص توبته :

« أما بعد : أيها الناس ، فو الله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله وما جئت إلا وأنا أعرفه ، ولكي منتنى نفسي ، وكذبتني ، وضل عني رشدي ، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : من زل فليتب ^(١) ومن أخطأ فليتب ، ولا يتمادى في الهلكة إن من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق ، فانا أول من اتعظ ، استغفر الله عما فعلت وأتوب إليه » ^(٢)

وهي صريحة في أنه سلك غير الجادة ، وشذ عن السنة الموروثة ، وأنه على بصيرة من ذلك لم يجهله ، ولم يغيب عنه علمه وانما ارتكب ما ارتكب من المخالفات للسنة كهباته للأمويين ، وصلاته لآل أبي معيط ، وتنكيله باعلام الصحابة الناقدين لسياسته ، وغير ذلك من الاحداث الجسم ، انما هو استجابة لعواطفه ورغباته فان نفسه قد منته بذلك حتى ضل عنه رشده وفقد صوابه . على حد تعبيره . ومع اعترافه بذلك ، وتسجيله على نفسه انه انحرف عن الطريق كيف يمكن ان يقال إنه لم يدهن في دينه ، ولم يتعمد الجور والمحاباة.

٢ . أما ما ذكره من أن عثمان وسع على الناس من أموالهم لأنه رأى في بيت المال غنى فآثر الناس به ، ولم يغل في الادخار .. فان هذا لا يمكن المساعدة عليه بوجه فان عثمان لم يوسع على الناس ، ولم ييسط لهم في العيش وإلا لما ثاروا عليه ، وقتلوه ، وإنما وسع على نفسه وخاصته ،

(١) في رواية البلاذري من زل فليتب

(٢) تاريخ الطبري

ووسع على بنى أمية والمؤيدين لسياسته فأثرهم بالفىء ، وخصهم بأموال الدولة الامر الذي اوجب شيوع التذمر ، ونقمة المسلمين عليه في جميع اقطارهم وأقاليمهم حتى أطاحوا بحكمه ، وأردوه قتيلا لم يواروه في قبره حتى ندم خيار المسلمين على عدم حرق جثته ^(١)

٣ . وأما ما أفاده من أنه لا حرج ، ولا اثم على عثمان في صلته لأصحاب النبي ٦ بالأموال لأنهم أئمة المسلمين ، وأصحاب البلاء الحسن ، فأبي الناس احق منهم بالاستمتاع بشيء من هذا الخير . فانه ظاهر البطلان لأن بيت المال . كما ذكرنا غير مرة . هو للمسلمين جميعا لا يختص به قوم دون آخرين ، ويجب صرفه على مصالحهم ، واصلاح شئونهم ، وليس لطائفة مهما علا شأنها ان تختص به ، وتحرم منه الاكثية الساحقة ، على ان الاسلام في ذلك الوقت احوج ما يكون الى بسط عدله الاجتماعي بين الشعوب المتعطشة الى مساواته العادلة التي لا تميز قوما على آخرين ، ولكن عثمان آثر بنى أمية في كل شيء أثرهم بالأموال والوظائف وحملهم على رقاب الناس الامر الذي أدى الى تحطيم المساواة التي جاء بها الاسلام.

وأما سبق المهاجرين من اصحاب رسول الله ٦ الى الاسلام ودفاعهم عن حياضه ، وتحملهم للعناء والبلاء في سبيله فامر لا مجال للشك فيه ، وهم مشكورون عليه ، والله هو الذي يتولى جزاءهم عن ذلك ، ولكن منحهم بالأموال والاعداق عليهم بالنعيم فامر لا مساغ له لأن فيه إحياء للطبقية التي حاربها الاسلام وشجب جميع مظاهرها.

ويمضى الدكتور في تصحيح سياسة عثمان ، ومشروعية هباته للصحابة

(١) قال ذلك الصحابي العظيم عمار بن ياسر انظر الغدير ٩ / ٢١٦

وانه لم يخالف بذلك السنة الموروثة ، وإنما جرى على طبعه السخى ، ولم يذكر هباته الضخمة ، وعطاياه الوافرة للامويين وآل أبي معيط فقد اعرض سيادته عن ذلك ولم يذكره بقليل ولا بكثير ، وهو فيما نحسب من أهم الاسباب التي أدت الى الانكار عليه ، لقد أهمل الدكتور هذه الناحية أما لأنه لم يجد مجالاً للاعتذار عنها أو انه لا يرى بأساً في ذلك كما لا يرى بأساً في عطاياه للصحابة ، ومن المؤسف ان يسف في ذلك ، ويبرر ما خالف السنة.

ولاته على الامصار

ويحتم الاسلام على خليفة المسلمين ، وولي أمرهم أن يجهد نفسه في اختيار ذوي القابليات والمواهب ممن تتوفر فيهم الشروط المطلوبة من العدالة والتقوى ، والنزاهة ، والنصح للرعية ، والسهر على صالحها ، ورعاية شئونها بأمانة واخلاص ليجعلهم ولاة على الامصار والاقاليم ، ولا يجوز ان يولي أي احد مهما كان قريباً له محابة او اثره فان ذلك خيانة لله ولرسوله ، وللمسلمين لأن الولاية يتحملون مسؤولية الحكم ، والقضاء بين الناس ، وادارة شئوهم والاصلاح فيما بينهم ، والائتمان على أموالهم ودمائهم فلا بد ان يكونوا من خيرة الرجال ومن أكثرهم ديناً ، ووقوفاً في الشبهات ، وأبعدهم عن الطمع والحرص ، واصبرهم على تكشف الامور هذا هو رأي الاسلام ، وهذه خطته التي حفل بها نظامه الخالد ، وقد ابتعد عثمان عن ذلك فعمد الى توظيف أسرته وذوى قرباه الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا في الارض فساداً فحملهم على رقاب المسلمين وأسند إليهم اهم الوظائف فجعلهم أمراء على الامصار والاقاليم ، ونشير الى بعضهم مع بيان تراجمهم وهم :

١ . الوليد بن عقبة

وكان على الكوفة واليا سعد بن أبي وقاص الزهري فعزله عثمان عنها وولى عليها الوليد بن عقبة بن أبي معيط ولم يعهد الى اهل الكفاية والقدرة من المهاجرين والانصار الذين احسنوا البلاء في الاسلام ليتولوا شئون هذا المصر الذي هو من اعظم امصار المسلمين أهمية وأكثرها ثغورا. وعلى أي حال فهل ان الوليد كان خليفا لأن يعهد إليه بهذا المنصب الخطير الذي يوكل إليه القضاء بين الناس وإتمامهم به في الصلاة ، والائتمان على بيت المال وغير ذلك من الشؤون التي تتوقف على العدالة والتقوى والحريجة في الدين ونقدم عرضا موجزا لبعض شئونه ليتضح حاله وهي :

أ . نشأته

نشأ في مجتمع جاهلي ، وترى تربية جاهلية ، ولم يدخل بصيص من نور الاسلام في قلبه ، كان ابوه من ألد اعداء رسول الله ﷺ روت عائشة عن رسول الله ﷺ قال : كنت بين شر جارين بين أبي لهب وبين عقبة بن أبي معيط ، إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي حتى أنهم ليأتون ببعض ما يطرحونه من الأذى فيطرحونه على بابي ^(١) وقد بصق هذا اللعين في وجه رسول الله ﷺ وشتمه ، فقال له النبي : إن وجدتكَ خارجا من جبال مكة اضرب عنقك صبرا ، فلما كان يوم بدر وخرج اصحابه امتنع من الخروج فقال له اصحابه اخرج معنا ، قال وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجا من جبال مكة ان يضرب عنقي صبرا ، فقالوا له : لك جمل احمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه فخرج معهم ، فلما هزم الله المشركين حمل به جملة في جود من الارض فأخذه رسول الله ﷺ

(١) طبقات ابن سعد ١ / ١٨٦ ط مصر

أسيرا في سبعين من قريش فقدم إليه فقال عقبه أتقتلني من بين هؤلاء؟ قال نعم بما بزقت في وجهي ، ثم أمر عليا فضرب عنقه ^(١) وقد اترعت نفس الوليد بالحقد والكراهية من النبي ﷺ لأنه قد وتره بأبيه ، ولما لم يجد بدا من الدخول في الاسلام اسلم ولكن قلبه كان مطمئنا بالكفر والنفاق.

ب . فسقه

ونطق القرآن الكريم بفسقه ، وعدم إيمانه مرتين « الاولى » انه جرت بينه وبين امير المؤمنين مشادة ، فقال الوليد له : اسكت فانك صبي وأنا شيخ ، والله اني ابسط منك لسانا ، وأحد منك سنانا ، واشجع منك جنانا ، وأملا منك حشوا في الكثيبة ، فقال له علي : اسكت فانك فاسق فانزل الله تعالى فيهما قوله : (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا) ^(٢) وقد نظم ذلك حسان بن ثابت بقوله :

أنزل الله والكتاب عزيز في علي وفي الوليد قرانا
فتبوا الوليد من ذاك فسقا وعلي مبعوثا وإيمانا
ليس من كان مؤمنا عرف الله كمن كان فاسقا خوانا
فعلي يلقي لدى الله عزا ووليد يلقي هناك هوانا
سوف يجزي الوليد خزيا ونارا وعلي لا شك يجزي جنانا ^(٣)
« الثانية » أنه غش النبي ﷺ وكذب عليه وذلك حينما ارسله في بنى المصطلق ، فعاد الى النبي ﷺ يزعم انهم منعوه الصدقة ، فخرج النبي ﷺ

(١) الغدير ٨ / ٢٧٣

(٢) تفسير الطبري ٢١ / ٦٢

(٣) تذكرة الخواص ص ١١٥

٦ إليهم غازيا فتبين له كذب الوليد ، ونزلت عليه الآية بفسقه قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) ^(١)
ومع اعلان القرآن بفسقه وأثمه كيف يجوز أن يجعل حاكما على المسلمين واماما لهم ومؤتمنا
على أموالهم ودمائهم.

ج . ولايته على الكوفة

واستعمله عثمان واليا على الكوفة بعد عزله لسعد ، فسار فيها سيرة عبث ومجون وتهتك ، ولم
يرع للدين حرمة ووقارا ، وأخذ يعيث فسادا في الارض حتى ضجت الكوفة من مجونه واستهتاره
وتذمر الاخيار والصلحاء من سوء سيرته.

د . شربه للخمر

واقترف الوليد افحش جريمة ، وافطع ذنب فقد ثمل وصلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات ،
وصار يقول : في ركوعه وسجوده : اشرب واسقني. ثم قاء في المحراب وسلم ، وقال هل ازيدكم؟
فقال له ابن مسعود : لا زادك الله خيرا ، ولا من بعثك إلينا ، وأخذ فردة نعله ، وضرب به وجه
الوليد ، وحصبه الناس فدخل القصر والحصباء تأخذه ، وهو مترنح ^(٢) وفي فعله يقول الخطيئة
جروا بن أوس العبسي :

شهد الخطيئة يوم يلقى ربه إن الوليد أحقق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم؟ ثم لا ولا يدرى

(١) سورة الحجرات : آية ٦ يقول ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ / ٦٢ لا خلاف بين اهل العلم بتأويل القرآن فيما
علمت ان الآية نزلت في الوليد.

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٣١٤

ليزيدهم خيرا ولو قبلوا منه لزادهم على عشر
فأبوا أباهم وهب ولو فعلوا لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك اذ جريت ولو خلوا عنانك لم تزل تجري^(١)
وقال الخطيئة فيه أيضا :

تكلم في الصلاة وزاد فيها علانية وجاهر بالنفاق
ومج الخمر عن سنن المصلي ونادى والجميع الى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني فما لكم وما لي من خلاق^(٢)
وهذه البادرة قد دلت على تهتكه ، وتماديه في الاثم والفسوق ، فلم يرع حرمة للصلاة التي هي
من اهم الشعائر الدينية ، واعظمها حرمة عند الله رأي طه حسين

ويعتقد طه حسين ان صلاة الوليد بالمسلمين ، وهو ثمل وزيادته فيها قصة مخترة لا نصيب لها
من الصحة قد وضعها خصوم الوليد والصقوها به ويستدل على ذلك أنه لو زاد فيها لما تبعته
جماعة المسلمين من اهل الكوفة ، وفيهم نفر من اصحاب النبي ، وفيهم القراء والصالحون ، ولما
رضى المسلمون من عثمان بما اقام عليه من حد الخمر ، فان الزيادة في الصلاة والعبث بها اعظم
خطرا عند الله وعند المسلمين من شرب الخمر ، كما يذهب الى ان الشعر الذي هجي به الوليد
لم يقله الخطيئة ، وانما قال الخطيئة شعرا يمدح به الوليد مدح حب حريص على رضاه ، وذكر
أبياتا قالها في مدحه والثناء عليه^(٣) والذي ذكره الدكتور لا يمكن المساعدة

(١) الاغاني ٤ / ١٧٨ . ١٧٩

(٢) الاغاني ٤ / ١٧٨ ، الاستيعاب

(٣) الفتنة الكبرى ١ / ٩٦ . ٩٧

عليه بوجه وذلك . أولا . ان النصوص قد تضافرت بذلك ودونها الكثير ممن ترجم الوليد أو تعرض لأحداث عثمان فقد قال ابو عمر في الاستيعاب : « ان صلاته . اي الوليد . بهم وهو سكران ، وقوله ازيدكم؟ بعد ان صلى الصبح اربعا مشهورة من رواية الثقات من أهل الحديث وأهل الاخبار » وقال ابن حجر في الاصابة : « قصة صلاته بالناس الصبح وهو سكران مشهورة مخرجة » وحكى أبو الفرج في الاغانى (١٤ / ١٧٨) عن ابى عبيد والكلبي والاصمعي ان الوليد بن عقبة كان زانيا شريب خمر فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح فى المسجد الجامع فصلى بهم اربع ركعات ثم التفت إليهم ، وقال لهم ازيدكم؟ وتقياً في المحراب ، وقرأ بهم في الصلاة :

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا
إن التشكيك في هذا الحادث والاعتقاد بأنه من الموضوعات انكار للضروريات ، وتشكيك في البديهييات وفي الهامش ثبت الى المصادر التي دونت ذلك ، وهي توجب القطع بصحته ، وعدم الريب فيه ^(١) . وثانيا . إن الله تعالى هو العالم بسرائر عباده ونياتهم ، وقد اعلن في كتابه الكريم فسق الوليد وفجوره في آيتين فلا يستبعد منه بعد ذلك أن تصدر منه افحش الموبقات واعظم الجرائم . وثالثا . ان صلحاء المسلمين وخيارهم

(١) مسند احمد ١ / ١٤٤ ، سنن البيهقي ٨ / ٣١٨ ، اسد الغابة ٥ / ٩١ . ٩٢ . مروج الذهب ٢ / ٢٢٤ ، الكامل لابن الاثير ٣ / ٤٢ ، تاريخ ابى الفدا ٢ / ١٧٦ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٤ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٤٢ ، الاصابة ٣ / ٦٣٨ ، هذه بعض المصادر التي نصت على ذلك ، فعلى اي مصدر اعتمد الدكتور في افتعال القصة وعدم صحتها .

قد انكروا عليه ونقموا منه وثاروا في وجهه ، فقد ضربه عبد الله بن مسعود بنعله ، وحصبه الناس .
كما تقدم . وخرج رهط من الكوفة فاستجاروا باعلام الصحابة ، لينقذوهم من امارة الوليد
واستهتاره . كما سنذكر ذلك . وما زعمه الدكتور طه حسين ان جماعة من المسلمين من أهل
الكوفة قد تبعته وفيهم من أصحاب النبي والصالحين ، قد غالط بذلك الحقائق التاريخية التي
نصت على ما ذكرناه . ورابعا . ان الخطيئة وان كان قد مدح الوليد واخلص له فانه لا ينافي أنه نقم
منه وهجاه على ارتكابه هذه الجريمة النكراء التي سود بها وجه التاريخ الاسلامي والعربي .

إن الخطيئة عرف بالهجاء والمدح فهو قد يمدح شخصا يأمل منه البر والخير فاذا لم يعطه هجاء
وذمه فقد قصد بني ذهل يسترفدهم ، ويستميحهم العطاء ، ويقول في مدحهم :

إن اليمامة خير ساكنها أهل القرية من بني ذهل
قوم اذا انتسبوا ففرعهم فرعي وأثبت أصلهم أصلي
فلم يعطوه شيئا فقال يهجوهم :

ان اليمامة شر ساكنها أهل القرية من بني ذهل
وكان اذا غضب على بنى عبس يهجوهم ويقول انا من بنى ذهل وإذا غضب على بنى ذهل
يهجوهم ويقول لهم : أنا من بنى عبس ، وقد غضب على أمه فهجاها بقوله :

تنحي فاجلسى منى بعيدا أراح الله منك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا وكانونا على المحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا

والتمس انسانا يهجووه فلم يجده فانشأ يقول :

أبـت شـفتاي اليـوم إلا تكـلما بشر فما ادري لمن انا قائله

وجعل يردد البيت ، ولا يرى انسانا حتى اذا طلع على حوض فرأى وجهه فقال :

أرى لي وجهها شـوه الله خلقـه فقبح من وجهه وقبح حامله ^(١)

هذا هو الخطيئة فهل خفى حاله على الدكتور حتى يستبعد منه ان يمدح الوليد ويهجووه؟

وعلى أي حال فان طه حسين قد حاول تبرير الوليد ، وتنزيهه عن الموبقات والآثام وإلحاقه بالامراء الصالحين الذين لم يجوروا عن القصد في حكمهم وقد قال فيه ما نصه :

« إن الوليد قد سار في اثناء ولايته على الكوفة سيرة فيها كثير جدا من الغناء وحسن البلاء. فهو لم يقصر في سد الثغور والامعان في الفتح ، وإنما بلغ من ذلك غاية عرفت له وتحدث بها الناس في حياته وبعد موته وهو قد ساس الكوفة سياسة حزم وعزم ومضاء ، فافر الامن ، وضرب على ايدي المفسدين من الاحداث والذين لا يراعون للنظام حرمة ، ولا يرجون للدين وقارا. ^(٢) »

وهل يستطيع الدكتور ان يثبت ذلك ويدلنا على معالم تلك السياسة الرشيدة التي سار عليها الوليد وتحدث الناس بها في حياته وبعد وفاته ، ولو كان الامر كما ذكره لما قام سعيد بن العاص . الذي عينه عثمان واليا على الكوفة بعد عزله للوليد . بغسل المنبر تخرجاً من موبقات الوليد

(١) الاغانى المجلد الثانى القسم الاول ص ٧٦ . ٨٤ ط دار الفكر

(٢) الفتنة الكبرى ١ / ٩٤ . ٩٥

وآثامه. نعم لقد تحدث الناس ، ولا زالوا يتحدثون عن مهازل الحكم الاموي الذي بنى على الاثرة والاستغلال والتحكم فى رقاب المسلمين ، وخيانة الامة ، وقهرها واذلالها باستعمال الوليد وأمثاله من الماجنين والمستهترين حكاما وولاة عليها وإنا لنأسف من الدكتور ان يدافع عن هؤلاء الخونة الذين هم صفحة عار وخزي على الامة العربية والاسلامية.

هـ . اقامة الحد عليه

واسرع قوم من الكوفيين ممن يهتمهم الاصلاح الى يثرب ليعرضوا على عثمان جريمة الوليد ، وانتهاكه لحمة الاسلام ، وقد صحبوا معهم خاتمه الذي انتزعوه منه وهو في حالة السكر ، ولما انتهوا الى يثرب قابلوا عثمان ، وشهدوا عنده ان الوليد قد شرب الخمر فزجرهم عثمان وقال لهم : « وما يدريكما أنه شرب خمرا؟. »

« هى الخمر التي كنا نشرها في الجاهلية »

وأخرجوا له خاتمه الذي انتزعوه منه ، فثار عثمان ، وقام فدفع في صدورهم ، وقابلهم بأمر القول ، فانطلقوا الى امير المؤمنين ^(١) وأخبروه بالامر فأقبل الامام الى عثمان وقال له :

(١) وذكر ابو الفرج في الاغانى ٤ / ١٧٩ ان القوم فزعوا الى عائشة فاستجاروا بها واصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة فقال : اما يجد مراق اهل العراق وفساقهم ملجأ الا بيت عائشة ، فسمعت فرفعت نعل رسول الله «ص» وقالت تركت سنة رسول الله صاحب هذا النعل. فتسامع الناس فجاءوا حتى ملأوا المسجد فممن قائل : احسنت ، ومن قائل ما للنساء ولهذا؟ حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال ودخل رهط من اصحاب رسول الله على عثمان فقالوا له : اتق الله لا تعطل الحد واعزل احاك.

« دفعت الشهود وأبطلت الحدود؟ »

« ما ترى؟ »

« أرى ان تبعث الى صاحبك فان اقاما الشهادة في وجهه ، ولم يدل بحجة أقمت عليه الحد.

«

ولم يجد عثمان بدا من الاذعان ، والاستجابة لقول الامام فكتب الى الوليد يأمره بالشخص
إليه ، ولما وصلت رسالته إليه نزع عن الكوفة فانتهى الى يثرب ، ودعا عثمان الشهود فأقاموا عليه
الشهادة ، ولم يدل الوليد بأي حجة يدافع بها عن نفسه ، وامتنع حضار المجلس من القيام بحده
نظرا لقربه من عثمان ، فانبرى امير المؤمنين فأخذ السوط ودنا منه فسبه الوليد ، وقال : يا
صاحب مكس^(١) فاندفع عقيل بن أبي طالب ، فرد على الوليد قائلاً :

« إنك لتتكلم يا بن ابي معيط ، كأنك لا تدري من أنت ، وأنت عالج من أهل صفورية .
وهي قرية بين عكة واللجون من اعمال الاردن من بلاد طبرية ، كان ذكوان اباه يهوديا منها .
وجعل الوليد يروغ من الامام فاجتذبه ، وضرب به الارض وعلاه بالسوط ، فثار عثمان ، وقد
علاه الغضب فقال للامام :

« ليس لك ان تفعل به هذا .. »

« بلى وشر من هذا اذا فسق ومنع حق الله ان يؤخذ منه .. »^(٢)

واقام الامام عليه الحد وكان اللازم بعد هذا الحادث أن يبعده عثمان ولا يقربه إليه حتى يرتدع
هو وغيره من ارتكاب المنكر والفساد ولكنه

(١) المكس : النقص والظلم.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٢٢٥

لم يلبث ان رق عليه وولاه صدقات كلب ، وبلقين ^(١) وكيف يؤتمن هذا الخليع الفاسق على صدقات المسلمين وأموالهم؟

إن الامصار الاسلامية التي استجد تأسيس بعضها ، والتي لم يستجد تأسيسها كان يقيم فيها العربي وغيره من النازحين عن أوطانهم لطلب الرزق والعيش ، والاسرى الذين كانوا يقيمون مع الفاتحين وكل اولئك كانوا جديدي عهد بالاسلام فكانوا ينتظرون من خليفة المسلمين وولي أمرهم ان يستعمل عليهم رجالا اترعت نفوسهم بالتقوى والصلاح ، وتوفرت فيهم النزعات الخيرة ليكونوا قدوة لهم وهداة قبل ان يكونوا حكاما وامراء ولكن عثمان آثر في الحكم بنى أمية وآل أبي معيط وهم لا يمثلون إلا الترف والدعارة والبطالة والفراغ والتهالك على اللذة والمجون.

٢ . سعيد بن العاص

وبعد ان اقترب الوليد تلك الجريمة النكراء اقصاه عثمان عن امارة الكوفة على كره منه ، وكان من المتوقع ان يسند الحكم الى أحد اعلام الصحابة من الذين أبلوا في الاسلام بلاء حسنا ، ولكنه عمد الى سعيد ابن العاص فولاه هذا المصر العظيم ، وقد استقبله الكوفيون بالكراهية وعدم الرضا لأنه كان شابا مترفا ^(٢) لا يتخرج من الاثم ولا يتورع من الإفك روى ابن سعد أنه قال مرة في فطر رمضان . بعد أن ولي مصر . من رأى منكم الهلال؟ فقال إليه هاشم بن عتبة الصحابي العظيم « انا رأيته »

فوجه إليه لاذع القول وأقساه قائلا :

« بعينك هذه العوراء رأيته؟! »

(١) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٤٢

(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ٢١ ، تاريخ ابن عساكر ٦ / ١٣٥

فالتاع هاشم واجابه

« تعيرني بعينى ، وإنما فقئت في سبيل الله . وكانت عينه اصيبت يوم اليرموك . ».

واصبح هاشم في داره مفطرا عملا بقول رسول الله ٦ : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » وفطر الناس لإفطاره ، وبلغ ذلك سعيدا ، فأرسل إليه وضربه ، وحرق داره ، وقد أثار حفاظ النفوس بهذا الاعتداء الصارخ على علم من أعلام الاسلام.

وأثر عنه انه قال : إنما السواد . اي سواد الكوفة . بستان لقريش فقام إليه الاشر فقال له : أتجعل مراكز رماحنا ، وما أفاء الله علينا بستانا لك ولقومك؟ والله لو رامه أحد لقرع قرعا يتصأصأ منه ، وانضم الى الاشر قراء المصر وفقهاؤهم فأيدوا مقالته ، وغضب صاحب شرطة سعيد فرد عليهم ردا غليظا فقاموا إليه فضربوه ضربا منكرا حتى اغمي عليه ، وقاموا من مجلسه وهم يطلقون ألستهم بنقده ، ويذكرون مثالب عثمان ، وسيئات قريش ، وجرائم بنى أمية وكتب سعيد الى عثمان يخبره بأمر هؤلاء ، فأجابه عثمان ان يسيرهم الى الشام ، وكتب في نفس الوقت الى معاوية يأمره باستصلاحهم.

والمهم ان هؤلاء لم يرتكبوا اثما او فسادا ، ولم يقترفوا جرما حتى يستحقوا هذا التنكيل والنفى وانما نقدوا اميرهم لأنه شذ عن الطريق ، وقال غير الحق ، والاسلام قد منح الحرية التامة للمواطنين ، ومنها حرية النقد للحاكمين إن سلكوا غير الجادة ، وعدلوا عن الطريق القويم ، فعلى اي وجه يصح نفيهم عن اوطانهم وهم لم يخلعوا يدا عن طاعة ولم يفارقوا جماعة .. وعلى أي حال فقد اخرجهم سعيد بالعنف ، وأرسلهم الى الشام

الى بلد لا يآلفون الى اهلها ولا يسكنون الى من فيها ، وتلقاهم معاوية فانزلهم في كنيسة ، واجرى عليهم بعض الرزق ، وجعل يناظرهم ، ويعظهم ولكنه لم ينجح في اقناعهم ، فقد كان منطقهم منطق الاحرار ، فأى ، مزية تمتاز بها قريش حتى يكون السواد ملكا لها ، وأي مآثرة صدرت لها حتى تمتاز على بقية العرب والمسلمين ، ولما يئس منهم معاوية كتب الى عثمان يستعفيه من بقائهم في الشام خوفا من ان يفسدوا أهلها عليه ، فأعفاه عثمان وأمره ان يردهم الى الكوفة ، فعادوا إليها وهم مصرورون على نقد الحكم القائم وأطلقوا السنتهم في ذكر مثالب سعيد ومعاوية وعثمان وأعاد سعيد الكتابة الى عثمان يطلب منه ابعاد القوم عن مصرهم ، فأجابه عثمان الى ذلك ، وأمره ان ينفيهم الى حمص والجزيرة فاخرجهم من وطنهم الى حمص ، فقابلهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد عامل معاوية على حمص اعنف لقاء وأشدّه ، وأخذ يسومهم سوء العذاب ، ويقابلهم بأغلظ القول وأفحشه ، وكان اذا ركب أمر بهم فسااروا حول ركابه ، ليظهر هوانهم واذلالهم ، ويغري الناس بانتقاصهم ولما رأوا تلك القسوة اظهروا الطاعة وأعلنوا التوبة ، وطلبوا منه ان يقللهم من ذنوبهم فأقالهم ، وكتب الى عثمان يسترضيه عنهم ويسأله العفو عنهم فأجابه الى ذلك وردهم الى الكوفة ونزع سعيد بن العاص الى يثرب في مهمة له فوجد القوم هناك يشكونه الى عثمان ويسألونه عزله ، ولكن عثمان ابى وامتنع من اجابتهم ، وأمره ان يرجع الى عمله فقفل القوم راجعين الى مصرهم قبله فاحتلوا الكوفة وأقسموا ان لا يدخلها سعيد ما حملوا سيوفهم ، ثم خرجوا في جمع بقيادة الاشر حتى بلغوا الجرعة ، فانتظروا سعيدا فلما أقبل ردوه ومنعوه من دخول المصر ، وأجبروا عثمان على عزله وتولية غيره فاستجاب عثمان على

كره منه لذلك. ^(١)

والمهم ان عثمان قد نكل بالناقدين لسعيد بن العاص وهم قراء المصر وفقهاؤه ونفاهم عن اوطانهم وبالع في ارهاقهم من أجل شاب طائش لأنه من ذويه واسرته الامر الذي أوجب شيوع التذمر وانتشار السخط عليه ، وكراهية الامة لحكمه.

٣. عبد الله بن عامر

وعزل عثمان أبا موسى الاشعري عن ولاية البصرة ، واختار لها ابن خاله عبد الله بن عامر بن كريز ^(٢) فولاه اياه وهو ابن أربع أو خمس وعشرين سنة ^(٣) وبلغ ذلك ابا موسى فقال للناس : « يأتىكم غلام خراج ولاج ، كريم الجدات والحالات والعمات يجمع له الجندان. ^(٤) والمهم أنه ولده هذا المصر العظيم وهو شاب حدث السن ، وكان الاولى ان يختار له من خيار الصحابة وثقاتهم ليستفيد الناس من هديه وصلاحه ، ولكنه عمد الى اختيار هذا الفتى لأنه ابن خاله ، وقد سار في اثناء ولايته سيرة ترف وبذخ ، فكان . كما قال الاشعري . ولاجا خراجا فهو أول من لبس الخنز في البصرة ، وقد لبس جبة دكناء فقال الناس : لبس الامير جلد دب ، فغير لباسه ولبس جبة حمراء ^(٥) وقد انكر عليه

(١) الانساب ٥ / ٣٩ - ٤٣ ، تأريخ الطبري ٥ / ٨٨ ، تأريخ ابي الفداء ١ / ١٦٨

(٢) تهذيب التهذيب ٥ / ٢٨٢ ، وجاء فيه ان أم عثمان اوى بنت كريز

(٣) الاستيعاب المطبوع على هامش الاصابة ٢ / ٢٥٣

(٤) الكامل ٣ / ٣٨

(٥) اسد الغابة ٣ / ١٩٢

عامر بن عبد الله التميمي الزاهد العابد وعاب عليه سياسته كما عاب على عثمان فقد روى الطبري : انه اجتمع ناس من المسلمين فتذكروا أعمال عثمان ، وما صنع فاجتمع رأيهم أن يبعثوا إليه رجلا يكلمه ويخبره باحداثه فارسلوا إليه عامر بن عبد الله ، ولما التقى به قال له : « إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا في اعمالك فوجدوك قد ركبت امورا عظاما ، فاتق الله عز وجل وتب إليه ، وانزع عنها. »

فاحتقره عثمان وقد لسعه قوله فقال لمن حوله : « انظروا الى هذا فان الناس يزعمون انه قارة ثم هو يجيء فيكلمني في المحقرات ، فو الله ما يدري أين الله؟. »

فقال له عامر : أنا لا أدري اين الله؟

. نعم

. اني لأدري أن الله بالمرصاد

وارسل عثمان الى مستشاريه وعماله فعرض عليهم الامر فأشار عليه عبد الله بن عامر فقال له :

« رأيي لك ، يا أمير المؤمنين ان تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك ، وان تجمهرهم في المغازي حتى يذلوا لك ، فلا يكون همّة احدهم إلا نفسه وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته .. »
واشار عليه آخرون بغير ذلك إلا انه استجاب الى رأى عبد الله فرد عماله ، وأمرهم بالتضييق على من قبلهم ، وأمرهم بتجمير الناس في البعوث ، كما عزم على تحريم اعطيائهم ليطيعوه ، ويحتاجوا إليه. ^(١)

ولما وصل عبد الله بن عامر الى البصرة عمد الى التنكيل بعامر بن

(١) تأريخ الطبري ٩٤ / ٥ ، تأريخ ابن خلدون ٣٩ / ٢

عبد الله ، فقد اوعز الى عملائه واذنابه أن يشهدوا عنده بأن عامرا قد خالف المسلمين في امور أحلها الله فهو لا يأكل اللحم ، ولا يرى الزواج ولا يشهد الجمعة ^(١) ورفع تقريراً الى عثمان فامر به بنفيه الى الشام على قتب فحمل إليها ، وانزله معاوية (الخضر) وبعث إليه بجارية ، وأمرها ان تتعرف على حاله وتكون عينا عليه ، فرأت أنه يقوم في الليل متعبدا ويخرج من السحر فلا يعود إلا بعد العتمة ولا يتناول من طعام معاوية شيئا ، وكان يجيء بكسر من الخبز ويجعلها في ماء ، ويشرب من ذلك الماء ، فأخبرته الجارية بشأنه ، فكتب معاوية الى عثمان بأمره ، فأوعز إليه بصلته ^(٢)

وقد نقم المسلمون من عثمان لأنه نفى رجلا من صلحاء المسلمين ^(٣) وأبعده عن اهله ووطنه لأنه نقد عماله وعاب ولاته ، وليس لولي الامر الصلاحية في هذا النفي فانه إنما شرع لمن حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا.

وعلى اي حال فان عبد الله بن عامر ظل واليا على البصرة الى أن قتل عثمان فلما سمع بمقتله نهب ما في بيت المال ، وسار الى مكة فوافى بها طلحة والزبير وعائشة فانضم إليهم ، وأمد المتمردين بالاموال ، وكان من عزمهم ان يتوجهوا الى الشام إلا انه صرفهم عنه ، وأشار عليهم بالمسير الى البصرة ^(٤)

(١) الفتنة الكبرى ١ / ١١٦

(٢) الاصابة ٣ / ٨٥

(٣) العقد الفريد ٢ / ٢٦١

(٤) اسد الغابة ٣ / ١٩٢

٤ . معاوية بن أبي سفيان

ومعاوية بن أبي سفيان أكثر ولاية عثمان حظا ، وأعظمهم نفوذا ، واسبقهم امرة كما ان شعبه من أكثر الشعوب طاعة وإخلاصا له قد أحبه وأحبهم ، وقد منحه عمر بالامارة ، وحباه بالولاية ، وأيده بجميع ألوان التأييد فرفع شأنه ، وأعلا قدره فكان في كل سنة يحاسب عماله ، ويشاطروهم أموالهم وان اكتسبوها بالتجارة او ربحوها بسائر الوجوه المشروعة ، سوى معاوية فانه لم يحاسبه ، ولم يشاطره ، ولم يتفقد اموره وانما كان يضمنى عليه المديح والثناء ، ويبالغ في تسديده والاعتذار عنه ، فكانوا يقولون له : إنه يلبس الديباج والحريز وهو لباس محرم في الاسلام ، وانه يسرف ويبدخ وهو مخاف للنظم الادارية التي جاء بها الاسلام فانها تلزم الولاة بالاعتصاف وعدم البسط في العيش من أموال المسلمين.

كانوا يقولون لعمر ذلك : فيعتذر عنه ، ويقول : ذاك كسرى العرب ، ولو فرضنا انه كان كذلك فهل يباح له أن يلبس المحرم ، ويسرف في أموال المسلمين؟ ولم يكتف بهذا المد والتأييد ، فقد نفخ فيه روح الطموح ، وفتح له باب الامل بالخلافة ، فقد قال لأعضاء الشورى : « ان تحاسدتم وتقاعدتم ، وتدابرتم ، وتباغضتم ، غلبكم على هذا معاوية بن ابي سفيان ، وكان إذ ذاك أميراً على الشام ^(١) وقد دفعه ذلك الى الاتجاه للخلافة ، واتخاذ جميع الوسائل للظفر بالحكم ، واعلانه للتمرد على حكومة الامام أمير المؤمنين ، ومناجزته له ، كما سنذكر ذلك بالتفصيل في غضون هذا الكتاب.

وعلى اي حال فقد ظل معاوية واليا على الشام والاردن طيلة خلافة

(١) نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١ / ١٨٧

عمر يتصرف حيثما شاء ، قد استأثر بالاموال فشرى بها الضمائر ، واحاط نفسه بالاتباع لا رقيب عليه ، ولم توجه له اي مسئولية ، وانما يرى التسديد ، والمديح والرضا بما يعمل ، وبعد وفاة عمر أقره عثمان على عمله ، وزاد في سلطانه فضم إليه فلسطين بعد موت عاملها عبد الرحمن ابن علقمة الكناني ، كما ضم إليه حمص بعد ان استعفاه عاملها عمير بن سعد الانصاري ، وبذلك خلصت له ارض الشام كلها ، واصبح من اعظم الولاة قوة ، ومن اكثرهم نفوذا ، واصبح قطره من اهم الاقطار الاسلامية وامنعها واكثرها هدوءا واستقرارا.

ومما لا شبهة فيه ان عثمان قد زاد في نفوذه ، ووسع رقعة سلطانه ، ومهد له نقل الخلافة الاسلامية الى آل ابي سفيان ، وقد صرح بذلك الدكتور طه حسين قال ما نصه :

« وليس من شك في ان عثمان هو الذي مهد لمعاوية ما اتيح له من نقل الخلافة ذات يوم الى آل أبي سفيان وتثبيتها في بنى أمية. فعثمان هو الذي وسع على معاوية في الولاية فضم إليه فلسطين وحمص ، وأنشأ له وحدة شامية بعيدة الارجاء ، وجمع له قيادة الاجناد الاربعة ، فكانت جيوشه أقوى جيوش المسلمين. ثم مد له في الولاية أثناء خلافته كلها كما فعل عمر ، واطلق يده في امور الشام اكثر مما اطلقها عمر. فلما كانت الفتنة نظر معاوية فاذا هو أبعد الامراء بالولاية عهدا وأقواهم جندا وأملكهم لقلب رعيته. »^(١)

إن عثمان قد عبّد له الطريق ، وأتاح له الفرصة لمنازعة أمير المؤمنين ومحاربتة ، وارتكابه لفظائع المنكرات والموبقات ، وقتله صلحاء المسلمين

(١) الفتنة الكبرى ١ / ١٢٠

وثقاتهم كحجر بن عدي واخوانه المؤمنين ، وغير ذلك من المآثم والجرائم

٥ . عبد الله بن سعد

وحبا عثمان اخاه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح بولاية مصر ، ومنحه إمارة هذا القطر العظيم فجعل بيده امر صلاته وخراجه ^(١) وقبل ذلك منحه الاموال الطائلة ، ووهبه خمس غنائم إفريقية ، ولم يكن خليقا بذلك كله لأن له تأريخا أسودا حافلا بالآثام والموبقات فقد ارتد مشركا بعد اسلامه ، وصار الى قريش بمكة يسخر بالنبي ويقول لهم : اني اصرفه حيث اريد ، واهدر النبي دمه يوم الفتح ، وان وجد متعلقا باستار الكعبة ، ففر الى عثمان ، واستجار به فغيبه ، وبعد ما اطمأن أهل مكة أتى به الى النبي ﷺ فصمت طويلا ثم آمنه وعفا عنه فلما انصرف عثمان قال النبي ﷺ : ما صمت الا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه ، فقال له رجل من الانصار : هلا أومأت الي يا رسول الله؟ فقال : إن النبي لا ينبغي ان تكون له خائنة الاعين ^(٢)

ونزل القرآن الكريم بكفره وذمه قال تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) ^(٣) واجمع المفسرون أنه هو المعنى بهذه الآية ، وسبب ذلك انه لما نزلت الآية (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) دعاه النبي فأملأها عليه فلما انتهى الى قوله : (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) عجب عبد الله في تفصيل خلق الانسان فقال : تبارك الله أحسن الخالقين ، فقال

(١) الولاية والقضاة : ص ١١

(٢) تفسير القرطبي ٧ / ٤٠ ، تفسير الشوكاني ٢ / ١٣٤ ، سنن أبي داود ٢ / ٢٢٠

(٣) سورة الانعام : آية ٩٣

النبي : هكذا انزلت علي فشك عبد الله ، وقال : لمن كان محمد صادقا لقد اوحى الي كما اوحى إليه ، وإن كان كاذبا لقد قلت كما قال : فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ^(١)

أمثل هذا المرتد الذي سخر بالنبي ورجع عن حظيرة الاسلام يكون واليا على المسلمين وتسلم له قيادتهم ، ويكون مؤتمنا على أموالهم ، ودمائهم إن ذلك والله هو الرزء القاصم الذي يذيب لفائف القلوب ، وتذوب النفوس من هوله اسي وحسرات ، أعطى امارة المسلمين ، وتمنح اقطارهم وامصارهم الى اعداء الاسلام وخصومه الذين لم يألوا جهدا في البغى على الاسلام والكيد له فانا لله وإنا إليه راجعون.

وعلى اي حال فقد مكث الرجل واليا على مصر سنين ، وكلف المصريين فوق ما يطيقون ، وساسهم سياسة عنف وجور ، واظهر الكبرياء والغطرسة ، فضجر الناس منه ، وسئموا حكمه فخفف اختيارهم يشكونه الى عثمان فبعث إليه رسالة يتهدده فيها ، ويتوعده بالعزل ان لم يعوب الى الرشاد ولكنه ابى أن ينزع عما نجاه ، ونكل بمن شكاه الى عثمان حتى قتله فخرج سبع مائة رجل من مصر الى يثرب فنزلوا الجامع ، وشكوا الى اصحاب النبي ما صنع بهم ابن ابي سرح ، فانبرى طلحة الى عثمان فكلمه بكلام شديد ، وأرسلت إليه عائشة ان ينصف القوم من عاملهم ، ودخل عليه أمير المؤمنين فقال له :

« إنما يسألك القوم رجلا مكان رجل ، وقد ادعوا قبله دما فأعزله عنهم ، واقض بينهم ، فان وجب عليه حق فانصفهم منه ».

فاستجاب لذلك ، وقال لهم : اختاروا رجلا اوليه عليكم مكانه ،

(١) تفسير الرازي ٤ / ٩٦ تفسير الخازن ٢ / ٣٧ الكشف ١ / ٤٦١

فاشار الناس عليه بمحمد بن ابي بكر فكتب عهده الى مصر ، ووجه معه عدة من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن ابي سرح^(١) ونزحوا عن يثرب فلما بلغوا الى المحل المعروف (بحمس) وإذا بقادم من المدينة تأملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فتفحصوا عن حاله واذا يحمل رسالة الى ابن ابي سرح يأمره التنكيل بالقوم ، تأملوا الكتاب فاذا هو بخط مروان ، فرجعوا الى يثرب ، وصمموا على خلع عثمان او قتله.

إن عثمان قد سمى لحنفه بظلفه ، وجر البلاء لنفسه ، وعرض الامة للخطوب والويلات في سبيل اسرته ، وتدعيم كيائها ، ولو أنه استجاب لرأي الامام ، والناصحين له فاقصى بنى أمية عن مراكز الحكم لكان بمنجاة عن تلك الثورة التي اودت بحياته ، وفتحت باب الفتن بين المسلمين ، وفرقت كلمتهم ، وجعلتهم احزابا (**كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**) وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض عماله وولاته الذين ما استعملهم الا اثره ومحاباة.

تنكيله بالصحابة :

ونكل عثمان بخيار المسلمين وثقاتهم من الذين أبلوا في الاسلام بلاء حسنا. وساهموا في بنائه ، لأنهم عابوا عليه سياسته ، وطلبوا منه أن يسير على المحجة البيضاء ، ويهتدي بسنة الرسول ، ويقتفى أثره ، فلم يستجب لارشادهم ولم يثب لنصحهم ، فشددوا عليه في المعارضة والنكير فصب عليهم جام غضبه ، وبالع في اضطهادهم وارهاقهم ، وهم كما يلي :

١ . عبد الله بن مسعود

وعبد الله بن مسعود اشبه الناس هديا وسمتا برسول الله صلى الله

(١) الانساب ٥ / ٢٦

عليه وآله ^(١) ويقول فيه رسول الله ﷺ : « من سره ان يقرأ القرآن غضا او رطبا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » ^(٢) واثني عليه قوم عند أمير المؤمنين فقال ٧ : أقول فيه مثل ما قالوا : وهو أفضل من قرأ القرآن ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، فقيه في الدين ، عالم بالسنة ^(٣) وهو ممن نزلت فيهم الآية الكريمة ^(٤) (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ) ^(٥) وهو أيضا ممن نزلت فيهم الآية ^(٦) قال تعالى : (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) ^(٧)

ان عبد الله بن مسعود من أقطاب المسلمين في هديه ، وصلاحه ، وورعه ، وتخرجه في الدين ، سيره عمر في عهده الى الكوفة مع عمار بن ياسر ، وكتب لأهل الكوفة كتابا جاء فيه :
« إني قد بعثت عمار بن ياسر اميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء من اصحاب رسول الله من اهل بدر فاقتدوا بهما ، واطيعوا

(١) مسند احمد ٥ / ٣٨٩ ، حلية الاولياء ١ / ١٢٦ كنز العمال ٧ / ٥٥

(٢) صفة الصفوة ١ / ١٥٦ سنن ابن ماجه ١ / ٦٣

(٣) مستدرک الحاكم ٣ / ٣١٥

(٤) طبقات ابن سعد ٣ / ١٠٨

(٥) سورة آل عمران آية ١٧٢

(٦) تفسير الطبري ٧ / ١٢٨ الدر المنثور ٣ / ١٣

(٧) سورة الانعام آية ٥٢

واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي^(١)

وبقى ابن مسعود في الكوفة طيلة خلافة عمر وهو يفقه المسلمين في دينهم ، ويعلمهم كتاب الله ، ويغذيهم بمعارف الاسلام وهديه ويرشدهم الى سواء السبيل ، وكان في نفس الوقت خازنا لبيت المال ، ولما آل الامر الى عثمان وبعث الوليد واليا على الكوفة جرت بينه وبين الوليد مشادة - ذكرناها عند البحث عن اماره الوليد على الكوفة - أوجبت أن يستقيل من منصبه وبقي في الكوفة وقتا ثم غادرها فشيعة الكوفيون وحزنوا على فراقه ، وقالوا له عند وداعه :

« جزيت خيرا فلقد علمت جاهلنا ، وثبت علمنا ، وأقرأتنا القرآن وفقهتنا في الدين ، فنعم أخو الاسلام أنت ، ونعم الخليل »

ثم ودعوه وانصرفوا وواصل ابن مسعود المسير حتى انتهى الى يثرب وكان عثمان على منبر رسول الله ﷺ يخطب فلما رآه قال للمسلمين وأشار الى ابن مسعود « ألا انه قدمت عليكم دويبة سوء ، من يمشي على طعامه يقىء ويسلح .. »

أيشتم صاحب رسول الله ﷺ بهذا الكلام المر ، ويقابل بمثل هذه الجفوة من أجل الوليد الذي خان الله ورسوله ونهب أموال المسلمين؟! ورد عليه ابن مسعود قائلا :

« لست كذلك ، ولكني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ، ويوم بيعة الرضوان. »

وقد اثار كلام عثمان حفاظ النفوس فاندفعت عائشة تعلن انكارها وسخطها عليه قائلة :

(١) اسد الغابة ٣ / ٢٥٨

« أي عثمان. اتقول هذا لصاحب رسول الله؟! »

وأمر عثمان جلاوزته فاخرجوا الصحابي العظيم من المسجد اخراجا عنيفا ، وقام إليه عبد الله بن زمعة فضرب به الارض ، وقيل بل احتمله « يحموم » غلام عثمان ورجلاه تحتلفان على عنقه حتى ضرب به الارض فدق ضلعه.

وثار أمير المؤمنين فانبرى الى عثمان فقال له :

. يا عثمان ، أتفعل هذا بصاحب رسول ٦ بقول الوليد بن عقبة؟؟

. ما بقول الوليد فعلت هذا ، ولكن وجهت زيد بن الصلت الكندي الى الكوفة ، فقال له

ابن مسعود : إن دم عثمان حلال

. احلت عن زيد على غير ثقة!!^(١)

وحمل امير المؤمنين ابن مسعود الى منزله فقام برعايته حتى أبل من مرضه ، فقاطعه عثمان ، وهجره ، ولم يأذن له في الخروج من يثرب ، كما قطع عطاءه ، ومرض ابن مسعود مرضه الذي توفي فيه فدخل عليه عثمان عائدا فقال له :

. ما تشتكى؟

. ذنوبي

. فما تشتهي؟؟

. رحمة ربي

. ألا ادعو لك طبيبا؟

. الطبيب امرضني

(١) الانساب ٥ / ٣٦

. آمر لك بعطائك

. منعنيه وأنا محتاج إليه ، وتعطينه وأنا مستغن عنه

. يكون لولدك

. رزقهم على الله

. استغفر لي يا ابا عبد الرحمن؟

. أسأل الله ان يأخذ لي منك بحقي

وانصرف عثمان ولم يظفر برضائه ولما ثقل حاله اوصى ان لا يصلي عليه عثمان ، وان يصلي عليه صاحبه عمار بن ياسر ، ولما انتقل الى دار الحق قامت الصفوة من اصحابه بأمره فدفنوه بالبقيع ، ولم يخبروا عثمان فلما علم غضب وقال : سبقتوني ، فرد عليه الطيب ابن الطيب عمار بن ياسر قائلا :

« انه اوصى ان لا تصلي عليه .. »

وقال ابن الزبير :

لأعرفنك بعد الموت تنديني وفي حياتي ما زودتني زادي^(١)

لقد صب عثمان جام غضبه على ابن مسعود فاهانه وحقره وجفاه ، وقطع عطاءه ، واوعز الى شرطته بضربه ، وفرض عليه الإقامة الجبرية في يثرب ، ولم يرع شبهه بالنبي في هديه وسمته ، وماله من عظيم الجهاد وحسن البلاء في الاسلام ، لقد نقم منه عثمان لأنه انكر عليه منحه للوليد أموال المسلمين وهو خازن لها ، ولم يجد اي مبرر لهذا التلاعب في ميزانية الدولة ، فراح يوحى من دينه وعقيدته ينكر عليه ويشجب تصرفاته

(١) الانساب تأريخ ابن كثير ٧ / ١٦٣ ، مستدرک الحاكم ٣ / ١٣ وغيرها

٢. أبو ذر

وأبو ذر أعظم شخصية عرفها التاريخ الاسلامي فقد تجسدت فيه جميع طاقات الاسلام ، وعناصره ومقوماته ، ووعى حقيقة الاسلام ، وتغذى بجوهره وواقعه ، وهو اقدم من سبق الى اعتناقه والايمان به ^(١) وجهر بالشهادتين أمام قريش فانبرت إليه عتاتهم فأوجعوه ضربا ، والهبوا جسمه بالسياط حتى كاد أن يتلف ^(٢) ولم يشنه ذلك فقد انطلق كالمارد الجبار يدعو قومه الى الاسلام ، وهجر الاوثان ، وكان من ابرز الصحابة في علمه وورعه وتقواه وزهده وتجرجه في الدين ، وقد أثر عن رسول الله ﷺ أنه قال فيه :

« ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة اصدق من أبي ذر ، من سره أن ينظر الى زهد عيسى بن مريم فليتنظر الى أبي ذر .. » ^(٣)

لقد كان ازهد الناس في الدنيا ، وأقلهم احتفالا بمنافعها ، وأشدّهم خوفا من الله وانصرافا عن اباطيل الحياة ، وكان رسول الله ﷺ يأتمنه حين لا يأتمن أحدا ، ويسر إليه حين لا يسر الى احد ^(٤) وهو أحد الثلاثة الذي أحبههم الله ، وامر نبيه بحبهم ^(٥) كما انه احد

(١) طبقات ابن سعد ٤ / ١٦١ ، وجاء فيه عن أبي ذر قال : كنت في الاسلام خامسا.

(٢) مسند الامام احمد ٥ / ١٧٤ ، مجمع الزوائد ٩ / ٣٢٩

(٣) سنن ابن ماجه ١ / ٦٨

(٤) كنز العمال ٨ / ١٥

(٥) مجمع الزوائد ٩ / ٣٣٠

الثلاثة الذين تشتاق لهم الجنة^(١).

ولما حدثت الفتن ، واستأثر عثمان مع بني أمية بأموال المسلمين فكنزوا لأنفسهم ، واكثروا من شراء الضياع وبناء القصور وقف أبو ذر عملاق الامة الاسلامية فأخذ يندد ، ويهدد عثمان ، ويدعو المسلمين الى الثورة ، وقلب الحكم ، واعادة النظام الاسلامي الحافل بكل مقومات النهوض والارتقاء وتطبيق سياسته البناءة على واقع الحياة.

إن صيحة ابي ذر كانت صيحة رجل يقظ وعي الاسلام ، ووقف على اهدافه ، واحاط بواقعه فانه ليس من الاسلام في شيء أن تستغل أموال المسلمين ، وتمنح للوجوه والاعيان ، فيمعنون في التلذذ والاسراف وقد اخذ الفقر بخناق المسلمين ، وعمت في بلادهم المجاعة والفاقة والبطالة فانكر أبو ذر ذلك ، واندفع بوحى من عقيدته الى تلك الصيحة التي دوخت عثمان وانكرها المستغلون من اتباعه. يقول الاستاذ السيد قطب : « إن صيحة ابي ذر كانت دفعة من دفعات الروح الاسلامي أنكرها الذين فسدت قلوبهم ولا يزال ينكرها امثالهم من مطايا الاستغلال في هذه الايام ، لقد كانت هذه الصيحة يقظة ضمير لم تخدره الاطماع امام تضخم فاحش في الثروات يفرق الجماعة الاسلامية طبقات ، ويحطم الاسس التي جاء هذا الدين ليقيمها .. »^(٢)

وانطلق أبو ذر يوالي انكاره ، ومعارضته للحكم القائم لا يعبأ به ، ولا يبالي بشدة اربابه وقسوته فكان يقف على اولئك الذين منحهم عثمان بعباته فيتلو قوله تعالى : (**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا**)

(١) مجمع الزوائد ٩ / ٣٣٠

(٢) العدالة الاجتماعية : ص ٢١١

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ورفع ذلك مروان بن الحكم الى عثمان فارسل إليه ينهاه عن ذلك فقال أبو ذر :

« اينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله ... فو الله لأن ارضي الله بسخط عثمان أحب الي وخير لي من أن اسخط الله برضاه .. »
فالتاع عثمان من ذلك ، ولكنه كظم غيظه ، وقد أعياه امر ابي ذر وضاق به ذرعا.

نفيه الى الشام

واستمر صاحب رسول الله في اداء رسالته الاصلاحية لم يصانع ولم يحاب ، وانما يبغي الحق ويلتمس وجه الله ورضاه ، وقد وجد عليه عثمان وامر بنفيه الى الشام ، ويقول الرواة : إن السبب في ذلك هو ان عثمان سأل حضار مجلسه فقال لهم :
« أيجوز ان يأخذ من المال فاذا ايسر قضى؟ »
فانبرى كعب الاحبار فأجاب عن سؤاله فقال :
« لا ارى بذلك بأسا .. »

ولما رأى أبو ذر كعب الاحبار يتدخل في امور الدين وهو يهودي النزعة ، ويشك في اسلامه غضب من ذلك ورد عليه قائلا :
« يا ابن اليهوديين. أتعلمنا ديننا؟ »
فثار عثمان وقال له :

« ما أكثر أذاك ، وأولعك بأصحابي؟ الحق بمكتبك في الشام. »
وذهب أبو ذر الى الشام ، فلما انتهى إليها ورأى منكرات معاوية وبدعه جعل ينكر على معاوية ويندد بالسياسة الاموية ، ويذيع مساوئ

عثمان وبعد سيرته عن سيرة الرسول وسنته ، وقد نقم من معاوية حينما قال : المال مال الله ، فقال له : المال مال المسلمين ، وانكر عليه بناء الخضراء التي انفق عليها الاموال الطائلة من بيت المال فكان يقول له :

« يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة ، وإن كانت من مالك فهذا الاسراف؟ »

واخذ يوقظ النفوس ، ويبعث روح الثورة على معاوية فكان يقول لأهل الشام :
« والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها. والله ما هي في كتاب الله ولا في سنة نبيه ، والله اني لأرى حقاً يطفأ ، وباطلاً يحى ، وصادقاً يكذب ، وأثرة بغير تقى ، وصالحاً مستأثراً عليه .. »^(١)
وكان الناس يسمعون قوله ، ويؤمنون بحديثه ، وخاف معاوية من دعوة أبي ذر فكتب الى عثمان يخبره بخطره على الشام ، فكتب عثمان إليه ان يرسله على غلظ مركب وأوعره ، فارسله معاوية مع جماعة لا يعرفون مكانته ، ولا يحترمون مقامه فساروا به ليلاً ونهاراً حتى تسلخت بواطن أفخاذه وكاد ان يتلف ، ولما بلغ المدينة مضى في دعوته فكان ينكر على عثمان أشد الانكار ويقول له :

« تستعمل الصبيان ، وتحمى الحمى^(٢) وتقرب أولاد الطلقاء؟! »

(١) الانساب ٥ / ٥٢

(٢) اشار بذلك الى ما فعله عثمان في منحه جميع المراعى التي حول المدينة لبنى أمية ترعى فيها اغنامهم ، وحمل مواشي المسلمين منها وهو مناف للسنة فانها جعلت المراعى التي لا مالك لها لجميع المسلمين لأنها من المباحات الاصلية ، وقد قال رسول الله (ص) : الناس شركاء في ثلاث في الكأ والماء والنار.

وانطلق يبين للمسلمين ما سمعه من رسول الله ٦ في ذم الامويين ، ومدى خطرهم على الاسلام يقول : قال رسول الله :

« اذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلا اتخذوا بلاد الله دولا ، وعباد الله خولا ودين الله دغلا .. »
واصدر عثمان اوامره بمنع مجالسة أبي ذر ، كما حرم الكلام معه ، والاختلاط به.

نفيه الى الريزة

وثقل أبو ذر على عثمان ، وضاق به ذرعا ، فقد ايقظ النفوس ، واوجد فيها وعيا أصيلا يبعثها على الثورة العارمة ، والاجهاز على النظام القائم الذي آثر الاغنياء بأموال الدولة ، وحجبها عن المصالح العامة ، الامر الذي أدى الى فقدان التوازن في الحياة الاقتصادية ، وشيوع الفقر والجماعة في البلاد.

ورأى عثمان ان خير وسيلة له من الخطر الذي يتهدد به ابعاد أبي ذر عن يشرب ونفيه عن سائر الامصار الاسلامية الى بعض المجاهل والقرى التي لا تزدهم بالسكان ، فأرسل خلفه فلما حضر بادره أبو ذر بالكلام فقال له :

« ويحك يا عثمان!! أما رأيت رسول الله ، ورأيت ابا بكر وعمر هل رأيت هذا هديهم؟ إنك لتببطش بي ببطش الجبارين. »

فقطع عثمان كلامه ، وصاح به

. اخرج عنا من بلادنا

. اخرجني من حرم رسول الله؟

. نعم وانفك راغم

. اخرج الى مكة؟

. لا

. الى البصرة؟

. لا

. الى الكوفة

. لا

. الى اين اخرج؟

. الى الربرة حتى تموت فيها

وأوعز الى مروان باخراجه فوراً من المدينة ، وهو مهان الجانب محقر الكيان ، وحرّم على المسلمين ان يشايعوه ويخرجوا لتوديعه ، ولكن أهل الحق ، ومن طبعوا على نصرته ابوا إلا مخالفة عثمان فقد خف الامام أمير المؤمنين لتوديعه ، ومعه عقيّل وعبد الله بن جعفر ، والحسن والحسين وبادر مروان الى الحسن فقال له :

« إيه يا حسن!! ألا تعلم ان عثمان قد نهي عن كلام هذا الرجل؟

فان كنت لا تعلم فاعلم ذلك .. »

فحمل امير المؤمنين عليه ، وضرب أذني راحلته بالسوط ، وصاح به : تنح نحاك الله الى النار ، وولى مروان منهزماً الى عثمان يخبره بالحال.

ووقف الامام أمير المؤمنين على أبي ذر فودعه والقي إليه كلمات كانت له سلوى طيلة حياته في تلك البقعة الجرداء قال له :

« يا أبا ذر ، انك غضبت لله فارح من غضبت له ، إن القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه ، واهرب بما خفتهم عليه ، فما احوجهم الى ما منعتهم وما اغناك عما

منعوك ، وستعلم من الرابع غدا ، والاكثر حسدا؟ ولو ان السموات والارض كانتا على عبد رتقا ، ثم اتقى الله لجعل الله منهما مخرجا ، لا يؤنسك إلا الحق ، ولا يوحشك إلا الباطل فلو قبلت دنياهم لأحبوك ، ولو قرضت منها لآمنوك .. »

وحدد الامام . بهذه الكلمات الرائعة . الموقف الرهيب الذي وقفه أبو ذر من عثمان فانه لم يكن من اجل المادة ، ولا من اجل سائر الاعتبارات الاخرى التي يثول امرها الى التراب ، وانما كان من أجل المبادئ الاصيلية والقيم العليا التي جاء بها الاسلام وهي تهيب بالحاكمين والمسؤولين أن لا يستأثروا بأموال المسلمين ، وقد جافى عثمان ذلك ، وانتهج سياسة خاصة بنيت على الاستغلال والاثرة ، فلهذا ثار أبو ذر في وجهه وناجزه ، وقد خافه عثمان على ملكه وسلطانه ، وخافه أبو ذر على دينه وعقيدته ، وقد امره الامام ان يترك ما بأيديهم ، ويهرب بدينه ليكون بمنحاة من شرور القوم وآثامهم.

وبين ٧ . في كلماته . اتجاه ابي ذر وميوله ، فانه لا يؤنسه إلا الحق ، ولا يوحشه إلا المنكر والباطل ولو انه غير اتجاهه فسلم القوم ووادعهم لأحبوه واخلصوا له ، وأجزلوا له العطاء ، ومنحوه الثراء.

وبادر إليه الامام الحسن فصافحه وودعه ، وألقى عليه كلمات تنم عن قلب موجع لهذا الفراق قائلا :

« يا عماه. لو لا انه ينبغي للمودع أن يسكت ، وللمشيع ان ينصرف لقصر الكلام وإن طال الاسف ، وقد اتى القوم إليك ما ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها ، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها ، واصبر حتى تلقى نبيك ، وهو عنك راض .. »

لقد امره الامام الحسن ٧ بالصبر على ما انتابه من الكوارث والخطوب التي صبها عليه القوم ليلقى رسول الله ٦ وهو عنه راض.

والقى ابو ذر على أهل البيت نظرة مقرونة بالتفجع والاسى والحسرات وتكلم بكلمات يلمس فيها ذوب قلبه على هذا الفراق المير قال :

« رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ، اذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله ٦ ما لي بالمدينة سكن ولا شجن ^(١) غيركم إني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام ، وكره أن اجاور أخاه وابن خاله بالمصريين ^(٢) فأفسد الناس عليهما فسيرني الى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله ، والله ما أريد إلا الله صاحبا ، وما اخشى مع الله وحشة .. »

وانصرف أبو ذر طريدا في فلوات الارض شريدا عن حرم الله وحرم رسوله قد باعدته السياسة العمياء ، وفرقت بينه وبين اهل البيت الذين يكن لهم أعمق الود وخالص الحب من أجل حبيبه وصاحبه رسول الله ٦.

لقد مضى أبو ذر الى الربذة ليموت فيها جوعا ، وفي يد عثمان ذهب الارض يصرفه على بني أمية ، وعلى آل ابي معيط ، ويحرمه على شبيهه المسيح عيسى بن مريم في هديه وسمته.

ورجع الامام امير المؤمنين مع اولاده من توديع ابي ذر ، وقد علاه الاسى والحزن فاستقبلته جماعة من الناس فاخبروه بغضب عثمان واستيائه منه

(١) السكن : الاهل والشجن : من يهواه ويحبه

(٢) المصريين : البصرة ، ومصر وكان والي البصرة عبد الله بن عامر ابن خال عثمان ، ووالي مصر عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو اخو عثمان.

لأنه خالف أمره وخرج لتوديع خصمه فقال ٧ :

« غضب الخيل على اللحم. »^(١)

وبادر عثمان الى الامام فقال له :

. ما حملك على رد رسولي؟

. اما مروان فانه استقبلني يردني فرددته عن ردي ، وأما امرك فلم ارد

. او لم يبلغك أني قد نهيت الناس عن تشييع ابي ذر؟

. أو كل ما أمرتنا به من شيء يرى طاعة الله والحق في خلافه أتبعنا فيه أمرك؟!!

. أقدر مروان

. وما أقيده؟

. ضربت بين اذني راحلته

. أما راحلتي فهي تلك ، فإن اراد ان يضربها كما ضربت راحلته فليفعل ، وأما أنا فوالله لئن

شتمني لأشتمنك أنت بمثلها بما لا اكذب فيه ولا أقول إلا حقا.

. ولم لا يشتمك إذ شتمته ، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه.

وغضب الامام من عثمان لأنه ساوى بينه وهو من النبي بمنزلة هارون من موسى ، وبين الوزغ

ابن الوزغ مروان بن الحكم الذي لعنه رسول الله وهو في صلب أبيه ، فقال ٧ له :

- إلي تقول هذا القول؟ ومروان تعدلني؟! فانا والله افضل منك وأبي افضل من أبيك ، وأمي

أفضل من أمك ، وهذه نبلي قد نثلتها .. »

(١) يضرب مثلا لمن يغضب غضبا لا ينتفع به

فسكت عثمان ، وانصرف الامام وهو ملتاع حزين منه لأنه لم يرع مقامه ، ولم يلحظ جانبه وقرن بينه وبين مروان.

٣. عمار بن ياسر

وعمار بن ياسر فذ من أفذاذ الاسلام ، وعلم من أعلامه ، وقطب من أقطابه ، وصاحب رسول الله ﷺ وخليله لقي في سبيل الاسلام أعظم الجهد ، وأمر البلاء ، وعذب مع أبويه اعنف التعذيب وأقساه ، فقد استضعفتهم جبابرة قريش فصبت عليهم وابلا من العذاب الأليم فألهبت ابدانهم بمكاوى النار ، وضربتهم ضربا موجعا ، ووضعت على صدورهم الاحجار الثقيلة ، وصبت عليهم قربا من الماء ، وكان النبي ﷺ يجتاز عليهم فيرى ما هم فيه من المحنة والعذاب فتدوب نفسه اسى وحزنا ، ويقول :

« اصبروا آل ياسر : موعدكم الجنة. » ^(١)

ويقول وقد اضناه الحزن « اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت .. » ^(٢)

وبقيت هذه الاسرة التي وهبت حياتها لله تحت التعذيب والارهاق لم تحتفل بما تعانيه من ألم التعذيب وشدته وأصرت على ايمانها بدعوة محمد ﷺ وهي تسخر بأوثان قريش واصنامها فورم من ذلك أنف أبي جهل ، وانتفخ سحره ، وجعلت عيناه تقدحان شررا وغيظا فعمد الى سمية فطعنها في قلبها فماتت وهي اول شهيدة في الاسلام ، وعمد الاثيم بعد ذلك الى ياسر فقتله.

وظل عمار تحت التعذيب حتى اعياه ، وأرهقه فعرضت عليه قريش

(١) كنز العمال ٦ / ٨٥ ، مجمع الزوائد ٩ / ٢٩٣

(٢) مسند احمد ١ / ٦٢

سب النبي والعدول عن دينه فاجابهم على كره فعضوا عنه ، فانطلق الى رسول الله ﷺ يبكي فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ، وقال : إن عادوا لك فعد لهم بما قلت ، وانزل الله تعالى فيه :
(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ.) ^(١)

وملئت نفس عمار بالايمان بالله فكان الدين قطعة من طبعه ، وعنصرا مقوما لمزاجه ، وانزل الله فيه غير آية من القرآن كلها ثناء عليه وتمجيد له ، واشادة به ، وقد عناه تعالى بقوله : **(أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ)** ^(٢) ونزلت فيه الآية الكريمة : **(أَوْمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ)** ^(٣) كما نزلت في الثناء عليه وفي ذم الوليد الآية المباركة وهي قوله تعالى : **(أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ.)** ^(٤)

واهتم النبي ﷺ في شأن عمار اهتماما بالغا فكان يرفع من شأنه ، ويشيد بذكره ، ويقدمه على غيره فقد رأى خالدا يغلظ له

(١) سورة النحل : آية ١٠٦ ذكر نزولها في عمار ابن سعد في طبقاته ٣ / ١٧٨ الواحدي في اسباب النزول صفحة ٢١٢ الطبري في تفسيره ١٤ / ١٢٢ وغيرهم

(٢) سورة الزمر : آية ٩ ذكر نزولها في عمار القرطبي في تفسيره ١ / ٢٣٩ وابن سعد في طبقاته ٣ / ١٧٨

(٣) سورة الانعام : آية ١٢٢ نص على نزولها في عمار السيوطي في تفسيره ٣ / ٤٣ ، وابن كثير في تفسيره ٢ / ١٧٢ .

(٤) سورة القصص : آية ٦١ نص على نزولها في عمار والوليد الزمخشري في تفسيره ٢ / ٣٨٦ ، الواحدي في اسباب النزول صفحة ٢٥٥

في القول فالتاع من ذلك وانبرى يقول : « من عادى عمارا عاداه الله ، ومن أبغض عمارا ابغضه الله. » ^(١) وجرت بينه وبين شخص مشادة فقال لعمار : سأعرض هذه العصا لأنفك ، فلما سمع ذلك رسول الله (ص) غضب واندفع يقول : « ما لهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار ، إن عمارا جلدة ما بين عيني وأنفى فاذا بلغ ذلك من الرجل فاجتنبوه » ^(٢) ويقول فيه : « ما خير عمار بين امرين الا اختار ارشدهما » ^(٣)

وظل عمار موضع عناية النبي وتبجيله وتقديره لما يرى فيه من الاخلاص والزهد في الدنيا ، والحب للحق وقد شهد مع النبي بدرا وأحدا والمشاهد كلها ، وشارك في بناء المسجد النبوي فكان المسلمون يحمل كل واحد منهم لبنة لبنة ، وهو يحمل لبنتين لبنتين ، وهو يقول : « نحن المسلمين نبنتي المساجد » وكان النبي يرجع عليه بعض قوله فيقول « المساجد » وشارك كذلك في حفر الخندق وكان يمسح التراب عنه ، وهكذا كان عمار في طليعة أصحاب النبي ﷺ في إيمانه واخلاصه وعظيم بلائه وعنائه في سبيل الاسلام ، ولما انتقل النبي الى حضيرة القدس لازم أمير المؤمنين وكان متفانيا في حبه ، ولا يرى أحدا خليقا بالخلافة غيره ومن أجل ذلك تخلف عن بيعة أبي بكر واحتج عليه ، وقد تقدم بيان ذلك ولما آل الامر الى عثمان ، وسلك غير الجادة نقم منه عمار واشتد في معارضته والانكار عليه ، وقد نكل به عثمان ، واعتدى عليه ، وقابله بافحش القول وأمره ، وكان ذلك في مواضع عدة وهي :

(١) مسند احمد ٤ / ٨٩

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ١١٤

(٣) سنن ابن ماجه ١ / ٦٦ مصابيح السنة ٢ / ٢٨٨

١ . انه لما استأثر بالسفط ، وحلّى به بعض نسائه انكر عليه أمير المؤمنين ، وايد عمار معارضته ، كما تقدم بيانه قال له عثمان : أعلي يا بن المتكاء ^(١) تجترئ؟ واوعز الى شرطته بأخذه فأخذه وأدخلوه عليه فضربه حتى غشي عليه ، وهو شيخ قد علاه الضعف وحمل الى منزل السيدة أم سلمة زوج النبي ، ولم يفق من شدة الضرب حتى فاتته صلاة الظهرين والمغرب ، فلما افاق توضأ وصلى العشاء ، وقال : الحمد لله ليس هذا اول يوم أؤذينا فيه في الله ، وغضبت من اجل ذلك السيدة عائشة فاخرجت شعرا من شعر رسول الله وثوبا من ثيابه ، ونعلا من نعاله ، ثم قالت ما اسرع ما تركتم سنة نبيكم ، وهذا شعره وثوبه ونعله لم ييل بعد وغضب عثمان حتى لا يدري ما يقول ، ولا يعرف كيف يعتذر عن عمله؟ ^(٢)

٢ . ان اعلام الصحابة رفعوا مذكرة لعثمان ذكروا فيها احداثه ، ومخالفة سياسته للسنة ، وانهم يناجزونه إن لم يثب الى الرشاد ، ولم يغير خطته ، وقد دفع إليه المذكرة عمار ، فأخذها عثمان وقرأ صدرها منها فثار واندفع وهو مغيب محقق فقال له :

. أعلي تقدم من بينهم؟؟!

. إني انصحهم لك .

. كذبت يا ابن سمية .

. أنا والله ابن سمية وابن ياسر .

وأمر عثمان غلمانه فمدوا بيديه ورجليه ، ثم ضربه عثمان برجليه ، وهي

(١) المتكاء : العظيمة البطن ، والتي لا تمسك البول

(٢) الانساب ٥ / ٤٨

في الخفين على مذاكيره فاصابه الفتق ، وكان ضعيفا فأغمي عليه ^(١)

٣ . ولما نفى عثمان أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ الى الريدة ، وتوفي فيها غريبا ، وجاء نعيه الى يثرب قال عثمان أمام جماعة من الصحابة :

« ؛ »

فاندفع عمار قائلا :

« نعم ؛ من كل أنفسنا .. »

فانتفخت اوداج عثمان ، وقال لعمار بفحش القول ، وأقساه :

« يا عاض أير أبيه ، أتراني ندمت على تسييره؟ »

وأمر غلمانه فدفعوا عمارا ، وأرهقوه ، كما أمر بنفيه الى الريدة ، فلما تهيأ للخروج أقبلت بنو مخزوم الى امير المؤمنين فسألوه ان يذكر عثمان في شأنه ، فانطلق الامام إليه ، وقال له :

- اتق الله ، فانك سيرت رجلا صالحا من المسلمين فهلك في تسييرك ثم أنت الآن تريد ان

تنفي نظيره؟ فثار عثمان وقال للامام :

. أنت احق بالنفي منه

. رم إن شئت ذلك

واجتمع المهاجرون فعذلوه ، ولاموه على ذلك فاستجاب لقولهم ، وعفا عن عمار ^(٢).

لقد بالغ عثمان في اضطهاد عمار وارهاقه ، فضربه اعنف الضرب وأقساه ، واغلظ له في

القول ، ولم يرع بلاءه في الاسلام ، ونصرته للنبي

(١) الانساب ٥ / ٤٩ ، العقد الفريد ٢ / ٢٧٢

(٢) الانساب ٥ / ٥٤ ، يعقوبي ٢ / ١٥٠

في جميع المواقف والمشاهد ، واهتمام النبي بشأنه ، وتقديمه على غيره ، وانه جلدة ما بين عينيه . على حد تعبيره . كل ذلك لم يلحظه فاعتدى عليه ، ونقم منه لأنه أمره بالعدل ، ودعاه الى الحق الواضح ، والى الاعتدال في سياسته .

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن تنكيله باعلام الصحابة من الذين سبقوا الى الاسلام ، وجاهدوا اعظم الجهاد في سبيله ، وهم . من دون شك . لم يكونوا مدفوعين بدافع الرغبة في الحكم أو الامرة على بعض الامصار والاقاليم الاسلامية ، او الظفر بالمال ، كل ذلك لم يدفعهم الى الصيحة عليه ، وإنما رأوا أنه احدث من الاعمال ما ليست في كتاب الله ، ولا في سنة نبيه ، رأوا حقا يظفأ ، وباطلا يحجب ، وصادقا يكذب ، وأثرة بغير تقى . كما يقول أبو ذر . من اجل ذلك اعلنوا نقيمتهم وانكارهم عليه ، وطالبوه بأن يسلك الجادة الواضحة ، ويسير على الطريق القويم ، ويتبع هدي النبي ويقتفى أثره .

الاقتراء على الامام الحسن

وافترى بعض المؤرخين على الامام الحسن فزعم أنه كان عثمانى الهوى وانه يكن له في دخائل نفسه أعماق الحب ومزيد الولاء والاخلاص ، وقد حزن عليه بعد مقتله حزنا بالغاً ، وقد ذهب الى ذلك الدكتور طه حسين قال ما نصه :

« ولم يفارق الحسن حزنه على عثمان ، فكان عثمانياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، إلا انه لم يسئل سيفاً للثأر بعثمان لأنه لم ير ذلك حقاً له ، وربما غلا في عثمانيته حتى قال لأبيه ذات يوم ما لا يجب

فقد روى الرواة أن علياً مر بابنه الحسن وهو يتوضأ فقال له : اسبغ الوضوء فاجابه الحسن بهذه الكلمة المرة : « لقد قتلتم بالأمس رجلاً كان يسبغ الوضوء » فلم يزد علي على ان قال : لقد اطل الله حزنك على عثمان. ^(١)

إن السياسة التي انتهجها عثمان ، والاحداث الجسام التي صدرت منه لم تترك له أي حميم أو صديق في البلاد فقد سخط عليه عموم المسلمين ، وخافوه على دينهم ، فكانت عائشة تخرج ثوب رسول الله ﷺ ، وتقول للداخلين إليها : هذا ثوب رسول الله لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنته ، ونقم عليه حتى طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهم ممن اغدق عليهم بالنعم والاموال ، ولم يعد له أي صديق أو مدافع عنه سوى بني أمية وآل أبي معيط ، وبعد هذه الكراهية الشاملة في نفوس المسلمين لعثمان كيف يكون الامام الحسن . الذي يحمل هدي جده الرسول . عثمانيا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . كما يقول طه حسين . لقد كان الحسن من جملة الناقمين على عثمان والناكرين عليه لأنه رأى ما لاقاه أصحاب أبيه كأبي ذر وعمار ، وابن مسعود من الاضطهاد والارهاق ، وشاهد ما لاقاه أبوه بالذات من الاستهانة بحقه ، والاعتداء عليه حينما خرج لتوديع أبي ذر وبعد هذا كيف يكون الحسن عثمانيا ، او مغاليا في حبه له؟!!

وأي مظهر من مظاهر الكآبة والحزن بدت من الامام الحسن على عثمان بعد مقتله ، أفي قيامه بالدور البطولي في بعث الجماهير ، واخراجها الى ساحة الحرب في موقعة الجمل التي اثرت للطلب بدم عثمان ، وقد كان معه في كثير من تلك المواقف عمار بن ياسر ، وكان ينال من عثمان

(١) الفتنة الكبرى ٢ / ١٩٣ . ١٩٤

ويتهمه في دينه ، ويقول فيه : قتلنا عثمان يوم قتلناه وهو كافر ^(١) وكان الحسن يسنده ، ويدعم أقواله ، أو أنه ظهر منه الاسى على عثمان في حرب صفين الذي ثأر فيه معاوية للطلب بدم عثمان ، ففى أي موقف أظهر الامام حزنه وأساه على عثمان؟؟

وأما الرواية التي استند إليها الدكتور طه حسين لتدعيم قوله ، فقد رواها البلاذري عن المدائني ^(٢) الذي عرف بالنصب والعداء لأهل البيت وافتعال الروايات الحسنة في بني أمية ^(٣) والغرض من وضع هذه الرواية أن يضيفي على عثمان ثوب القداسة ، ويجعل له رصيذا من الحب في نفوس صلحاء المسلمين ، ومضافا لضعف سندها فيرد عليها بعض المؤاخذات وهي

١ . إن الامام امير المؤمنين قد تلطف في خطابه مع ولده الحسن ، وبين له الحكم الشرعي ، ولم يواجهه بلاذع القول فما الذي دعا الحسن ان يقابله بتلك الكلمات المرة ، وهو وارث النبي ﷺ وشبيهه في سمو أخلاقه وكريم طباعه.

٢ . إن الامام الحسن كان من جملة المدافعين عن عثمان . كما يقولون . وكان ذلك بأمر من أبيه فكيف يتهمه بقتل عثمان؟

٣ . إن الامام لم يكن له أي دخل في قتل عثمان ، ولا في التآمر عليه ، وإنما قتلت أعماله ، وأجهزت عليه الاحداث التي ارتكبها ، فكيف يتهم الحسن أباه بقتله؟ وبعد الاحاطة بما ذكرنا لا تبقى للرواية اي قيمة في سندها ولا في

(١) التمهيد للباقلاني صفحة ٢٢٠

(٢) الانساب ٥ / ٨١

(٣) الطبري ٤ / ٢٤٠

دلالته ، والغريب من الدكتور أن يعتمد عليها ، ولا يمعن النظر فيها وفي امثالها من الروايات التي
تعتمد وضعها ذوو النزعات الاموية وأجراء السلطة

الثورة

وأخذ المسلمون يتحدثون في أنديتهم عن مظالم عثمان ، وعن احداثه واستبداده بشئوئهم ،
وتبديده لشروائهم ، وتنكيله بأخيار الصحابة وأعلام الدين ، وتلاعب مروان وبني أمية بشئون
الدولة ، وغير ذلك من الاحداث الجسام ، وقد انتشر التذمر ، وعم السخط والاستياء جميع انحاء
البلاد ، فاجتمع أهل الحل والعقد ، وذوو السابقة في الاسلام فكاتبوا الامصار يستنجدون بهم ،
ويطلبون منهم العون ، وارسال القوات المسلحة للقيام بقلب الحكم القائم وهذا نص مذكرتهم
لأهل مصر :

« من المهاجرين الاولين وبقية الشورى ، الى من بمصر من الصحابة والتابعين ، أما بعد : ان
تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها ، فان كتاب الله قد بدل ، وسنة رسوله
قد غيرت ، واحكام الخليفين قد بدلت ، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية اصحاب رسول الله
والتابعين باحسان إلا أقبل إلينا ، وأخذ الحق لنا ، وأعطاناه ، فأقبلوا إلينا ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر ، وأقيموا الحق على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيكم ، وفارقكم عليه الخلفاء
، غلبنا على حقنا ، واستولى على فيئنا ، وحيل بيننا وبين أمرنا ، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة
نبوة ورحمة ، وهي اليوم ملك عضوض ، من غلب على شيء أكله .. » ^(١)

وحفلت هذه الرسالة بذكر الاحداث الخطيرة التي ابتلي بها العالم

(١) الامامة والسياسة ١ / ٣٥

الاسلامي من جراء الحكم القائم وهي :

- ١ . تبديل كتاب الله ، والغاء أحكامه العادلة
 - ٢ . تغيير سنة النبي ﷺ وإهمال ما اثر عنه في عالم الحكم والسياسة
 - ٣ . الاعراض عن سيرة الشيخين
 - ٤ . استئثار السلطة بالفيء وصرفه على مصالحها الخاصة
 - ٥ . صرف الخلافة الاسلامية عن مفاهيمها البناءة ، وطاقاتها الثرة الى ملك عضوض لا يعتني باهداف الامة ، ولا يرع مصالحها
- وقد اوجبت هذه الاحداث زعزعة الكيان الاسلامي ، وتهديد الحياة الاسلامية بالدمار ، وقد واصل الناقمون على عثمان جهادهم فبعثوا برسالة أخرى الى المرابطين في الثغور من اصحاب النبي يطلبون منهم القدوم الى يثرب لإقامة الخلافة ، وهذا نص رسالتهم :
- « انكم انما خرجتم ان تجاهدوا في سبيل الله عز وجل ، تطلبون دين محمد ﷺ فان دين محمد قد أفسده خليفتم فاقيموه .. »
- واستجابت الامصار الاسلامية لهذا النداء فارسلت وفودها الى يثرب للاطلاع على الاوضاع الراهنة ودراسة الموقف ، وما يحتاجه من علاج ، والوفود التي أقبلت هي :
- أ . الوفد المصري
- وأرسلت مصر وفدا عدده اربع مائة شخص ، وقيل اكثر من ذلك بقيادة محمد بن أبي بكر ، وعبد الرحمن بن عديس البلوي
- ب . الوفد الكوفي
- وأرسلت الكوفة وفدا بقيادة الزعيم مالك الاشتر ، وزيد بن صوحان

العبدى ، وزىاد بن النضر الحارثى ، وعبد الله بن الاصم العامري ، وعلى الجميع عمرو بن الاثم
ج . الوفد البصري

ونزح من البصرة حكيم بن جبلة في مائة رجل ، ولحقه بعد ذلك خمسون ، وفيهم ذريح بن
عباد العبدى وبشر بن شريح القيسي ، وابن المحرش وغيرهم من الاعيان والوجوه
ورحبت الصحابة بالوفود ، واستقبلتها بمزيد من الابتهاج والشكر وأخذت تذكر لها احداث
عثمان التي لا تتفق بظاهرها وواقعها مع الدين وحرصوها على الايقاع به والاجهاز عليه لتستريح
الامة من حكمه .

ورأى الوفد المصري . قبل كل شيء . أن يرفع مذكرة الى عثمان يدعوه فيها الى التوبة
والاستقامة في سياسته فكتبوا ذلك ، وهذا نصه :

« أما بعد فاعلم ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فالله الله ثم الله الله ، فانك
على دنيا فاستتم معها آخرة ، ولا تنسى نصيبك من الآخرة ، فلا تسوغ لك الدنيا ، واعلم انا لله
ولله نغضب ، وفي الله نرضى وإنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة أو
ضلالة مملحة مبلحة ^(١) فهذه مقالتنا لك وقضيتنا إليك والله عذيرنا منك والسلام .. » ^(٢)

واضطرب عثمان من الامر ، وقرأ الرسالة بامعان ، وأحاط الثوار به فبادر إليه المغيرة وطلب
منه الاذن بالكلام معهم ، فاذن له وانطلق

(١) مملحة. من جلع على الشيء اقدم عليه اقداما شديدا ، مبلحة : واضحة بيينة

(٢) الانساب ٥ / ٦٤ - ٦٥ ، تاريخ الطبري ٥ / ١١١ - ١١٢

إليهم فلما رأوه صاحوا به

« يا أعور وراءك! يا فاجر وراءك! يا فاسق وراءك! »

فرجع خائبا ودعا عثمان عمرو بن العاص ، وطلب منه ان يكلم القوم فمضى إليهم وسلم
فما ردوا ٧ ، وقالوا له :

« ارجع يا عدو الله! ارجع يا ابن النابغة! فلست عندنا بأمين ولا مأمون » وعلم عثمان ان لا
ملجأ له إلا الامام أمير المؤمنين فاستغاث به ، وطلب منه ان يدعو القوم الى كتاب الله وسنة نبيه
، فأجابه الامام الى ذلك ولكن شرط عليه ان يعطيه عهد الله وميثاقه على الوفاء بما قال فأعطاه
ذلك ومضى الامام الى القوم فلما رأوه قالوا له :
. وراءك!

- لا. بل امامي ، تعطون كتاب الله ، وتعتبون من كل ما سخطتم وعرض عليهم ما بذله
عثمان لهم
. أتضمن ذلك عنه؟
. نعم
. رضينا

وأقبل وجوههم وأشرافهم مع أمير المؤمنين حتى دخلوا على عثمان ، فعاتبوه على اعماله
فاعتبههم من كل شيء ، وطلبوا منه أن يكتب لهم كتابا يلتزم فيه على نفسه بالعمل على كتاب
الله وسنة نبيه وتوفير الفيء للمسلمين فأجابهم الى ذلك ، وكتب لهم ما نصه :
« هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين أن لكم أن
اعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ، يعطى المحروم ويؤمن الخائف ، ويرد المنفي ، ولا تجمر في
البعوث. ويوفر الفيء ، وعلي

ابن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين ، على عثمان الوفاء بما في هذا الكتاب »
وشهد فيه كل من الزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد ابن مالك أبي وقاص ، وعبد
الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، وأبو ايوب خالد بن زيد ، وكتب ذلك في ذي
القعدة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، وأخذ القوم الكتاب وانصرفوا ^(١) ، وطلب منه الامام أمير
المؤمنين ان يخرج الى الناس ، ويعلن لهم أنه قد استجاب لهم ونفذ طلباتهم ، ففعل عثمان ذلك ،
واعطى الناس عهدا ان يسير فيهم على كتاب الله وسنة نبيه ، وأن يوفر لهم الفية ، ولا يؤثر به
أحدا من أرحامه ، وذوي قرياه ، ورجع المصريون الى بلادهم ، ودخل مروان على عثمان فقال له
:

« تكلم واعلم الناس ان اهل مصر قد رجعوا ، وان ما بلغهم عن امامهم كان باطلا ، فان
خطبتك تسير في البلاد قبل ان يتحلب الناس عليك من امصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه ..
»

لقد دعاه ان يعلن الكذب ، ويقول غير الحق فامتنع من اجابته . اولا . ولكنه انصاع أخيرا
لقوله فخرج ، واعتلى أعواد المنبر وقال :
« أما بعد : إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن امامهم أمر فلما تيقنوا أنه باطل ما
بلغهم رجعوا الى بلادهم ... »

واندفع المسلمون الى الانكار عليه فناده عمرو بن العاص
« اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت نهابير ^(٢) وركبناها معك فتب الى الله نتب معك .. »

(١) الانساب

(٢) النهابير : المهالك.

فزجره عثمان وصاح به :

« وإنك هناك يا ابن النابغة؟ قملت والله جبتك منذ تركتك من العمل؟ .. »

وارتفعت من جميع جنبات المسجد أصوات الإنكار وهي ذات لهجة واحدة

« اتق الله يا عثمان اتق الله. »

فأتهارت قواه ، ولم يجد بدا من أن يعلن التوبة على هذا الإفك ، ونزل عن المنبر ومضى الى

منزله ^(١)

وهذه البادرة تدل على ضعفه ، وهزال ارادته ، وتلاعب مروان في شئونه ، وسيطرته على جميع

اموره ، وأنه لا قدرة له على مخالفته ، والتغلب عليه.

استنجاهه بالامصار

ولما ازداد نشاط الثوار ، وحاصروه في داره استنجد بمعاوية ، واستغاث به ، وكتب إليه هذه

الرسالة :

« أما بعد : فان اهل المدينة قد كفروا ، وخلعوا الطاعة ، ونكثوا البيعة ، فابعث إلي من قبلك

من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول .. » ^(٢) وترى معاوية حينما اطلع على الكتاب

فلم يندفع الى نصرته واجابته وتنكر للأيدي التي اسداها عليه ، وعلى اسرته.

ولما ابطأ معاوية على عثمان ، ولم يقد بنجدته بعث عثمان رسالة الى يزيد بن اسد بن كرز

وإلى أهل الشام يستفزه ويحثهم على الخروج

(١) تاريخ الطبري ٥ / ١١٠ ، الانساب ٥ / ٧٤

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٥٢ الكامل لابن الاثير ٥ / ٦٧

لنصرته ، ولما انتهى إليهم الكتاب نفروا للخروج تحت قيادة يزيد القسري ولكن معاوية أمره أن يقيم بذي خشب ، ولا يتجاوز ، فأقام الجيش هناك حتى قتل عثمان ، والسبب في ذلك هو أن يتخذ من قتله وسيلة للمطالبة بدمه لتؤل الخلافة الى بني أمية ، إن معاوية ممن دبر الحيلة في قتله ، والى ذلك يشير أبو أيوب الانصاري بقوله لمعاوية : « إن الذي تربص بعثمان ، وثبط يزيد بن اسد عن نصرته لأنت. »

وعلى اي حال فان عثمان قد كتب رسائل متعددة الى الامصار ، والى من حضر الموسم في مكة يستنجد بهم ويطلب منهم القيام بنجدته.

يوم الدار

ورجع الوفد المصري من اثناء الطريق لما تبينت له المكيدة الخطيرة التي دبرت ضده ، فاحاطوا بقصر عثمان وهم يهتفون بسقوطه ، ويطالبونه بالاستقالة من منصبه ، وخرج إليهم مروان فشتمهم ونال منهم قائلاً :

« ما شأنكم؟ كأنكم قد جئتم لنهب؟ شأهت الوجوه. تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا اخرجوا عنا. »

فألهمت هذه الكلمات نار الثورة في نفوسهم فاحاطوا بعثمان ، وعزموا على قتله فاستنجد بالامام فاقبل إليه وقد نقلت له كلمات مروان فقال (ع) :

« أما رضيت من مروان ، ولا رضى منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك ، مثل جمل الضعينة يقاد حيث يسار به ، والله ما مروان بذي رأي في دينه ، ولا في نفسه ، وأيم الله لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك ، اذهبت شرفك ، وغلبت على امرك .. »

إن الذي اجهز على عثمان وقتله هو مروان وبنو أمية ، وقد صرحت

بذلك نائلة زوج عثمان فقالت للامويين :

« أنتم والله قاتلوه وميتمو أطفاله .. »

ونصحت زوجها بأن لا يطيع مروان تقول له : « انك متى اطعت مروان قتلك .. »

إن عثمان يحمل قسطا ليس بالقليل في الجناية على نفسه لأنه لما علم أنه ضعيف الارادة ، ولا قابلية له للتغلب على الاحداث وان بني أمية قد استولوا على اموره ، وهو يعلم من دون شك كراهية المسلمين لهم ، فكان اللازم عليه أن يترك الامر لغيره ويستقيل من منصبه ، ولا ينكب الامة بقتله. وأيقن الثوار أنه لا مجال لإصلاحه لأنه إن ابرم أمرا نقضه مروان فاصروا عليه أن يخلع نفسه عن الخلافة فأبى وقال : « انما هي ثوب البسنيها الله. » وفي الحقيقة انها ثوب كساه بها عمر ، وألبسها اياه عبد الرحمن بن عوف.

وعلى أي حال فقد اندلعت نيران الثورة ، واشتد أوارها حتى بلغ السيل الزبي فقد صمم الثوار على قتله بعد إبائه عن الاستقالة من منصبه فمنع عنه طلحة الماء ، واستولى على بيوت الاموال ، واحاط الثوار بقصره وتسلق بعضهم عليه الدار فجعلوا يرمونه بالحجارة ، ويبالغون في سبه وشتمه وقذفه

موقف الامام الحسن

وزعم غير واحد من المؤرخين ان الامام الحسن وقف يوم الدار مدافعا عن عثمان بايعاز من أبيه ، وقد أبلى في ذلك بلاء حسنا حتى خضب بدمائه ، وهذا القول . من دون شك . من موضوعات الامويين

ومن مفترياتهم فان الامام الحسن (ع) وسائر البقية الصالحة من المهاجرين والانصار كانوا في معزل عن عثمان بل ومن الناقمين عليه ، ولم يحضر من يدافع عنه في حصاره سوى بني أمية وبعض المنتفعين منهم ولو كان له أي رصيد في المجتمع لما تمكن الثائرون من قتله.

لقد اتفقت كلمة الصحابة على خذلانه ، ولم تظهر منهم بادرة من بوادر المساعدة والمؤازرة له بل كانوا يمجدون الثورة ، ويبعثون روح الحماس في نفوس الثوار ، وبعد هذا فكيف يمكن ان يخرق الامام الحسن الاجماع ويمضي للدفاع عنه وعلى أى حال فقد تعرض المحقق الاميني الى تزيف تلك الاخبار ، وعدها في سلسلة الموضوعات ^(١)

الاجهاز على عثمان

واجهز الثوار على عثمان ، وقد تولى قتله جماعة في طليعتهم محمد ابن ابي بكر فكان من أحقدهم عليه فقد شهر السيف في وجهه وقال له :

. على أي دين أنت يا نعثل؟

. على دين الاسلام ولست بنعثل ، ولكني أمير المؤمنين

. غيرت كتاب الله

. كتاب الله بيني وبينكم

وأخذ بلحيته فسحبه الى الارض وهو يقول : إنا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول : ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل.

وهجم القوم عليه فاردوه قتيلا يتخبط بدمائه ، وتركوه جثة

(١) الغدير ٩ / ٢١٨ . ٢٤٧

هامدة^(١) لم يواروه ، ولم يسمحوا لأحد بمواراته ، وتكلم بعض خواصه مع الامام أمير المؤمنين في ذلك فتوسط في شأنه فأذنوا لهم في ذلك ولكنهم لم يسمحوا لهم بدفنه في البقيع فدفنوه في حش كوكب^(٢)

لقد امتحن المسلمون امتحانا عسيرا في امر عثمان ، وقد أورثهم قتله عناء أي عناء ، وقد تولدت في ايام حكومته وبعد مقتله أحزاب نفعية لا يهمها إلا الوصول الى الحكم لتتخذ منه وسيلة الى الثراء ، وأخذت تلك الاحزاب تعيث فسادا في الارض ، وتتآمر على مصالح المسلمين فأبادت وحدتهم ، وفرت كلمتهم ، وخلقت في المجتمع أهم المصاعب والمشاكل حتى أصبح من المتعذر على الامام أمير المؤمنين في دور حكومته أن يصلح الاوضاع الراهنة ، ويعيد سيرة الرسول وسنته بين الناس ، واتسعت تلك المشاكل حتى بلغت الذروة في دور الامام الحسن ، فرأى أن لا خطة له أفضل ولا أحسن من الاستسلام كما سنوضحه بالتفصيل في البحوث الآتية.

وبهذا ينتهى بنا المطاف عن عهد عثمان ، وقد اسهنا القول في امره واطلنا الحديث في تصوير سياسته التي أشعلت نار الفتنة الكبرى في البلاد وفتحت باب الخلاف والنزاع بين المسلمين ، ومهدت الطريق للامويين ان يتدخلوا في شئون المسلمين ، ويحتلسوا السلطة من أيديهم ، ويمعنوا في قتل الاخيار ومطاردة المصلحين ، وإبادة جميع الاسس التي جاء هذا الدين ليقيمها وبسطنا القول في ذكر بعض المؤاخذات التي تواجه بحوث الدكتور

(١) قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين من الهجرة ، وكانت خلافته اثني عشرة سنة إلا اثني عشر يوما وعمره اثنان وثمانون سنة.

(٢) اسم بستان في المدينة كانت اليهود تدفن موتاهم فيها

طه حسين في عثمان ، وتبرير سياسته ، ولم نكن . يعلم الله . مدفوعين في ذلك كله بدافع العصبية أو الحق على عثمان ، وإنما رائدنا الاخلاص للحق وحده ، وخدمة القضية الاسلامية ، فان الكثير من كتاب العصر قد حاول تصحيح تلكم الاحداث بوجوه بعيدة لا يسندها منطق ، ولا يدعمها برهان ، ونحن في أمس الحاجة الى دراسة التاريخ الاسلامي على واقعه ، والامعان في الحوادث التي جرت في العصور الاسلامية الاولى ، لنقف على الذوات الخيرة التي خدمت الاسلام ورفعت مناره ونتميز الذين خدعتهم السلطة ، وغرهم الشراء فتنكروا لدينهم وأمتهم في سبيل مصالحهم الضيقة ، وعسى ان تكون هذه البحوث التي رسمناها بدقة وامانة قد صورت لنا الواقع الذي جرى في تلكم العصور.

المثل العليا

وتوفرت في الامام أبي محمد الصفات الرفيعة والمثل الكريمة ، وتجسدت فيه طاقات الاسلام وعناصره ومقوماته ، فهو بحكم قابلياته ونزعاته فذ من أفذاذ العقل الانساني ، ومثل من امثلة التكامل البشري ، وعظيم من عظماء الاسلام.

لقد بلغ الامام الذروة في فضائله ، ومآثره ، واصالة رأيه ، وسمو تفكيره ، وشدة ورعه ، وسعة حلمه ، ودمائة اخلاقه الى غير ذلك من ملكاته التي كان بها موضع اعتزاز المسلمين وفخرهم ، ونشير الى بعضها

امامته

ومن أبرز الصفات الماثلة فيه هي الامامة وذلك لما تستدعيه من المثل والقابليات التي لا تتوفر إلا عند من اصطفاه الله واختاره من بين عباده ، وقد حباه تعالى بها ، وأعلن ذلك الرسول الكريم بقوله فيه وفي أخيه : « الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا. »

ولا بد لنا من وقفة قصيرة لتبين فيها معنى الامامة ، وبعض الشؤون التي تتعلق بها فانها تكشف عن سمو مكانة الامام وعظيم شأنه الى القراء ذلك :

أ . معنى الامامة

وحدها علماء الكلام فقالوا : « الامامة رئاسة عامة في امور الدين والدنيا لشخص انساني. » فالامام . حسب هذا التحديد . هو الزعيم العام والرئيس المتبع وله السلطة الشاملة على الناس في جميع شئونهم الدينية والدنيوية

ب . الحاجة الى الامامة

والامامة ضرورة من ضروريات الحياة لا يمكن الاستغناء عنها بحال

من الاحوال فيها يقام ما أعوج من نظام الدنيا والدين ، وبها تتحقق العدالة الكبرى التي ينشدها الله في ارضه ، ويتحقق الامن العام والسلام بين الناس ، ويدفع عنهم المهرج والمرج ، ويمنع القوي من أن يتحكم في الضعيف ، ومن اهم الامور الداعية الى وجود الامام ايصال الناس الى عبادة الله ، ونشر احكامه وتعاليمه ، وتغذية المجتمع بروح الايمان والتقوى لبيتعد الانسان بذلك عن الشر ويتجه الى الخير ، ويجب على الامة كافة الانقياد اليه ، والامتناع لأوامره ليقوم أودها ، ويلم شعنها ويهديها الى سواء السبيل.

ج . واجبات الامام

إن على امام المسلمين وولي أمرهم ان يقوم بما يلي :

- ١ . حفظ الدين ، وحراسة الاسلام ، وصيانتة من المستهترين بالقيم والاخلاق.
- ٢ . تنفيذ الاحكام ، والقضاء على الخصومات ، وانصاف المظلوم من ظالمه.
- ٣ . حماية البلاد الاسلامية من الغزو الخارجي سواء أكان الغزو عسكريا أم فكريا كما في هذه العصور التي غزت بلادنا بعض المبادئ الهدامة التي تدعو الى تخطيط الاسس التي أقامها الاسلام.
- ٤ . اقامة الحدود ، والقضاء على كافة الجرائم التي توجب شقاء الانسان.
- ٥ . تحصين الثغور
- ٦ . الجهاد
- ٧ . جباية الاموال كالزكاة والخراج وغيرها من الامور التي نص

عليها التشريع الاسلامي.

- ٨ . استخدام الامناء في جهاز الحكم ، وعدم استعمال الموظف محاباة او اثرة.
- ٩ . النظارة على امور الرعية بالذات ، ولا يجوز له أن يعول على الغير لينظر فيها لأن ذلك من حقوق الرعية ^(١)
- ١٠ . القضاء على البطالة ، ونشر الرفاهية الشاملة في ربوع الامة ، وانقاذها من الفقر والحرمان.
- هذه بعض الامور التي يجب على الامام أن يطبقها على مسرح الحياة العامة ، وقد استوفينا البحث في هذه الجهات في كتابنا « النظام الاداري في الاسلام ».

د . اوصافه

- ولا بد في الامام ان تتوفر فيه الشروط الآتية وهي :
- ١ . العدالة على شروطها الجامعة وهي الامتناع من ارتكاب كبائر الذنوب والاصرار على صغائرها
 - ٢ . العلم بما تحتاج إليه الامة في جميع مجالاتها ، ومعرفة النوازل والاحكام
 - ٣ . سلامة الحواس ، كالسمع ، والبصر ، واللسان ، ليصح معها مباشرة ما يدرك كما يشترط سلامة الاعضاء الاخرى من أي نقص.
 - ٤ . الرأي المفضي الى سياسة الرعية وتدير المصالح العامة.
 - ٥ . الشجاعة والنجدة ، والقدرة على حماية بيضة الاسلام وجهاد العدو
 - ٦ . النسب وهو ان يكون الامام من قریش

(١) السياسة الشرعية : ص ٧

وقد ذكر هذه الشروط والافصاف كل من الماوردي وابن خلدون^(١)

٧. العصمة ، وعرفها المتكلمون : بأنها لطف من الله يفيضها على اكمل عباده وبها يتمتع من ارتكاب الجرائم والموبقات عمدا وسهوا ، وقد أجمعت الشيعة على اعتبارها في الامام ، ويدل عليها حديث الثقلين ، فقد قرن الرسول ٦ بين الكتاب والعترة وكما ان الكتاب معصوم من الخطأ والزلل فكذلك العترة الطاهرة وإلا لما صحت المقارنة والمساواة بينهما وقد تقدم الكلام في بيان ذلك.

وهذه الافصاف لم تتوفر إلا في أئمة أهل البيت حضنة الاسلام وحماة ، والادلاء على مرضاة الله وطاعته ، وقد وصفهم الكميّ شاعر العقيدة الاسلامية بقوله :

القريبين من ندى والبعيدين من الجور في عرى الاحكام
والمصيبين ما أخطأ النا س ومرسي قواعد الاسلام
والحماة الكفاة في الحرب إن لف ضرام وقوده بضرام
والغيوث الذين ان أمحل النا س فمأوى حواضن الايتام
راجحي الوزن كاملي العدل في ال سيرة طبين بالامور الجسام
ساسة لا كمن يرى رعية النا س سواء ورعية الاغنام^(٢)

إن أئمة أهل البيت سلام الله عليهم قد دللوا بسيرتهم وهديتهم على عصمتهم من الخطأ والزيف ، وقد برهنت الحوادث والوقائع على ذلك ، ودلت على أنهم نسخة لا مثيل لها في تأريخ الانسانية وذلك لما لهم من عظيم الفضل والتقوى والحراة في الدين.

(١) الاحكام السلطانية صفحة ٤ المقدمة ص ١٣٥

(٢) الهاشميات

هـ . تعيينه

وذهبت الشيعة الى أن تعيين الامام ليس بيد الامة ، ولا بيد أهل الحل والعقد منها ، والانتخاب في الامامة باطل والاختيار فيها مستحيل ، فحالها كحال النبوة فكما أنها لا تكون بايجاد الانسان وتكوينه كذلك الامامة لأن العصمة . التي هي شرط في الامامة . لا يعرفها الله المطلع على خفايا النفوس ، وقد اوضح ذلك واستدل عليه حجة آل محمد ومهدي هذه الأمة القائم المنتظر ٧ في حديثه مع سعد بن عبد الله فقد سأل الامام عن العلة التي تمنع الناس من اختيار امام لأنفسهم فقال ٧ له :

. يختارون مصلحا او مفسدا؟

. بل مصلحا

. فهل يجوز ان تقع خيرتهم على المفسد بعد ان لا يعلم أحد بما يخطر ببال غيره من صلاح او

فساد

. بلى

. فهي العلة أوردها لك ببرهان يثق به عقلك ، اخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله ، وانزل الكتب عليهم ، وأيدهم بالوحي والعصمة ، إذ هم أعلام الامم ، وأهدى الى الاختيار ، منهم مثل موسى وعيسى ، هل يجوز مع وفور عقلهما ، وكمال علمهما إذا هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان أنه مؤمن

. لا

. هذا موسى كلیم الله مع وفور عقله ، وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه

ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلا ممن

لا يشك في إيمانهم وإخلاصهم ، فوقعته خيبرته على المنافقين ، قال الله عز وجل : (**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا**) الى قوله (**لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ**) بظلمهم. « فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوّة واقعا على الافسد دون الاصلح وهو يظن أنه الاصلح علمنا ان الاختيار ليس إلا لمن يعلم ما تخفى الصدور ، وتكن الضمائر .. » ^(١)

إن الطاقات البشرية قاصرة عن ادراك الاصلح الذي تسعد به الامة فليس اختياره بيد الانسان وإنما هو بيد الله العالم بخفايا الامور ، هذه صورة مجملة عن الامامة وتفصيل الكلام يجده المتبع مستوفى في كتب الكلام.

اخلاقه الرفيعة

قال بعض علماء الاجتماع : إنما تتفاضل الامم في حال البداوة بالقوة البدنية فاذا ارتقت تفاضلت بالعلم ، ثم اذا بلغت من الارتقاء غايته تفاضلت بالاخلاق . فالاخلاق هي غاية ما يصل إليه الانسان في سموه وكماله وتهذيبه

إن الخلق الكامل اذا انطبع في النفس لا يمكن ان تنحرف عن الطريق القويم ، أو تحل الانانية محل الايثار ، او تستولي عليها المغريات والنقائص من اجل ذلك كانت الاخلاق من أهم العناصر التي تبتني عليها الحياة الاجتماعية والفردية ، كما انها من اوثق الاسباب في بقاء الامم وفي دوام حضارتها واصالتها.

إن من أقوى العلل في ظهور الشرائع السماوية ، وبقاء سلطاتها الروحية عنايتها بالخلق واهتمامها بتهذيب النفوس وتربيتها بالنزعات الخيرة ، وقد

(١) البحار ١٣ / ١٢٧

اهتم النبي بها اهتماما بالغا واعتبرها من ابرز الاسباب التي بعث من اجلها يقول ٦ « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » وقد استطاع بمكارم اخلاقه أن يوقظ البشر من سباته ، ويؤسس معالم الحضارة في العالم ويغير مجرى التاريخ فقد الف ما بين القلوب ، ووحد المشاعر والعواطف وجمع الناس على صعيد المحبة والاخاء.

كان النبي في عظيم أخلاقه مثالا للرحمة الإلهية التي تملأ القلوب البائسة الحزينة رجاء ورحمة ، كان يزور ضعفاء المسلمين ، ويعود مرضاهم ، ويشهد جنائزهم ، ويجيب دعوة من دعاه ، ولا يرد دعوة مملوك ولا فقير^(١) ومن جالسه صابره حتى يكون جليسه هو المنصرف ، وما أخذ أحد بيده فجذبها منه حتى يكون الآخذ هو الذي يرسلها ، وكان حريصا على تطيب النفوس واجتناب الإساءة لأي إنسان.

وهذه الاخلاق الرفيعة قد تمثلت في الامام الحسن بحكم ميراثه من جده العظيم ، وقد ذكر التأريخ بوادر كثيرة من مكارم اخلاقه نسوق بعضها وهي :

١ . انه اجتاز على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الارض كسيرات من الخبز كانوا قد التقطوها من الطريق ، وهم يأكلون منها فدعوه الى مشاركتهم فأجابهم الى ذلك وهو يقول : « إن الله لا يحب المتكبرين » ولما فرغ من تناول الطعام دعاهم الى ضيافته فاطعمهم وكساهم^(٢) واغدق عليهم بنعمه واحسانه.

إن التواضع دليل على كمال النفس وسموها وشرفها ، وفي الحديث

(١) مستدرک الحاكم ٢ / ٤٦٦

(٢) اعيان الشيعة ٤ / ٢٤

« إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله »^(١)

٢ . ومن آيات أخلاقه أنه مرّ على صبيان يتناولون الطعام فدعوه لمشاركتهم فاجابهم الى ذلك ثم حملهم الى منزله فمناحهم بيره ومعروفه وقال : « اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما اطعموني ونحن نجد مما اعطيناهم »^(٢)

٣ . ومن مكارم اخلاقه أنه كان يغضي عن اساء إليه ، ويقابله بالاحسان ، فقد كانت عنده شاة فوجدها يوما قد كسرت رجلها فقال ٧ لغلामه :
. من فعل هذا بها؟

. أنا

. لم ذلك؟!!

. لأجلب لك الهم والغم

فتبسّم ٧ ، وقال له : لأسرك ، فاعتقه وأجزل له في العطاء^(٣)

٤ . ومن عظيم أخلاقه أنه كان جالسا في مكان فأراد الانصراف منه فجاءه فقير فرحب به ولاطفه وقال له :

. إنك جلست على حين قيام منا أفتأذن لي بالانصراف؟؟

. نعم يا ابن رسول الله^(٤)

(١) نهاية الارب في فنون الادب ٣ / ٤٤٣

(٢) الصبان المطبوع على هامش نور الابصار : ص ١٧٦

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ١٤٧

(٤) تأريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٣

إن مراعاة حق الجليس من الآداب الاجتماعية التي توجب المحبة والإلفة ، وتوجد التعاون والترابط بين الناس فلذا أمر الإسلام بها وحث عليها.

٥ . واجتاز على الامام شخص من أهل الشام ممن غداهم معاوية بالكراهية والحقد على آل البيت فجعل يكيل للامام السب والشتم ، والامام ساكت لم يرد عليه شيئا من مقالته ، وبعد فراغه التفت الامام فخاطبه بناعم القول وقابله ببسمات فياضة بالبشر قائلا :

« أيها الشيخ : أظنك غريبا؟ لو سألتنا أعطيناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ، ولو استحملتنا حملناك ، وإن كنت جائعا أطعمناك ، وإن كنت محتاجا أغنياناك ، وإن كنت طريدا أؤيناك .. » وما زال (ع) يلاطف الشامي بهذا ومثله ليقنع روح العداء والشر من نفسه حتى ذهل ولم يطق رد الكلام وبقي حائرا خجلا كيف يعتذر للامام ، وكيف يححو الذنب عنه؟ وطفق يقول :

(**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**) فيمن يشاء. ^(١)

وهكذا كان ٧ مثالا للانسانية الكريمة ، ورمزا للخلق العظيم لا يثيره الغضب ، ولا يزعجه المكروه قد وضع نصب عينيه قوله تعالى : (**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**) وقد قابل جميع ما لاقاه من سوء وأذى ومكروه من الحاقدين عليه بالصبر والصفح الجميل ، حتى اعترف الد خصومه مروان بن الحكم بسمو حلمه ، وعظيم خلقه ، وذلك حينما انتقل الامام إلى الرفيق الاعلى

(١) مناقب ابن شهر اشوب ٢ / ١٤٩ ، الكامل للميرد ١ / ١٩٠ وجاء فيه ان الأعرابي انصرف وهو يقول والله ما على وجه الأرض أحد أحب الي منه.

فبادر مروان إلى حمل جثمانه فقال له سيد الشهداء :

. تحمل اليوم سريره ، وقد كنت بالأمس تجرعه الغيظ!!؟

. إني كنت افعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال ^(١)

لقد كان الامام كجده الرسول في سعة حلمه ، وعظيم أخلاقه ، وصفحه عمن أساء إليه ، وقد روى التاريخ بؤادر كثيرة من أخلاقه دلت على أنه في طليعة الأخلاقيين والمساهمين في بناء الأخلاق والآداب في دنيا العرب والمسلمين.

كرمه وسخاؤه :

من كان ندى الكف مبسوط اليدين بالعطاء متمسكا بأهداب السخاء بعيدا عن البخل وضروبه فاعظم به من خير عميم ، كبير الثقة بالله ، عظيم النفس ، شريف الذات ، وقد تحدث رسول الله (ص) عن شرف هذه الظاهرة فقال : « خلقان يحبهما الله وهما : حسن الخلق والسخاء » وقال : « السخاء من الايمان ».

إن السخاء ينم عن طيب القلب ، ويكشف عن الفضائل النفسية ، ويحكى عن رحمة الانسان ورأفته ، ومن الطبيعي انه انما يكون كذلك فيما اذا كان بذله بداعي الخير والمعروف لا بداعي السمعة والمديح والثناء وغير ذلك من الدواعي التي لا تمت إلى الاحسان بصلة ، وقد حدث التاريخ عن أناس كانوا يهبون الألوف للوافدين ، ويذلون القرى للاضياف ، ولكن سرعان ما انكشف أنه تصنع لا اتصال له بحقيقة الكرم والمعروف ، وذلك كعطاء معاوية بن أبي سفيان وهباته للوافدين عليه فان ذلك لم يكن

(١) شرح النهج ٤ / ٥.

بداعي الاحسان وإنما كان لشراء الضمائر لأجل التمسك بزمam الحكم.
إن السخاء الحقيقي هو بذل الخير بداعي الخير ، وبذل الاحسان بداعي الاحسان ، وقد تجلت هذه الصفة الرفيعة بأجلى مظاهرها ، واسمى معانيها في الامام أبي محمد (ع) حتى لقب بكرم أهل البيت.

تلقي هذه المكرمة من سلفه الطاهر الذي عرف بالسخاء والمعروف ونجدة الضعيف والاحسان إلى كل منقطع ومحروم وفي جده الاعلى يقول القائل :

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف
وزاد الحسن على سلفه الطاهر في ذلك فقد كان لا يعرف للمال قيمة ، ولا يرى له أهمية سوى ما يرد به جوع جائع ، أو يكسو به عاريا ، أو يغيث به ملهوفاً ، أو يفي به دين غارم.
ان السخاء عنصر من عناصر ذاته ، ومقوم من مقومات مزاجه ، وقد أثر عنه أنه ما قال لسائل لا قط^(١) وقيل له لأي شيء لا نراك ترد سائلاً؟ فأجاب :

« إني لله سائل ، وفيه راغب ، وأنا استحي أن أكون سائلاً ، وأرد سائلاً ، وان الله عودني عادة أن يفيض نعمه علي ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى ان قطعت العادة أن يمنعي العادة وأنشأ يقول :

إذا ما أتاني سائل قلت مرحباً بمن فضله فرض علي معجل
ومن فضله فضل علي كل فاضل وأفضل أيام الفتى حين يسأل^(٢)

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ٢٣ ، جوهرة الكلام للقرائني ص ١١٢

(٢) نور الابصار ص ١١١ .

ونسبت له أبيات نظمها في الجود والسخاء منها قوله :

إن السخاء على العباد فريضة لله يقرأ في كتاب محكم
وعد العباد الأسخياء جنانه وأعد للبخلاء نار جهنم
من كان لا تندى يدها بنائل للراغبين فليس ذاك بمسلم
وله أيضا :

خلقت الخلائق من قدرة فمنهم سخي ومنهم بخيل
فأما السخي ففي راحة وأما البخيل فحزن طويل^(١)
وكانت الوفود من المرتقة والمحتاجين تزدحم عليه فيغدق عليهم ببره واحسانه ، ويجزل لهم المزيد من العطاء ، وقد ذكر التاريخ بوادر كثيرة من كرمه وجوده نسوق إلى القراء بعضها.

١ . جاءه اعرابي سائلا فقال (ع) : اعطوه ما في الخزانة ، وكان فيها عشرة آلاف درهم فقال له الاعرابي : يا سيدي هلا تركتني أبوح بحاجتي ، وأنشر مدحتي؟ فاجابه الامام :

نحن أناس نوالنا خضل يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا خوفا على ماء وجه من يسئل
لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجل^(٢)

٢ . واجتاز ٧ على غلام أسود بين يديه رغيف يأكل منه لقمة ويدفع لكلب كان عنده لقمة اخرى.

فقال له الامام :

. ما حملك على ذلك؟

(١) المناقب ٢ / ١٥٦ .

(٢) اعيان الشيعة ٤ / ٨٩ . ٩٠ .

إني لأستحيي أن أكل ولا أطعمه.

رأى الامام فيه خصلة من أحب الخصال عنده ، فاحب أن يجازيه على صنعه ، ويقابل إحسانه بإحسان فقال له :

لا تبرح من مكانك ، ثم انطلق فاشتراه من مولاه واشترى الحائط ^(١) الذي هو فيه فاعتقه ، وملكه إياه ^(٢).

٣ . وأجتاز يوما في بعض أزقة المدينة فسمع رجلا يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانطلق إلى بيته ، وأرسلها إليه بالوقت ^(٣).

٤ . وجاءه شخص يظهر الاعواز والحاجة فقال له (ع) ما هذا حق سؤالك ، يعظم لدى معرفتي بما يجب لك ، ويكبر على ويديّ تعجز عن نيلك بما أنت اهله ، والكثير في ذات الله قليل ، وما في ملكي وفاء لشكرك ، فان قبلت منا الميسور ، ورفعت عنا مئونة الاحتفال والاهتمام فعلت ، فأجابه الرجل : يا بن رسول الله (ص) أقبل القليل واشكر العطية ، واعذر على المنع ، فاحضر (ع) وكيله وحاسبه وقال له : هات الفاضل ، وكان الفاضل خمسين الف درهم فدفعتها إليه ولم يكتف (ع) بذلك بل قال لوكيله ما فعلت بالخمس مائة دينار التي عندك؟ فقال له : هي عندي ، فأمره باحضارها ثم دفعها إلى الرجل وهو يعتذر منه ^(٤)

(١) الحائط : البستان.

(٢) البداية والنهاية ٨ / ٣٨.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ٢٣ ، الصبان ص ١٧٧.

(٤) دائرة المعارف للبستاني ج ٧ ص ٣٩ ، إحياء العلوم للغزالي ج ٣ ص ١٧١ وزاد فيه انه «ع» قال للرجل هات من يحمل هذه الاموال فاتاه بمالين فدفعت ٧ رداءه لكراء الحمالين ، فقال له مواليه يا بن رسول الله والله ما عندنا درهم ، فقال «ع» لهم : ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم.

إن قوله (ع) (الكثير في ذات الله قليل) ينم عن أن هذا العطاء إنما هو في سبيل الله تعالى لا يبتغي من أحد جزاء أو شكورا.

٥ . ومن مكارمه (ع) انه خرج هو وأخوه الحسين (ع) وابن عمهما عبد الله بن جعفر^(١) وافدين إلى بيت الله الحرام ، وفي أثناء الطريق أصابهم جوع وعطش وقد سبقتهم أثقالهم ، فانعطفوا على بيت قد ضرب أطنا به في وسط تلك البيداء القاحلة ، فلما وصلوا إلى البيت لم يروا فيه إلا عجوزا فطلبوا منها شرابا وطعاما ، فأجابت بما طبعته عليه نفس الكريم قائلة :
نعم.

(١) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي ، وأمه اسماء بنت عميس الخنعمية ولد بأرض الحبشة لما هاجر إليها أبوه ، ولما قتل جعفر مسح النبي على رأس عبد الله وقال : اللهم اخلف جعفرا في ولده ، وقال فيه ٦ عبد الله يشبه خلقى وخلقى ، واطلع (ص) عليه يوما وهو يبيع مع الصبيان فقال اللهم بارك له في بيعه أو صفقته ، وهو أحد الأجواد المشهورين ، ونقلت عن جوده وسخائه أخبار كثيرة وفيه يقول عبد الله بن قيس الرقيات
وما كنت إلا كالأغر ابن جعفر رأى المال لا يلقى فأبقى له ذكرا
ويقول فيه الشماخ بن ضرار :

إنك يا ابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طيارق إذا أتى
ورب ضيف طرق الحى سرى صادف زادا وحديثا ما اشتهى
توفي سنة ثمانين من الهجرة ، وقد عرف ذلك العام الذي توفي فيه بعام الجحاف لحدوث سيل كان يبطن مكة
اجحف الحاج وذهب بالابل وعليها الحمولة جاء ذلك في الإصابة ج ٢ ص ٢٨٩ . ٢٩٠ .

إنها النفس إذا جبلت على الخير وطبعت فيها الأريحية قدمت في سبيل العز والمجد كل ما تملك ، لم يك عند العجوز سوى شاة هي كل ما تملك مما أظلمته الخضراء وأظلمته الغبراء ، فتقدمت ويدها الشاة قائلة لهم :

دونكم هذه الشاة فاحلبوها واشربوا لبنها ، فلما فعلوا ذلك تقدمت إليهم مرة أخرى قائلة : أقسم عليكم إلا ما ذبحها أحدكم حتى أهيب لكم الحطب لشيها ، ففعلوا ذلك وهيأت العجوز الحطب ، وبعد الفراغ من تناول الطعام عزموا على الرحيل فتقدموا إليها وعرفوها بشخصياتهم ليحازوها على صنعها خيرا إن رجعوا إلى وطنهم ، قائلين : « يا أمة الله إنا نفر من قريش نريد حج بيت الله الحرام ، فاذا رجعنا سالمين فهل يإنا لنكافئك على هذا الصنع الجميل ».

ثم انصرفوا لشأنهم ، ولما عن غياب القرص عن السماء أقبل رب البيت على عادته فأخبرته العجوز بالقصة ، فاستولى عليه الغضب ، ذلك لأن الشاة هي مصدر القوت وإدراك الرزق عليهم ، فقال لها : ويحك أتدبحين الشاة لأناس لا تعرفينهم؟ ثم تقولين إنهم نفر من قريش. وطوى الدهر عجلته فمضت سنة وأقبلت أخرى فاعترت البادية أزمة شديدة لأن السماء قد منعتها قطرها حتى قلت موارد العيش وانعدمت أسباب القوت ، فرحلا عن البادية ونزلا المدينة ، ولم يجدا عملا يحيطان به خيرا سوى التقاط البعر من الطرقات والشوارع ، فاتخذوا ذلك مهنة لهما ، وفي يوم من الأيام وهما على عملهما ارادت السعادة أن تحنو عليهما فلمح الحسن (ع) العجوز فعرفها ، وقد حل وفاء الدين ، والمعروف في ذمة الأحرار دين فأمر (ع) غلامه أن يأتي بها إليه ، فلما مثلت بين يديه

قال (ع) لها :

أتعرفيني يا أمة الله؟

.. لا ..

. أنا أحد ضيوفك يوم كذا سنة كذا.

. لست أعرفك.

. إن لم تعرفيني فانا أعرفك ، ثم أمر (ع) غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة الف شاة وأعطاهها الف دينار ، ثم أمر (ع) غلامه أن يذهب بها إلى أخيه الحسين (ع) ويعرفه بها ، فأخذها الغلام فلما دخلت عرفها الحسين (ع) ، فقال للغلام : كم أعطاهما أخي؟ فأخبره الغلام بعطائه ، فأوصلها (ع) بمثل ذلك ، ثم بعث الحسين بها إلى عبد الله بن جعفر ، فلما دخلت عليه عرفها ، فأمر لها بالفي شاة والفي دينار فأخذت ذلك جميعا وانصرفت ^(١) وقد تغير حالها من فقر مدقع إلى غناء وثروة حسدها عليه كل من عرفها كل ذلك من بر الحسن وفضله ،

٦ . ومن آيات مكارمه (ع) أنه اشترى حائطا من الأنصار بأربعمائة الف فبلغه أنهم قد احتاجوا إلى ما في أيدي الناس فردده إليهم ^(٢) إن إنقاذ هؤلاء من ذل السؤال ورد شرفهم إليهم من أفضل أنواع السخاء ومن أسمى مراتب الجود.

٧ . ومن مكارمه (ع) أن جارية حितه بطاقة من ربحان ، فقال ٧ لها : أنت حرة لوجه الله ، فلامه أنس على ذلك ، فأجابه ٧ : أدبنا الله فقال تعالى : (إِذَا حُيِّئْتُمْ بِهِ نَجِيَّةٌ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا)

(١) إحياء العلوم للغزالي ٣ / ١٧٣ ، دائرة المعارف للبستاني ٧ / ٣٩ .

(٢) الصبان ص ١٧٦ .

وكان أحسن منها إعتاقها^(١).

٨ . ومن مكارمه (ع) أن مروان بن الحكم قال : إني لمشغوف ببغلة الحسن بن علي فمن يأتيني بها؟ فأنبى إليه ابن أبي عتيق قائلا :
. أنا آتيك بها لكن بشرط أن تقضي لي ثلاثين حاجة؟
. التزم لك بذلك.

فقال ابن أبي عتيق لمروان : إذا اجتمع الناس عندك العشية فاني آخذ في مآثر قريش وأمسك عن الحسن فلمنى على ذلك ، فلما اجتمع الناسى أخذ ابن أبي عتيق في مآثر قريش وسكت عن ذكر فضائل الامام الحسن (ع) ، فقال له مروان ألا تذكر أولية أبي محمد ، وله في هذا ما ليس لأحد منا ، فقال ابن أبي عتيق : إنما كنا في ذكر الاشراف ولو كنا في ذكر الأنبياء لذكرنا فضائل أبي محمد ، ولما خرج الامام (ع) تبعه ابن أبي عتيق فلما نظر إليه الحسن (ع) تبسم وعرف الغاية من مديحه فقال (ع) له : ألك حاجة؟ فقال : نعم ذكرت البغلة ، فنزل (ع) عنها ودفعها إليه^(٢).

٩ . ومن جوده (ع) أن رجلا سأله أن يعطيه شيئا فقال له (ع) إن المسألة لا تصلح إلا في غرم فادح^(٣) أو فقر مدقع أو حمالة مفضطة^(٤) فقال ما جئت إلا في إحداهن ، فأمر (ع) له بمائة دينار ،

(١) المناقب ٢ / ٢٣ .

(٢) الكامل للمبرد ٢ / ١٣ .

(٣) الغرم الفادح هو لدين الثقيل.

(٤) الحمالة. بالفتح هو ما يتحمله الشخص من الدية والغرامة عن قومه ، المفضطة الشيء الشديد.

ثم انعطف الرجل نحو الحسين (ع) فسأله مثل سؤال اخيه فأعطاه مائة دينار سوى دينار لأنه كره أن يساوى أحاه في عطائه وانعطف الرجل بعد ذلك إلى عبد الله بن عمر فسأله فأعطاه سبعة دنانير ، فقال الرجل : لعبد الله إني أتيت الحسن والحسين وحكى له ما جرى له معهما فقال ابن عمر : ويحك أنى تجعلني مثلهما؟! انهما غرا العلم^(١) . غرا المال^(٢) .

١٠ . ومن مكارمه (ع) أنه ما اشترى من أحد حائطا ثم أفتقر البائع إلا وردده عليه وأردفه بالثمن معه^(٣) .

١١ . وجاءه فقير يشكو حاله ولم يك عنده (ع) في ذلك اليوم شيء فعز عليه الامر واستحى من رده فقال (ع) له : إني أدلك على شيء يحصل لك منه الخير ، فقال الفقير يا بن رسول الله ما هو؟! قال ٧ اذهب إلى الخليفة فان ابنته قد توفيت وانقطع عليها وما سمع من أحد تعزية بليغة فعزه بهذه الكلمات يحصل لك منه الخير ، قال يا بن رسول الله حفظني إياها ، قال (ع) قل له الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها ولم يهتكها بجلوسها على قبرك ، وحفظ الفقير هذه الكلمات وجاء إلى الخليفة فعزاه بها ، فذهب عنه حزنه وأمر له بجائزة وقال له : أكلامك هذا؟

. لا : وإنما هو كلام الامام الحسن.

الخليفة : صدقت فانه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى^(٤) .

(١) غرا العلم اي القما العلم ومنه حديث معاوية كان النبي يغفر عليا بالعلم.

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ٣ / ١٤٠ .

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ٢٣ .

(٤) نور الابصار ص ١١١ .

وذكر المترجمون للإمام صورا كثيرة من ألوان بره ومعروفه على الفقراء وقيامه بانقاذهم من كابوس الحاجة والفقر الى الدعة والسعة في العيش ، وجميع تلك المبرات التي أسداها عليهم كانت خالصة لوجه الله ، ولم تكن مشفوعة بأي غرض من الاغراض فإنه كان يمنحهم العطاء والبر قبل أن ييؤحوا بحاجاتهم ، ويذكروا مديحهم وثناءهم لئلا يظهر عليهم ذل السؤال والاحتياج.

عبادته وتقواه

ان الانسان كلما ازداد معرفة بالله ازداد إيمانا به ، وجبا له ، وانقيادا لأوامره وطاعته ، وسعيا في جميع الوسائل التي تقربه إليه.

والامام الحسن قد تغذى بلباب المعرفة ، وبجوهر الايمان ، وبواقع الدين وانطبعت مثله في دخائل نفسه واعماق ذاته ، فكان من اشد الناس إيمانا ، ومن اكثرهم اخلاصا وطاعة لله ، وقد حدث الرواة عن مدى طاعته فقالوا : إنه لم ير في وقت من الاوقات إلا وهو يلهج بذكر الله ،^(١) وانه اذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم^(٢) فسأل الله الجنة وتعوذ من النار ، واذا ذكر الموت وما يعقبه من البعث والنشور بكى بكاء الخائفين والمنيبين^(٣) واذا ذكر العرض على الله شهق شهقة يغشى عليه منها^(٤) ، وكان من اشد المعتبرين بالموت فاذا حضر جنازة

(١) أمالي الصدوق صفحة ١٠٨

(٢) السليم : من لسعه العقرب

(٣) اعيان الشيعة ٤ / ١١

(٤) أمالي الصدوق : صفحة ١٠٨

ظهرت عليه السكينة أيما ، واذا مات في جواره ميت سمع منه النحيب والبكاء كما يسمع من دار الميت ^(١) ودلت هذه الامور على عظيم طاعته وخوفه من الله ، ونسوق الى القراء بعض مظاهر عبادته :

١ . وضوؤه وصلاته

كان الامام اذا اراد الوضوء تغير حاله ، وداخله خوف عميق حتى يصفر لونه وترتعد فرائضه ، وسئل عن سر ذلك فقال :

« حق على من وقف بين يدي رب العرش أن ترتعد فرائضه ، ويصفر لونه .. »
واذا فرغ من الوضوء وأراد الدخول الى المسجد رفع صوته قائلاً :
« إلهي : ضيفك ببابك ، يا محسن قد أتاك المسيء ، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم » ^(٢)

واذا اقبل على صلاته بدا عليه الخضوع والخشوع ، وظهر عليه الخوف حتى ترتعد جميع فرائضه واعضائه ^(٣) واذا فرغ من صلاة الفجر لا يتكلم الا بذكر الله حتى تطلع الشمس ^(٤)

٢ . حجه

ومن مظاهر عبادته وعظيم اخلاصه وطاعته لله تعالى انه حج بيت الله الحرام خمسا وعشرين حجة ماشيا على قدميه وكانت النجائب ^(٥) ،

(١) مجموعة ورام صفحة ٣١٧

(٢) البحار ١٠ / ٩٣ ، أمالي الصدوق صفحة ١٠٨ ، روضة الواعظين

(٣) أمالي الصدوق صفحة ١٠٨

(٤) البحار ١٠ / ٩٣

(٥) النجائب : جمع ، مفردة نجيبة وهي الفاضل من الحيوانات وفي بعض .

تقاد بين يديه ^(١) وسئل عن كثرة حجه ماشيا فأجاب : « اني استحي من ربي أن لا امضي الى بيته ماشيا على قدمي ^(٢) »

٣ . تلاوته للقرآن

كان الامام يتلو الذكر الحكيم تلاوة امعان وتدبر فلا يمر بآية تشتمل على نداء المؤمنين إلا قال : لبيك . اللهم لبيك ^(٣) وكان يقرأ في كل ليلة سورة الكهف ^(٤)

٤ . التصديق بأمواله

وقدم الامام في سبيل مرضاة الله كل غال ونفيس ، فقد خرج عن جميع ما يملك مرتين ، وشاطر الله أمواله ثلاث مرات حتى أعطى نعلا وامسك اخرى ^(٥)

زهده

ورفض الامام جميع مباهج الحياة ، وزهد في ملاذها ونعيمها ، واتجه الى الدار الآخرة التي أعدها الله للمتقين من عباده ، وقد تحدث ٧

. المصادر وان الجنائب لتقاد بين يديه ، والجنائب . جمع جنيبة وهي الدابة التي تقاد.

(١) اللعة كتاب الحج واعيان الشيعة ، وقيل انه حج خمس عشرة حجة ، وقيل عشرون ، وذكر الصدوق في أماليه انه ربما مشى حافيا الى بيت الله.

(٢) اعيان الشيعة ٤ / ١١

(٣) أمالي الصدوق ص ١٠٨

(٤) تاريخ ابن كثير ٨ / ٣٧

(٥) اسد الغابة ٢ / ١٣ ، البحار ١٠ / ٩٤

عن عزوفه عن الدنيا ، واقتناعه بالقليل منها يقول :

لكسرة من خسيس الخبز تشبعني وشربة من قراح الماء تكفيني

وطرة من دقيق الثوب ^(١) تسترني حيا وان مت تكفيني لتكفيني ^(٢)

ورسم على خاتمه بيتين من الشعر يلمس فيهما مدى زهده وهما :

قدم لنفسك ما استطعت من التقى إن المنية نازل بك يا فتى

أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى أحباب قلبك في المقابر والبللى ^(٣)

وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت

يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظلل زائل حمق ^(٤)

ومما ينسب له في ذم المغرور في الدنيا والمفتون بحبها قوله :

قل للمقيم بغير دار اقامة حان الرحيل فودع الاحبابا

ان الذين لقيتهم وصحبتهم صاروا جميعا في القبور ترابا ^(٥)

ومن مظاهر زهده ما حدث به مدرك بن زياد ^(٦) قال : كنا في حيطان ابن عباس فجاء الحسن والحسين ، وابنا العباس فطافوا في تلك البساتين ثم جلسوا على ضفاف بعض السواقي ، فقال الحسن : يا مدرك : هل عندك غذاء؟ فقلت له : نعم ثم انطلقت فجئته بخبز وشيء من

الملح

(١) الدقيق : الحقيق من الثياب

(٢) البحار ١٠ / ٩٤

(٣) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢١٩

(٤) الفصول المهمة لابن الصباغ : ص ١٦٢

(٥) المناقب ٢ / ١٤٥

(٦) مدرك بن زياد احد الصحابة ، توفي في دمشق بقرية يقال لها « راوية » وهو اول مسلم دفن فيها ، الاصابة ٣ /

مع طاقتين من بقل فأكل منه ، وقال يا مدرك ما أطيب هذا؟
وجيء بعد ذلك بالطعام وكان في منتهى الحسن والجودة فالتفت ٧ الى مدرك وأمره بأن يجمع
الغلمان ويقدم لهم الطعام ، فدعاهم مدرك فأكلوا منه ولم يأكل الامام منه شيئا فقال له مدرك :
لما ذا لا تأكل منه؟ فقال ٧ : ان ذاك الطعام أحب عندي ^(١) لأنه طعام الفقراء والمحرومين ، ومما
يدل على عظيم زهده أنه زهد في الملك طلبا لمرضاة الله ، وخوفا على دماء المسلمين ، وقد الف
في زهده محمد ابن بابويه القمي ^(٢) كتابا اسماه زهد الحسن وأجمع المترجمون له انه كان أزهد الناس
وأفضلهم بعد جده وأبيه

هيئته ووقاره

إن شخصية الامام كانت تملأ العيون وتهمين على النفوس لأنه قد التقت بها عناصر النبوة
والامامة ، وتمثلت فيها هيئة النبي ، وقد حدث واصل بن عطاء ^(٣) قال :

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢١٢

(٢) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، من اعظم علماء الشيعة ، ورئيس المحدثين لم ير في القميين
مثله في حفظه وكثرة علمه ، وهو استاذ الشيخ المفيد ، له من المؤلفات ثلاث مائة مؤلف توفي بالري سنة ٣٨١ هـ جاء
ذلك في الكنى واللقاب ١ / ٢١٢

(٣) واصل بن عطاء البصري : كان متكلماً بليغاً متشدداً ، وكان يلثغ بالراء نقل عنه انه هجر الراء وتجنبها في خطابه
وقيل فيه

ويجعل الـير قمحاً في تصـرفه وخالف الراء حتى احتال للشعر .

« كانت على الحسن سيماء الأنبياء وبهاء الملوك » ^(١)

وقال ابن الزبير :

« والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي في هيئته وسمو منزلته » ^(٢)

وبلغ من عظيم هيئته انه كان يفرش له على باب البيت فاذا خرج وجلس انقطع الطريق لأنه لا يمر أحد إلا جلس اجلالا واكبارا له ، فاذا علم ذلك قام ودخل البيت ^(٣) ومن عظيم هيئته وسمو مكانته في نفوس المسلمين أنه ما أجتاز مع أخيه على ركب في حال سفرهما إلى بيت الله الحرام ماشيين إلا ترجل ذلك الركب تعظيما واكبارا لهما حتى ثقل المشي على جماهير الحجاج فكلموا سعد بن أبي وقاص في ذلك فبادر إلى الامام وقال له :
« يا أبا محمد ، إن المشي قد ثقل على الحجاج لأنهم إذا رأوا كما لم تطب نفوسهم بالركوب ، فلو ركبنا رحمة لهم .. »

فاجابه الامام بما ينم عن نفس قد عاهدت الله أن تبذل في مرضاته

— ولم يطبق مطرا والقول يعجله — فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

له من المؤلفات : اصناف المرجئة ، التوبة ، معاني القرآن ، وكان يتوقف من القول بعدالة اهل الجمل ، وهو شيخ المعتزلة ومن اجلاتها ، ولد في يثرب سنة ثمانين ، وتوفي سنة مائة واحدى وثلاثين من الهجرة جاء ذلك في لسان الميزان ٦ /

٢١٤

(١) اعيان الشيعة ٤ / ١٢ ، المناقب.

(٢) تأريخ ابن كثير ٨ / ٣٧.

(٣) اعلام الورى في اعلام الهدى ص ١٢٥.

كل غال ونفيس قائلاً :

« لا نركب فقد عاهدنا الله أن نؤم بيته ماشيين ، ولكن نتكب الطريق .. » ^(١)

وسار ٧ في بعض طرق يشرب وقد لبس حلة فاخرة ، وركب بغلة فارهة ، ووجهه الشريف يشرق حسنا وجمالا ، وقد حفت به خدمه ، وحاشيته فرآه بعض اغبياء اليهود فبادر إليه وقال له :

يا بن رسول الله عندي سؤال؟

. ما هو؟

- إن جدك رسول الله (ص) يقول : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، فأنت المؤمن وأنا الكافر ، وما الدنيا إلا جنة لك تتنعم فيها ، وتستلذ بها وأنت مؤمن ، وما أراها إلا سجنا قد أهلكني حرها وأجهدي فقرها؟

- لو نظرت إلى ما أعد الله لي وللمؤمنين في الدار الآخرة مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر لعلمت أنني قبل انتقالي إليها وأنا في هذه الحالة في سجن ، ولو نظرت إلى ما أعد الله لك ولكل كافر في دار الآخرة من سعير نار جهنم ، ونكال العذاب الأليم المقيم لرأيت قبل مصيرك إليه أنك في جنة واسعة ونعمة جامعة ^(٢) وتركه الامام ، واليهودي يتميز من الغيظ والحققد.

ورأى هيبة الامام ووقاره بعض الأغبياء من الحاقدين عليه فقال له إن فيك عظمة فاجابه الامام ان في عزة ثم تلا قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

(١) المناقب ٢ / ١٤٢ ، اعيان الشيعة ٤ / ٢٠ .

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٦١ .

وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ (١) ان الحسن كان يحكى جده الرسول (ص) في هيئته وسؤدده وكريم طباعه.

فصاحته وبلاغته :

وكل ظاهرة من ظواهر الكمال قد تمثلت في الامام أبي محمد ، وتحلت بها شخصيته الكريمة ، ومن أروع صفاته البلاغة والفصاحة في الكلام فقد كان (ع) من أبرع البلغاء في اصابته للمناسبات ، ومن أقدرهم على الإيجاز والاعجاز والابداع في الكلام ، وحقا أن يكون كذلك فقد تفرع من دوحة الفصاحة والبلاغة وفصل الخطاب ، فالجد رسول الله (ص) أفصح من نطق بالضاد ، والأب علي (ع) سيد البلغاء وامير البيان.

إن الحسن (ع) في فصاحته وبلاغته كأبيه ، وقد ترك (ع) تراثا رفيعا وحكما بالغة تحتوى على أصول الآداب الاجتماعية والنصح والارشاد والوعظ الخالد ، قد رصعت بجمال اللفظ وسمو المعنى وإلى القراء بعضها.

الآداب الاجتماعية :

وجه الامام علي (ع) الى الحسن اسئلة تتعلق بأصول الأخلاق والفضائل ، فأجابه الحسن (ع) بما هو عفو البداة والخاطر فكان الجواب آية من آيات البلاغة والاعجاز :

الامام علي : يا بني ما السداد؟

الحسن : يا أبت السداد دفع المنكر بالمعروف.

. ما الشرف؟

. اصطناع العشيرة وحمل الحرية.

. ما المروءة؟

(١) المناقب ٢ / ١٤٩ .

- . العفاف واصلاح المرء ماله.
- . ما الدينئة؟
- . النظر في اليسير ومنع الحقيير.
- . ما اللوم؟
- . احتراز المرء نفسه وبذله عرسه ^(١).
- . ما السماحة؟
- . البذل في العسر واليسر.
- . ما الشح؟
- . أن ترى ما في يديك شرفا وما أنفقته تلفا.
- . ما الاخاء؟
- . الوفاء في الشدة والرخاء.
- . ما الجبن؟
- . الجرأة على الصديق والنكول عن العدو.
- . ما الغنيمة؟
- . الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا.
- . ما الحلم؟
- . كظم الغيظ وملك النفس.
- . ما الغنى؟
- . رضى النفس بما قسم الله وإن قل فانما الغنى غنى النفس.
- . ما الفقر؟

(١) وفي رواية انه قال ما اللوم؟ احتراز المرء ماله وبذله عرضه جاء ذلك في دائرة المعارف للبيستاني ٧ / ٣٩.

- . شره النفس في كل شيء.
- . ما المنعة؟
- . شدة البأس ومقارعة أشد الناس.
- . ما الذل؟
- . الفزع عند المصدوقية؟
- . ما الجرأة؟
- . موافقة الأقران.
- . ما الكلفة؟
- . كلامك فيما لا يعينك.
- . ما المجد؟
- . أن تعطى في الغرم وأن تعفو عن الجرم.
- . ما العقل؟
- . حفظ القلب كل ما استرعيت^(١).
- . ما الحزق؟
- . معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك.
- . ما الثناء؟
- . اتيان الجميل وترك القبيح.
- . ما الحزم؟
- . طول الأناة^(٢) والرفق بالولاة والاحتباس من الناس بسوء الظن

(١) وفي رواية ابى نعيم في الحلية ٢ / ٣٦ حفظ القلب كل ما استوعبته ، وفي رواية اخرى حفظ القلب لكل ما استتر فيه.

(٢) الأناة : الوقار والحلم والانتظار.

هو الحزم.

. ما الشرف؟

. موافقة الاخوان.

. ما السفه؟

. إتباع الدناة ومصاحبة الغواة.

. ما الغفلة؟

. تركك المسجد وطاعتك المفسد.

. ما الحرمان؟

. تركك حظك وقد عرض عليك.

. ما السيد؟

. الأحمق في ماله المتهاون في ... ، يشتم فلا يجيب ، المتحزن ^(١) بأمر العشيرة هو السيد ^(٢).

إن النفس لتقف حائرة أمام هذا الاسترسال العجيب من الامام الحسن وعدم تكلفه في الجواب واحاطته خبرا بمعاني هذه النقاط الحيوية ، فلن يسع النفس إلا الاكبار والاعجاب والاعتراف بالعظمة والخضوع لتلك المواهب العلمية.

مكارم الأخلاق :

قال جابر : سمعت الحسن (ع) يقول : مكارم الأخلاق عشرة ، صدق اللسان ، وصدق البأس ، واعطاء السائل ، وحسن الخلق ، والمكافاة

(١) وفي رواية المهتم بأمر عشيرته.

(٢) تأريخ ابن كثير ج ٨ ص ٣٩.

بالصنائع ، وصلة الرحم ، والتذمم ^(١) على الجار ، ومعرفة الحق للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء ^(٢) .

والتفت معاوية يوما إلى الامام (ع) قال له : يا أبا محمد ثلاث خلال لم أجد من يجيئني عنها!!!

. ما هي؟

. المروءة ، الكرم ، النجدة.

. أما (المروءة) فاصلاح الرجل أمر دينه وحسن قيامه على ماله وإفشاء السلام والتحبب إلى الناس.

(الكرم) العطية قبل السؤال ، والتبرع بالمعروف والاطعام في المحل.

(النجدة) الذب عن الجار ، والمحامات في الكريهة ، والصبر عند الشدائد.

وجاء إليه شخص فقال : يا بن رسول الله «ص» من أحسن الناس؟

. من أشرك الناس في عيشه.

. من أشر الناس؟

. من لا يعيش في عيشه أحد ^(٣) .

الجرائم الاخلاقية :

قال «ع» : هلاك الناس في ثلاث ، الكبر ، الحرص ، الحسد.

« الكبر » به هلاك الدين ، وبه لعن إبليس.

(١) التذمم مأخوذ من اذمه اي اجاره واخذه تحت حمايته.

(٢) تأريخ يعقوبي ٢ / ٢٠١ .

(٣) تأريخ يعقوبي ٢ / ٢٠٢ .

« الحرص » عدو النفس وبه اخرج آدم من الجنة.

« الحسد » رائد السوء وبه قتل هابيل قابيل^(١).

لا شك ان هذه الرذائل الثلاث التي حرض الامام «ع» على اجتنابها واقام الشواهد على اضرارها هي اصول الاجرام وامهات الرذائل.

التحريض على طلب العلم :

قال «ع» : لبنيه تعلموا العلم فانكم صغار القوم ، وكبارهم غدا ، ومن لم يحفظ منكم فليكتب^(٢).

وقال «ع» علم الناس ، وتعلم علم غيرك فتكون قد اتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم^(٣).

وقال «ع» : حسن السؤال نصف العلم^(٤).

فضل العقل :

قال «ع» : لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرۃ الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك سعادة الدارين ، ومن حرم العقل حرمهما جميعا^(٥).

فضل القرآن الكريم :

قال «ع» : إن هذا القرآن فيه مصابيح النور ، وشفاء الصدور ،

(١) نور الابصار ص ١١٠ .

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٤٢ .

(٣) الاثنى عشرية ص ٣٧ .

(٤) نور الابصار ص ١١٠ .

(٥) اعيان الشيعة ٤ / ٨٨ .

فليجل جال بضوئه ، وليلجم^(١) الصفة قلبه ، فان التفكير حياة القلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور^(٢).

الدعاء :

قال «ع» ما فتح الله عز وجل على أحد باب مسألة فخرن^(٣) عنه باب الاجابة ، ولا فتح على رجل باب عمل فخرن عنه باب القبول ، ولا فتح لعبد باب شكر فخرن عنه باب المزيد^(٤).

السياسة :

سأله شخص عن رأيه في السياسة؟ فقال «ع» : هي أن ترعى حقوق الله ، وحقوق الاحياء ، وحقوق الأموات (فأما حقوق الله) فأداء ما طلب ، والاحتساب عما نهي « وأما حقوق الأحياء » فهي أن تقوم بواجبك نحو اخوانك ، ولا تتأخر عن خدمة أمتك ، وأن تخلص لولي الأمر ما اخلص لأتمته ، وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا ما حاد عن الطريق السوى « وأما حقوق الأموات » فهي أن تذكر خيرا لهم ، وتتغاضى عن مساوئهم فان لهم ربا يحاسبهم^(٥).

وقال له معاوية : ما يجب لنا في سلطاننا؟

الامام : ما قال سليمان بن داود!!!

(١) لجم : اي شد.

(٢) كشف الغمة ص ١٧١.

(٣) خزن : اغلق وسد.

(٤) اعيان الشيعة ٤ / ٨٨.

(٥) مجلة العرفان الجزء الثالث المجلد الاربعون ص ٢٥٤ نقلا عن المجلد التاسع من التذكرة المملوئية.

معاوية : وما قال سليمان؟

الامام : انه قال لبعض أصحابه ، أتدري ما يجب على الملك في ملكه وما لا يضره إذا أدى الذي عليه منه ، إذا خاف الله في السر والعلانية وعدل في الغضب والرضا ، وقصد في الفقر والغنى ، ولم يأخذ الأموال غصبا ، ولم يأكلها إسرافا وتبذيرا ، ولم يضره ما تمتع به من دنياه إذا كان من خلته ^(١).

هذه هي السياسة الصحيحة التي لو سارت عليها الدول لدام لها البقاء وكان الشعب والحكومة في راحة ونعيم ، وقد ادلى الامام «ع» بهذه الآراء القيمة إلى عدوه لأجل المصلحة العامة علّه أن يسير خصمه على ضوء الحق.

الصديق والصاحب :

قال «ع» : ألا اخبركم عن صديق كان لي من اعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجا من سلطان بطنه فلا يتشهى ما لا يحل ولا يكتنز إذا وجد ، وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يمد يدا إلا على ثقة لمنفعة ، كان لا يتشكى ولا يتبرم ، كان أكثر دهره صامتا فإذا قال بذ ^(٢) القائلين ، كان ضعيفا مستضعفا فإذا جاء الجدد فهو الليث عاديا ، كان إذا جامع العلماء على أن يسمع احرص منه على أن يقول ، كان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت كان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول كان إذا عرض له أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحق نظر أقربهما من هواه فخالفه كان

(١) تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٠٢.

(٢) بذ اي تفوق وغلب.

لا يلوم أحدا على ما قد يقع العذر في مثله ، كان لا يقول حتى يرى قاضيا عدلا وشهودا عدولا^(١)

وقال «ع» لبعض ولده : يا بني لا تواخ احدا حتى تعرف موارده ومصادره القريب من قريبته المودة والبعيد من باعدته المودة وإن قرب نسبه.
وسأله رجل أن يكون صديقا له وجليسا ، فقال له «ع» : إياك أن تمدحني فانا اعلم بنفسني منك ، أو تكذبني فانه لا رأى لمكذوب ، أو تغتاب عندي أحدا ، فقال الرجل : ائذن لي في الانصراف قال له : نعم إذا شئت^(٢).

السخاء والمعروف :

كان «ع» يطوف في بيت الله الحرام فسأله رجل عن معنى الجواد فقال له : إن لكلامك وجهين ، فان كنت تسأل عن المخلوق فان الجواد الذي يؤدي ما افترض عليه ، والبخيل الذي ييخل بما افترض عليه ، وإن كنت تسأل عن الخالق فهو الجواد إن اعطى وهو الجواد إن منع لأنه إن أعطى عبدا اعطاه ما ليس له وإن منع منع ما ليس له^(٣) وقال «ع» المعروف ما لم يتقدمه مظل ولا يتبعه منّ ، والاعطاء قبل السؤال من أكبر السؤدد^(٤).

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٥٥ ، وذكره غيره مع اختلاف في التعبير.

(٢) تحف العقول ص ٥٥.

(٣) مجمع البحرين مادة جود.

(٤) اعيان الشيعة ج ٤ ص ٨٨.

البخل :

قال «ع» البخل جامع للمساوي والعيوب ، وقاطع للمودات من القلوب .
وسئل «ع» عن البخل فقال : هو أن يرى الرجل ما انفقته تلفا وما امسكه شرفا ^(١) .

التواضع :

قال «ع» : أعرف الناس بحقوق اخوانه واشدهم قضاء لها اعظمهم عند الله شأنًا ، ومن تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن أبي طالب «ع» ^(٢) .

التوكل على الله :

قيل له «ع» : إن أبا ذر كان يقول الفقير أحب إلى من الغني ، والسقيم أحب إلى من الصحة . فقال : رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختارها الله له ^(٣) .

ابطال الجبر :

ورفع أهالي البصرة إليه «ع» رسالة يطلبون منه رأيه في مسألة الجبر ^(٤) فأجابهم ٧ :

(١) نهاية الارب في فنون الادب ج ٣ ص ٣٩٨ .

(٢) مجموعة ورام ص ٣١٢ .

(٣) تأريخ ابن كثير ج ٨ ص ٣٩ .

(٤) مبحث الجبر والتفويض من اهم المسائل الكلامية واشكلها ، وقد اضطرت فيها اقوال العلماء واختلفت إلى ابعد الحدود ، وقد شاعت فكرة الجبر في البصرة بسبب الحسن البصري وابي الحسن الاشعري حفيد ابي موسى الاشعري ، ومجمل

من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر ، إن الله لا يطاع استكراها ، ولا يعصى لغلبة لأنه المليك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما فعلوا فاذا لم يفعلوا فليس هو الذي أجبرهم على ذلك ، فلو اجبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب ، ولو أجبرهم على المعاصي لأسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم لكان عجزا في القدرة ولكن له فيهم المشيئة التي غيبتها عنهم فان عملوا بالطاعات كانت له المنة عليهم ، وإن عملوا بالمعصية كانت الحجة عليهم ^(١).

تقوى الله :

قال «ع» إن الله لم يخلقكم عبثا وليس بتارككم سدى ، كتب آجالكم وقسم بينكم معاشكم ليعرف كل ذى منزلة منزلته وإن ما قدر له أصابه وما صرف عنه فلن يصيبه قد كفاكم مئونة الدنيا وفرغكم لعبادته وحثكم على الشكر وافترض عليكم الذكر وأوصاكم بالتقوى وجعل التقوى منتهى رضاه ، والتقوى باب كل توبة ورأس كل حكمة وشرف كل عمل بالتقوى فاز من فاز من المتقين ، قال الله تبارك وتعالى : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ

فكرة الجبر ان الفعل الصادر من العبد ليس مخلوقا له وإنما هو مخلوق لله تعالى ، وإن ارادة العبد وقدرته لا مدخل لهما في إيجاد الفعل سواء كان الفعل الصادر من العبد باختياره او مضطرا عليه ، وقد تعرض آية الله الأستاذ السيد ابو القاسم الخوئي سلمه الله في بحثه إلى المسألة فأوفاهها بالتحقيق وبين فساد الجبر والتفويض واثبت (ان الأمر بين الأمرين) وهي الفكرة التي تذهب إليها الشيعة وقد كتبنا ما افاده سلمه الله برسالة مستقلة.

(١) رسائل جمهرة العرب ج ٢ ص ٢٥.

مَفَازاً) وقال : (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فاتقوا عباد الله واعلموا أن من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ويسدده في أمره ويهيأ له رشده ، ويفلحه بحجته ويبيض وجهه ويعطيه رغبته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ^(١).

الوعظ والارشاد

قال ٧ : يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا وارض بما قسم الله تكن غنيا ، واحسن جوار من جاورك تكن مسلما وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلا ، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيرا ويننون مشيدا ويأملون بعيدا أصبح جمعهم بورا وعملهم غرورا ومسكنهم قبورا ، يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك ، فجد بما في يديك فان المؤمن يتزود والكافر يتمتع وكان يتلو عقيب كلامه هذا ، قوله تعالى : (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) ^(٢).

وقال ٧ : اتقوا عباد الله وجوداً في الطلب وتجاه الهرب وبادروا العمل قبل مقطعات النعمات وهادم اللذات ، فان الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجيعتها ولا تتوقى في مساوئها ، غرور حائل ، وسناد مائل فاتعظوا عباد الله بالعبر واعتبروا بالآثر وازدجروا بالنعم وانتفعوا بالمواعظ ، فكفى بالله معتصما ونصيرا وكفى بالكتاب حجيحا وخصيما وكفى

(١) تحف العقول ص ٥٥.

(٢) نور الابصار ص ١١٠

بالجنة ثوابا وكفى بالنار عقابا ووبالا^(١).

وعزى ٧ رجلا قد مات بعض ذويه فقال له. إن كانت هذه المصيبة احدثت لك موعظة وكسبتك اجرا فهو ، وإلا فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك في ميتك^(٢).

وجاءه رجل من الاثرياء فقال له : يا ابن رسول الله اني أخاف من الموت!!!

فقال له ٧ : ذاك لأنك أخرت مالك ولو قدمته لسرك أن تلحق به^(٣).

ومر ٧ على قوم يلعبون ويضحكون في يوم عيد الفطر فوقف ٧ والتفت إليهم قائلاً : إن الله جعل شهر رمضان مضمرا لخلقه يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته فسبق قوم ففازوا ، وقصر آخرون فخابوا ، فالعجب كل العجب من ضاحك لاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون ، وأيم الله لو كشف الغطاء لعلموا ان المحسن مشغول باحسانه والمسيء مشغول بإساءته. ثم تركهم ٧ وانصرف^(٤).

وقال ٧ : اوصيكم بتقوى الله وادامة التفكير فان التفكير أبو كل خير وأمه.

وقال ٧ : من عرف الله احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها

(١) كذا وجد في تحف العقول ص ٥٦.

(٢) مجموعة ورام ص ٤١١

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٠٢

(٤) جامع السعادات ج ٣ ص ٣٧٦ ، تحف العقول ص ٥٦ مجموعة ورام ص ٥٤

والمؤمن لا يلهو حتى يغفل واذا تفكر حزن ^(١).

ومر ٧ على ميت يراد دفنه فقال : إن امرا هذا آخره لحقيق بأن يزهّد في اوله ، وان امرا هذا اوله لحقيق أن يخاف من آخره ^(٢).

وقال ٧ : الناس في دار سهو وغفلة يعملون ولا يعلمون فاذا صاروا الى دار الآخرة صاروا الى دار يقين يعلمون ولا يعملون ^(٣).

طلب الرزق

قال ٧ : لا تجاهد الطلب جهاد الغالب ولا تتكل على القدر اتّكال المستسلم فان ابتغاء الفضل من السنة والاجمال في الطلب من العفة وليست العفة بدافعة رزقا ولا الحرص بجالب فضلا فان الرزق مقسوم واستعمال الحرص استعمال المآثم ^(٤).

المساجد

قال ٧ : من ادام الاختلاف الى المسجد أصاب ثمان خصال آية محكمة ، وأخا مستفادا ، وعلمنا مستطرفا ، ورحمة منتظرة ، وكلمة تدله على هدى أو تردعه عن ردى ، وترك الذنوب حياء او خشية ^(٥).

آداب المائدة

قال ٧ : غسل اليدين قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي

(١) مجموعة ورام صفحة ٣٧

(٢) المحاسن والمساوي للجاحظ صفحة ٢٥٦

(٣) الاثنى عشرية صفحة ٣٧

(٤) تحف العقول صفحة ٥٥

(٥) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ٣

الهم (١).

وقال ٧ : في المائدة اثنتا عشرة خصلة يجب على كل مسلم أن يعرفها ، أربع فيها فرض ، وأربع سنة ، وأربع تأديب.

الفرض : المعرفة ، الرضا ، التسمية ، الشكر.

السنة : الوضوء قبل الطعام ، الجلوس على الجانب الايسر ، الاكل بثلاثة اصابع ولعق الاصابع.

التأديب : الاكل مما يليك ، تصغير اللقمة ، تجويد المضغ. قلة النظر في وجوه الناس ، (٢)

ولاء اهل البيت

قال له رجل : يا ابن رسول الله إني من شيعتكم!!!

فقال ٧ : يا عبد الله إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعا فقد صدقت ، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها ، لا تقل أنا من شيعتك ، ولكن قل أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادى اعدائكم وأنت في خير وإلى خير (٣).

التحذير من المحرفين لكتاب الله

قال ٧ : أيها الناس إنه من نصح لله وأخذ قوله دليل هدى للتي هي أقوم ، وفقه الله للرشاد وسدده للحسنى ، فإن جار الله آمن محفوظ وعدوه خائف مخذول ، فاحترسوا من الله بكثرة الذكر واخشوا

(١) الاثني عشرية ص ٣٧

(٢) مصابيح الانوار في حل مشكلات الاخبار للحجة السيد عبد الله شير اعلى الله مقامه ج ٢ ص ٢٧١ وقد اوضح السيد فقرات الحديث.

(٣) مجموعة ورام صفحة ٣٠١

الله بالتقوى وتقربوا الى الله بالطاعة فانه قريب مجيب ، قال الله تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) فاستجيبوا لله وآمنوا به فانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاضم ، فان رفعة الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا ، والذين يعرفون ما جلال الله ان يتدللوا وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله ان يستسلموا له ولا ينكرون انفسهم بعد المعرفة ولا يضلون بعد الهدى ، واعلموا علما يقينا انكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه ، فاذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله ورأيتم كيف يهوي من يهوي ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون ، والتمسوا ذلك عند أهله فانهم خاصة نور يستضاء بهم وأئمة يقتدى بهم ، بهم عيش العلم وموت الجهل وهم الذين اخبركم حلمهم عن جهلهم ، وحكم منطقهم عن صمتهم ، وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه ، وقد خلت لهم من الله سابقة ومضى فيهم من الله حكم ، إن في ذلك لذكرى للذاكرين ، واعقلوه اذا سمعتموه عقل رعاية ، ولا تعقلوه عقل رواية فان رواة الكتاب كثير ورعاته قليل والله المستعان ^(١) .

الشاهد والمشهود

وجاء رجل الى مسجد رسول الله ﷺ ليسأل عن المراد من قوله تعالى : (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) فرأى في المسجد ثلاثة اشخاص قد احتف بكل واحد منهم جمع من الناس وهم يحدثونهم عما سمعوه من

(١) كذا وجد في تحف العقول صفحة ٥٣

رسول الله ﷺ من الاحكام والآداب فقصد واحدا منهم فسأله عن مسأله؟!!!
فقال له : الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة. ثم انعطف الى الثاني ، فسأله عن
مسأله؟!!!

فقال له : الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر. ثم انعطف نحو الشخص الثالث فسأله عن
مسأله؟!!!

فقال له : الشاهد رسول الله ﷺ والمشهود يوم القيامة ودعم كلامه بالبرهان قائلاً : أما سمعت
الله يقول في كتابه العزيز : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وقال تعالى :
(وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ) فسأل من هو الاول؟ قيل له هو عبد الله بن عباس ^(١)

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، ولد قبل الهجرة
بثلاث سنين وقيل بخمس وقد دعا له رسول الله ﷺ فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال ﷺ : اللهم زده علما
وفقهها ، فكان ببركة دعاء رسول الله (ص) من اساطين العلماء ، وقال مسروق إذا رايت عبد الله بن عباس قلت اجمل
الناس فاذا تكلم قلت افصح الناس وإذا تحدث قلت اعلم الناس ، وقيل لو سمعت فارس والروم والترك كلامه لأسلمت ،
وقد عمى في آخر عمره فقال :

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففني لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور
مات في الطائف سنة ثمان وستين في ايام ابن الزبير وكان عمره سبعين سنة وقيل إحدى وسبعون وقيل اربع وسبعون ،
وصلى عليه محمد بن الحنفية وكبر عليه اربعاً وقال : اليوم مات رباني هذه الامة جاء ذلك في الاستيعاب المطبوع على .

فسأل من هو الثاني؟ قيل له عبد الله بن عمر ^(١).

فسأل من هو الثالث؟ قيل له الحسن بن علي ^(٢).

بعض خطبه :

وكان ٧ خطيبا مفوها من أبرع الخطباء واقدروهم على الارتجال والابداع في القول وإليك أيها القارئ الكريم بعضا من خطبه :

قال ٧ : نحن حزب الله المفلحون ، وعتره رسول الله ﷺ الاقربون ، وأهل بيته الطاهرون الطيبون ، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله ﷺ ، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعول عليه في كل شيء لا يخطئنا تأويله ، بل نتيقن حقائقه ، فاطيعونا فاطاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الامر مقرونة (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) وأحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان إنه

. هامش الإصابة ج ٢ ص ٣٥٠

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب ولد بعد المبعث النبوي بثلاث سنين ومات سنة اربع وثمانين من الهجرة ، وقيل غير ذلك ، جاء ذلك في الإصابة ج ٢ ص ٣٤٧ وجاء في الاستيعاب ج ٢ ص ٣٤٣ انه لم يتبع عليا وقعد وندم على ذلك ولما حضرته الوفاة قال : ما اجد في نفسي شيئا إلا اني لم اقاتل الفئة الباغية مع علي بن ابي طالب ٧ وذكر المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٢٣٨ جماعة تخلفوا عن بيعة علي ذكر منهم عبد الله بن عمر وكان سبب تخلفهم خروجاً عن الامر ، ومخالفة لعلي ٧.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٦٠.

لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال لهم : (لا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) فتلقون للرماح أزرا ، وللسيوف جزرا ، وللعمد خطأ ، وللسهام غرضا ، ثم لا ينفع نفسا إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ، والله اعلم.

ومرض الامام علي ٧ يوما فأمر الحسن ان يصلي بالناس صلاة الجمعة ، فصعد ٧ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله لم يبعث نبيا إلا اختار له نفسا ورهطا وبيتا ، فو الذي بعث محمدا بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلا نقصه الله من عمله ، مثله ولا يكون علينا دولة إلا وتكون لنا العاقبة ، ولتعلمن نبأه بعد حين ^(١)

كلماته الحكمية القصار :

فضح الموت الدنيا ^(٢).

كن في الدنيا ببدنك وفي الآخرة بقلبك.

اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به بمنزلة ما لم يخطر ببالك.

ما تشاور قوم إلا هدوا الى رشدهم.

إن من طلب العبادة تزكى لها.

المزاح يأكل الهيبة وقد أكثر من الهيبة الصامت.

تجهل النعم ما أقامت فاذا ولت عرفت.

الوعد مرض في الجود والانجاز دواؤه.

(١) مروج الذهب ج ٢ صفحة ٣٠٦

(٢) مجموعة ورام صفحة ٢٠١ ، وقال خالد بن صفوان افصح الناس الحسن ابن علي ٧ لقوله هذه الكلمة الذهبية التي مثلت الاعجاز والابداع والايجاز

المسئول حر حتى يعد ومسترق بالوعد حتى ينجز .
لا تعاجل الذنب بالعقوبة ، واجعل بينهما للاعتذار طريقا .
قطع العلم عذر المتعلمين .
اليقين معاذ السلامة .
لا يغش العاقل من استنصحه :
إذا أضرت النوافل بالفريضة فاتركوها .
الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود .
وسأله شخص عن الصمت؟ فقال «ع» : هو ستر العي وزين العرض وفاعله في راحة
وجليسه في أمن .
فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها .
أشد من المصيبة سوء الخلق .
من تذكر بعد السفر اعتد .
القريب من قرنته المودة وإن بعد نسبه ، والبعيد من باعدته المودة وإن قرب نسبه .
وقال «ع» : لرجل قد برىء من مرضه ، إن الله قد ذكرك فاذكره وأقالك فاشكره .
إن لم تطعك نفسك فيما تحملها عليه مما تكره فلا تطعها فيما تحملك عليه مما تحوى .
من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تحيوه .
العار أهون من النار .
قال «ع» لأصحابه : هل رأيتم ظالما أشبه بمظلوم؟ قالوا وكيف ذاك يا بن رسول الله؟!!

قال : الحاسد ، فانه في تعب ومن حسده في راحة.
مروءة القناعة والرضا أكثر من مروءة الاعطاء.
تمام الصنيعة خير من ابتدائها.

نظمه للشعر :

إما نظم الامام «ع» للشعر فقليل وقد تقدمت في بحوث هذا الكتاب أبيات نسبت له ولكن
ابن رشيقي قد عد الامام «ع» من الشعراء واستشهد له بيت واحد كان الامام قد أنشده وهو
مختضب بالسواد فقال «ع» :

نسود أعلاها وتأبى أصولها فليت الذي يسود منها هو الأصل^(١)

وجاء في أعيان الشيعة أنه «ع» قال في الوعظ :

ذرى كدر الأيام ان صفاءها تولى بأيام السرور الذواهب
وكيف يغر الدهر من كان بينه وبين الليالي محكمات التجارب
وجاء في المناقب أنه «ع» قال :

لئن ساءني دهر عزمت تصبرا وكل بلاء لا يدوم يسير
وإن سرنى لم أبتهج بسروره وكل سرور لا يدوم حقير
إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن تراثه ومثله :

(١) العملة ج ١ ص ٢١ ومعنى البيت : إنا نسود الظاهر من الشعر ولكن جذوره تأبى إلا البقاء على الشيب.

فى عهد الإمام على «ع»

واستقبل جمهور المسلمين خلافة الامام أمير المؤمنين بمزيد من السرور والابتهاج واتساع الأمل والرجاء فقد أيقنوا أن الامام سيرجع لهم الحريات المنهوبة. ويحطم عنهم أركان العبودية التي أقامها الحكم الأموي المهدوم ، ويعيد لهم عهد النبوة الزاهر الذي انبسطت فيه الرحمة ، وعم فيه العدل والرجاء ، وانهم سينعمون . من دون شك . في ظل حكمه العادل الذي لا يعرف الإثارة والاستغلال ، ولا يميز قوما على آخرين لقد وثق الجمهور أن الامام سيحقق لهم الأهداف النبيلة التي يصبون إليها من تحقيق العدل الاجتماعي والعدل السياسي في البلاد ، وتطبيق المبادئ والنظم التي جاء بها الاسلام ، والقضاء على جميع الفوارق والامتيازات التي خلفها عثمان ، وقد هبوا بجميع طبقاتهم إلى الامام وهم يهتفون باسمه ، ويعلنون رغبتهم الملحة في أن يلي أمورهم ليحملهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء ، ونضع بين يدي القراء صورة مجملة عن البيعة وعن الأحداث التي رافقتها وهي :

البيعة :

واجتمع المهاجرون والأنصار ومعهم الثوار وبقية الجماهير ومن بينهم طلحة والزبير فهرعوا إلى الامام أمير المؤمنين وهو معتزل بداره فأحاطوا به من كل جانب وقالوا له :
« يا أبا الحسن. إن هذا الرجل قد قتل. ولا بد للناس من إمام. ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر منك ، لا أقدم سابقة ، ولا أقرب قرابة من رسول الله .. » .
فامتنع الامام من أجابتهم وقال لهم :
« لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به .. »
فهتفوا بلسان واحد

« ما نختار غيرك .. »

وكثر اصرار الجماهير على الامام ولكنه لم يستجب لهم فخرجوا منه ولم يظفروا بشيء ، وعقدت القوات المسلحة اجتماعا خاصا عرضت فيه الأحداث الخطيرة التي تواجه الأمة إن بقيت بلا إمام يدير شئونها ، وقد قررت على احضار المدنيين وارغامهم على انتخاب إمام للمسلمين فقالوا لهم :

« أنتم أهل الشورى ، وأنتم تعقدون الإمامة. وحكمكم جائز على الأمة فانظروا رجلا تنصبونه ، ونحن لكم تبع ، وقد أجلناكم يومكم ، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن عليا وطلحة والزبير وتذهب من أضحية ذلك أمة من الناس .. » ^(١)

وفزع المدنيون بعد هذا الانذار والتهديد إلى الامام أمير المؤمنين ، وهم يهتفون بلسان واحد البيعة. البيعة

أما ترى ما نزل بالاسلام ، وما ابتلينا به من أبناء القرى

وأجابه الامام بحدوء قائلا :

« دعوني والتمسوا غيري. »

ثم أعرب لهم عن السر في توقفه من قبول الخلافة قائلا :

« أيها الناس ، إنا مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول .. » ^(٢)

لقد علم ٧ بما دب في نفوس الأمة من الشر ، وبما ساد في نفوس زعمائها من الأهواء لا سيما ولادة عثمان وأسرته ومن يمت إليه فانهم

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٨٠

(٢) شرح النهج محمد عبده ١ / ١٨٢

جميعا سيقفون أمامه ويحولون بينه وبين تحقيق أهدافه العريضة ، ولا بد أن يخلقوا المشاكل والمصاعب في وجه حكومته لذلك أصر على الامتناع من قبول الأمر.

وفكر الامام في الأمر فقال لهم :

« إني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، وإن تركتموني فانما أنا كأحدكم ألا واني من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه .. »

وصاحوا به هاتفين :

« ما نحن بمفارقيك حتى نبايعك ».

وقد وصف ٧ مدى انشغالهم عليه وشدة اصرارهم واقبالهم عليه بقوله :

« فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلى ^(١) ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفائي ^(٢) مجتمعين حولي كرياضة الغنم ^(٣) » وأجلهم الامام إلى صباح اليوم الآخر لينظر في الأمر فافترقوا على ذلك ، وقد خيم الليل على سماء المدينة وبرك بحمله على بيوتها فبات المدنيون ولكن في غير هدوء واطمئنان ، ولما أصبح الصبح اجتمع الناس في الجامع الأعظم فاقبل الامام ، واعتلى أعواد المنبر فخطب فيهم قائلاً :

(١) عرف الضبع : الشعر الكثير الذي يكون على عنق الضبع يضرب به المثل في الكثرة والازدحام.

(٢) شق عطفائي : المراد انه خدش جانباه من كثرة زحام الناس عليه من اجل البيعة.

(٣) رياضة الغنم : الطائفة الرابضة من الغنم يصف ٧ جثومهم بين يديه.

« يا أيها الناس ، إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم وقد افترقنا بالأمس وكنت كارها لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم ألا وانه ليس لي أن آخذ درهما دونكم فان شئتم قعدت لكم والا فلا آخذ على أحد .. »

وتعالى هتاف الجماهير بلهجة واحدة

« نحن على ما رقتك عليه بالأمس .. »

« اللهم اشهد عليهم. »

وتدافع الناس كالموج المتلاطم إلى البيعة ، وتقدم طلحة فبايع بتلك اليد التي سرعان ما نكث بها عهد الله ^(١) وجاء بعده الزبير فبايع كما بايع رفيقه وبايعه الوفد المصري والوفد العراقي ، وبايعه الجمهور العام ولم يظفر أحد من الخلفاء بمثل هذه البيعة في شمولها ، وعمت المسرة جميع المسلمين وقد وصف الامام مدى سرور الناس ببيعته بقوله :

« وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير ، وهدج إليها الكبير ، وتحامل نحوها العليل ، وحسرت إليها الكعاب. »

لقد ابتهج المسلمون ببيعتهم إلى وصي رسول الله وباب مدينة علمه ، وعمت الأفراح جميع أنحاء البلاد فقد أطلت على عالم الوجود حكومة العدل والمساواة ، وتقلد الخلافة امام الحق ، وناصر المظلومين ، وأبو الأيتام الذي واسى الفقراء والمحرومين في سغبهم ومحنهم ، القائل في دور حكمه.

« أفقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش .. »

(١) كانت يد طلحة شلاء فتطير منها الامام ، وقال ما اخلقه ان ينكث فكان كما قال جاء ذلك في العقد الفريد ٣ /

لقد نشرت في ذلك اليوم الخالد ألوية العدالة الكبرى ، وتحققت الأهداف الأصيلة التي ينشدها الإسلام في عالم السياسة والحكم فلا استغلال ولا مواربة ولا استبداد ولا انقياد للنزعات والعواطف كل ذلك حققه ابن أبي طالب في دور خلافته وحكمه.

تأييد الصحابة :

وانبرى كبار الصحابة وأعلام الاسلام من الذين آمنوا بحق أمير المؤمنين منذ وفاة النبي فأبدوا سرورهم البالغ بهذه البيعة ، وأعلنوا تأييدهم الشامل لحكومة الامام وحثوا المسلمين إلى تدعيمها وهم :

١ . ثابت بن قيس

ووقف ثابت بن قيس خطيب الأنصار فخطب الامام قائلاً :

« والله يا أمير المؤمنين لئن كان قد تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين ولئن كانوا سبقوك أمس لقد لحقتهم اليوم ، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ، ولا يجهل مكانك ، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون وما احتجت إلى أحد مع علمك .. »

٢ . خزيمه بن ثابت

وانطلق الصحابي العظيم خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك ولا كان المنقلب إلا إليك ولئن صدقنا أنفسنا فيك لأنت أقدم الناس إيماناً ، واعلم الناس بالله وأولى المؤمنين برسول الله (ص) لك ما لهم وليس لهم مالك .. »

وجرت على لسانه أبيات من الشعر فخطب الجماهير بها :

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتن

وجدناه أولى الناس بالناس انه أطب قريش بالكتاب وبالسنن
وإن قريشا ما تشق غباره إذا ما جرى يوما على الضمر البدن
وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم كل الذي فيه من حسن^(١)
٣ . صعصعة بن صوحان

وقام صعصعة بن صوحان فقال للامام :
« والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ، ورفعتها وما رفعتك ولهي إليك أحوج
منك إليها ، . »^(٢)

٤ . مالك الأشتر
واندفع الزعيم الكبير مالك الأشتر فخطب المسلمين قائلا :
« أيها الناس هذا وصي الأوصياء ، ووارث علم الأنبياء ، العظيم البلاء الحسن العناء ، الذي
شهد له كتاب الله بالايمان ورسوله بجنة الرضوان ، من كملت فيه الفضائل ، ولم يشك في سابقته
وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل .. »

(١) مستدرک الحاكم ٣ / ١١٥ وذكر السيد المرتضى في الفصول المختارة ٢ / ٦٧ زيادة على هذه الأبيات وهي :
وصي رسول الله من دون اهله وفارسه قد كان في سالف الزمن
واول من صلى من الناس كلهم سوى خيرة النسوان والله ذو المنن
وصاحب كبش القوم في كل وقعة يكون لها نفس الشجاع لدى الذقن
فذاك الذي ثنى الخناصر باسمه امامهم حتى اغيب في الكفن
(٢) وبهذا المضمون قال الامام احمد بن حنبل : « إن الخلافة لم تزين عليا بل علي زانها » ذكر ذلك ابن الجوزي في مناقب احمد ص ١٦٣ .

٥ . عقبة بن عمرو

وقام عقبة بن عمرو فأشاد بفضل الامام قائلا :

« من له يوم كيوم العقبة ، وبيعة كبيعة الرضوان ، والامام الأهدى الذي لا يخاف جوره ،
والعالم الذي لا يخاف جهله .. » ^(١)
وتتابعت الصحابة وهي تشيد بفضائل أبي الحسين وتذكر مناقبه ومآثره وتدعوا المسلمين إلى
تأييد حكومته.

وجوم القرشيين :

واستقبلت قريش وسائر القوى المنحرفة عن الحق خلافة الامام أمير المؤمنين في كثير من الوجوم
والقلق والاضطراب لأن الامام قد وترهم في سبيل الدعوة الاسلامية وقضى على الكثير من عيوتهم
ووجوههم فقد قتل من أعلام بني أمية عتبة بن ربيعة جد معاوية ، والوليد بن عتبة خاله ، وحنظلة
أخاه وقتل غير هؤلاء من أقطاب الشرك ودعائم الاتحاد ما أوغر به الصدور وأثار الحفائظ عليه
ومضافا لذلك فان سياسة الامام تتصادم مع مصالحهم ومنافعهم فانها تحارب الإثرة والاستغلال ،
ولا تقر بأي حال من الأحوال سياسة النهب والإيثار التي سار عليها عثمان لذلك أظهرت قريش
تمردا على حكومته ، وقد أعرب عن هذه المناحي بأسرها الوليد حينما حمل على البيعة ومعه
الأمويون فقال للإمام :

« إنك وقد وترتنا جميعا أما أنا فقتلت أبي صبرا يوم بدر ، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر
وكان أبوه من نور قريش ، وأما مروان فشتت أباه وعبت على عثمان حين ضمه إليه ، فنباع
على أن تضع عنا ما أصبنا

(١) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٥٥

وتعفي لنا عما في أيدينا ، وتقتل قتلة صاحبنا .. »

فرد عليه الامام مقالته وأجابه بمنطق الاسلام الذي لا تعيه قريش قائلا :

« أما ما ذكرت من وتري إياكم فالحق وترككم ، وأما وضعي عنكم عما في أيديكم فليس لي أن أضع حق الله ، وأما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم ، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتالهم اليوم لزمني قتالهم غدا ولكن لكم أن أحلكم على كتاب الله وسنة نبيه فمن ضاق الحق فالباطل عليه أضيق ، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم .. »^(١)

ان قريشا تريد المساومة من الامام على أموال الأمة ، وتريد منه أن ينحرف عن خطته القويمة التي تنشد المصلحة العامة ، وحمل الناس على الحق الواضح والمحجة البيضاء ، ولكن الامام قد عاهد الله وعاهد المسلمين أن يطبق أحكام القرآن ويحيي معالم الإسلام ، ويسير على ضوء سنة النبي (ص) وأن لا ينصاع للأحداث والظروف مهما كانت قاسية وشديدة ، وأن يقف بالمرصاد لكل ظالم ومعتد على المسلمين ، لذا أظهرت قريش حقدتها البالغ على حكومته ، وهبت بأحلافها وأبنائها على اعلان التمرد والعصيان ، ويصف ابن أبي الحديد مدى اضطرابهم وقلقهم بقوله :

« كأنها حاله لو أفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمه من اظهار ما في النفوس وهيجان ما في القلوب حتى الأحلاف من قريش ، والأحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائعهم ، وفتكاته في أسلافهم وآبائهم فعلوا ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله .. »

لقد امتحن الامام امتحانا عسيرا بمؤلاء العتاة الذين لم ينفث الاسلام إلى قلوبهم ومشاعرهم ، وقد أترعت نفوسهم بالحقده عليه لأنه وقف إلى

(١) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٥٥

جانب النبي (ص) يحمي دعوته ، ويصد عنه اعتداء الغادرين والمعتدين وأطاح برءوس الكافرين والملحددين منهم ، وقد أعرب عن مدى استيائه منهم بقوله :

« ما لي ولقريش لقد قتلتهم كافرين ، ولأقتلنهم مفتونين .. والله لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته .. فقل لقريش فلتضج ضحيجها. »

لقد وجدت قریش على الامام وحالت بينه وبين حقه منذ وفاة النبي (ص) فصرفت عنه الخلافة تارة إلى تيم وأخرى إلى عدي ، وثالثة إلى أمية ، وهي جادة على أن تخلق الشغب والتمرد حتى تجهز على حكومته ، وقد ظهر ذلك منها في موقعة الجمل وصفين.

القعاد :

وتخلف جماعة عن البيعة لأمير المؤمنين سماهم المسعودي (بالقعاد)^(١) وسماهم أبو الفداء « بالمعتزلة »^(٢) وسئل الامام عنهم فقال : « أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل »^(٣) وهم سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وحسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ورافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عجرة ، وعبد الله بن سلام وصهيب بن سنان ، وسلامة بن سلامة ، وأسامة بن زيد ، وقدامة بن مظعون

(١) مروج الذهب المطبوع على هامش ابن الأثير ٦ / ٧٨ . ٧٩ .

(٢) تاريخ أبي الفداء ١ / ١٧٨ . ١٧٩ .

(٣) الاستيعاب ٣ / ٥٥ .

والمغيرة بن شعبة^(١) وهؤلاء قد انحرفوا عن الحق وضلوا عن الطريق فان بيعه الامام قد قام عليها الاجماع وليس لهم أي عذر في التأخر عن مبايعته فتخلفهم كان خرقا للاجماع ، وخروجاً على ارادة الأمة ، وقد فتحوا بذلك باب البغي والتمرد على حكومة الامام ، وأشعلوا نار الفتنة في البلاد ، وقد اعتذر سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة في الجنة . كما يقولون . عن سبب اعتزاله عن الامام وعن بني أمية أيام الفتنة الكبرى فقال : إني لا أقاتل حتى يأتوني بسيف مبصر عاقل ناطق ينبئني أن هذا مسلم وهذا كافر ، وهو اعتذار مهلهل لا يدعمه منطق ولا برهان فان بيعه الامام كانت شرعية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة فقد اصحر بها الامام وبايعه جمهور المسلمين ولم تكن بيعته فلتة كبيعة أبي بكر ، ولا بادلاء شخص معين كبيعة عمر ، ولم تستند إلى جماعة معينة كبيعة عثمان فالفتنة التي خرجت عليه كانت باغية يجب قتالها كما أمر الله بذلك قال تعالى : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » ولكن سعدا كان يحمل حقدا على الامام وهو الذي وهب صوته إلى عبد الرحمن بن عوف لاضعاف كفة الامام كما بينا ذلك في حديث الشورى ، وأخيرا ندم على ما فرط في أمره وود أن يكون مع الامام ، كما ندم عبد الله بن عمر فقال عند موته : إني لم أخرج من الدنيا وليس في قلبي حسرة إلا تخلفي عن علي ، وقد انتقم الله منه فأراه الذل والهوان في أواخر أيامه فقد عاش إلى زمن عبد الملك فجاء الحجاج ليأخذ البيعة له فجاء عبد الله في آخر الناس لئلا يراه أحد فعرف الحجاج ذلك فاحتقره واستهان به وقال له : « لم لم تباع أباً تراب وجئت تباع آخر الناس لعبد الملك أنت أحقر

(١) الكامل لابن الأثير ٣ / ٧٤.

من أن أمد لك يدي دونك رجلي فبايع .. »

ومد إليه رجله وفيها نعله فبايعها ، ان هؤلاء القعاد يعلمون . من دون شك . ان الحق مع علي
وانه أولى بالأمر من غيره لسابقته في الاسلام ولعلمه وفقهه وتخرجه في الدين ولكن الأهواء
ودواعي الغرور هي التي باعدت بينهم وبين دينهم فناصروا عترة نبيهم وأبعدوهم عن مراتبهم التي
رتبهم الله فيها فإننا لله وإنا إليه راجعون.

مصادرة الاموال المنهوبة :

وكانت فاتحة الأعمال التي قام بها الامام أمير المؤمنين أن أصدر قراره الحاسم برد القطائع التي
أقطعها عثمان ، وباسترجاع الأموال التي استأثر بها والأموال التي منحها لذوي قرياه لأنها أخذت
بغير وجه مشروع ، وقد صودرت أموال عثمان حتى سيفه ودرعه ، وفي ذلك يقول الوليد بن عتبة
يخاطب بني هاشم :

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم	ولا تنهبوه لا تحلل مناهبه
بني هاشم كيف المودة بيننا	وعند علي درعه ونجائبه
بني هاشم : كيف التودد منكم	وبن ابن أروى فيكم وحرائبه
بني هاشم : ألا تردوا فأننا	سواء علينا قاتلاه وسالبه
بني هاشم إنا وما كان منكم	كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه
قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه	كما غدرت يوما بكسرى مرأيه

فرد عليه عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بأبيات منها :

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم	أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه
وشبهته كسرى وقد كان مثله	شبيها بكسرى هديه وضرائبه

وقد أثارت هذه الاجراءات العادلة سخط الذين استباحوا نهب أموال المسلمين وتمرغوا بالدنيا فقد كتب عمرو بن العاص إلى معاوية رسالة جاء فيها « ما كنت صانعا فاصنع إذ قشرك ابن أبي طالب من كل مال تملكه ، كما تقشر عن العصا لحاها »^(١)

وأوجس خيفة كل من طلحة والزبير ومن شابهما ممن أقطعهم عثمان ووهبهم الأموال الطائلة والثراء فخافوا على ما في أيديهم من أن يصدر الحكم بمصادرتهم فأظهروا بواد الشقاق والبغي وأعلنوا التمرد على الامام.

عزل الولاية :

ومضى أمير المؤمنين يؤسس معالم العدل في البلاد فأصدر أوامره بعزل ولاية عثمان واحدا بعد واحد لأنهم أظهروا الجور والفساد في الأرض. وقد أبى الامام أن يقيهم في جهاز الحكم لحظة واحدة لأن في ابقائهم اقرارا للظلم والطغيان ، وقد عزل بالفور معاوية بن أبي سفيان ، وقد نصحه جماعة من المخلصين له أن يقيه على عمله حتى تستقر الحال فأبى وامتنع من المداينة في دينه ، وقد دخل عليه زياد بن حنظلة ليعرف رأيه في معاوية فقال له الامام :

. تيسر يا زياد

. لأي شيء يا أمير المؤمنين؟

. لغزو الشام

. الرفق والأناة أمثل

فأجابه الامام :

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفاحميا تجتنبك المظالم

(١) الغدير ٨ / ٢٨٨ .

وعباً جيوشه لغزو الشام والقضاء على الحكم الأموي الجاثم عليها الا انه فوجئ بتمرد طلحة والزبير وعائشة فانشغل بهم وانصرف إلى القضاء على تمردهم كما سنبينه بالتفصيل في البحوث الآتية ،

اعلان المساواة :

وانطلق رائد العدالة الاجتماعية الكبرى في الارض فاعلن المساواة العادلة بين جميع المسلمين سواء في العطاء أو في غيره ، وقد عوتب على خطته فاجاب :
« أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ، والله ما أطور به ما سمر سمير ، وما أم نجم في السماء نجما ، لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله! الا وإن اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف ، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله .. » ^(١).

إن المساواة التي اعلنها الإمام كانت تهدف إلى إيجاد مجتمع لا تطفئ فيه العنصريات والقوميات ، ولا يوجد فيه بائس ومحروم وعاطل ، وينعدم فيه الظلم والطغيان والاستبداد والاستغلال.
ان المساواة التي طبقها الامام في دور حكمه كانت تركز على المفاهيم الإسلامية البناءة التي تهدف إلى تطبيق العدل السياسي والعدل الاجتماعي في الأرض ، وإلى القضاء على جميع افانين الظلم وضروب الجور والاستبداد وقد هبت القوى النفعية الى معارضتها كما ناجزت الرسول في بدء دعوته ، وناهضت مبادئه وأهدافه ،

(١) نصح البلاغة محمد عبده ٢ / ١٠ .

وصاياه لولده الحسن :

وللامام أمير المؤمنين وصايا تربوية لولده الحسن حافلة بالقيم العليا والمثل الانسانية الكريمة ، وأهمها وصيته الخالدة التي كتبها بحاضرين^(١) حال انصرافه من صفين ، وقد حفلت بالدروس القيمة ، والآداب الاجتماعية ، وحقا أن ترسم على صفحات القلوب ، وأن يجعلها المسلمون دستوراً لهم في سلوكهم الفردي والاجتماعي ، ونسوق الى القراء بعضاً من فصولها :

« من الوالد الفان المقر للزمان^(٢) المدير العمر ، المستسلم للدهر ، الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، والظاعن عنها غدا ، إلى المولود المؤمل ما لا يدرك^(٣) السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ، ورهينة الايام ، ورمية المصائب^(٤) وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا. وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ونصب الآفات^(٥) وصريع الشهوات ، وخليفة الاموات ... ».

لقد اعرب ٧ بهذه الكلمات الذهبية عن استسلامه للدهر وإدباره عن الدنيا فقد كان عمره الشريف حين كتابته لهذه الوصية يتيف

(١) حاضرين : احدى نواحي صفين.

(٢) المقر للزمان . اي . المعترف له بالشدائد والمصاعب.

(٣) المؤمل ما لا يدرك : يؤمل البقاء والخلود في الدنيا وذلك لا يدركه أحد.

(٤) رمية : هدف المصائب.

(٥) النصب : . بالضم . الذي لا تفارقه الآفات.

على ستين عاما ، وهو سن من يفارق الحياة ، ويقبل على الآخرة ، وقد وصف كل من يولد في الدنيا بأنه يؤمل ما لا يدركه ، في الوقت الذي يسلك فيه سبيل الهالكين ، وانه غرض للاسقام وحليف للهموم والاحزان وقد ذكر «ع» بعد هذا الاسباب الوثيقة التي دعت له لرسم هذه الوصية فيقول :

« .. أما بعد ، فان فيما تبينت من إدبار الدنيا عني ، وجموح الدهر عليّ ^(١) ، وإقبال الآخرة إليّ ، ما يرغبني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي ^(٢) غير أني حيث تفرد بي . دون هموم الناس . هم نفسي ، فصدقني رأيي وصرفني عن هوائي ، وصرح لي محض أمري ، فأفضى بي إلى جد لا يكون فيه لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، ووجدتك بعضي بل ووجدتك كلي حتى كأن شيئا لو أصابك اصابني. وكأن الموت لو أتاك أتاني فعناني من أمرك ما يعينني من امر نفسي ، فكتب إليك (كتابي) مستظها به ^(٣) إن أنا بقيت لك أو فنيته .. »

وبعد ما ذكر العوامل التي دعت له لأن يرسم هذه الوصية شرع في بيان المثل الكاملة التي ينبغي لولده أن يتمسك بها ويسير عليها فقال :

« .. فاني أوصيك بتقوى الله ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله ، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به؟
أحى قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوه باليقين ، ونوره

(١) الجموح : التغلب والاستعصاء

(٢) يريد به امر الآخرة.

(٣) مستظها اي مستعينا.

بالحكمة ، وذللّه بذكر الموت ، وقرره بالفناء ^(١) ، وبصره فجائع الدنيا وحذرهُ صولة الدهر ، وفحش تقلب الليالي والأيام ، وأعرض عليه أخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبلك من الأولين ، وسر في ديارهم وآثارهم ، فانظر فيما فعلوا ، وعما انتقلوا ، وأين حلوا ونزلوا ، فانك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة وحلوا ديار الغربة ، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم ، فاصلح مثواك. ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف ، والخطاب فيما لم تكلف وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته ، فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال ، وأمر بالمعروف تكن من أهله وأنكر المنكر بيدك ولسانك ، وباين من فعله بجهدك ، وجاهد في الله حق جهاده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وخض الغمرات ^(٢) للحق حيث كان ، وتفقه في الدين ، وعود نفسك التصبر على المكروه ، ونعم الخلق التصبر (في الحق) وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إهلك فانك تلجئها إلى كهف حريز ^(٣) ، ومانع عزيز وأخلص في المسألة لربك فان بيده العطاء والحرمان ، وأكثر الاستخارة ^(٤) ، وتفهم وصيتي ، ولا تذهبن عنها صفحا ^(٥) فان خير القول ما نفع ، وأعلم أنه لا خير في علم لا ينفع ، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه ^(٦) .

(١) قرره : اى اطلب منه الاقرار بالفناء.

(٢) الغمرات : الشدائد.

(٣) الكهف : الملجأ ، الحريز ، الحافظ.

(٤) الاستخارة اجالة الراي في الأمر قبل فعله لاختيار احسن وجوهه.

(٥) صفحا : اى جانباً ، والمراد انك لا تعرض عنها.

(٦) لا يحق . بكسر الحاء وضمها . اى : لا يكون من الحق تعلمه ومعرفته وذلك كالسحر والشعبذة ونحوهما من العلوم التي لا تنفع.

إن هذه الحكم التي تضمنها كلامه الشريف هي برامج السعادة وخلاصة الحكمة والآداب والتهذيب ، ويعرب «ع» في كلماته الآتية عن بلوغه سن الشيخوخة وهو يخاف أن يهجم عليه الموت دون أن يدلى بهذه الحكم إلى ولده فيقول :

« .. أى بنى ، إني لما رأيته قد بلغت سنا ^(١) ورأيتنى أزداد وهنا بادرت بوصيتي إليك ، وأوردت خصالا منها قبل أن يعجل بي أجلى دون أن أفضى ^(٢) إليك بما في نفسي ، وأن انقص ^(٣) في رأيي كما نقصت في جسمي ، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى ، أو فتن الدنيا ^(٤) ، فتكون كالعصب النفور ^(٥) ، وإنما قلب الحدث كالارض الخالية ، ما القى فيها من شيء قبلته. فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك. لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته ^(٦) وتجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة ، فأناك من ذلك ما قد كنا نأتيه ، واستبان لك ما ربما اظلم علينا منه .. »

انه ٧ لما طعن في السن أراد أن يضع في نفس ولده ما استقر في نفسه الشريفة من الآداب والكمال ، ويغذيه بأطرف الحكم ويلمسه

(١) اي وصلت النهاية من جهة السن.

(٢) افضى : القى إليك.

(٣) (وان انقص) معطوف على (ان يعجل).

(٤) اي يسبقني بالاستيلاء على قلبك غلبات الأهواء فلا تتمكن نصيحتي من النفوذ إلى فؤادك.

(٥) الصعب الفرس غير المذلل ، والنفور ضد الأنس.

(٦) البغية : بالكسر والضم : الطلبة والحاجة.

أهم العبر التي حدثت في عالم الوجود والتي أخذ خلاصتها الحكماء وأهل التجارب ، يضع كل ذلك أمام ولده ليستبين له كل شيء ، ويعرف خلاصة الأمور وأهمها ، ثم يسترسل الامام الحكيم في وصيته فيقول.

« .. أى بنى ، إني . وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلى . فقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في احبارهم ، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى إلى من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله ^(١) وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله ورأيت . حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق وأجمعت ^(٢) عليه من أدبك . أن يكون ^(٣) ذلك وأنت مقبل العمر ، ومقتبل الدهر ، ذو نية سليمة ونفس صافية ، وأن ابتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله وشرائع الاسلام واحكامه ، وحلاله وحرامه ، (و) لا اجاوز لك إلى غيره ^(٤) ثم اشفقت ^(٥) أن يلتبس عليك ما يختلف الناس فيه من اهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم ، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب إلى من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك به الهلكة ^(٦) ورجوت

(١) النخيل : المختار المصفى.

(٢) اجمعت : عزمت.

(٣) ان يكون : مفعول (رأيت).

(٤) لا اتعدى بك كتاب الله إلى غيره ، بل اقف بك عنده.

(٥) (اشفقت) اي خشيت.

(٦) اى : إنك وإن كنت تكره ان ينهك احد لما ذكرت لك فاني اعد إتقان التنبيه على كراهتك له أحب إلى من القائك إلى امر تخشى عليك به الهلكة

أن يوفقك الله لرشدك ، وأن يهديك لقصدك ، فعهدت إليك بوصيتي هذه .. »
سيدي أيها الخبير بأحوال الناس العارف بصفو الأمور وكدرها المحيط بجوهر الاشياء ، حدثنا
عن أحب الامور إليك وأهمها عندك فيقول

« .. واعلم يا بني ، أن أحب ما أنت آخذ به إلى من وصيتي ، تقوى الله والاقتصار على ما
فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آباءك والصالحون من أهل بيتك فانهم لم
يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر. وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ
بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن
طلبك ذلك بتفهم وتعلم ، لا بتورط الشبهات وعلو الخصوصيات ، وأبدأ . قبل نظرك في ذلك .
بالاستعانة بالهك ، والرغبة إليه في توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة ^(١) ، أو اسلمتك
إلى ضلالة ، فاذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك في ذلك هما
واحدا ، فانظر فيما فسرت لك ، وإن أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك
، فاعلم أنك إنما تخبط العشواء ^(٢) وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من خبط أو خلط!
والامساك عن ذلك امثل ..

فتفهم يا بني وصيتي ، واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو المميت ، وأن
المفنى هو المعيد » وأن المبتلى هو المعافي ، وأن

(١) الشائبة : ما يشوب الفكر من شك وحيرة ، وأولجتك : ادخلتك.

(٢) العشواء : الضعيفة البصر : أى تخبط الناقة العشواء لا تأمن ان تسقط فيما لا خلاص منه.

الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء ^(١) والابتلاء والجزاء في المعاد ، أو ما شاء مما لا نعلم فان أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به فانك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر « ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك ، وليكن له تعبدك ، وإليه رغبتك ، ومنه شفقتك ^(٢) .

وبعد هذا شرع (ع) في توحيد الله وإقامة الأدلة عليه وبعد فراغه من ذلك أخذ في بيان الآداب الاجتماعية فقال :

يا بني ، اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، واکره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم واحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ^(٣) ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك.

واعلم أن الاعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ^(٤) فاسع في كدحك ^(٥)

(١) اي : لا تثبت الدنيا على حال لما اودع الله فيها من التلون بالنعيم تارة وبالبلاء اخرى.

(٢) « شفقتك » اي : خوفك.

(٣) اي إذا عاملوك بمثل ما تعاملهم فارض بذلك ، ولا تطلب منهم ازيد مما تقدم لهم.

(٤) الاعجاب : استحسان ما يصدر منه وهو من رذائل الأخلاق.

(٥) الكدح : اشد السعي.

ولا تكن خازنا لغيرك ^(١) وإذا كنت هديت لقصدك فكن اخشع ما تكون لربك.
إن هذه الحكم القيمة لو سار عليها الانسان لكان اسمى مثل للتهذيب والسمو والكمال ،
فقد احتوت على اصول العدل واسس الفضيلة والكمال ومن جملة هذه الحكم الخالدة قوله :
وأعلم يقينا أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، وأنتك في سبيل من كان قبلك فخفض
في الطلب ^(٢) وأجمل في المكتسب ، فإنه رب طلب قد جر إلى حرب ^(٣) فليس كل طالب بمرزوق
، ولا كل مجمل بمحروم ، وأكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فانك لن تعتاض بما
تبذل من نفسك عوضا ^(٤) ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا ، وما خير خير لا ينال إلا
بشر ^(٥) ويسر لا ينال إلا بعسر؟! ^(٦) ،

-
- (١) اي لا تحرص على جمع المال فان الوارثين ياخذونه بعدك فيكون الاثم عليك وغيرك يتنعم.
(٢) خفض : امر من (خفض) بالتشديد اي : ارفق.
(٣) الحرب . بالتحريك . : سلب المال.
(٤) إن رغائب المال إنما تطلب لصون النفس عن الابتذال فلو بذل الانسان نفسه لتحصيل المال فقد ضيع ما هو
المقصود من المال فكان جمع المال عبثا عوضا لما ضيع.
(٥) يريد «ع» ان الخير الذي لا يناله الإنسان إلا بالشر كيف يكون خيرا.
(٦) المراد ان العسر الذي يخاف منه الانسان هو الذي يضطره إلى الوقوع .

وإياك أن توجف بك مطايا الطمع ^(١) فتوردك مناهل الهلكة وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فانك مدرك قسمك ، وأخذ سهمك! وإن اليسير من الله . سبحانه . اعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كان كل منه.

وتلا فيك ^(٢) ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك ، وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء ، وحفظ ما في يديك أحب إلي من طلب ما في يد غيرك ^(٣) ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء احفظ لسره ^(٤) ورب ساع فيما يضره ^(٥) من أكثر أهجر ^(٦) ومن تفكر أبصر!

قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبين عنهم! بئس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف افحش الظلم. إذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا ^(٧) ربما كان الدواء داء والداء دواء ، وربما نصح غير

- في الرذائل فإذا جعلها الانسان وسيلة وطريقا لجمع المال فقد وقع فيما هرب منه ، وحينئذ فما الفائدة من جمع المال وهو لا يحميه من النقص.

(١) توجف : تسرع ، والمناهل ما ترده الابل ونحوها للشرب.

(٢) التلافي : التدارك لاصلاح ما فسد.

(٣) إرشاد للاقتصاد في المال.

(٤) إرشاد إلى عدم إفشاء سر الانسان إلى غيره.

(٥) قد يسعى الانسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر عليه لجهله او سوء قصده.

(٦) المهجر : الهذيان في الكلام.

(٧) الخرق . بالضم . العنف والمراد ان المقام إذا الزمه العنف كان إبداله .

الناصح وغش المستنصح^(١) وإياك واتكالك على المنى فانها بضائع الموتى والعقل حفظ التجارب. وخير ما جربت ما وعظك. بادر الفرصة قبل أن تكون غصة. ليس كل طالب يصيب ، ولا كل غالب يؤوب ، ومن الفساد اضاءة الزاد ، ومفسدة المعاد ، ولكل أمر عاقبة ، سوف يأتيك ما قدر لك ، التاجر مخاطر!! ورب يسير أنمى من كثير ، ولا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين ، ساهل الدهر ما ذلّ لك قعوده^(٢) ولا تخاطر بشيء رجأ أكثر منه وإياك أن تجمع بك مطية اللجاج!! احل نفسك من أخيك . عند صرمة . على الصلة^(٣) وعند صدوده على اللطف والمقاربة وعند جموده^(٤) على البذل وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند جرمه على العذر ، حتى كأنك له عبد ، وكأنه ذو نعمة عليك ، وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه ، أو أن تفعله بغير أهله ، لا تتخذن عدو صديقك عدوا فتعادي صديقك ، ومحض أذاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وتجرع الغيظ فاني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألد مغبة^(٥) ولن لمن غالظك فانه يوشك أن يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فانه أحلى الظفرين ، وان أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك

. بالرفق عنفا ، ويكون العنف من الرفق وذلك كمقام التأديب.

(١) المستنصح . على زنة اسم المفعول . المطلوب منه النصح ، فيلزمه التفكير والتروي في جميع الاحوال لئلا يروج غش او تنبذ نصيحة.

(٢) المراد ساهل الدهر ما دام منقادا لك ، وخذ حظك منه.

(٣) الصرم : القطيعة.

(٤) الجمود : البخل.

(٥) المغبة : . بفتححتين ثم باء مشددة . بمعنى العاقبة وكظم الغيظ.

يوما ما ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك بأخ من أضعت حقه ، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ، ولا ترغبين فيمن زهد عنك ، ولا يكونن أخوك على مقاطعتك أقوى منك على صلته ، ولا يكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرتة ونفعك وليس جزاء من سرك أن تسؤه. »

وهكذا يسترسل الامام «ع» في كلامه فيضع جواهر الحكم القيمة واسمى الدروس النافعة واثمن الآراء الصائبة في وصيته ، ونكتفي بهذا المقدار منها وبها ينتهى بنا المطاف لنلتقي مع الامام في البصرة.

فی البصرة

تمت البيعة للإمام من جميع الحواضر الإسلامية سوى الشام ، وآمن المسلمون بالأهداف الأصلية التي ينشدها الحكم الجديد ، وايقنوا أن الامام سيعيد لهم رحمة الاسلام وعدله ، وان حكمه امتداد لحكم النبي وسيرته ، وقد قام الامام في اليوم الاول من خلافته بتطبيق العدالة الإسلامية الكبرى ، وتحقيق المساواة الشاملة بين المسلمين سواء في العطاء أو في غيره من المجالات العامة ، وحطم الفوارق والامتيازات التي اوجدها عثمان على مسرح الحياة الإسلامية ، وقام بمصادرة الأموال المنهوبة التي منحها عثمان لأسرته وأقاربه وقد قضى بذلك على الغبن الاجتماعي ، والظلم الاجتماعي ، كما قام بحماية المسلمين من الاستغلال والاستبداد ، وصيانتهم من التدهور والانحطاط ، وقد أثارت هذه المبادئ والأهداف سحق النفعيين والمنحرفين فلم تمض أيام قليلة حتى اظهروا بوادر البغي والشقاق ، وعلنوا التمرد والعصيان وقاموا بعد وانهم المسلح لاجل الاطاحة بالحكم القائم واعادة سياسة النهب والتجويع ، وأبطال هذه المؤامرة عائشة وطلحة والزبير فقد أثاروها حربا شعواء من اجل مطامعهم الرخيصة ، فكانت موقعة البصرة التي صدعت شمل المسلمين ، وأشاعت الحزن والحداد في ربوعهم ، وعلينا أن ننظر إلى فصول هذه المأساة الكبرى التي نشرت الفتن والكوارث في أجواء العالم الاسلامي لتبين بواعثها ودوافعها.

تمرد طلحة والزبير

وتعرض كثير من المسلمين لأسباب الفتن ودواعي الغرور وطرأت عليهم من الأحداث ما باعدت بينهم وبين دينهم وبين عهدهم الأول ، والسبب في ذلك انهم امتحنوا بالسلطة وبالثراء الواسع العريض ، ومن

هؤلاء طلحة والزبير فقد انطلقا إلى الامام أمير المؤمنين فقالا له :

« هل تدري على م بايعناك يا أمير المؤمنين؟؟ »

فرمقهما الامام بطرفه وقال لهما :

. نعم على السمع والطاعة ، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان . لا . ولكن بايعناك

على أنا شريكك في الأمر

. لا . ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز والأود إن بيعتكما للامام في

قرارة أنفسهما كانت مدفوعة بالدوافع المادية البحتة ، فهما يريدان الحكم ، والمساومة على

السلطة ، وهما في نظر الامام شريكان له في الاستقامة وفي تحقيق العدالة بين المسلمين ، ولما

استبان لهما أنه لا يوليهم شيئا اظهرا الشكاة واعلنا التمرد فقال الزبير في ملأ من قريش :

« هذا جزاؤنا من علي ، قمنا له في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل ، وهو

جالس في بيته وكفى الأمر فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا .. »

وقال طلحة :

« ما اللوم الا انا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا ^(١) ، وبايعناه ، واعطيناه ما في أيدينا

، ومنعنا ما في يده فأصبحنا قد اخطأنا ما رجونا .. »

وانتهى حديثهما إلى الامام أمير المؤمنين فاستدعى عبد الله بن عباس فقال له :

(١) يريد به سعد بن ابى وقاص فانه امتنع عن بيعه الامام وهو من أهل الشورى والذي حملة على ذلك حقه على

الامام وكراهيته له على حد تعبير طلحة.

. بلغك قول الرجلين؟

. نعم

- أرى أنهما أحبا الولاية فول البصرة الزبير ، وول طلحة الكوفة وأنبرى الامام يفند رأى ابن عباس ، ويبين له أن في ولايتهما خطرا على الأمة قائلا :

« ويحك!! إن العراقيين بهما الرجال والأموال ، ومتى تملكنا رقاب الناس يستميل السفيه بالطمع ، ويضرب الضعيف بالبلاء ، ويقويا على القوى بالسلطان ، ولو كنت مستعملا أحدا لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ، ولو لا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية لكان لي فيهما رأي »^(١) ودلت هذه البادرة على مدى حرص طلحة والزبير على الامارة والسلطان ، وأنهما إنما أثارا سخط الناس على عثمان طمعا بالخلافة والولاية ولم يكونا مدفوعين بدافع المصلحة العامة ، وحب النصح للمسلمين ، وقد خسرا الصفقة ، وذهبت مساعيهم أدراج الرياح حينما آل الأمر إلى أمير المؤمنين لأن المحور الذي تدور عليه رضى سياسته مسايرة الدين والعمل على وفق المبادئ الاسلامية وهي لا تقر بأي حال من الأحوال أن تمنح الوظائف أثرة أو محاباة لأن ذلك خيانة للامة ، وقد اعرب الامام عن الاسباب التي دعتة أن لا يوليها العراقيين وهي :

١ . إنهما يستميلان السفهاء بالمنافع والاطماع.

٢ . إنهما يصبان على الضعفاء وابلا من العذاب والبلاء.

٣ . يستغلان النفوذ والسلطان ويقويان به على القوى.

ومع علمه بهذه الاتجاهات كيف يجعلهما ولاة وحكما على المسلمين يتصرفان في أموالهم ودمائهم .. وقد انتقد شفيق جبرى الامام في ذلك

(١) الامامة والسياسة ١ / ٥٢

واعتبر أن حرمانهما من الولاية كان غلطة منه . على حد تعبيره الرخيص .^(١)

ان شفيق جبري قد آمن بالسياسة الغربية التي تبيح جميع الوسائل في سبيل الوصول الى الحكم وان كانت غير مشروعة وهذه السياسة لا يقرها الاسلام بحال فقد بنى سياسته الخلاقة على الايمان بحقوق الانسان وتجنب المكر والخداع وان توقف عليهما النصر والظفر وعلى ضوء هذه السياسة العادلة سار ابن ابي طالب رائد العدالة الاجتماعية الكبرى في الأرض.

ان السياسة التي سار عليها الملوك ولا يزال يسيرون عليها عشاق الملك والسلطان لا يلتقي معها الامام بصلة ، ولا تتفق مع أهدافه العليا ، وقد اوضح ٧ اسباب ذلك بقوله :

« لو لا التقى والورع لكنت ادهى العرب »

ان التقى والورع والخوف من الله تقف امامه وتصده عن ارتكاب اى وسيلة لا يقرها الشرع ، ومضافا لذلك فان المصلحة كانت تقضي ان لا يوليها الكوفة والبصرة لان لهما حزين وشيعة بهما ولا يؤمن أن يتسرب نفوذهما يوما ما إلى الدولة الاسلامية كافة

وعلى أي حال فلما استبان لطلحة والزبير ضياع املهما وعدم فوزهما بمقعد الحكم انطلقا إلى الامام طالبين منه الاذن بالخروج قائلين :

. ائذن لنا يا أمير المؤمنين.

. إلى اين؟!!!

. نريد العمرة.

فرمقهما الامام هينهة وقد عرف حفايا نفوسهما فقال لهما برنة المستريب

والله ما العمرة تريدان!! بل الغدرة ونكث البيعة!!

(١) العناصر النفسية ، وقد تعرض لخلل آرائه كثير من الكتاب.

واقسما له بالايمان المغلظة انهما لا يخلعان البيعة ، وانهما يخرجان ليعتمرا بالبيت الحرام ، وانهما يعلمان انها قسم حاث ، ولكن لم يجدا وسيلة يصلان بها إلى الغاية سوى اليمين الكاذب ، والتفت الامام لهما ونفسه مترعة بالشك والريبة منهما قائلا :
« أعيدا البيعة لي ثانية ».

ففعلوا دون تردد ، ومضيا منهزمين إلى مكة ، وكأنه قد اتيح لهما الخلاص من سجن أو عقاب ، ولحقا بعائشة يستفزناها على الثورة فأنهما على علم بما تكنه من الحقد والعداء للامام.

خروج عائشة :

كانت عائشة في طليعة من أشعل نار الثورة على عثمان ، وقالت فيه أمر القول وأفساه ، وما كان اسمه عندها الا نعتلا ، وتعزو بعض المصادر السبب في ذلك إلى أنه نقصها مما كان يعطيها عمرو صيرها كغيرها من أزواج النبي (ص) ^(١) وقد بالغت في التشهير به والتحريض على قتله ولما احاط الثوار به خرجت إلى مكة وبعد ادائها لمناسك الحج قفلت راجعة إلى يثرب وهي تجد في السير لتنظر ما آل إليه أمر عثمان فلما انتهت إلى سرف ^(٢) لقيها رجل من أخوالها يقال له عبيد بن أبي سلمة وكان قادما من المدينة فاستعجلت قائلة له :

(١) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٣٢.

(٢) سرف : موضع على ستة اميال من مكة وقيل أكثر من ذلك ، وبه تزوج رسول الله «ص» بميمونة بنت الحارث وتوفيت فيه ، وقال رواية البخاري : هو « شرف » بالشين المعجمة جاء ذلك في معجم البلدان ٥ / ٧١.

. مهيم؟^(١).

. قتلوا عثمان.

. ثم صنعوا ما ذا؟

. اجتمعوا على بيعة علي فجازت بهم الأمور الى خير مجاز!!

فانهارت أعصابها ، وتحطمت قواها ، وبلغ بها الحزن إلى قرار سحيق ، وهتفت وهي حانقة مغیظة وبصرها يشير إلى السماء ، ثم ينخفض فيشير إلى الأرض قائلة :
« والله ليت هذه انطبقت على هذه ، إن تم الأمر لابن أبي طالب قتل عثمان مظلوما والله لأطلبن بدمه ».

فاجابها عبيد باستنكار وسخرية :

« ولم؟ فو الله إن أول من أمال حرفه لأنت!!! ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر! » لما
ذا هذا الحزن والجزع من عائشة؟

وقد عادت للاسلام نضارته بحكومة الامام ، وظفر المسلمون بما يصبون إليه؟؟

وأجابت عائشة ابن خالها فقالت له :

« إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا؟ وقولي الأخير خير من قولي الأول .. »

وهل كانت حاضرة حينما استتابوه؟ وهل لها دراية بكيفية توبته ، ولكنها افتعلت ذلك لتبرير موقفها وفد رد عليها عبيد فقال لها :

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الامام وقلت لنا إنه قد كفر

(١) مهيم : كلمة استفهام من معانيها ما وراءك؟

فهبننا ^(١) اطعنأك في قتلله وقاتلله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرا يزيل الشبا ويقيم الصعر ^(٢)
ويلبس للحرب أثوابها وما من وفي مثل من قد غدر
فاعرضت عنه وانصرفت راجعة الى مكة ^(٣) وقد علاها الحزن والاكتئاب ، واحاط بها الاسى
والذهول.

دوافع تمردھا :

وليس شيء أو هي من القول بأن السبب في خروج عائشة هو المطالبة بدم عثمان فانها هي
التي حفزت المسلمين إلى الاجهاز عليه ودعتهم إلى الاطاحة بحكمه يقول شوقي :
أثار عثمان الذي شجاها أم غصة لم ينتزع شجاها
ذلك فتق لم يكن بالبال كيد النساء موهن الجبال
نعم تذرعت بدم عثمان واتخذته وسيلة إلى اعلان العصيان والتمرد وإلى اغراء السذج والبسطاء
فزجت بهم في الحرب التي أثارتها ضد أمير المؤمنين وأخي رسول الله (ص) وباب مدينة علمه.
إن دم عثمان لا يصلح باي حال ان يكون من بواعث ثورتها على النظام القائم وانما بواعث
ذلك ما يلي :

١ . إن نفسها كانت مترعة بالبغض والكراهية للامام ولزوجته سيدة

(١) وفي رواية « ونحن ».

(٢) ذو تدرا : اي ذو عزيمة ومنعة « الشبا : المكروه ، الصعر : ميل في الوجه او في احد الشقين : والمراد انه يقيم
الشيء الملتوي.

(٣) الطبري ٣ / ٤٥٤ وغيره.

النساء وأولادهما وسبب ذلك انها رأت اتجاه النبي واقباله عليهم وانه قد خصهم بمزيد الحب والعطف على نحو لم يشاركهم فيه أحد^(١) ولم تحض عائشة بقليل ولا بكثير من تلك الرعاية وذلك الحنان بل كان يعاملها معاملة عادية بل ويزدري بها في كثير من الاحيان فقد وقف خطيبا على منبره فأشار إلى مسكنها قائلاً : « هاهنا الفتنة ، هاهنا الفتنة هاهنا الفتنة حيث يطلع قرن الشيطان^(٢) وقد هدها غير مرة بالطلاق نظرا لما كان يعانيه منها فقد قالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي^(٣) وكان اذا صلى تمد رجلها في قبلته ثم لا ترفعها عن سجوده حتى يغمزها فاذا غمزها رفعتها ، حتى يقوم فتمدها ثانية^(٤) لقد رأت عائشة اقبال النبي على فاطمة وعلى زوجها واعراضه عنها الأمر الذي اثار كوامن الحقد في نفسها ، وقد جابهت رسول الله (ص) بذلك فقد استأذن أبو بكر على رسول الله فسمع صوت عائشة عاليا وهي تقول له : « والله لقد عرفت أن عليا أحب إليك من أبي ومنى مرتين أو ثلاثا »^(٥) وليس شيء يثير عواطف المرأة ويترك العقد النفسية فيها مثل ما ترى أحدا أثيرا عند زوجها ، ومقدما عليها في الحنان والحب ، وزاد في تأثرها وانفعالها انها حرمت الولد من

(١) بسطنا القول في ذكر الأخبار التي وردت عن النبي في حبه لأهل بيته في بداية بحوث هذا الكتاب.

(٢) البخاري ٢ / ١٢٥ باب فرض الخمس وصحيح مسلم ٢ / ٥٠٣ وجاء فيه انه قال «ص» : راس الكفر من هاهنا حيث يطلع قرن الشيطان.

(٣) احياء العلوم ٢ / ٣٥ كتاب آداب النكاح.

(٤) صحيح البخاري ١ / ١٤٣.

(٥) مسند الامام احمد ٤ / ٢٧٥

النبي كما حرم من غيرها ، وقد تبني أبناء ابنته الوحيدة فاقام لهم في نفسه اعمق الحب والاخلاص ، وقد ترك ذلك كوامن الحسد في نفسها من الامام وزوجته ، وقد بذلت جميع طاقاتها في مقابلة أمير المؤمنين وصرف الخلافة عنه فقد رشحت أباها للصلاة في مرض رسول الله لئلا يصلي بالمسلمين الامام ، وبعد وفاة النبي كان لها ضلع كبير في ترشيح ابيها للخلافة وحرمان الامام منها ، وبلغ من عظيم حقدتها ان بضعة النبي لما توفيت جئن نساؤه الى بني هاشم في العزاء الا هي ونقل عنها كلام يدل على سرورها وفرحها ^(١)

ولما آل الأمر إلى الامام انهارت جميع قواها واندفعت إلى مقاومته وإلى اعلان الثورة على حكومته ، وقد وصف ٧ مدى ضغنها وحقدتها عليه بقوله :

« أما فلانة فقد أدركها ضعف رأي النساء ، وضعن غلا في صدرها كمرجل القين ^(٢) ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إلى ما تفعل » ^(٣)

ان من أقوى العوامل التي دفعتها إلى مقاومة الامام هي الاحقاد والضغائن التي تكنها في نفسها حتى انها لم تستطع إلى كبتها واخفائها ، وقد ابدت بالغ المسرات والأفراح حينما بلغها مقتلته ، وقد تناسب أنه أخو النبي ووليه وانه منه بمنزلة هارون من موسى ، واعرضت عما قال فيه : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله .. » لقد سمعت ذلك ووعته ، ولم يخف عليها شيء مما أثر عن

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد

(٢) المرجل : قدر كبيرة ، القين : الحداد

(٣) نهج البلاغة محمد عبده ٢ / ٦٣

النبي فيه وفي أبنائه.

٢ . ومن بواعث ثورتها انها كانت تتوقع أن ترجع الخلافة إلى تيم ويتقلدها ابن عمها طلحة . كما يرى ذلك العقاد .^(١) وكانت تدعو له وتشيد به ولما بلغها مقتل عثمان وهي في مكة بادرت قائلة : إن أحق الناس بهذا الأمر ذو الأصبع . يعني طلحة . ثم اقبلت مسرعة إلى المدينة وهي لا تشك أنه هو صاحب الأمر ، وكانت تقول : بعدا لنعثل وسحقا ، إيه ذا الأصبع ، إيه أبا شبل ، إيه ابن عم الله أبوك ، أما انهم وجدوا طلحة لها كفؤا ، لكأني أنظر إلى إصبعه حثو الابل »^(٢) وهي بذلك كانت مدفوعة بدافع العصبية القبلية فلم تنظر لصالح الأمة فقد أرادت أن تعيد المجد ثانيا لأسرتها ، وأن تبسط نفوذها وتستأثر بالأموال وذلك لا يتحقق الا بأن ترجع الخلافة إلى تيم.

٣ . ويرى الاستاذ العلائلي ان السبب في خروجها من اجل الحزبية السائدة في ذلك العصر يقول :

« والتاريخ لا يحدثنا لما ذا خرجت على علي ولم تر بعد من سياسته شيئا ما ، ودعوى انها خرجت طلبا بدم عثمان توهيم لأنها لم تكن جاهلة بالشرعية التي تقضي بترك الأمر إلى الحاكم المركزي فان لم يكن فلولي القتل وليست من اوليائه^(٣) إذن فلم نخرج عائشة طلبا بدم عثمان بل لشيء آخر وهو ما لم

(١) عبقرية الامام علي ص ٨٧

(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد ٢ / ٧٦

(٣) إن الشريعة تقضي بان ولي الدم ابتداء هو ولي المقتول فان لم يكن فالحاكم الشرعي الذي هو ولي من لا ولي له

يذكره التاريخ بصراحة ، والذي يستقيم عندي في هذا الأمر ان الحزبية بلغ من نفوذها مبلغا عظيما حتى عدت إلى زوجات النبي فكانت أم سلمة من حزب المحافظين « أي حزب علي » وعائشة من حزب طلحة والزبير كما ذكرت في « مقدمة الحلقة الاولى » وكانتا كذلك في عهد النبي فقد كانت أم سلمة زعيمة طائفة من نسائه ، وعائشة زعيمة طائفة أخرى ، ولا ريب في أن هذه الحزبية ولدت في نفسيهما حزازة تأريخية اتصلت بمسلكيهما العام .. » ^(١)

هذه بعض البواعث التي حفزتها على الخروج على حكومة الامام وقد فتحت بذلك باب التمرد والعصيان ، ومهدت السيل للقوى المنحرفة عن الحق أن تتكتل وتجتمع على حرب ابن أبي طالب فتغرق البلاد في المآسي والدموع ، وتجرح الأمة الويلات والخطوب.

اعلان العصيان :

واعلنت عائشة العصيان والخروج على الحكم القائم في خطابها الذي القته بمكة فقد جاء فيه : « أيها الناس .. إن الغوغاء من أهل الأمصار ، وأهل المياه ، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا إن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الأرب ^(٢) واستعمال من حدث سنه ، وقد استعمل أسنانهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم ، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها ، فتابعهم

(١) الحلقة الثانية من سيرة الحسين ص ٢٦٧

(٢) الأرب : الخداع والحيلة

ونزع لهم عنها استصلاحا لهم فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا خلجوا^(١) وبادروا بالعدوان ، ونبا فعلهم عن قولهم ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام ، واستحلوا الشهر الحرام ، والله لأصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم! .. فنجاة من اجتماعكم عليهم حتى ينكل بهم غيرهم ويشرد من بعدهم وو الله لو ان الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه او الثوب من درنه إذ ماصوه^(٢) كما يماص الثوب بالماء «^(٣)

وحفل خطابها بالمغالطات والتنكر للحقائق فقد جاء فيه ان الغوغاء عابوا على عثمان وهو مجاف للواقع فان الذي عاب عليه ، وشهر به إنما هم كبار المهاجرين والانصار ، وكانت هي بالذات اول من قدح زناد الثورة عليه فقد قالت فيه كلمتها الشهيرة : اقتلوا نعثلا فقد كفر ، انها وغيرها من الاعلام والرؤوس هم الذين اجهزوا عليه ولا علاقة لغيرهم بدمه

وجاء في خطابها أنه رجع عن احداثه ، وتابع الثوار استصلاحا لهم فلما لم يجدوا حجة عليه استحلوا دمه وقتلوه ، وهذا أيضا لا يلتقى بالواقع فان عثمان قد اعلن التوبة وأظهر الندم على الأحداث التي ارتكبها الا انه اعلن للناس اخيرا انه إنما قال ذلك من أجل ضغط الثوار عليه وهو ماض على سياسته التي رسمها لنفسه ، ولما قفل الثوار راجعين بعد المكيدة التي دبرها ضدهم طالبوه بالاستقالة من منصبه فابى وامتنع من اجابته فلم يجدوا بدا من قتله ، كما ذكرنا ذلك بالتفصيل وهو لا يتفق مع ما ذكرته عائشة في خطابها من انهم لم يجدوا حجة لقتله.

وعلى أي حال فان خطاب عائشة كان أول اعلان للعصيان والتمرد

(١) خلجوا : اي انتزعوه وجذبوه

(٢) الموص : الغسل اللين والدلك باليد

(٣) تأريخ الطبري ٣ / ٦٨ ٤

والاختلاف يقول الاستاذ عبد الفتاح مقصود : « وتفرق الناس بعد حديثها هذا شيئا ، وكان اولى بهم أن تتوحد كلمتهم في هذه المحنة الحازية التي اصابنا الاسلام ، ففيم تدعوهم اليوم أم المؤمنين؟ وإلى أية غاية تريد أن تسير بهم!. لحرب الغوغاء؟. للزحف على المدينة وفيها الأمير الشرعي للبلاد؟. » ^(١)

لقد احدثت عائشة في خروجها الشقاق والاختلاف بين المسلمين ، وغرست بذور العداء والفتن في جميع أنحاء البلاد.

مع أم سلمة :

واستنجدت عائشة بازواج النبي ودعتهم أن يخرجوا معها لحرب وصي رسول الله وباب مدينة علمه وأبي سبطيه واجتمعت بأم سلمة فجعلت تخادعها وتقول لها :
« يا بنت أبي أمية ، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله (ص) وأنت كبيرة أمهات المؤمنين ، وكان رسول الله يقسم لنا من بيتك وكان جبرئيل أكثر ما يكون في منزلك .. »

فتريبت أم سلمة من كلامها وقالت لها :

« لأمر ما قلت هذه المقالة؟. »

فاجابتها عائشة بما تروم قائلة :

« إن القوم استتابوا عثمان ، فلما تاب قتلوه صائما في الشهر الحرام وقد عزمنا على الخروج إلى البصرة ، ومعني الزبير وطلحة ، فاخرجي معنا لعل الله يصلح هذا الأمر على أيدينا .. »

(١) الامام علي ٢ / ٢٦٧

وانبرت أم سلمة إلى تفنيد مقالتها وإلى تسديدها ونصحها قائلة :
« إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان ، وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك الا
نعثلا ، وانك لتعرفين منزلة علي عند رسول الله أما أذكرك؟ .. »

. نعم

. أتذكرين يوم أقبل ونحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال فخلا بعلي يناجيه فأطال ،
فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتي وهجمت عليهما ، فما لبثت أن رجعت باكية فقلت
: ما شأنك؟ فقلت : أتيتهما وهما يتناجيان ، فقلت لعلي : ليس لي من رسول الله الا يوم من
تسعة أيام ، أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي؟ فأقبل رسول الله علي وهو محمر الوجه غضبا ،
فقال ارجعي وراءك والله لا يبغضه أحد الا وهو خارج من الايمان. فرجعت نادمة ساخطة.

. نعم اذكر ذلك.

. أو أذكرك.

. نعم

- كنت أنا وأنت مع رسول الله فقال لنا : أينكن صاحبة الجمل الادب ^(١) تنبجها كلاب
الحوأب فتكون ناكبة عن الصراط؟ فقلنا نعوذ بالله وبرسوله من ذلك ، فضرب علي ظهره فقال :
إياك أن تكونيها يا حميراء.

. نعم اذكر ذلك

. أو أذكرك؟

(١) الأدب : الجمل الكثير الشعر

. نعم

- كنت أنا وأنت مع رسول الله في سفر له ، وكان علي يتعاهد نعل رسول الله فيخصفها ، وثيابه ، فيغسلها ، فنقب نعله ، فأخذها يومئذ يخصفها ، وقعد في ظل سمرّة ، وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب ، ودخلا يحدثانه فيما أرادا ، ثم قالوا يا رسول الله : إنا لا ندري قدر ما تصحبنا ، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا؟ فقال لهما : أما إني قد أرى مكانه ، ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرق بنو إسرائيل عن هارون بن عمران ، فسكتا ثم خرجا فلما خرجا خرجنا إلى رسول الله فقلت له أنت وكنت أجزأ عليه منا : يا رسول الله من كنت مستخلفا عليهم؟ فقال : خاصف النعل. فنزلنا فرأيناه عليا فقلت يا رسول الله ، ما أرى الا عليا ، فقال : هو ذاك.

. نعم اذكر ذلك

. فاي خروج تخرجين بعد هذا؟

. إنما أخرج للاصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر

. أنت ورأيك

وانصرفت أم سلمة وكتبت بالأمر الى الامام أمير المؤمنين ^(١) وقد أبدت لها تمام النصح وذكرتها بما تناسته من فضائل أمير المؤمنين ومآثره ولكن عائشة استسلمت لاحقادها وعواطفها فلم تستجيب لذلك.

(١) شرح النهج ٢ / ٧٩ وذكر الزمخشري في الفائق ١ / ٢٩٠ ما يقرب من ذلك.

الزحف الى البصرة :

واستجاب لدعوة عائشة جميع رجال الحكم المباد من ولاية عثمان واقربائه وذوى الاطماع الذين اعتقدوا أن حكومة الامام تبدد أحلامهم فى النفوذ السياسي ، والمغرر بهم والسذج من الناس الذين تلونهم الدعاية كيف شاءت ، كل هؤلاء جرفتهم دعوة عائشة ودعايتها وخضعوا لأوامرها وقد تداول زعماء الفتنة الآراء فى غزو أي بلد ، وعرضوا المدينة الا انهم عدلوا عنها لأن فيها الخليفة الشرعي وهو يتمتع بالقوى العسكرية ولا قبل لهم بها ، وعرضوا ثانيا الشام وفيها الرجال والأموال وعليها ابن عثمان واليا فهي اولى بلد واجدره بالاجابة ولكن الأمويين لم يستجيبوا لذلك لأنهم جعلوا الشام فى حوزتهم وخافوا عليها من التصدع ، فاجمع الرأي على غزو البصرة لأن فيها أعوانا وانصارا لهم ونادى المنادي فى مكة :

« أيها الناس ، إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن كان يريد اعزاز الاسلام ، وقتال المحلين ، والطلب بشار عثمان ، ولم يكن عنده مركب ولا جهاز فهذا جهازه وهذه نفقته .. »

وزودوا الجند بالسلاح والعتاد فاعان يعلى بن أمية ^(١) بأربعمائة الف

(١) يعلى بن أمية بن ابى عبيدة التميمي كان واليا على بعض نواحي اليمن من قبل عمر ، واستعمله عثمان على صنعاء ، وقال المدائني : كان يعلى اميرا على الجند باليمن فبلغه قتل عثمان فاقتل لينصره فسقط عن بعيره فى الطريق فانكسر فخذه فقدم مكة بعد انقضاء الحج فاجتمع الناس به فاخذ يحرضهم على الطلب بدم عثمان فاعان الزبير بأربعمائة الف وحمل سبعين رجلا من قريش وحمل عائشة على الجمل الذي شهدت القتال عليه واسمه « عسكر » ولما فشلت حرب الجمل لحق بالامام امير المؤمنين

وحمل سبعين رجلا ، واعتلت عائشة جملها المسمى (بعسكر) قد احتف بها بنو أمية وهي تتقدم أمام الحشد الزاخر ، تقودهم إلى تمزيق الوحدة الاسلامية والى محاربة الحكومة الشرعية ، ولما انتهت إلى ذى قار التقى بها سعيد ابن العاص^(١) فقال لها :

. أين تريدان يا أم المؤمنين؟

. البصرة .

. وما تصنعين بها؟

. أطلب بدم عثمان

فضحك ساخرا وقال متبها :

. هؤلاء قتلة عثمان يا أم المؤمنين

فازاحت بوجهها عنه إذ لا حجة لها تدافع بها عن نفسها ، وتركها وانصرف إلى مروان فقال له :

. وأنت أيضا تريد البصرة

. نعم

. ما تريد؟

. أطلب بدم عثمان

. فهؤلاء قتلة عثمان معك . وأشار الى طلحة والزبير . فقال : إن

وصار من اصحابه وقتل معه بصفين ، جاء ذلك في اسد الغابة ٥ / ١٣٨ .

(١) سعيد بن العاص الأموي ولد عام الهجرة ، قتل علي اياه يوم بدر وهو من فصحاء قريش استعمله عثمان واليا على الكوفة ثم عزله عنها وارجع سعيدا إليها فارجعوه اهل الكوفة وكتبوا إلى عثمان لا حاجة لنا في سعيدك ولا في وليدك ، وكان فيه تجبر وشدة وغلظة ، ولما قتل عثمان لزم سعيد بيته واعتزل ايام الجمل وصفين ولم .

. أي ماء هذا؟

. ماء الحوآب.

فدعرت ، وذاب قلبها أسى وحسرات على ما فرطت في أمرها وقالت :

. ما أراي إلا راجعة!!

. لم . يا أم المؤمنين؟

- سمعت رسول الله يقول لنسائه : كأني بإحداكن قد نبحتها كلاب الحوآب ، ^(١) وإياك أن

تكوني أنت يا حمراء.

- تقدمي رحمك الله ودعى هذا القول ولم تقتنع عائشة واصرت على الانسحاب فعلم ذلك

طلحة والزبير فاقبلا يلهثان لأنها متى انفصلت عن الجيش ذهبت آمالهما أدراج الرياح فتكلما معها

في الامر فاصرت على

. رجل فقتله وانشد يقول :

واشعث قـوام بآيات ربه قليل الاذى فيما ترى العين مسلم

ضممت إليه بالقناة قميصه فخر صريعا للبيدين ولفم

على غير ذنب غير ان ليس تابعا عليا ومن لا يتبع الحق يظلم

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

يقال قتله كعب بن مدلج ، وقيل معاوية بن شداد ، وقيل غيرها الاستيعاب ٣ / ٣٤٩ .

(١) روى ابن عباس عن رسول الله (ص) انه قال يوما لنسائه وهن جميعا عنده : ايتكن صاحبة الجمل الأدب تنبها

كلاب الحوآب ، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة كلهم في النار وتنجو بعد ما كادت ، شرح النهج ٢ / ٤٩٧ وهذا

الحديث من اعلام النبوة ومن اخباره بالمغيبات.

الانسحاب فجاءوا لها بشهود اشتروا ضمائرهم فشهدوا أنه ليس بماء الخوآب وهي اول شهادة زور تقام في الاسلام^(١) وبهذه الشهادة الكاذبة استطاعوا أن يقلعوا رأيها وكان الواجب عليها بعد ما ذكرت قول الرسول أن ترجع إلى بيتها فلا تقود الجيوش لمحاربة أخي رسول الله

في ربوع البصرة :

وسارت قافلة عائشة تطوي البيداء حتى اشرفت على البصرة فلما علم ذلك عامل البصرة عثمان بن حنيف^(٢) أرسل إليها أبا الأسود الدئلي ليسألها عن قدومها ، ولما التقى بها قال لها :
. ما أقدمك يا أم المؤمنين؟
. أطلب بدم عثمان
. ليس في البصرة من قتلة عثمان أحد!!

(١) مروج الذهب ٢ / ٣٤٢ ، تأريخ يعقوبي.

(٢) عثمان بن حنيف الانصاري من الأوس ، كان واليا من قبل عمر ، ثم ولاه الامام على البصرة ولما خرج الامام منها عزله عنها وولى عبد الله بن عباس ، وقيل إن عمر بن الخطاب استشار الصحابة في رجل يوجهه الى العراق فاجمعوا على عثمان بن حنيف ، وقالوا : إن تبعته على اهم من ذلك فان له بصرا وعقلا ومعرفة وتجربة ، فاسرع عمر فولاه مساحة ارض العراق فضرب عثمان على كل جريب من الارض يناله الماء عامرا وغامرا درهما وقفيزا من الطعام فبلغت جباية سواد الكوفة قبل ان يموت عمر بعام مائة الف الف ونيفا ، وبعد حادثة البصرة اقام في الكوفة ، وبقي فيها الى زمان معاوية ، الاستيعاب ٣ / ٧٩

- صدقت ، ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة ، وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله ،
انغضب لكم من سوط عثمان ، ولا نغضب لعثمان من سيوفكم؟
فرد عليها بمنطقه الفياض قائلا :

- ما أنت من السوط والسيوف؟ إنما أنت حبيسة رسول الله (ص) أمرك أن تقر في بيتك ،
وتتلي كتاب ربك ، وليس على النساء قتال ، ولا لهن الطلب بالدماء ، وإن عليا لأولى منك
وأمس رحما ، فاتهما ابنا عبد مناف!!

. لست بمنصرفة حتى امضي لما قدمت إليه ، افتظن أبا الأسود أن أحدا يقدم على قتالي؟!
. أما والله لتقاتلن قتالا أهونه الشديد.

ثم تركها وانصرف عنها واقتبل الى الزبير فذكره بماضي ولائه للامام أمير المؤمنين قائلا :
- يا أبا عبد الله ، عهد الناس بك ، وأنت يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك ، تقول : لا
أحد أولى بهذا الامر من ابن أبي طالب ، واين هذا المقام من ذاك؟؟
. نطلب بدم عثمان

. أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا

وانصاع الزبير لمقالة أبي الاسود ورأى فيها النصح والرشاد إلا انه طلب منه مواجهة طلحة
ومذاكرته في الأمر ، فمضى أبو الاسود مسرعا وعرض عليه الامر فلم يستجب له وأصر على
الغي والعدوان^(١)

(١) شرح النهج ٢ / ٨١

وأنطلق أبو الأسود الى ابن حنيف فأخبره بنية القوم ، واصرارهم على الحرب فجمع أصحابه فخطب فيهم فقال في خطابه :

« أيها الناس ، إنما بايعتم الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه الله أجرا عظيما ، والله لو علم علي أحدا احق بهذا الامر منه ما قبله ، ولو بايع الناس غيره لبائع وأطاع وما به الى أحد من صحابة رسول الله حاجة ، وما باحد عنه غنى ولقد شاركهم في محاسنهم وما شاركوه في محاسنه ولقد بايع هذان الرجلان وما يريدان الله ، فاستعجلا الفطام قبل الرضاع. والرضاع قبل الولادة والولادة قبل الحمل ، وطلبا ثواب الله من العباد ، وقد زعما أنهما بايعا مستكرهين فان كانا استكرها قبل بيعتها وكانا رجلين من عرض قريش لهما أن يقولوا ولا يأمرنا ، إلا وان الهدى ما كانت عليه العامة ، والعامة على بيعة على. فما ترون أيها الناس؟ »

وانبرى إليه حكيم بن جبلة فخاطبه بمنطق الايمان قائلا.

« نرى إن دخلا علينا قاتلناهما ، وإن وقفنا تلقيناها ، والله ما أبالي أن أقاتلها وحدي ، وإن كنت أحب الحياة ، وما أخشى في طريق الحق وحشة ، ولا غيرة ولا غشا ولا سوء منقلب الى بعث وانها لدعوة قتيلها شهيد وحيها فائز ، والتعجيل الى الله قبل الأجر خير من التأخير في الدنيا ، وهذه ربيعة معك .. »^(١)

وصمم القوم بذلك على رد العدوان ، ومقابلتهم بالمثل إن اعتدوا عليهم ، وعدم التعرض لهم إن لم يبدؤهم بقتال.

(١) الامامة والسياسة ١ / ٦٤ - ٦٥

عقد الهدنة :

وجرت بين الفريقين مصادمات عنيفة ادت الى قتل البعض وجرح الآخر منهما ، وكان ابن حنيف يروم السلم ولا يحب مناجزة القوم قبل أن يأتيه أمر بذلك من أمير المؤمنين ، فوقف القتال وعقد هدنة مؤقتة حتى يستبين له رأى الامام وهذا نصها.

« هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الانصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين على بن أبي طالب. وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما. إن لعثمان بن حنيف دار الامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر ، وان لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شأوا من البصرة ولا يضار بعضهم بعضا في طريق ولا فرضة ^(١) ولا سوق ولا شريعة ، ولا مرفق حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فان أحبوا دخلوا في ما دخلت فيه الامة ، وان أحبوا لحق كل قوم بهوهم ، وما أحبوا من قتال او سلم او خروج أو إقامة وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه. واشد ما أخذه على نبي من أنبيائه من عهد وذمة. »

ووقعها الفريقان ، ومضى ابن حنيف إلى دار الامارة ، وأمر اصحابه بالقاء السلاح والالتحاق بمنزلهم.

غدر وخيانة :

وقام طلحة والزبير بمراسلة الوجوه والاشراف يدعونهم الى الطلب

(١) الفرضة : الثلثة من النهر التي يستقى منها.

بدم عثمان وخلع أمير المؤمنين واخراج ابن حنيف ، فاستجابت لهم قبائل الأزد وضبة وقيس عيلان ، وتابعهم كثير من البسطاء وذوى الاطماع ، ولما استوثق لهم الأمر غدروا وخانوا ونقضوا ما اتفقوا عليه من الهدنة ، فقد هجموا على ابن حنيف في غلس الليل وهو في دار الإمارة فاعتقلوه ونكلوا به فأمرؤا بنتف شعر رأسه ولحيته وحاجبيه^(١) ونهبوا ما في بيت المال ، ولما حضر وقت الصلاة تنازع طلحة والزبير على الصلاة بالناس فجعل كل واحد منهما يمنع صاحبه من التقدم عليه حتى فات وقت الصلاة فصاح الناس بهما ، فقطعت عائشة النزاع فيما بينهما وقالت يصلي بالناس يوما محمد بن طلحة ، ويوما عبد الله بن الزبير^(٢) فذهب ابن الزبير ليصلي بالناس فحذبه محمد بن طلحة وتقدم محمد ليصلي بالناس فمنعه ابن الزبير ، ورأى الجميع أن خير وسيلة لفصل الخصومة وقطع النزاع هي القرعة فاقترعا فخرج محمد بن طلحة فتقدم وصلى بالناس وقرأ سأل سائل بعذاب واقع^(٣) وفي ذلك يقول الشاعر :

تبارى الغلامان إذ صليا وشح على الملك شيخاهما
ومالي وطلحة وابن الزبير وهذا بلذي الجذع مولاهما
فأهما اليوم عزهما ويعلى بن منية دلاهما^(٤)

(١) شرح النهج ٢ / ٥٠ وجاء فيه أنهم طردوا عثمان فلقح بعلي فلما رآه بكى وقال له : فارقتك شيخا ، وجئتك امرد فقال علي : إنا لله وإنا إليه راجعون قال ذلك ثلاثا.

(٢) تأريخ يعقوبي ٢ / ١٥٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٥ / ٣٩

(٤) الاغانى ١١ / ١٢٠.

ان القوم مدفوعون بدافع الملك والسلطان ، ولو تم الأمر لهما لأجهز كل واحد منهما على صاحبه ، فانهما بعد في بداية الطريق وقد ظهرت منهما بوادر الانشقاق والاختلاف.

إنهما لم يخرجوا على حكم الامام الا من أجل المنافع المادية الضيقة وقد اعترف بذلك الزبير فقد جاء إليهما رجل وهما في جامع البصرة فقال لهما :

« نشدتكما بالله في مسيركما أعهد إليكما فيه رسول الله شيئاً؟ ... »

فسكت طلحة ولم يجبه بشيء فاجابه الزبير :

« . لا . ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجننا نشارككم فيها ... » ^(١)

لقد حدد الزبير خروجهم على وصي رسول الله فهو انما كان من أجل الاطماع والمنافع وليس فيه أى عهد من الرسول (ص).

وعلى أى حال فقد سقطت البصرة بأيديهم واحتلت قواتهم جميع مواقعها وأمرت عائشة بقتل عثمان بن حنيف الا ان احدى السيدات استعظمت هذا الأمر وقالت لعائشة :

« نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله » فعدلت عن رأيها وأمرت بحبسه

^(٢) وأمرت بقتل الشرطة وحراس بيت المال وعددهم سبعون شخصاً وهم من خيار المسلمين واصلحائهم فقتلوا صبراً ^(٣) ولم تتحرج أم المؤمنين في إراقة دمائهم ، ولم تتأثم في اشاعة الشكل والحزن والحداد بين أهليهم ، قد أعرضت عما أمر الله به من الحريجة في الدماء وحرمة سفكها بغير الحق.

(١) الطبري ٥ / ١٨٣ .

(٢) الطبري ٥ / ١٧٨ .

(٣) شرح النهج ٢ / ٥٠ .

مقتل حكيم بن جبلة :

ولما بلغ حكيم بن جبلة ما ارتكبه القوم بعثمان بن حنيف من التنكيل وما قاموا به من قتل الشرطة وخزان بيت المال خرج في ثلاثمائة رجل من عبد القيس^(١) فخرج القوم وحملوا عائشة على جمل ، فسمى ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر ويومها مع امير المؤمنين يوم الجمل الأكبر ، وتحالد الفريقان بالسيوف ، وأبلى حكيم مع أصحابه المؤمنين بلاء حسنا ، وشد عليه رجل من الأزد من عسكر عائشة فضرب رجله فقطعها ، وجثا حكيم فأخذ رجله المقطوعة فضرب بها الأزد الذي قطعها فقتله ولم يزل يقاتل ورجله مقطوعة وهو يقول :

يا ساق لــــن تراعى ان معــــى ذراعــــى
أحمي بها كراعي

وما زال على مثل هذه الحالة التي ضرب بها الرقم القياسي في البطولة والشجاعة ونكران الذات والدفاع عن المبدأ والعقيدة حتى نرف دمه ، فانطلق إلى الرجل الذي قطع رجله فاتكأ عليه وهو قتيل فاجتاز عليه شخص فقال له : من فعل بك هذا؟ فقال : وسادتي ثم قتله سحيم الحداني^(٢) وقتل معه اخوة له ثلاثة كما قتل جميع أصحابه^(٣) ففى ذمة الله تلك الدماء الزكية التي أريقَت ، والنفوس الكريمة التي أزهقت فى سبيل الذب عن دين الله ، والدفاع عن وصي رسول الله.

(١) وفي رواية خرج مع سبعمائة من اصحابه.

(٢) اسد الغابة ٢ / ٤٠.

(٣) شرح النهج ٢ / ٥١.

استنجد الامام بالكوفة :

كان الامام أمير المؤمنين متھياً لغزو الشام حيث اعلن معاوية التمرد على حكومته ورفض بيعته وبينما هو جاد في تدبير الأمر إذ فاجأه الخبر عن هياج أهل مكة للطلب بدم عثمان بتحريض طلحة والزبير وعائشة واتباعهم من الامويين ، فاشفق من انشقاق العصا واختلاف شمل المسلمين ، ورأى أن خطرهم أقوى من خطر معاوية ، وشرهم أقوى من شره ، وإذا لم يبادر لاختماد هذه الفتنة فانها يوشك أن تتسع ، ويكثر التمرد والاختلاف فتجهز للشخص إلىهم ، وخفت لنصرته البقية الصالحة من المهاجرين والانصار وخرجوا مسرعين ليلحقوا بهم قبل أن يدخلوا مصر من الامصار فيفسدوه فلما بلغوا الريزة علموا بسبقهم إلى البصرة وبالحوادث التي جرت فيها فاقام الامام بالريزة أياما يحكم أمره ، وارسل إلى جماهير أهل الكوفة يستنجد بهم ويدعوهم إلى نصرته والقيام معه لاختماد نار الفتنة ، وأوفد للقيام محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر^(١) وزودهما برسالة جاء فيها

« إني اخترتكم على الامصار ، وفزعت إليكم لما حدث فكونوا لدين

(١) محمد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي : هو اول من سمي محمدا في الاسلام من المهاجرين ، قيل انه ولد بأرض الحبشة ، وتزوج بام كلثوم بنت الامام أمير المؤمنين ، قيل انه استشهد بتستر ، وقيل انه قتل بصفين اعترك هو وعبيد الله ابن عمر فقتل كل منهما الآخر ، الاصابة ٣ / ٣٧٢ وجاء في اسد الغابة ٤ / ٣١٣ لما جاء نعي جعفر إلى رسول الله جاء إلى بيت جعفر ، وقال : اخرجوا لي أولاد اخي جعفر ، فاخرج إليه عبد الله ومحمد وعون فوضعهم على فخذيه ودعا لهم ، وقال : انا وليهم في الدنيا والآخرة ، ثم قال : اما محمد فيشبه عمنا ابا طالب.

الله أعوانا وانصارا ، وأيدونا وأنفضوا إلينا ، فالاصلاح ما نريد لتعود الأمة إخوانا ، ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق ، ومن ابغض ذلك فقد أبغض الحق وأغمضه » ^(١).

وطوى الرسولان البيداء حتى وصلا الكوفة فعرضا رسالة الامام على أبي موسى والي المصر إلا انهما لم يجدا منه أي اجابة أو انطلاق في الامر وانما وجدا منه موقفا غير طبيعي فقد كان يثبط العزائم ، ويوهن القوى ويمنع الناس من الاستجابة لنداء الامام ، وتكلم معه الرسولان بشدة فاجابهما أبو موسى مبررا لعناده قائلا :

« والله إن بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما ، فان لم يكن بد من القتال ، لا نقاتل أحدا حتى يفرغ من قتلة عثمان .. » ^(٢).

وبعث المحمدان الأنباء بالتفصيل إلى الامام ، وعرفاه بتمرد أبي موسى وتثبيطه عزائم الناس ، فأوفد الامام للقياه هاشم المرقال وزوده برسالة جاء فيها :

« إني وجهت هاشما لينهض بمن قبلك من المسلمين إلي ، فاشخص الناس ، فاني لم أولك إلا لتكون من أعواني على الحق .. ».

وسار هاشم حتى انتهى إلى الكوفة فرأى أبا موسى مصرا على تمرده وممعنا في غلوائه وعدائه ، وكلما حاول اقناعه وارجاعه إلى طريق الحق لم يتمكن ، واستدعى أبو موسى سائب بن مالك الأشقري ليستشير في الأمر فاشار عليه بالنصيحة وملازمة الامام ، وتنفيذ أوامره الا انه لم يسترشد وبقي مصمما على عصيانه وعناده ، فارسل هاشم إلى الامام رسالة يخبره فيها

(١) الطبري ٣ / ٣٩٣.

(٢) الطبري ٣ / ٣٩٤.

بفشله في مهمته ، واخفاقه في سفارته.

ايفاد الحسن :

وبعث الامام ولده الحسن ومعه عمار بن ياسر وارسل معه رسالة فيها عزل أبي موسى عن منصبه وتعيين قرظة بن كعب^(١) في وظيفته ، وهذا نص رسالته :

« أما بعد : فقد كنت أرى أن تعزب عن هذا الأمر الذي لم يجعل الله لك نصيبا منه ، بمنعك عن رد أمري ، وقد بعثت الحسن بن علي وعمار بن ياسر يستفزان الناس ، وبعثت قرظة بن كعب واليا على المصر فاعتزل عملنا مذموما مدحورا ، فان لم تفعل فاني قد أمرته أن ينابذك .. »

ووصل الامام الحسن إلى الكوفة فالتأم حوله الناس زمرا ، وهم يعربون له الانقياد والطاعة ، ويظهرون له الولاء والاخلاص ، واعلن الامام الحسن بالوقت عزل الوالي المتمرد عن منصبه ، وتعيين قرظة في محله ، ولكن أبا موسى بقي مصمما على مكره وغيه ، فقد اقبل على عمار ابن ياسر يحدثه في أمر عثمان عله أن يجد في حديثه فرجة فيتهمه بدم عثمان ليتخذ من ذلك وسيلة إلى خذلان الناس عن الامام فقال له :

(١) قرظة بن كعب بن ثعلبة الانصاري الخزرجي شهد مع النبي (ص) احدا وما بعدها من المشاهد ، وفتح الله على يديه في زمن عمر بن الخطاب ، وهو احد العشرة الذين ارسلهم عمر الى الكوفة لتعليم اهلها ، وولاه الامام على الكوفة ، ولما خرج إلى حرب صفين حمله معه ، وولاه ابا مسعود البصري ، وشهد مع الامام جميع مشاهدته ، وتوفي في خلافته في دار ابتناها بالكوفة ، وصلى عليه الامام الاستيعاب ٣ / ٢٦٦ .

« يا أبا اليقظان ، أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين فأحللت نفسك مع الفجار.؟ »
فاجابه عمار :

« لم أفعل ولم تسؤني؟. »

وعرف الحسن غايته فقطع حبل الجدال وقال له :

« يا أبا موسى ، لم تثبط عنا الناس؟ »

وأقبل الامام الحسن يحدثه برفق ولين ليقلع روح الشر والعناد من نفسه قائلاً :

« يا أبا موسى .. والله ما أردنا الا الاصلاح ، وليس مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء .. »

فبهت أبو موسى ، وضاعت به مكابرتة ، وطغيانه فقال للامام :

« صدقت بأبي أنت وأمي! ... ولكن المستشار مؤتمن .. »

. نعم .

- سمعت رسول الله يقول : إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من
الماشي ، والماشي خير من الراكب!. وقد جعلنا الله عز وجل اخوانا وحرم علينا أموالنا ودماءنا ،
فقال : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ
مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) ^(١) وقال عز وجل : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُنْعَمًا فَجْزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) ^(٢) ... »

فانبرى إليه عمار فرد عليه أباطيله وخداعه قائلاً :

(١) سورة النساء : آية ٢٩

(٢) سورة النساء : آية ٩٣

« أنت سمعت هذا من رسول الله؟ ... »

« نعم وهذه يدى بما قلت. »

فالتفت عمار الى الناس قائلاً :

« إنما عنى رسول الله بذلك أبا موسى ، فهو قاعد خير منه قائم؟ .. »

ولم يجد كلام عمار ولا ترفق الحسن ، وطول صبره وعظيم حلمه مع هذا الجلف المتمرد الذي لا يخضع لغير الشدة والقسر ، فقد بقي شديد الاصرار على ما هو عليه من تثبيط عزائم الناس وخذلانهم من الخروج مع الامام.

واخذ سبط النبي يوقظ المهمم ، ويبعث النشاط في النفوس ويحفزها للجهاد ، وخطب فيهم

قائلاً :

« أيها الناس .. قد كان في مسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ما قد بلغكم ، وقد أتيناكم مستنصرين لأنكم جبهة الانصار ، ورؤوس العرب وقد كان من طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما قد بلغكم. وتعلمون أن وهن النساء وضعف رأيهن الى التلاشي ، ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء ، وأتم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والانصار كفاية ، فانصروا الله ينصركم .. »

وقام عمار فاخذ يحفز الناس للجهاد ويبين لهم حقيقة الحال في شأن عثمان قائلاً :

« يا أهل الكوفة .. إن غابت عنكم انباؤنا فقد انتهت إليكم امورنا إن قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله الى الناس ولا ينكرون ذلك ، وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجتهم فيه أحيا الله من أحيا ، وأمات

من أمات ، وان طلحة والزبير كانا أول من طعن وآخر من أمر ، وكانا أول من بايع ، فلما اخطأهما ما أملا نكثا بيعتهما من غير حدث! .. وهذا ابن بنت رسول الله قد عرفتموه وقد جاء يستنصركم ، وقد دلکم علي في المهاجرين والبدريين والانصار الذين تبؤوا الدار والايمان .. »
 وقام على أثرهما قيس بن سعد فجعل يدعوهم الى القيام بالواجب ونصرة أمير المؤمنين قائلاً :
 « .. إن الأمر لو استقبلنا به أهل الشورى لكان علي أحق الناس به ، وكان قتال من أبي حلالا فكيف والحجة على طلحة والزبير ، وقد بايعاه طوعا ، وخالفاه حسدا وقد جاءكم علي في المهاجرين والانصار. ثم أنشأ يقول :

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا عليا وأبناء الرسول محمد
 وقتلنا لهم أهلا وسهلا ومرحبا نمد يدينا من هوى وتودد
 فما للزبير الناقض العهد حرمة ولا لأخيه طلحة اليوم من يد
 أتاكم سليل المصطفى ووصيه وأنتم بحمد الله عار من الهد^(١)
 فمن قائم يرجى بخيل الى الوغا وصم العوالي والصفيح المهند
 يسود من أدناه غير مدافع وإن كان ما نقضيه غير مسود
 فان يأتي ما نهوى فذاك نريده وإن نخط ما نهوى فغير تعمد^(٢)
 وقد بقى أبو موسى مصرا على طغيانه يثبط عزائم الناس ، ويدعوهم إلى التخاذل وعدم
 الاجابة لنصرة الامام ، وقد جعل كلما سمعه من الحسن ومن الخطباء دبر أذنيه حتى اعياى الامام
 الحسن حلمه فاندفع يصيح به في

(١) الهد الضعيف والجبان.

(٢) الغدير ٢ / ٧٧

ثورة وعنف قاتلا له :

« اعتزل عملنا أيها الرجل ، وتنح عن منبرنا لا أم لك!.. »

وأخذ الحسن يجد في تحفيز الناس للجهاد ويحثهم على الخروج لنصرة أبيه ، وقد قام فيهم خطيبا فقال لهم :

« أيها الناس .. أجيئوا دعوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فانه سيوجد الى هذا الامر من ينفر إليه ، والله لئن يليه أولو النهي أمثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة ، فاجيئوا دعوتنا واعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم ، وان أمير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجي هذا ظلما او مظلوما واني اذكر الله رجلا رعى حق الله إلا نفر ، فان كنت مظلوما اعانني ، وان كنت ظلما أخذ. والله ان طلحة والزبير لاول من بايعني ، وأول من غدر فهل استأثرت بمال او بدلت حكما ، فانفروا وأمروا بالمعروف وانفروا عن المنكر .. »

فاجابه الناس بالسمع والطاعة ، والامتنال والانقياد لأمره ، والاجابة لدعوته ، ولكن الزعيم مالك الاشتر رأى ان الامر لا يتم الا بإخراج أبي موسى مهان الجانب محطم الكيان ، فاقبل مع جماعة من قومه فاحاطوا بالقصر فلما نظر إليهم غلمانهم اقبلوا يشتدون الى أبي موسى وقد خيم عليهم الخوف والذعر فقالوا له :

« يا أبا موسى. هذا الاشتر قد دخل القصر فضرينا واخرجنا. »

فنزل الوغد من القصر وقد استولى عليه الدهول فصاح به الاشتر :

« أخرج من قصرنا لا أم لك .. »

وتردد الاشعري برهة فصاح به مالك ثانيا :

« اخرج ... اخرج الله نفسك!. فو الله إنك لمن المنافقين!.. »

ونطق الاشعرى بصوت واهن ضعيف

. أجلني هذه العشية.

. هي لك ، ولا تبيتن في القصر الليلة ..

ودخلت الجماهير تنهب امتعته وأمواله ، ولكن الاشر لم يتنكر لعدوه المهزوم فقد وقف معه موقف الكريم النبيل فحال وبين الجماهير وبين ما ابتغوه من نهبه والتنكيل به ، فقال لهم :

« إني أجلتك الليلة وقد أخرجته فكفوا عنه . »

فكف الناس عنه ، وفي الصباح خرج الباغي الأثيم وهو يجر سراويل الخزي والخيانة ، وقد صفا

الجو للامام الحسن ، واقبل يتحدث الى الناس بالخروج قائلا :

« أيها الناس. إني غاد ، فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ^(١) ومن شاء فليخرج في

الماء .. »

واستجابت الجماهير لدعوة الامام فلما رأى ذلك قيس بن سعد غمرته الافراح والمسرات وأنشأ

يقول :

جزى الله اهل الكوفة اليوم نصرة أجابوا ولم يأبوا بخذلان من خذل

وقالوا! علي خير حاف وناعل رضينا من ناقضي العهد من بدل

هما أبرزا زوج النبي تعمدا يسوق بها الحادى المنيع على حمل

فما هكذا كانت وصاة نبيكم وما هكذا الإنصاف اعظم بذا المثل

فهل بعد هذا من مقال لقائل ألا قبح الله الاماني والعلل ^(٢)

وعجت الكوفة بالنفار فقد نزحت منها آلاف كثيرة ، فريق منها

(١) اي على الدواب

(٢) الغدير ٢ / ٧٦

ركب السفن ، وفريق آخر ركب المطي ، وقد بدا عليهم الرضا والقبول وقد ساروا وهم تحت قيادة الحسن فانتبهوا الى ذي قار ^(١) وقد التقوا بالامام أمير المؤمنين حيث كان مقيما هناك فسر بنجاح ولده ، وشكر له جهوده ومساعدته النبيلة.

الافتراء على الحسن :

وروى الطبري في تأريخه حديثا موضوعا فيه افتراء على الامام الحسن نسوقه الى القراء ثم نبين ما يثبت وضعه ، فقد ذكر أنه أقبل على أبيه بعد خروج طلحة والزبير فقال له :
. أمرتك فعصيتني ، فانت اليوم تقتل بمضيعة لا ناصر لك!..
. لا تزال نحن حنين الجارية ، ما الذي أمرتني فعصيتك؟؟
. أمرتك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة ، فيقتل ولست بها ، ثم أمرتك يوم قتل ألا تباع حتى تأتيك وفود أهل الامصار والعرب وبيعة كل مصر.
ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد كان على يد غيرك ، فعصيتني في ذلك كله.
فرد أمير المؤمنين عليه قائلا :
« أي بني ، أما قولك : « لو خرجت من المدينة حين احيط بعثمان » لقد احيط بنا كما أحيط بعثمان ، وأما قولك : « لا تباع حتى تأتي بيعة الامصار » فان الامر أمر أهل المدينة ، وكرهنا أن يضيع هذا الامر ،

(١) ذي قار : ماء لبكر بني وائل قريب من الكوفة يقع بينها وبين واسط ، معجم البلدان ٧ / ٨

وأما قولك : « حين خرج طلحة والزبير » فان ذلك كان وهنا على أهل الاسلام ، وو الله ما زلت مقهورا منذ وليت ، منقوصا لا أصل الى شيء مما ينبغي .

وأما قولك : « اجلس في بيتك » فكيف لي بما قد لزمى!! أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها ، ويقال : دباب دباب ^(١) ليست هاهنا حتى يحل عرقوبها ^(٢) ثم تخرج ، وإذا لم انظر فيما لزمى من هذا الامر ويعينني فيمن ينظر فيه فكف عنك اي بنى ^(٣)

وهذا الحديث رواه الطبري عن سيف بن عمر الاسدي التميمي وهو من موضوعاته ومختلقاته ، وقد اجمع الثقات على ضعفه وعدم الاعتماد على احاديثه لانه عرف بالكذب والوضع ، واختلاق الحديث ، وقد اتهمه بعضهم في دينه وقد بين حاله وواقعه ، وعرض موضوعاته ومفترياته العلامة المحقق السيد مرتضى العسكري في كتابه « عبد الله بن سبأ »

ومما يزيد وضوحا في وضع الرواية وافتعالها أنه جاء فيها أن الامام الحسن قال لأبيه : « أمرتك فعصيتني » وهذا من اسمج الكلام وأمره فكيف يستقبل الحسن أباه بذلك وهو العارف بحقيقته والعالم بعظيم شأنه وقد قال فيه : إنه لم يسبقه الأولون بعمل ولم يدركه الآخرون بعمل « ومما لا ريب فيه ان ذلك يتنافى مع هدى الامام الحسن الذي تجنب الاساءة

(١) دباب اسم فعل امر مشتق من الدبيب ، وهو استدعاء للضبع لتخرج.

(٢) عرقوبها : ثنية عرقوب . بالضم . وهو العصب الغليظ فوق عقب الانسان ، ومن الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها.

(٣) الطبري ٣ / ١٧٠

وهجر الكلام ومره حتى مع أعدائه ومناوئيه فكيف يخاطب أباه بذلك؟!!

وعلق عبد الوهاب النجار على هذا الحديث الموضوع فقال : « وكأني به - يعنى أمير المؤمنين - في هذا الامر الاخير يقول بمقالة عثمان : « لا اخلع لباسا البسنه الله عز وجل » وهو اعتذار لا يقبله من يريد له وللمسلمين السلامة ، أو هو مثل اعتذار دول الاستعمار بأنه لا مناص لهم من تحمل التبعة الملقاة على عاتقهم بإزاء الامم التي يحتلون بلادها ويهيمنون عليها وعلى مرافقها ومقومات حياتها » ^(١)

وعبد الوهاب النجار قد عرف بالتعصب لبني أمية والتنكر لاهل البيت ، ولم يوفق في كثير من بحوثه فقد اعتمد على الموضوعات والمختلقات ولم يمعن النظر فيها ، وقد تجرأ بهذه الكلمات القاسية على الامام امير المؤمنين فقد شبهه بالدول الاستعمارية الظالمة التي نشرت الجور والظلم في الارض والامام أمير المؤمنين هو الذي بسط العدالة والمساواة ونشر جميع القيم الانسانية في دور حكمه ، ولم يعهد في تأريخ الانسانية حاكم مثله في عدله وتجرجه وعدم انخداعه بمظاهر الملك والسلطان ، فقد دخل عليه ابن عباس وهو يخصف نعله بيده فقال له :

. يا ابن عباس ، ما قيمة هذا النعل؟

. لا قيمة له يا أمير المؤمنين

- والله لى أحب إلي من أمرتكم ، إلا أن أقيم حقاً أو ادفع باطلا هذا هو نظر الامام الى الحكم فهو عنده وسيلة لاقامة الحق ودحض الباطل ، ولو كان يروم الحكم لما فاز بالخلافة عثمان كما ذكرنا ذلك في

(١) الخلفاء الراشدون : ص ٤١٤ ، وقد بسط القول في الرد عليه السيد سعيد الافغاني في كتابه عائشة والسياسة ص ٩٦.

بحث الشورى ، فكيف يصح أن يشبه بالدول الاستعمارية الكافرة ، وهو نفس النبي ووصيه وباب مدينة علمه؟!!!

التقاء الفريقين :

وتحركت كتائب الامام من ذي قار تجدد السير حتى انتهت الى الزاوية ^(١) فنزل الامام فصلى فيها اربع ركعات ولما فرغ من صلاته جعل يعفر خده الشريف على التربة وهو يبكي ، ثم رفع يديه بالدعاء الى الله قائلا :

« اللهم ، رب السموات وما أظلت ، والارضين وما أقلت ، ورب العرش العظيم ، هذه البصرة أسألك من خيرها ، وأعوذ بك من شرها ، اللهم انزلنا فيها خير منزل ، اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبعغوا علي ، ونكثوا بيعتي ، اللهم احقن دماء المسلمين .. » ^(٢)

ولما استقر الامام بعث بالوقت عبيد الله بن عباس ، وزيد بن صوحان الى عائشة يدعوها إلى حقن الدماء وجمع كلمة المسلمين ، وقال لهما :

قولا لها :

« إن الله أمرك ان تقري في بيتك وأن لا تخرجي منه ، وانك لتعلمين ذلك غير أن جماعة قد أغروك ، فخرجت من بيتك ، فوقع الناس لاتفاقك معهم في البلاء والعناء ، وخير لك أن تعودى الى بيتك ولا تحومي حول الخصام والقتال ، وإن لم تعودى ولم تطفئ هذه النائرة فانها سوف تعقب

(١) الزاوية : موضع قريب من البصرة ، وبه كانت الواقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ،

معجم البلدان ٤ / ٣٧

(٢) مروج الذهب ٢ / ٢٥٤

القتال ، ويقتل فيها خلق كثير فاتقي الله يا عائشة وتوبي الى الله فان الله يقبل التوبة من عباده ويعفو. وإياك أن يدفعك حب عبد الله بن الزبير وقرابة طلحة الى أمر يعقبه النار .. » .
ولو وعت عائشة هذه النصيحة وارتدعت عما هي عليه لعادت بخير عميم على الأمة ، ولكنها جعلت ذلك دبر أذنيها ، وقالت للرسولين :

إني لا ارد على ابن ابي طالب بالكلام لأني لا أبلغه في الحجاج ^(١) »
إنها لا تردده بالكلام لأنها ليست لها حجة تدلى بها في الدفاع عن نفسها ، وبعث الامام برسالة الى طلحة والزبير يدعوها فيها الى الوئام ونبد الشقاق وهذا نصها :

« أما بعد فقد علمتما وإن كنتمما أني لم أرد الناس حتى أرادوني ، ولم أبايعهم حتى بايعوني وإنكما ممن أرادني وبايعني ، وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر ، وإن كنتمما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب ، وإن كنتمما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكم السبيل بإظهاركما الطاعة ، وإسراكما المعصية ، ولعمري ما كنتمما بأحق المهاجرين بالثقية والكتمان ، وإن دفعكما هذا الامر من قبل أن تدخلوا فيه كان اوسع عليكم من خروجكما منه بعد اقراركما به ، وقد زعمتما اني قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل ، فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما ، فإن الآن اعظم امركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار .. » ^(٢)

ولم يستجيبا لنداء الحق واصرا على الفساد والتمرد والبغي ، واعلنا مقاومة الامام ومناجزته.

(١) تأريخ ابن اعثم ص ١٧٥

(٢) نهج البلاغة ٣ / ١٢٢

خطاب ابن الزبير :

وكان عبد الله بن الزبير من اشد المحرضين الى اثاره الفتنة ، وارقة الدماء ، وقد افسد جميع الوسائل التي صنعها امير المؤمنين لتحقيق السلم ، وقد خطب في جموع البصريين ودعاهم الى الحرب ومناجزة الامام وهذا نص خطابه :

« أيها الناس ، ان علي بن أبي طالب قتل الخليفة بالحق عثمان ، ثم جهز الجيوش إليكم ليستولي عليكم ، يأخذ مدينتكم ، فكونوا رجالا تطلبون بثأر خليفتم ، واحفظوا حرمةكم ، وقاتلوا عن نساءكم وذرائكم وأحسابكم وانسابكم ، أترضون لأهل الكوفة ان يردوا بلادكم ، اغضبوا فقد غوضبتم ، وقاتلوا فقد قوتلتم ، ألا وإن عليا لا يرى معه في هذا الأمر أحدا سواه والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم .. »

وحفل خطابه بالمغالطات والاكاذيب ، واثارة النعرات والعصبيات ضد امير المؤمنين ، وهو يعلم . من دون شك . كذب ما قاله ولكن نفسه سولت له ذلك طمعا بالامرة والسلطان .

خطاب الحسن :

وبلغ الامام أمير المؤمنين خطاب ابن الزبير فاعز الى ولده الحسن بالرد عليه فقام الحسن خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« قد بلغتنا مقالة ابن الزبير في أبي وقوله فيه : إنه قتل ، عثمان ، وانتم يا معشر المهاجرين والانصار وغيرهم من المسلمين علمتم بقول الزبير في عثمان ، وما كان اسمه عنده ، وما كان يتجنى عليه ، وان طلحة

يومذاك ركز رايته على بيت ماله وهو حي ، فاني لهم أن يرموا أبي بقتله وينطقون بذمه ، ولو شئنا القول فيهم لقلنا.

وأما قوله : إن عليا ابتز الناس أمرهم ، فان أعظم حجة لأبيه زعم أنه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه ، فقد أقر بالبيعة وادعى الوليعة فليأت على ما ادعاه ببرهان وانى له ذلك؟
وأما تعجبه من تورّد أهل الكوفة على أهل البصرة ، فما عجبه من أهل حق تورّدوا على أهل باطل.

أما انصار عثمان فليس لنا معهم حرب ولا قتال ، ولكننا نحارب راكبة الجمل واتباعها .. »
(١)

واندفع عمرو بن أحيحة فابدى اعجابه البالغ بخطاب الامام فقال :

حسن الخير يا شبيهه أييه قمت فينا مقام خير خطيب
قمت بالخطبة التي صدع الل ه بها عن أييك أهل العيوب
وكشفت القناع فاتضح الامر وأصلحت فاسدات القلوب
لست كابن الزبير لجلج في القو ل وطأطأ عنان فسل مريب
وأبى الله أن يقوم بمما قـا م به ابن الوصي وابن النجيب

ان شخصا بين النبي . لك الخير . وبين الوصي غير مشوب (٢)

لقد فند الامام ابو محمد مزاعم ابن الزبير ، ورد عليه اكاذيبه فان الذي اشعل نار الفتنة على عثمان انما هو الزبير وطلحة وعائشة ، وليس للامام امير المؤمنين ضلع في ذلك ، كما اوضحناه في البحوث المتقدمة

(١) الجمل ص ١٥٨ - ١٥٩

(٢) شرح النهج ١ / ١٤٦ ، ط دار احياء الكتب العربية

الدعوة الى كتاب الله

وبذل الامام قسارى جهوده فى تدعيم السلم وعدم ايقاع الحرب والدعوة الى العمل بما فى كتاب الله فقد رفع المصحف بيمينه وجعل يطوف به بين أصحابه وفى نفسه بقية امل فى الصلح قائلا :

« أياكم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه؟ .. فان قطعت يده أخذه بيده الأخرى ، وإن قطعت أخذه باسنانه ، وهو مقتول .. »
فنهض إليه فتى كوفي ونفسه تفيض حماسا ونبلا فقال له :
« أنا له يا أمير المؤمنين »

فأشاح الامام بوجهه عنه برهة ، وطاف فى أصحابه ينتدبهم لمهمته فلم يجبه أحد سوى ذلك الفتى النبيل فدفع له المصحف وقال له :

« اعرض عليهم هذا ، وقل هو بيننا وبينكم ... والله فى دمائنا ودمائكم. »
وانطلق الفتى مزهوا لم يختلج فى قلبه خوف ولا رعب وهو يلوح بالمصحف أمام عسكر عائشة يدعوههم الى العمل بما فيه ، ويدعوههم الى الأخوة والوئام ، فتنكروا له ، فقد دفعتهم الانانية وكراهية الحق الى الفتك به فقطعوا يمينه ، فأخذ المصحف بيساره وهو يدعوههم الى العمل بكتاب الله فعدوا عليه ثانيا فقطعوا يساره فأخذ المصحف باسنانه وقد اغرق فى الدماء ، وهو يدعوههم فى آخر مراحل حياته الى السلم والصلح وحقن الدماء قائلا :
« الله فى دمائنا ودمائكم »

فانثالوا عليه وهم مصرون على الغي والعناد فرشقوه بنبالهم فوقع على الارض جثة هامدة وانطلقت أمه تراثيه.

يا رب إن مسلما أتاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم

فحَضُّـبُوا مِنْ دَمِهِ لِحَاثِهِمْ وَأَمَّهُ قَائِمَةٌ تـــــــرَاهِمُ^(١)
ولم يجد الامام بعد هذا الاعذار وسيلة سوى الحرب فقال لاصحابه « الآن حل قتالهم وطاب
لكم الضراب. »^(٢)

اعلان الحرب :

ودعا الامام بعد مقتل سفيره قادة جيشه فأقامهم على أماكنهم ، وعبأ الجنود للحرب وقد
رسم لهم خطة تمثلت فيها الفضيلة والرحمة والعدل فقد قال لهم :
« أيها الناس .. إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيرا ، ولا تتبعوا موليا ، ولا
تطلبوا مدبرا ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ولا تتهكوا سترا ولا تقربوا من أموالهم إلا ما
تجدونه في معسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة ، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على
كتاب الله .. »
واعتلت عائشة جملها المسمى بعسكر ، وقد البسوه المسوح ، وجلود البقر ، وجعلوا دونه
اللبود^(٣)

ولها القيادة العامة فهي التي تنظم العساكر وتصدر الأوامر ، ووجه جيشها النبيل الى معسكر
الامام فقتل بعض اصحابه ، فلم يجد بعد ذلك بدا من الحرب فتقلد الامام سيفه ، ودفع الراية الى
ولده محمد^(٤) وقال للحسن

(١) مروج الذهب ٢ / ٢٤٦

(٢) الطبري ٥ / ٢٠٤

(٣) اللبود : . جمع مفرد لها اللبد . الكساء من الشعر ، وبساط من الشعر.

(٤) محمد بن علي بن ابي طالب الهاشمي المعروف بابن الحنفية ،

والحسين : انما دفعت الراية الى أخيكما وترككما لمكانكما من رسول الله وانطلق محمد الى ساحة
الوغي بعزم ثابت ونفس جياشة وهو يطلب الظفر والنصر ، ولكن سهام القوم قد مطرت عليه
من كل جانب فترث عن المسير برهة فلم يشعر الا ويد أبيه تدفعه من الخلف وهو يقول له
بنبرات تقطر حماسا :

« أدركك عرق من امك! »

ثم خطف الراية من يده وهزها في وجهه وهو يقول له :

اطعن بها طعن أبيك محمد لا خير في الحرب إذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المسدد

لم يكن موقف محمد خورا وجبنا وانما هو من دهاء القائد المحنك الذي أراد أن يبلغ الغاية بعد
أن تنكشف عنه سهام القوم ، ولم يرد أمير المؤمنين بفعله الا ليرى أهل البصرة في بداية الحرب
الحزم والعزم والبسالة لعلهم عن غيهم يرتدعون.
وحمل الامام على القوم وقد رفع العلم بيسراه ، وشهر في يمينه ذا الفقار الذي حارب به
الملحدين والمشركين على عهد رسول الله واليوم يحارب به المارقين من الدين والمنحرفين عن الاسلام
، واحتف به اعلام المهاجرين والانصار فكان العدو أمام بواترهم كرماد اشتدت به الريح في يوم
عاصف

مصراع الزبير :

وخرج أمير المؤمنين حاسرا بين الصفوف فنادى باعلا صوته :

أمه خولة بنت جعفر الحنفية ، قال ابراهيم بن الجنيد لا نعلم احدا اسند عن علي أكثر ولا اصح مما اسند محمد قال ابو
نعيم توفي سنة ثمانين خلاصة تهذيب الكمال ص ٢١ .

« أين الزبير.؟ »

فخرج إليه الزبير وهو شاك في سلاحه فلما رآه اعتنقه وقال له :

. يا أبا عبد الله ما جاء بك هاهنا؟؟

. جئت أطلب دم عثمان

فرمقه بطرفه وقال له بنبرة المستريب.

. تطلب دم عثمان!!

. نعم

. قتل الله من قتل عثمان

واقبل عليه يحدثه برفق ، ويذكره بما نساها قائلًا :

« أنشدك الله يا زبير ، هل تعلم أنك مررت بي وأنت مع رسول الله ﷺ وهو متكئ على يدك ، فسلم علي رسول الله وضحك إلي ، ثم التفت إليك فقال لك : يا زبير إنك تقاتل عليا وأنت له ظالم. »

فاطرق الزبير ، وقد غاض لونه ، وذاب قلبه أسى وحسرات ، وندم على ما فرط من أمره وقال

للامام :

. اللهم نعم

. فعلام تقاتلني؟

. نسيتها والله ، ولو ذكرتها ما خرجت إليك ، ولا قاتلتك^(١)

. ارجع

. وكيف ارجع وقد التقت حلقتا البطان ، هذا والله العار الذي لا يغسل؟؟

. ارجع قبل أن تجمع العار والنار

(١) الامامة والسياسة ١ / ٧٣

فانصرف وهو يقول :

اخترت عارا على نار مؤججة ما إن يقوم لها خلق من الطين
نادى على بأمر لست أجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك من عدل أبا حسن فبعض هذا الذي قد قلت : يكفيني^(١)

وعزم على الانسحاب من هذه الفتنة الا انه أراد أن يخرج منها بسلام فقال لعائشة :
« يا أم المؤمنين ... إني والله ما وقفت موقفا قط إلا عرفت اين أضع قدمي فيه إلا هذا
الموقف؟ فاني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر ؟.. »
عرفت عائشة خبيثته ، وما يرومه في حديثه من الانسحاب ، فالتفتت إليه وكانت عارفة بما
يثيره وينقض عزمته فقالت له باستهزاء.

« يا أبا عبد الله .. خفت سيوف بني عبد المطلب؟! »
وعاثت هذه السخرية في نفسه ، وزاد في اضطرابه وقلقه وارجاعه الى ساحة التمرد ابنه المشوم
عبد الله فقد قال له :
« إنك خرجت على بصيرة ، ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب وعرفت أن تحتها الموت
فجبنْتَ؟! »

لقد اتهمه ابنه بالخور والجن وهو عار وذلل ومنقصة عليه فالتفت إليه وقد مشت الرعدة
باوصاله فقال له :

. ويحك إني قد حلفت له أن لا أقاتله؟

. كفر عن يمينك بعثق غلامك سرجس.

فاعتق غلامه^(٢) ثم انعطف يجول في الميدان ليرى عائشة وابنه

(١) مروج الذهب ٢ / ٢٤٧

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٢٠٠ وجاء فيه ان عبد الرحمن بن سليمان

شجاعته وبسالته وعدم مبالاته بحتفه ، فشد في الميسرة ، ثم رجع فشد في القلب ، ورجع الى ابنه وقال له :

« ايفعل هذا جبان؟؟ »

ومضى منصرفا حتى أتى (وادي السباع) وكان الاحنف بن قيس مع قومه مقيمين فيه ، فقالوا له : هذا الزبير قد اجتاز فقال : ما اصنع بالزبير؟ وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضا؟ ولحقه نفر من بني تميم فسبقهم إليه عمرو بن جرموز ، وقد نزل الزبير الى الصلاة فقال : أتؤمنى أو أؤمك؟ فأمه الزبير ، فقتله عمرو بن جرموز وهو في حال صلاته ^(١)

لقد كانت النهاية الأخيرة من حياة الزبير مشفوعة بالغدر والخيانة والتمرد على الحق وهو مما يؤسف له ، فله ماضيه الزاهر الخافل بالمكرمات والفضائل فهو صاحب حلف الفضول الذي كان شعاره مناصرة المظلوم فما باله في هذه المرحلة قد تنكر لأمير المؤمنين ونسي ظلامته ، فقد ابتزت حقه تيم تارة وعدى أخرى وأمية ثالثة ، وقد جاء هو لينتزع منه حقه.

انه مما يؤسف على الزبير أن تكون له هذه النهاية المؤلمة وهو صاحب

التميمي قال متعجبا من فعل الزبير!!

لم ار كـ اليوم احـا احـوان اعجب مـن مكفـر الـيمان

بالعتق من معصية الرحمن

وقال رجل آخر من شعرائهم

يعتق مكحولا لصون دينه كفارة لله عمن يمينه

والنكث قد لاح على جبينه

(١) مروج الذهب ٢ / ٢٤٧

المواقف الكريمة الذي جلى بسيفه الكرب عن وجه رسول الله (ص) ووقف من بعده ، مع أمير المؤمنين يحمي جانبه ويهتف بفضله ويقدمه على غيره فما الذي حداه على الخروج عليه فهل استأثر ابن أبي طالب باموال المسلمين وهل ادخر وفرا لنفسه ولعيله حتى يناجزه ويخرج عليه؟

الاحتفاف بعائشة :

واستطابت الموت واستلذته بعض القبائل العربية في سبيل عائشة فقدموا لها الضحايا والقرايين ، وبالغوا في حمايتها والدفاع عنها وهم :

أ. الأزد

وهامت الأزد بحب عائشة ، وتفانت في ولائها ، فكانوا يأخذون بعرجلها يشمونهم ويقولون :
بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك^(١) وقد هبوا للدفاع عنها مستميتين ، وقد انطلق شيخ في المعركة يستنجد بهم لما رأى من عظيم ولائهم وإخلاصهم لها فقد خاطبهم قائلاً :

يا معشر الأزد عليكم امكم فانها صلاتكم وصومكم
والحرمة العظمى التي تعمكم فاحضروها جددكم وحمزكم
لا يغلبن سم العدو سمكم إن العدو إن علاكم زمكم
وخصكم بجموره وعمكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم^(٢)

واحتفوا بهودجها ، وامسكوا بخطام « عسكرها » فبهرت عائشة وقالت!

. من انتم؟

(١) تاريخ ابن الاثير ٩٧ / ٣

(٢) شرح النهج ٢٥٤ / ١

فاخذت تلهب في نفوسهم روح الحماس وتدفعهم الى الموت قائلة :
« إنما يصير الأحرار .. ما زلت أرى النصر مع بني ضبة! »
واشعلت هذه الكلمات نار الثورة في نفوسهم فاندفعوا إلى الموت ، وقاتلوا أشد القتال في
سبيلها ^(١)

ب . بنو ضبة

وبنو ضبة من أرذل العرب وأوباشهم ، وكانوا غلاظ القلوب والطباع ، قد أترعت نفوسهم
بروح الجاهلية ومساوئها ، وقد وهبوا أرواحهم بسخاء لعائشة ، وأحاطوا بجملها مستميتين وهم
يقولون :

يا أمنا يا زوجة النبي يا زوجة المبارك المهدي
نحن بنو ضبة لا نفر حتى نرى جماجمنا تخر
يخر منها العلق المحمر

ووقفوا صامدين حتى قطعت أيديهم وبدرت رءوسهم ، واتخذوا في ذلك اليوم دم عثمان شعارا
لهم فكانوا يقاتلون اعنف القتال وأشدّه وشاعرهم يرتجز ويقول :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننازل القرن اذا القرن نزل
والقتل اشهى عندنا من العسل نبغي ابن عفان بأطراف الأسل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

وقتل حول خطامها اربعون رجلا منهم ، وكانت عائشة تقول : ما زال جملي معتدلا حتى
فقدت اصوات بني ضبة.

ج . بنو ناجية

(١) شرح النهج ٢ / ٨١

ومن القبائل التي فتنت بحب عائشة بنو ناجية ، فقد انطلقوا الى ساحة الموت في سبيلها فأخذوا بخططهم فسلّوا عنهم؟ فليل لها بنو ناجية فأخذت تستفز حميتهم ، وتقذف بهم في لظى الحرب قائلة :

« صبرا يا بني ناجية. فاني اعرف فيكم شمائل قريش .. »^(١)

هذه بعض القبائل التي قدمت المزيد من الضحايا في سبيل عائشة ، قد غرّتهم امهم وفتنتهم في سبيل أطماعها واحقادها.

عقر الجمل :

واستمر اعنف القتال بين الفريقين يريد أصحاب أمير المؤمنين أن يحموا امام المسلمين ووصيي نبيهم ويريد أصحاب عائشة أن يحموا أمهم ويموتوا دونها حتى شاعت المقتلة بينهما ، ورأى امير المؤمنين ان الحرب لا تنتهي ما دام الجمل موجودا ، فدعا بعمار وبالاشر فلما مثلا بين يديه قال لهما.

« اذهبا فاعقرا هذا الجمل فان الحرب لا يحمد ضرماها ما دام حيا!!! فانهم قد اتخذوه قبلة

لهم. »

انطلق الأشر وعمار ومعهما فتية من مراد فوثب فتى يعرف بمعمار ابن عبد الله^(٢) الى الجمل فضربه على عرقوبه فهوى الى الارض وله عجيح منكر لم يسمع مثله ، وتفرق اصحاب عائشة فقد تحطم الصنم الذي

(١) شرح النهج

(٢) وقيل غيره هو الذي عقره وفي رواية ان الامام دعا ولده محمد بن الحنفية فاعطاه رمحا وقال له : اقصد بهذا الرمح الجمل فذهب فحال القوم بينه وبينه فرجع ولم يظفر ببغيته فاخذ الحسن الرمح من يده وقصد الجمل فطعنه.

قدموا له القرايين ، وأمر الامام بحرقه وتذرية رماده في الهواء لئلا تبقى منه بقية يفتتن بها السذج والبسطاء وبعد ما فرغ من ذلك قال :

« لعنه الله من دابة. فما اشبهه بعجل بني اسرائيل!! »

ومد بصره الى الرماد الذي اخذه الريح فتلا قوله تعالى : « وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في أليم نسفا » ^(١)

الصفح عن عائشة :

وقابل الامام عائشة بالاحسان والصفح الجميل فبعث إليها أخاها محمدا يسألها عن حالها فانطلق إليها محمد فادخل يده في هودجها فجفلت مرعوبة منه وصاحت به :
. من أنت؟

. ابغض أهلك إليك

عرفته في الوقت فقالت له ونفسها مترعة بالكراهية له والحقده عليه :

. ابن الخثعمية؟

. نعم أخوك البر

. عقوق

وأزاحت بوجهها عنه ، والتفت إليها يسألها برفق ولين :

. هل أصابك مكروه؟

. سهم لم يضربني

فانتزعه منها ، وأخذ بخطام هودجها ، وادخلها في الربع الأخير

(١) سورة طه : آية ٩٧

من الليل الى دار عبد الله بن خلف الخزاعي ^(١) على صفية بنت الحارث ^(٢) فاقامت هناك اياما.

العفو العام :

واصدر الامام اوامره بالعفو عن جميع اعدائه ، والمعارضين له ، وطلبت عائشة ان يؤمن ابن اختها عبد الله بن الزبير وهو من ألد اعدائه فاجابها إلى ذلك ، وتكلم معه الحسن والحسين في شأن مروان فأمنه وعفا عنه ونادى مناديه :
« ألا لا يجهز على جريح ، ولا يتبع مول ، ولا يطعن في وجه مدبر ومن القى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن .. »
ثم آمن الاسود والأحمر . على حد تعبير يعقوبي . ^(٣) ولم ينكل بأحد من خصومه ، وبذلك فقد انتشر السلام وعم الهدوء في جميع ربوع البصرة

تسريح عائشة :

وبعث أمير المؤمنين عبد الله بن عباس الى عائشة لتخرج من البصرة الى يثرب فتقر في بيتها كما أمرها الله فانطلق إليها ابن عباس واستأذن

(١) عبد الله بن خلف بن اسعد الخزاعي والد طلحة الطلحات قال ابو عمر : لا اعلم له صحبة ، كان كاتباً لعمر بن الخطاب على ديوان البصرة ، قتل في واقعة الجمل وكان من حزب عائشة واخوه عثمان من اصحاب الامام ، الاصابة ٢ / ٣٠٣

(٢) صفية بنت الحارث بن طلحة قتل ابوها يوم بدر كافرا ، وهي زوج عبد الله بن خلف وأم طلحة الطلحات ، الاصابة ٤ / ٣٤٦

(٣) تأريخ يعقوبي ٢ / ١٥٩

منها فأبت أن تأذن له فدخل بغير إذن وهوى الى متاعها فأخرج منه وسادة فجلس عليها ، فتأثرت منه وقالت له :

« تالله يا ابن عباس .. ما رأيت مثلك تدخل بيتنا وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا!! »

فانبرى إليها ابن عباس وهو فياض المنطق قائلاً :

« والله ما هو بيتك ، ولا بيتك الا الذي أمرك الله أن تقرى فيه فلم تفعلني ، إن أمير المؤمنين

يأمرك أن ترجعي الى بلدك الذي خرجت منه. »

فاظهرت كوامن غيظها وبغضها للامام فقالت :

. رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب.

. نعم. وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

. أبيت ، أبيت

. ما كان إباؤك إلا فواق ناقة بكئية^(١) ثم صرت ما تحلين ولا تمرين ولا تأمرين ولا تنهين.

فالتاعت من كلامه وأرسلت ما في عينيها من دموع ، ثم قالت له :

« نعم ارجع فان ابغض البلدان الي بلد انتم فيه. »

فثار ابن عباس من كلامها ورد عليها :

« أما والله ما كان ذلك جزاؤنا منك إذ جعلناك للمؤمنين أما ، وجعلنا أباك لهم صديقاً. »

فاجابته بأسخف القول

(١) الفواق : الوقت ما بين الحلبتين فان الناقة تحلب ثم تترك ليضعها الفصيل حتى تدر فتحلب ، البكئية : الناقة التي قل لبنها.

« أتمن علي برسول الله؟! »

وما ابعد هذا القول عن منطق الايمان فمن تكون هي لو لا رسول الله فبسيبه علا لها نجم وصار لها ذكر ، وقد انبرى ابن عباس فرد عليها منطقها الرخيص قائلا :

« فمن عليك بمن لو كان منك بمنزلته منا لمننت به علينا!! »

وتركها وانصرف فاخبر الامام بحديثه معها ، وباستجابتها لقوله فشكره الامام على ذلك ^(١) ولما عازمت على الخروج جهزها الامام باحسن جهاز واعد لها قافلة كاملة لا ينقصها شيء ، وفي اليوم المقرر لسفرها دخل عليها ومعه الحسن والحسين فلما رأينه النسوة بكين وصحن في وجهه ، والتفتت إليه صفية ربه الدار فقالت له :

يا قاتل الأحبة. يا مفرق الجماعات. أيتم الله بنيك منك كما ايتمت بنى عبد الله .. »

اجابها الامام : لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت ، وأشار الى بيت فى دارها قد اختفى فيه فريق من أعدائه وخصومه ، وأراد من كان معه الهجوم عليهم فمنعهم من ذلك ، وجرى بعد ذلك حديث بين الامام وعائشة فقالت له : إني احب أن أقيم معك فاسير إلى قتال عدوك ، فابى الامام وأمرها أن تقرر في البيت الذي تركها فيه رسول الله ولو أراد السياسة الوقتية لأجابهما إلى ذلك ولكنه منيع التقوى والايمان أراد أن يسير معها على وفق الشريعة الاسلامية التي تلزم المرأة بالحجاب وبالعمل لتهديب نفسها واصلاح منزلها ، وليس لها باي حال أن تدخل في الممعات الحزبية والمعتكرات السياسية ، ورحلت عائشة من البصرة وقد

(١) العقد الفريد ٣ / ١٠٣ - ١٠٤ .

اسكنت بيوتها الشكل والحزن والحداد ، وروعت المسلمين وأشاعت القتل فيما بينهم فقد كان عدد الضحايا بسببها عشرة آلاف نصفهم من اصحابها والنصف الآخر من أصحاب الامام ^(١) وقد دمرت بخروجها على الامام وشائج الصلات بين المسلمين ، ونسفت أواصر الأخوة الاسلامية التي عقدها الرسول الكريم ، وفتحت باب الفتن والشر بين أمة محمد (ص) كما مهدت العصيان لمعاوية وبني أمية ، وعبدت لهم الطريق ليتخذوا من دم عثمان وسيلة الى الظفر بالحكم وإلى استعباد المسلمين واذلالهم.

لقد اجمع أئمة المسلمين على تأثيم القائمين بهذا التمرد وانه لا مبرر له بحال من الاحوال كما نعتوهم بالبغاة وان الواجب الديني يقضي بمناجزتهم عملا بقوله تعالى : (**فَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**) يقول أبو حنيفة :

« وما قاتل أحد عليا الا وعلي أولى بالحق منه ، ولو لا ما سار علي فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين. ولا شك ان عليا إنما قاتل طلحة والزبير بعد أن بايعاه وخالفاه ، وفي يوم الجمل سار على فيهم بالعدل ، وهو علم المسلمين فكانت السنة في قتال أهل البغي » ^(٢) وقال ابن حجر :

« ان أهل الجمل وصفين رموا عليا بالمواطاة مع قتلة عثمان وهو برىء من ذلك وحاشاه واذناب يقول : ويجب على الامام قتال البغاة لاجماع الصحابة عليه ولا يقاتلهم حتى يبعث إليهم أمينا عدلا فطنا ناصحا يسألهم عما ينقمونه على الامام تأسيسا بعلي (ع) في بعثه ابن عباس الى

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٢٢٤ وقيل ان عدد القتلى أكثر من ذلك

(٢) مناقب أبي حنيفة للخوارزمي ٢ / ٨٢ - ٨٣

الخوارج بالنهروان» ^(١)

وقال امام الحرمين الحويني : « كان على بن أبي طالب امام حق في توليته ومقاتلوه بغاة » ^(٢)
ان الشريعة الاسلامية تلزم بمناجزة الخارجين على السلطة الشرعية لان في خروجهم تصديعا
لوحدة المسلمين ، وتدميرا لآخوتهم.

لقد مرت هذه الحادثة الرهيبة على الامام الحسن وقد عرفته باضغان القوم وأحقادهم على أبيه
، وقد كان في تلك الموقعة البطل الوحيد والقائد المحنك الذي استطاع أن يحفز الجماهير ويجهزهم
لقتال القوى الباغية على أبيه ، وبهذا ينتهي بنا المطاف عن مشكلة البصرة لنتلقى به في موقعة
صفين

(١) تحفة المحتاج للنووي ٤ / ١١٠

(٢) الارشاد في اصول الاعتقاد ص ٤٣٣

فی صفین

تمر بعض الحوادث في دنيا الوجود وتذهب من دون أن تترك أثرا مهما يذكره التاريخ وإن كان لها في وقتها من الخطورة شأن كبير ، وتمر بعض الحوادث الأخرى في ميدان الحياة فتبقى خالدة خلود الدهر لأنها تركت أثرا اجتماعيا عاد بالخير العميم على الانسان ، وتجتاز بعض الحوادث على مسرح الحياة فتملأ الدنيا بالمآسي والخطوب وتعود بشقاء الانسان واستعباده ، من هذه الحوادث المفجعة والرزايا المؤلمة حادثة صفين التي تجسم فيها الصراع بين الحق والباطل ، وبين العدل والجور والظلام والنور وبين الخلافة الدينية التي تنشئ صالح الانسان واسعاده. وبين الحكم الفوضوي الذي لا يهدف إلا إلى الإثارة والاستغلال والمتاجرة بمصالح الشعوب.

إن الشعوب الاسلامية لم تقرر مصيرها الحاسم في وقعة صفين فقادها ذلك الى الاستعباد والاذلال والخضوع للظلم والجور ، وقد المع الى ذلك الاستاذ مالك الجزائري في ايضاحه للأسس القويمة التي تبنها مؤتمر (باندونج) اذ يقول :

ولقد عرف التاريخ الاسلامي لحظة كهذه . اي في تقرير حق المصير . في معركة صفين تلك الحادثة الموسفة المؤثرة التي نتج عنها التذبذب في الاختيار ، الاختيار الحتم بين علي ومعاوية ، بين المدينة ودمشق ، بين الحكم الديمقراطي الخلفي والحكم الاسري ، ولقد اختار المجتمع الاسلامي في هذه النقطة الفاصلة في تأريخه الطريق الذي قاده اخيرا الى القابلية للاستعمار والى الاستعمار »^(١)

لقد انخزل المجتمع الاسلامي في حادثة صفين فلم يقرر مصيره الحاسم فانتج ذلك خذلان الامام أمير المؤمنين وارغام الامام الحسن من بعده على

(١) فكرة الافريقية الآسيوية ، في ضوء مؤتمر باندونج / ١١١

الصلح ، وتسلم الامويين لقيادة الحكم في البلاد فامعنوا في قتل الاخيار ومطاردة المصلحين
واشاعة الظلم والجور في الأرض ، وعلينا أن نتبين فصول هذه المأساة . بايجاز . وننظر الى متاركها
الفضيلة وهي :

تمرد معاوية :

واعلن معاوية التمرد على حكومة الامام ، ورفض البيعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون اما
بواعث عصيانه فهي ما يلي :

١ . لقد علم معاوية أن الامام لا يقره في منصبه ، ولا بد أن يجرده من جميع امواله التي
اختلفها من بيت مال المسلمين ، ولو كان يحتمل أنه يقيه على حاله ويقره على بذخه واسرافه
لما اعلن العصيان والخروج عليه إن الامام لا يدهن في دينه ، ولا يطلب النصر بالجور ، ولا يقر
الظلم ، وهو حتف الظالمين والمعتدين فكيف يبقى معاوية في جهاز الحكم ، وهو يعلم أنه لا
واقعية له ولا حريجة له في الدين ، وقد اصدر في اليوم الأول من خلافته عزله عن مقره ، وقد
كتب إليه معاوية يسأله أن يقيه على حاله أو يجعله واليا على مصر فامتنع من اجابته ، وقد لام
عقبة بن أبي معيط معاوية على ذلك وكتب له رسالة جاء فيها .

معاوية إن الشام شامك فاعتصم	بشامك لا تدخل عليك الأفاعيا
فان عليا ناظر ما تحييه	فأهد له حربا تشيب النواصيا
وحام عليها بالصوارم والقنا	ولاتك مخشوش الذراعين واصيا
والا فسلم ان في الأمن راحة	لمن لا يريد الحرب فاختر معاويا
وان كتابا يا ابن حرب كتبته	على طمع جان عليك الدواهيا
سألت عليا فيه ما لا تناله	ولو نلته لم تبقي إلا لياليا

الى أن ترى منه الذي ليس بعدها بقاء فلا تكثر عليك الأمانيا
ومثل علي تغتره بخدعة وقد كان ما خربت من قبل بانبا
ولو نشبت أظفاره فيك مرة فراك ابن هند بعد ما كنت فاريا^(١)
إن معاوية ومن يمت به يعلمون اتجاه الامام وأهدافه الرامية الى تحقيق العدل في البلاد والقضاء
على الغبن الاجتماعي واقصاء الظالمين عن مراكزهم ، وانهم سيعودون في ظل حكومته نكرات لا
امتياز لهم كما كانوا في عهد الرسول فلذا اعلنوا عليه البغي حفظا على مصالحهم الضيقة.
٢ . ورأى معاوية أن له قوة على مقاومة الامام ومناجزته وذلك لما له من النفوذ والمكانة في
بلادهم فانه لم يعمل فيها عمل وال يظل واليا طول حياته ويقنع بهذا المنصب ثم لا يتطاول إلى ما
وراءه ولكنه عمل فيها عمل صاحب الدولة التي يؤسسها ويدعمها له ولا بنائه من بعده فجمع
الأقطاب ، واشترى الانصار بكل ثمن في يديه وأحاط نفسه بالقوة والثروة واستعد للبقاء الطويل^(٢)
وقد حفزته هذه القوى التي يتمتع بها الى مناجزة الامام ومقاومته.
٣ . ومما دفعه الى التمرد خروج عائشة وطلحة والزبير فقد فتحوا له الطريق ، ومهدوا له السبيل
فان واقعة صفين انما هي امتداد لحرب الجمل ، ونتيجة من نتائجها فلو لا خروجهم واعلانهم
للعصيان وتطويلهم بدم عثمان لما استطاع معاوية أن يشق الكلمة ويخرج على الامام ويناجزه
الحرب.

(١) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٢٩

(٢) عبقرية الامام علي ص ١١٥.

٤ . وشيء آخر جدير بالاهتمام علل به معاوية عصيانه وخروجه على النظام القائم وذلك في رسالته التي بعثها لمحمد بن أبي بكر وقد جاء فيها

« كان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه . يعني عليا . حقه وخالفاه على امره ، على ذلك اتفقا واتسقا ثم دعوا الى بيعتهما فابطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به المموم واردا به العظيم ، ثم انه بايع لهما وسلم لهما ، وأقاما لا يشاركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله ... واضاف يقول : فان يك ما نحن فيه صوابا فابوك استبد به ونحن شركاؤه ولو لا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا إليه ولكن رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا واخذنا بمثله .. »^(١)

وهو تعليل وثيق للغاية فانه لو لا منازعة الشيخين للامام وابتزازهما لحقه لما استطاع معاوية ان يخالفه ويخرج عليه ولكنه احتذى حذوهما وسار على طريقتهما فبغى على الامام وأفسد عليه جيشه وتركه في أرياض الكوفة يتمنى الموت ليستريح مما ألم به من الشؤون والشجون.

٥ . ومن الامور التي حفزته على العصيان والتمرد على الامام هو المطالبة بدم عثمان فقد اتخذ قتله وسيلة الى نيل أهدافه وبلوغ أمانيه ، وقد ارصد جميع أبواق دعايته لتهويل أمره والاشادة بذكره وتنزيهه عن كل ذنب حتى انقادت له قلوب اهل الشام وأترعت نفوسهم بالحقد والكراهية للامام فاذا بهم يظهر الحزن والاسى أكثر مما يظهر وإذا بهم يحثونه ويستعجلونه على الحرب والمطالبة بدمه أكثر مما يستعجل.

ولم يكن هناك ادنى مجال للشك في أن معاوية لا يهمله أمر عثمان ولا يقيم لمقتله وزنا فقد استنجد به لما حوضر وضويق ، وطلب منه المعونة

(١) المسعودي على هامش ابن الاثير ٦ / ٧٨ . ٧٩

فلم يخف لنصرته ، ولم يستجب له ولم يسعفه بشيء ، ولو كان يروم المطالبة بدمه لكان أولى الناس بالعقوبة والتنكيل مستشاره ووزيره عمرو بن العاص فهو الذي سحر الدنيا نارا على عثمان وكان يقول : « والله لالقي الراعي فاحرضه على عثمان فضلا عن الرؤساء والوجوه » ^(١) فمطالبته بدم عثمان ليست الا وسيلة لتحقيق غايته والظفر بالملك الذي يحلم به. هذه بعض الاسباب والبواعث التي دعت معاوية لمناجزة الامام واعلانه للحرب عليه.

ايفاد جرير :

ولما اعلن معاوية تمرده على حكومة الامام طلب أصحاب الامام أن ينهض بهم لحربه بعد فراغهم من حرب الجمل وكأنهم أرادوا أن يحوزوا لنصرهم نصرا فإلى الامام لأن خطته كانت المسالمة وإيثار العافية فرأى أن يبعث إليه السفراء يدعونه الى الطاعة والدخول فيما دخل فيه الناس فاوفد للقياه جرير بن عید الله البجلي ^(٢)

(١) شرح النهج ١ / ١٦٣

(٢) جرير بن عبد الله البجلي اختلف في وقت اسلامه قيل انه اسلم حينما بعث النبي وقيل ان اسلامه كان قبل وفاة النبي باربعين يوما ، وقيل غير ذلك ، وكان جميل الصورة قال فيه عمر : هو يوسف هذه الامة ، وقدمه في حروب العراق على جميع بجيلة وكان لهم الاثر في فتح القادسية وقد سكن الكوفة ولما ارسله الامام سفيرا الى معاوية اخفق في سفارته فاعتزل الفريقين وآثر العافية فسكن في قرقيسيا حتى توفي بها سنة احدى وخمسين وقيل اربع وخمسين ، الاصابة ١ /

وزوده بهذه الرسالة :

« أما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشام ، لانه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد. وانما الشورى للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل فسموه إماما كان ذلك لله رضا ، فان خرج من امرهم خارج بطعن او رغبة رده الى ما خرج منه ، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا ، وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي ، وكان نقضهما كردهما ، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فان أحب الامور إلى فيك العافية ، إلا أن تتعرض للبلاء ، فان تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك. وقد أكثرت في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله. فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن ، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان. واعلم أنك من الطلقاء ^(١) اللذين لا تحل لهم الخلافة ، ولا تعرض فيهم الشورى. وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الايمان والمجرة. فبايع ولا قوة إلا بالله ^(٢)

وكانت هذه الرسالة رسالة حق داعية واعية. دعت الى الحق من

(١) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الاسير الذي اطلق سراحه ، ويراد بهم في المقام الاسراء الذين خلى عنهم رسول الله

(ص) يوم فتح مكة ولم يسترقهم.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٤.

أقصر سبله ، وبأوضح أساليبه. ووعت قصة الاستخلاف التي أثارت كل هذا الخلاف ، بما سبقها وما لحقها من المقدمات والخواتيم.

وكانت فوق هذا وذاك عظة جارية ، وحكمة هادية لمن أراد الهداية وشرح الله صدره وفجر في فؤاده ينبوع النور ، فلم يغفل الامام فيها أمرا جرت ألسن الناس بذكره إلا بينه. ولم يدع ثغرة ينفذ منها خصمه إلا سدها دونه وما من شيء كان معاوية يستطيع أن يحتال به ، أو يدعيه حجة تؤيد خلافه وتسد انحرافه الا مد له الامام معولا من سطورها . حديدا شديدا . يدمر باطله ويقوض معاقله ، كما قال الاستاذ السيد عبد الفتاح مقصود ^(١) :

وطوى جرير البيداء حتى وصل الى بلاط معاوية ، فانطلق يتكلم معه قائلا :
أما بعد يا معاوية فانه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين وأهل المصرين ^(٢) وأهل الحجاز وأهل اليمن ، وأهل العروض وعمان وأهل البحرين واليامة ، فلم يبق إلا أهل هذه الحصون التي أنت فيها ، لو سال عليها سيل من اوديته غرقها وقد أتيتك أدعوك الى ما يرشدك ويهديك الى مبايعة الرجل ^(٣)

ولما سمع معاوية ذلك خارت قواه وبقي مبهور النفس لم يفه بشيء ولكنه بقي يطاوله ، ويسرف في مطاولته لا يجد لنفسه مهريا سوى الامهال والتسويق ، وقد جمع في خلال تلك المدة وجوه أهل الشام وقادة الجيش فجعل يستشيرهم في

(١) الامام على بن ابي طالب ج ٤ ص ٢٧.

(٢) الحرمان : مكة والمدينة ، والمصران البصرة والكوفة.

(٣) وقعة صفين ص ٣٣

الخضوع لحكومة الامام والاستجابة لسفيره أو اعلان التمرد والمطالبة بدم عثمان فاظهروا له رغبتهم الملحة في الطلب بدم عثمان ، واعلان العصيان على حكومة الامام.

مراسلة معاوية لعمر :

وعلم معاوية أن الامر لا يتم له إلا إذا انضم إليه داهية العرب عمرو ابن العاص ليقوم بتسديده ويستعين به في مهامه ، فبعث إليه رسالة يطلب فيها قدومه إليه وهذا نصها :
« أما بعد : فانه قد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة ، وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني أقبل أذكرك أمرا ... »

ولما قرأ الرسالة تحير في أمره فاستشار ولديه عبد الله ومحمدا فقال له عبد الله وكان رجل صدق وصلاح.

« أرى أن نبي الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده ، وقتل عثمان وأنت عنه غائب ، فقر في منزلك فلست مجعولا خليفة ، ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أو شك أن تهلك فتشقى فيها .. »

وأشار عليه عبد الله بالنصيحة والورع والتقوى وعدم الاستجابة لدواعي الفتن والغرور ، وأما ابنه محمد فقد فتنه الدنيا وطمع بالملك فقد قال له :

« أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها ، وان تصرم هذا الامر وأنت فيه حامل تصاغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام فكن يدا من ايديها وأطلب بدم عثمان ، فانك قد استلمت فيه الى بني أمية .. »

وقد دفعه محمد الى هلاك آخرته واصلاح دنياه ، والتفت عمرو الى

ولده عبد الله فقال له : أما أنت فأمرتني بما هو خير في ديني؟ وقال لولده محمد : أما أنت فأمرتني بما هو خير لي في دنياي؟

حيرة وذهول :

واعتركت الدنيا والآخرة في نفس عمرو وملأت الحيرة اهابه واحاطت به الهواجس ، وقد انفق ليلا ساهرا يفكر في الامر فهل يلتحق بمعسكر معاوية فيناجز أخا رسول الله ووصيه وباب مدينة علمه فيكون قد فرط في أمر دينه أو يلتحق بعلي فيكون رجلا كسائر الناس له ما لهم وعليه ما عليهم ولكنه يضمن بذلك آخرته ودينه ، وأطال التفكير في الأمر وسمعه أهله يقول :

تطاول ليلى للهموم الطوارق	وخوف التي تجلو وجوه العوائق
وإن ابن هند سألني أن أزوره	وتلك التي فيها بنات البوائق
أتاه جريـر من على بخطـة	أميرٍ عليه العيش ذات مضائق
فإن نال منى ما يؤمل رده	وإن لم ينلـه ذل المطـابق
فو الله ما ادري وما كنت هكـذا	أكون ومهما قادني فهو سائقي
أحـادعه إن الخـداع دنيـة	أم اعطيه من نفسي نصيحة وامق
أم أقعد في بيتي وفي ذاك راحة	لشيخ يخاف الموت في كل شارق
وقد قال عبد الله قولا تعلقـت	به النفس إن لم تقتطعني عوائقي
وخالفه فيه أخوه محمد	وإنى لصلب العود عند الحقائق

ودل هذا الشعر على تردده وحيرته إلا ان ابنه عبد الله فهم منه الاستجابة لدعوة معاوية فقال :

« بال الشيخ على عقبه ، وباع دينه بدنياه!! »

ولما اندلع لسان الصبح دعا غلامه وردان وكان ذكيا يقرأ ما في

النفوس فقال له : « حط يا وردان ، ثم قال له : ارحل ، ثم قال له حط يا وردان ».

فعرف غلامه حيرته وذهوله فقال له :

. خلطت أبا عبد الله؟! أما إن شئت أنبأتك بما في نفسك؟

. هات ويحك!!

- اعتزكت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : على معه الآخرة في غير دنیا ، وفي الآخرة

عوض من الدنيا. ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة وليس في الدنيا عوض الآخرة فانت واقف بينهما.

. إنك والله ما أخطأت!! ما ترى؟

- أرى أن تقيم في بيتك فان ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم

يستغنوا عنك.

ولم يستجب لنصحه وصمم على الالتحاق بمعاوية وهو يقول :

يا قاتل الله وردانا وفطنته أبدى لعمرك ما في النفس وردان

لما تعرضت الدنيا عرضت لها بحرص نفسي وفي الاطباع ادهان

نفس تعف واخرى الحرص يغلبها والمرء يأكل تبننا وهو غرثان^(١)

أما علي فدين ليس يشركه دنيا وذاك له دنيا وسلطان

فاخترت من طمعي دنيا علي بصر وما معي بالذي اختار برهان

اني لاعرف ما فيها وأبصره وفي أيضا لما أهواه الوان

لكن نفسي تحب العيش في شرف وليس يرضى بذل العيش انسان

عمرو لعمرو أبيه غير مشتبه والمرء يعطس والوسنان وسنان

لقد استجاب لعاطفته فأثر الدنيا على الآخرة ، وعزم على الالتحاق

(١) الغرثان : الجائع.

بمعسكر معاوية ليحارب امير المؤمنين الذي هو نفس رسول الله ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى.

قدومه الى الشام :

وارتحل ابن العاص ومعه ابنه الى دمشق فلما بلغها جعل يبكي كما تبكي المرأة وهو يقول :
« وا عثماناه انعى الحياء والدين!! »^(١)
لقد اصطنع البكاء ليغري السذج ويظهر الاخلاص والطاعة لمعاوية ولما التقى به تذاكر معه معاوية في الوسائل والطرق التي يسلكها في حربه مع الامام ، فقال له ابن العاص :
« أما علي فو الله لا تساوي العرب بينك وبينه في شيء من الاشياء وإن له في الحرب لحظا ما هو لأحد من قريش الا أن تظلمه .. »
وانطلق معاوية يبين له الدوافع في حربه وعصيانه قائلا :
« صدقت. ولكننا نقاتله على ما في أيدينا ، ونلزمه قتلة عثمان!! »
إنه إنما يقاتل الامام من أجل السلطة والامرة والشرء العريض الذي اختلسه من بيت المال ،
واندفع ابن العاص يبين له وهن المطالبة بدم عثمان قائلا :
. وا سواتاه إن احق الناس أن لا يذكر عثمان!!
. ولم ويحك!!
. أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث بيزيد بن اسد

(١) تأريخ ابن الأثير ٣ / ١٢٩

البعلي فسار إليه ، وأما أنا فتركته عيانا وهربت الى فلسطين!!^(١)
فلم يلتفت معاوية الى قوله لأنه لم يجد وسيلة يتمسك بها في عصيانه سوى المطالبة بدم
عثمان.

المساومة الرخيصة :

وكان ابن العاص يحن الى مصر حيننا متصلا وقد باع دينه وضميره على معاوية من اجلها فقد
قال له معاوية :
.أتحبي يا عمرو؟
.لما ذا؟ للآخرة فو الله ما معك آخرة ، أم للدنيا. فو الله لا كان حتى أكون شريك فيها!!
.أنت شريكي فيها
.فاكتب لي مصر وكورها
.لك ما تريد
فكتب له ولاية مصر وكتب في آخر الوثيقة وعلى عمرو السمع والطاعة فقال له عمرو :
.إن السمع والطاعة لا ينقصان من الشرط شيئا.
.نعم ، ولا ينظر الناس الى هذا.
ونفذ له ما أراد^(٢) وبذلك فقد باع دينه على معاوية ، وسمع وهو يقول :
معاوي لا اعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع

(١) تأريخ يعقوبي ٢ / ١٦٢

(٢) العقد الفريد ٣ / ١١٣

فان تعطيني مصر فاربح بصفقة أخذت بها شيخا يضر. وينفع
وما الدين والدنيا سواء وإنني لأخذ ما أعطي ورأسي مقنع
ولكنني أعطيك هذا وإنني لأخذ نفسي والمخادع يخدع
أعطيكَ أمرا فيه للملك قوة وأبقى له إن زلت النعل اضرع
وتمنعني مصر وليسست برغبة وان ثرى القنوع يوما لمولع^(١)
لقد ظفر معاوية بأهم سياسي مكر مخادع يجيد اللعب على الحبل ويتغلب على الأحداث وهو
القائل عن دهائه أنا أبو عبد الله ما حككت قرحة إلا أدميتها.

رد جدير :

ولما اجتمع لمعاوية امره واحكم وضعه رد سفير الامام (جرير) الى الكوفة ولم يجبه الى شيء ،
وأرسل معه رسالة الى الامام جاء فيها :
« اما بعد. لو بايعك الذين ذكرت وأنت برىء من دم عثمان لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان
، ولكنك اغريت بدم عثمان ، وخذلت الانصار فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف ، وقد
أبى اهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين وانما
كان الحجازيون هم الحكماء على الناس والحق فيهم ، فلما فارقه كان الحكماء على الناس اهل
الشام ، ولعمري ما حجتك على اهل الشام كحجتك على طلحة والزبير إن كانا بايعاك فلم
بايعاك انا ، فأما فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول الله فليست ادفعه ... »

(١) في البيت الأخير اضطراب ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ / ١٣٧ بما يلي « وإني بذنا الممنوع قدما لمولع »

وكانت هذه الرسالة حاملة للبهتان والاباطيل ففيها اتهم الامام بدم عثمان ، وهو يعلم أن الامام برىء منه ، ولكنه لم يجد حجة يتعلق بها سوى هذه الاكاذيب.

وهبط جرير على الامام وهو خافق في سفارته ، ومعه رسالة معاوية فاطلع عليها الامام وعرف ما يرومه معاوية من البغي والخروج عليه ، وقد رأى أن يقيم عليه الحجة مرة اخرى فبعث إليه السفراء يدعونه الى الطاعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون فلم يجد ذلك شيئاً وأصر على عناده.

زحف معاوية لصفين :

وأخذ معاوية البيعة من أهل الشام على المطالبة بدم عثمان والأخذ بثأره ، وتوفرت لديه الامكانيات والقوى العسكرية ، وانضم إليه كل من لم تنطبع في نفسه العقيدة الدينية من ذوى الاطماع والمنحرفين عن الحق والباغين على الاسلام ، ولما تم أمره زحف بجيوشه الى صفين^(١) لمحاربة السلطة الشرعية والاطاحة بالحكم الاسلامي واعادة المثل الجاهلية ، ولما انتهى في مسيره الى صفين نزل بها واحتل الفرات وعد هذا أول الفتح لانه حبس الماء على عدوه ، وبقيت جيوشه رابضة هناك تصلح امرها ، وتنضم قواها لتستعد للحرب.

(١) صفين . بكسرتين وتشديد الفاء . موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة والسفن وبه كانت الواقعة بين الامام ومعاوية في سنة ٣٧ في غرة صفر واختلف في عدة اصحاب الفريقين فقتل كان معاوية في مائة وعشرين الفا وكان مع الامام تسعون الفا وقيل بالعكس ، معجم البلدان ٣ / ٤١٤ ط دار صادر بيروت.

تهيؤ الامام للحرب :

ولما اخفقت جميع الوسائل التي اتخذها الامام من أجل السلم تهيؤ للحرب بعد ما علم أن خصمه قد زحف الى صفين لمناجزته ، وقد استدعى المهاجرين والانصار الذين خفوا لنجدته فقال لهم :

« إنكم ميامين الرأي ، مراجيح الحلم ، مقاويل بالحق ، مباركوا الفعل والامر ، وقد أردنا المسير الى عدونا فاشيروا علينا برأيكم؟ »
فانطلق هاشم بن عتبة فقال له :

« يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جد خبير ، هم لك ولأشياعك أعداء وهم لمن يطلب حرث الدنيا اولياء ، وهم مقاتلوك ومجاهدوك ^(١) لا ييقون جهدا ، مشاحة على الدنيا ، وضنا بما في أيديهم منها وليس لهم إربة غيرها إلا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان بن عفان ، كذبوا ليسوا بدمه يثأرون ، ولكن الدنيا يطلبون فسر بنا إليهم ، فان اجابوا الى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال. وإن أبوا الا الشقاق فذلك الظن بهم والله ما أراهم يبائعون وفيهم أحد ممن يطاع إذا نهي ويسمع إذا أمر .. » ^(٢)

إن هاشما كان خبيرا بنفوس القوم ، وعالما باتجاههم وميولهم فانهم يطلبون حرث الدنيا ، وهم يقاتلون الامام من اجل مطامعهم ، وقد تذرعوا بدم عثمان واتخذوه وسيلة لعصيانهم ، ولا يتركون نفاقهم وغيهم ما دام لهم شاخص يتمتع بالنفوذ والقوة ، فلا بد من مناجزتهم والزحف إليهم للقضاء على غيهم وتمردهم وانبرى غير واحد من اعلام المهاجرين والانصار

(١) وفي رواية ومجادلوك

(٢) وقعة صفين : ص ١٠٣

فاعلموا تأييدهم لمقالة هاشم ، وأظهروا الطاعة والانقياد للإمام ، وقد اتجه بعد ذلك الى الاستعداد للحرب فراسل الوجوه وامراء القبائل وقادة الجنود يستحثهم على نصرته والخروج معه لحرب البغاة ، واستجاب الجميع لنداء الحق واعربوا عن استعدادهم الشامل لنصرته.

خطبة الحسن :

وأخذ الامام الحسن يوقظ الهمم ، ويبعث الحزم والنشاط في النفوس ويحثها على الخروج لحرب معاوية كما فعل ذلك من قبل في معركة الجمل وقد قام خطيبا بين الجماهير يدعوهم الى الجهاد وهذا نص خطابه.

« الحمد لله لا إله غيره ، وحده لا شريك له ، واثني عليه بما هو أهله ، ثم قال :
إن مما عظم الله عليكم من حقه ، وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره ، ولا يؤدي شكره ، ولا يبلغه صفة ولا قول ونحن إنما غضبنا الله ولكم ، فانه منّ علينا بما هو أهله ان نشكر فيه آلاءه وبلائه ونعماءه ، قولا يصعد الى الله فيه الرضا ، وتنتشر فيه عارفة الصدق يصدق الله فيه قولنا ، ونستوجب فيه المزيد من ربنا ، قولا يزيد ولا يبيد ، فانه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد امرهم ، واستحكمت عقدتهم. فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده ، فانه قد حضر. ولا تخاذلوا فان الخذلان يقطع نياط القلوب ، وإن الاقدام على الاسنة نجدة وعصمة لأنه لم يمتنع ^(١) قوم قط الا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوائح ^(٢) الذلة ، وهداهم الى معالم الملة ، ثم انشد.

(١) الامتناع : العزة والقوة.

(٢) الجوائح : . جمع مفردة جائحة . وهي الدواهي والشدائد

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع^(١)
وحفل خطابه البليغ بالدعوة الى الوحدة والتعاون ، وبذل الجهود لمحاربة القوى الباغية ، وقد
استجاب الناس لدعوته فخفوا سراعا لنصرة الحق والدفاع عن الاسلام.

الحسن مع سليمان :

وكان بعض زعماء العراق قد اعتزل معركة الجمل ، ولم يقم بنجدة الامام ومن بينهم سليمان
بن صرد الخزاعي^(٢) وقد وجه الامام امير المؤمنين إليه . بعد انقضاء الحرب . أعنف اللوم والتقريع
فقد قال له :

« أرتبت وتربصت وراوغت ، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي وأسرعهم . فيما أظن . الى
نصري فما قعد بك عن أهل بيت نبيك ، وما زهدك في نصرهم؟؟ »

(١) البيت للعباس بن مرداس السلمى كما في الخزانة (٢ / ٨٢)

(٢) سليمان بن صرد الخزاعي الكوفي كان من ذوى الوجاهة والشرف في قومه ، وقد روى عن النبي وعن امير المؤمنين
والحسن ، وهو احد الذين كتبوا الى سيد الشهداء الامام الحسين (ع) بالقدوم الى الكوفة ، ولما استجاب الامام لندائهم
تخلف سليمان عنه ، وبعد ما روع الاسلام بقتل حفيد الرسول ندم سليمان وجماعة من قومه على عدم قيامهم بنصرته
فهبوا للطلب بثأره ، وساروا حتى التقوا بالاثيم الوغد عبید الله بن زياد في موضع يقال له : « عين الورد » ف وقعت
الحرب بينهم فقتل سليمان ومن معه وذلك في ربيع الآخر سنة خمس وستين ، وكان عمره ثلاثا وتسعين عاما ، تهذيب
التهذيب ٤ / ٢٠٠

وضاق سليمان ذرعا بتأنيب الامام له فقال له :
« يا أمير المؤمنين .. لا تردن الأمور على أعقابها ، ولا تؤنبنني بما مضى منها ، واستبق مودتي
تخلص لك نصيحتي ، وقد بقيت امور تعرف فيها وليك من عدوك .. »
ثم قام مسرعا إلى الامام الحسن ليعرض عليه حديث أبيه فقال له :
« ألا أعجبك من أمير المؤمنين وما لقيت منه من التبكيك والتوبيخ!! » وانطلق الحسن فتكلم
معه برفق ولين ليزيل ما في نفسه من وجد قائلا :
« إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته .. »
ولكن سليمان بقي على ثورته فقد لدعته مرارة العتب والتقريع فقال للامام الحسن :
« إنه بقيت أمور سيستوسق فيها القنا ^(١) ويتنضى فيها السيوف ، ويحتاج فيها الى اشباهي ،
فلا تستغشوا عتي ، ولا تهموا نصيحتي .. »
فهدأ الحسن روعه ، واعرب له عن ثقته به فقال له :
« رحمك الله : ما أنت عندنا بالظنين .. » ^(٢)
وهدأت ثورة سليمان ، وسكن روعه لما قابله الامام الحسن بالرفق وسجاجة الطبع ، وقد
استطاع الحسن أن يزيل ما في نفسه من الموجد ويرجعه الى صفوف المجاهدين.

المسير الى صفين :

ولما توفرت القوى العسكرية للامام تهيأ للخروج الى صفين ، وأمر

(١) الاستيساق : الاجتماع

(٢) وقعة صفين : ص ٩٠ - ١٠

الحارث بن الأعور أن ينادي في الناس بالخروج إلى معسكرهم في النخيلة فنأدى فيهم بذلك فعمت الكوفة بالنفار ، وخرج الامام تحف به صحابة النبي وقد زحفت معه الكتائب كأنها السيل وهي ما بين راكب وراجل ، وهم يعرفون القصد في خروجهم فأنهم خرجوا لنصرة الحق ومحاربة اعداء الاسلام وخصومه.

ولزمت جيوش الامام الفرات في زحفها السريع فلما انتهت الى الانبار استقبلها أهلها ثم جاءوا بهرعون إلى الامام فتنكر منهم وقال لهم :

« ما هذه الدواب التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ .. »

فقالوا وهم يبدون عظيم الولاء ومزيد التكرم.

« يا أمير المؤمنين. أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الامراء وأما هذه البراذين فهدية

لك ، وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاما وهياًنا لدوابكم علفا كثيرا .. »

فجزهم الامام ونهاهم عن ذلك فقال :

« أما هذا الذي زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الامراء ، فو الله ما ينفع هذا الامراء ،

وإنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم ، فلا تعودوا له. وأما دوابكم هذه فان أحببتهم أن

نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم أخذناها منكم. وأما طعامكم الذي صنعتم لنا فانا نكره

أن نأكل من أموالكم شيئاً الا بئمن .. »

هذا هو منطق العدل الذي سار عليه ابن أبي طالب فلم يسمح للمهرجانات ولا لسائر

المظاهر التي اعتادها الملوك والأمرأ لأن فيها جهدا للرعية وتعظيما للامراء وهم في نظر الاسلام لا

ميزة لهم على بقية أفراد الشعب واندفع الانباريون فقالوا له :

« يا أمير المؤمنين نقومه . اي الطعام . ثم نقبل ثمنه »

« لا تقومونه قيمته »

ثم تركهم وانصرف عنهم^(١) وسارت جيوشه تطوى البيداء حتى انتهت الى صفين فانزلها الامام بإزاء اصحاب معاوية.

القتال على الماء :

ولم يجد أصحاب الامام على الفرات شريعة يستقون منها الماء إلا وعليها الحرس الكثير وهم يمانعونهم أشد الممانعة من الوصول إليه فاقبلوا الى الامام يخبرونه بذلك فدعا صعصعة بن صوحان وقال له :

« انت معاوية فقل : إنا سرنا مسيرنا هذا وأنا أكره قتالكم قبل الاعذار إليكم ، وإنك قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالقتال ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ، ونحتج عليك . وهذه اخرى قد فعلتموها ، حتى حلت بين الناس وبين الماء . فخل بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم ، وفيما قدمنا له وقدمتم . وان كان أحب إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا .. »

وانطلق صعصعة الى معاوية فعرض عليه كلام الامام فاستشار اصحابه فقال له الوليد بن عقبة :

« امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان : حصروه اربعين يوما يمنعونهم برد الماء ، ولين الطعام ، اقتلهم عطشا قتلهم الله ... »
وأشار عليه ابن العاص بالسماح لهم ولكن الوليد اعاد مقالته ،

(١) وقعة صفين : ص ١٦٠ / ١٦١

وانبرى عبد الله بن سعد بن أبي سرح فقال له :
« امنعهم الماء الى الليل ، فانهم إن لم يقدرُوا عليه رجعوا ، وكان رجوعهم هزيمتهم . امنعهم
الماء منعهم الله يوم القيامة .. »
فثار صعصعة ولم يسعه السكوت فقال له :
« إنما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شرية الخمر ، ضربك وضرب هذا الفاسق . وأشار الى
الوليد . .. » وتوائبوا عليه يشتمونه ويتهددونه ، فأمرهم معاوية بالكف عنه ، ورجع صعصعة ولم
تنتج سفارته شيئاً ، فخف الى الامام الأشعث بن قيس ^(١) فقال له :
« يا أمير المؤمنين . أئمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا ومعنا السيوف

(١) الاشعث بن قيس الكندي وفد على رسول الله (ص) مع قومه وكان زعيمهم في السنة العاشرة من الهجرة فاسلم
واسلم معه قومه ، ولما توفي النبي ارتد الاشعث عن الاسلام ثم رجع إليه في خلافة ابي بكر ، فوجه ابو بكر اخته أم فروة
بنت ابي قحافة ، وهي أم محمد بن الاشعث ولما مات ابو بكر خرج الاشعث ، مع سعد بن ابي وقاص الى القادسية
والمدائن وجلولاء ونهاوند . وبني له داراً بالكوفة في محلة كندة فنزلها هلك سنة اثنتين واربعين من الهجرة وقبل سنة اربعين
وصلى عليه الامام الحسن الاستيعاب ١ / ١١٠ ، وجاء في شرح النهج ١ / ١٣٠ ان الاشعث طمع بالملك بعد وفاة
النبي فدعا قومه ان يتوجهوا فاجابوه لذلك فحارب المسلمين مع المرتدين حتى حوَصر في حصنه اياماً ولما يئس من الغلبة
استسلم على ان يصابن دمه ودم عشرة من اصحابه فاعطاه المسلمون ذلك ونجا من القتل واسف ابو بكر على عدم قتله
فقال عند احتضاره : وددت اني يوم جيء بالاشعث كنت ضربت عنقه فانه يحيل لي انه لا يرى شراً الا امان عليه .

خل عنا وعن القوم فو الله لا نرجع حتى نرده أو نموت. وممر الاشترا فليعل بخيله فيقف حيث تأمره .. «

فمنحه الامام الأذن ، ولما ظفر الاشعث بذلك رجع الى قومه وهو يهتف بهم :
« من كان يريد الماء او الموت فميعاده الصبح ، فاني ناهض الى الماء .. » .
فأجابه اثنا عشر الفا ، فلما رآهم قام مزهوا يشد عليه لامة حربه وهو يقول :
ميعادنا اليوم بياض الصبح هل يصلح الزاد بغير ملح
لا لا ، ولا أمر بغير نصح دبوا الى القوم بطعن سمح
مثل العزالي بطعان نفح^(١) لا صلح للقوم واين صلحي
حسي من الاقحام قاب رمح

ولما اندلع لسان الصبح دبت جماهير العراقيين الى الاشعث فحمل بهم على أهل الشام وهو يقول لقومه :

« بأبي أنتم وأمي تقدموا قاب رمحي .. »^(٢)
ولم يزل يهتف بقومه ، ويبعث في نفوسهم روح العزم والنشاط حتى خالطوا أهل الشام ،
وصاح بهم الاشعث :
« خلوا عن الماء .. »

(١) العزالي : . جمع عزلاء بالفتح . فم المرادة شبه بما اتساع الطعنة واندفاق الدماء منها ، النفح : الدفع ، وطعنة نفاحة
دفاعه بالدم

(٢) قاب رمحي : اي قدره

فأجابه أبو الأعور السلمي ^(١) : بعدم السماح لهم ، وهجم الاشعث ومن معه على صفوف أهل الشام فار الوهم عن الفرات والحقوا بهم خسائر فادحة في الاموال والنفوس ، ولما ملك العراقيون الفرات سمح الامام لأهل الشام أن يردوا منه ، ولم يكل لهم صاعا بصاع ولم يعمل معهم الا عمل المحسن الكريم.

ايفاد السفراء الى معاوية :

وقبل أن يدق جرس الحرب أوفد الامام رسل السلام الى معاوية كما اوفدهم من قبل في معركة الجمل رجاء في الصلح وحقن الدماء ، والذين بعثهم للقياهم : عدى بن حاتم ، وشبث بن ربعي ، ويزيد بن قيس ، وزباد بن حفصة ، فتكلم معه عدى بن حاتم فقال له :
« أما بعد : فانا أتيناك لندعوك الى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا ويحقن به دماء المسلمين ، وندعوك الى افضلها سابقة واحسنها في الاسلام آثارا ^(٢) وقد اجتمع له الناس ، وقد ارشدهم الله بالذي رأوا ، فلم يبق احد غيرك وغير من معك ، فانت يا معاوية من قبل أن يصيبك الله واصحابك بمثل يوم الجمل .. »

(١) ابو الأعور السلمي : هو عمرو بن سفيان قال ابو حاتم الرازي لا يعد من الصحابة ولا تصح روايته ، شهد حنيئا وهو كافر ثم اسلم ، وكان من اشد الناس على الامام في صفين ، وكان الامام يدعوه عليه في قنوته في صلاة الغداة الاستيعاب ٤ / ١٤

(٢) وجاء في تاريخ الطبري : ان ابن عمك سيد المسلمين افضلها سابقة واحسنها في الاسلام آثارا.

وهي دعوة حق لو وعاهها ابن هند واستجاب لها لحقن دماء المسلمين وجمع كلمتهم ولكنه أثر مصالحه على ذلك فقال لعدي :

« كأنك إنما جئت متهددا ولم تأت مصلحا. هيهات يا عدي. كلا والله لا بن حرب ما يقع لي بالشنان ^(١) أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان ، وانك لمن قتلته ، وإني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله. هيهات يا عدي قد حلبت بالساعد الاشد .. »

لقد اظهر له الغي والتمرد والإيثار للحرب وذلك لما يتمتع به من القوى العسكرية والقدرة على مناجزة الامام وتكلم معه يزيد بن قيس فقال له :

« إنا لم نأتك الا لنبلغك ما بعثنا به إليك ، ولنؤدى عنك ما سمعنا منك ، لن ندع أن ننصح لك ، وأن نذكر ما ظننا أن لنا به عليك حجة او أنه راجع بك الى الالفه والجماعة. إن صاحبنا لمن قد عرفت وعرف المسلمون فضله ، ولا أظنه يخفى عليك : إن أهل الدين والفضل لن يعدلوك بعلي ولن يميلوا بينك وبينه ^(٢) فأتق الله يا معاوية ، ولا تخالف عليا ، فانا والله ما رأينا رجلا قط اعمل بالتقوى ، ولا ازهد في الدنيا ، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه .. »

إن معاوية يعلم فضل أمير المؤمنين ولكن احقاده واطماعه يحولان بينه وبين الحق فأثر حربه ومناجزته فاجاب القوم قائلا :

« أما بعد : فانكم دعوتكم الى الطاعة والجماعة. فأما الجماعة التي

(١) الشنان : جمع شن ، وهو القرية الخلق فقد كانوا يحركونها اذا ارادوا حث الابل على المسير.

(٢) التميل بين الشيعةين الترجيح بينهما.

دعوتهم إليها فنعمما هي. وأما الطاعة لصاحبكم فانا لا نراها. إن صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرق
جماعتنا ، وآوى ثأرنا ، وقتلتنا ، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله فنحن لا نرد ذلك عليه ، رأيتم قتلة
صاحبنا؟ أستم تعلمون انهم أصحاب صاحبكم؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ونحن نجيبكم الى
الطاعة والجماعة .. »

وحفل كلام ابن هند بالاكاذيب والاغاليط فقد أتهم الامام بقتل عثمان وهو يعلم ببراءته منه
، فقد قتله خيار المسلمين لما انحرف عن الحق وغير كتاب الله . كما ذكرنا ذلك عند عرض احداثه
. وقد انبرى إليه شبث بن ربعي ^(١)
فقال له :

« أيسرك بالله يا معاوية إن أمكنت من عمار بن ياسر فقتلته؟ »
وقد عرض شبث لمعاوية اعظم شخصية اسلامية ثارت على عثمان وهو عمار بن ياسر فهل
يقتص منه إن ظفر به ، فقال له معاوية.
« وما يمنعني من ذلك؟ والله لو امكنني صاحبكم من ابن سمية ما قتلت به عثمان ، ولكن كنت
اقتله بنائل مولى عثمان بن عفان .. »
وما الذي يمنع معاوية من قتل عمار لو ظفر به في سبيل الملك والبغي على الاسلام ، وثار
شبث حينما سمع مقالته فقال له :
« لا والله الذي لا إله إلا هو لا تصل الى قتل ابن ياسر حتى تنذر

(١) شبث بن ربعي التميمي كان مؤذنا لسجاح التي ادعت النبوة ثم اسلم ، وصار من اصحاب امير المؤمنين ، ثم صار
مع الخوارج ثم تاب عن ذلك ، وكان هذا الاثيم ممن اشترك في قتل سيد الشهداء ، هلك في حدود السبعين من الهجرة ،
الاصابة ٢ / ١٦٣

الهام عن كواهل الرجال ، وتضييق الأرض الفضاء عليك برحبها .. »
ورجع القوم وهم خائفون في سفارتهم لم يستجب لهم معاوية فقد رأوا أنه مصمم على الحرب
وممن في البغي والتمرد فجعلوا يدعون الناس للحرب ، ويجرضونهم على مناجزة معاوية.

اعلان الحرب :

ولما اخفقت جميع الوسائل التي اتخذها الامام من أجل السلم تهيأ للحرب ، وقد اصدر تعاليمه
الى عموم جيشه وقد جاء فيها :

« لا تقتلوهم حتى يقتلوكم ، فانتم بحمد الله على حجة ، وترككم قتالهم حجة اخرى ، فاذا
هزمتهم فلا تقتلوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، فاذا
وصلتم الى رجال القوم فلا تهتكوا سترا ، ولا تدخلوا دارا إلا بأذني ، ولا تأخذوا شيئا من أموالهم
إلا ما وجدت في معسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة وإن شتمت أعراضكم ، وتناولن امراءكم وصلحاءكم
فانهن ضعاف القوى والانفس والعقول .. »

هذه خطته التي رسمها لجيشه وهي تمثل ما يكنه في نفسه من الرحمة والرأفة وحب الخير حتى
لاعدائه ومناوئيه.

وعقد الامام الالوية ، وأمر الأمراء فاستعمل على الخيل عمار بن ياسر ، وعلى الرجالة عبد
الله بن بديل ، ودفع اللواء الى هاشم المرقال ، وجعل على الميمنة الاشعث بن قيس وعلى الميسرة
عبد الله بن عباس ، وعقد ألوية القبائل فاعطاها لأعيانهم ، وكذلك عبأ معاوية أصحابه على
راياتهم فاستعمل عبيد الله بن عمر على الخيل ، وعلى الرجالة مسلم بن عقبة المري

وعلى الميمنة عبيد الله بن عمرو بن العاص وعلى الميسرة حبيب بن مسلم الفهري ، واعطى اللواء عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وجعل على اهل دمشق الضحاك بن قيس الفهري .
وجعلت كتائب من جيش الامام نخرج الى فرق اهل الشام فيقتتل الفريقان نهارا كاملا أو طرفا منه ، ولم يرغب الامام في أن تقع حرب عامة بين الفريقين رجاء أن يجيب خصمه الى الصلح ، ويشوب الى الرشاد ، ودام على هذا الحال حفنة من الايام حتى أطل شهر المحرم وهو من الاشهر التي يحرم القتال فيها في الجاهلية والاسلام فتركوا القتال فيه ، وتوادعوا شهرهم كله وأتيح للقوم أن يلتقوا فيه آمنين من دون أن تقع بينهم أي حرب ولكن كان بينهم أعنف الجدل واشد الخصام يدعوا العراقيون اهل الشام الى جمع الكلمة وإلى العمل بكتاب الله ومبايعة وصي رسول الله (ص) ويدعوهم اهل الشام الى الطلب بدم عثمان ورفض بيعه الامام ، ولما انقضى شهر المحرم مضى القوم على حريهم كما كانوا قبله ، وجعل مالك الاشتر ينظر الى رايات اهل الشام ويتأملها فاذا هي رايات المشركين التي خرجت لحرب رسول الله (ص) فاندفع يخاطب قومه قائلا :
« أكثر ما معكم رايات كانت مع رسول الله ، ومع معاوية رايات كانت مع المشركين على عهد رسول الله فما يشك في قتال هؤلاء الا ميت القلب .. »

واندفع عمار بن ياسر فجعل يبين للمسلمين واقع معاوية ويجرضهم على قتاله قائلا :
« يا اهل الاسلام ^(١) أتريدون أن تنظروا الى من عادى الله ورسوله

(١) وفي رواية يا اهل الشام

وجاهدتهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين ، فلما أراد الله أن يظهر دينه ، وينصر رسوله أتى النبي فأسلم وهو والله فيما يرى راهب غير راغب وقبض الله رسوله وإنا والله لنعرفه بعداوة المسلم ومودة الجرم ، الا وانه معاوية فالعنوه لعنه الله ، وقتلوه فانه ممن يطفئ نور الله ويظهر اعداء الله .. »

إن معاوية قبل أن يسلم قد عادى الله ورسوله ، وبغى على المسلمين وما اسلم الا خوفا من حد السيوف التي أخذت اسرته ، وقد اضمرك الشوك والنفاق والبغى على الاسلام والمسلمين فلما وجد أعوانا نهض بهم لمحاربة أخي رسول الله وباب مدينة علمه.

الحسن مع عبيد الله

وحاول معاوية أن يلعب دورا مع الامام الحسن فبعث إليه عبيد الله ابن عمر^(١) يمنيه بالخلافة ويخذه حتى يترك أباه فانطلق عبيد الله فقال له :

. لي إليك حاجة

. نعم .. ما تريد؟

. إن أباك قد وتر قريشا أولا وآخرا ، وقد شئتوه فهل لك ان تخلعه ونوليك هذا الامر؟ نعم ان الامام قد وترهم ولكن في سبيل الاسلام فقد حاولوا لف لوائه ، فناجزهم الامام فقتل جبابرتهم ، وأباد طغاتهم

(١) عبيد الله بن عمر بن الخطاب ولد على عهد رسول الله ولم يرو عنه شيئا ، وهو الذي قتل الهرمزان وجفينة وقد توعدده الامام باقامة الحد عليه ان ظفر به ، التحق بمعاوية في صفين ، وخرج في بعض ايامها وعليه جبة خز وسواك وهو يقول : « سيعلم علي غدا اذا التقينا » فقال الامام دعوه فانما دمه دم بعوضة ، وقد قتل بصفين ، الاستيعاب ٢ /

وهزم جموعهم ، وهم من أجل ذلك يحملون له حقدا وعداء ، ولما سمع الامام مقالته صاح به وقد لدعته عقرب الخيانة فقال له :

« كلا والله لا يكون ذلك!! »

والقى الامام الحسن عليه نظرة غضب واستياء ، وأخبره انه سيلاقي حتفه عما قليل فقال له :
« لكأني انظر إليك مقتولا في يومك أو غدك. أما ان الشيطان قد زين لك ، وخدعك حتى اخرجك مخلقا بالخلق^(١) ترى نساء أهل الشام موقفك ، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلا .. »

ورجع عبيد الله الى معاوية وهو خائب حسير وقد اخفق في مهمته وأخبره بحديث الامام فقال معاوية متبها :
« انه ابن أبيه!! »^(٢)

وخرج عبيد الله في ذلك اليوم الى ساحة الحرب يقاتل مع الجبهة المعادية للاسلام فلاقى حتفه سريعا على يد فذ نبيل من همدان ، واجتاز الامام الحسن في ساحة المعركة فرأى رجلا قد توسد رجلا قتيلا وقد ركز رمحه في عينه وربط فرسه في رجله ، فقال الحسن لمن حوله : انظروا من هذا؟ فأخبروه أن الرجل من همدان ، وان القتيل عبيد الله بن عمر ، فسر بذلك وقال مبتهجا : الحمد لله على ذلك^(٣) وقد قضى عبيد الله نهايته الأخيرة وهو معاد لله ورسوله ، وباغ على الاسلام ، وخارج على امام المسلمين.

(١) الخلق : الطيب

(٢) البحار

(٣) وقعة صفين : ص ٣٣٤

الحرب العامة :

واستمرت المناوشات بين الفريقين أمدا غير يسير من دون أن تقع بينهما حرب عامة ، وقد سئم كل منهما هذه المطاولة التي لم تكن تجدي شيئا فانه لم يكن هناك أي أمل في الاصلاح والوثام وجمع الكلمة ، وإنما كانت هذه المطاولة تزيد الفتنة امتداد والشر انتشارا ، فلما رأى الامام ذلك عبأ أصحابه وتهيأ للحرب العامة ، ولما رأى معاوية ذلك فعل مثل فعله ، والتقى كل منهما بالآخر ، وبادر الحسن ليحمل على صفوف أهل الشام فلما بصر به الامام ذهل وأريع وقال لمن حوله :

« املكوا عني هذا الغلام لا يهديني ^(١) فاني أنفس ^(٢) بهذين . يعني الحسن والحسين . لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله .. ^(٣) »

واستعرت نار الحرب ، واشتد أوارها حتى جفل الناس وخيم عليهم الذعر والموت ، وقد انكشفت ميمنة الامام ، وتضعضع قلب الجيش وبدت الهزيمة فيه فدعا سهل بن حنيف فلما مثل بين يديه أمره أن يلتحق بمن معه في الميمنة ، فامثثل ما أمر به فحملت عليهم جيوش أهل الشام فكشفتهم ورجعوا منهزمين الى الميسرة ، وانكشفت عن الميسرة مضر وثبتت ربيعة فيها ، وإن قائلهم ليقول : « يا معشر ربيعة ، لا عذر لكم بعد اليوم عند العرب إن أصيب أمير المؤمنين وهو فيكم. »

تحالفت ربيعة على الموت وثبتت في الميدان وهي رابطة الجاش لا تبالى

(١) يهديني : اي يهلكني.

(٢) انفس : اخل.

(٣) نصح البلاغة محمد عبده ٢ / ٢١٢

بالحمام قد أخذت على عاتقها أن تقوم بنصرة الحق وتفدى ارواحها للامام وكان الامام معهم يحمل على أعدائه وقد مطرت عليه سهام القوم ، وكان ابناؤه يقونه بأنفسهم ولم يفارقه أحد منهم ، وبصر به حين اشتباك الأسنة مولى لبني أمية يدعى بأحمر بن كيسان فجاء كالكلب نحو الامام وهو يقسم على قتل الامام قائلا :

« ورب الكعبة قتلتني الله ان لم أقتلك أو تقتلني »

فانبرى إليه مولى للامام يدعى بكيسان فبدر إليه الكلب المهاجم فأرداه صريعا على الارض يتخبط بدمه ، وجعل الخبيث يشند نحو الامام فتناوله الامام بيده وحمله على عاتقه ثم ضرب به الارض فكسر منكبه وعضديه وشد عليه الحسين ومحمد فقتلاه.

ودنا الامام من جموع اهل الشام فخاف الحسن أن يغتال العدو أباه فقال له :
« لو سعت حتى تنتهي الى هؤلاء الذين قد صبروا لعدوك (يعني بهم ربيعة) من اصحابك.

«

وعرف الامام مغزى كلام الحسن فقال له برفق ولين :

« يا بني .. إن لأبيك يوما لن يعدوه ولا يبطئ به عنه السعي ولا يعجل به إليه المشي ، ان اباك والله ما يبالي أوقع على الموت أو وقع الموت عليه. »
واقبل الأشتر يركض وهو مذهول اللب مندهش الفكر لما انهزم الكتائب وولت على اعقابها خوفا من الموت ، فلما بصر الامام به قال له :

. يا مالك.

. لييك.

- ائت هؤلاء القوم فقل لهم : اين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه الى الحياة التي لا تبقى لكم.

مضى الاشر الى المنهزمين فالقى عليهم رسالة الامام فهدأ روعهم ثم قال معرفا لهم بشخصيته.

. أنا مالك بن الحارث. أنا مالك بن الحارث.

وخطر له أن هذا الاسم غير كاف لهم في تعريفه فقال معرفا نفسه بما اشتهر به.

. أنا الأشتر.

فبادرت فصيلة من الناس إليه فهتف فيهم بنبرات تقطر حماسا وعزما قائلا :

« أيها الناس. عضضتم بهن آباءكم ، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم. »

ثم هتف ثانيا قائلا :

« أخلصوا لي مذحجا. »

فأنبرت إليه مذحج. فقال لها :

« عضضتم بصم الجندل ، ما ارضيتكم ريكم ولا نصحتكم له في عدوكم وكيف بذلك وانتم ابناء الحروب ، واصحاب الغارات ، وفتيان الصباح ، وفرسان الطراد ، وحتوف الأقران ، ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم ولا تطل دماؤهم ، ولا يعرفون في موطن بخسف ، وأنتم حد أهل مصركم واعد حي في قومكم ، وما تفعلون في هذا اليوم فانه ماثور بعد اليوم ، فاتقوا ماثور الاحاديث في غد ، واصدقوا عدوكم اللقاء فان الله مع الصادقين ، والذي نفس مالك بيده ما من هؤلاء (وأشار لأهل الشام) رجل على مثال جناح بعوضة من محمد (ص) أنتم ما احسنتم

القراع ، اجلوا سواد وجهي دمي ، عليكم بهذا السواد الأعظم ، فان الله عز وجل ، لو قد فضه تبعه من بجانبه كما يتبع مؤخر السيل مقدمه! »

لقد هيمن الزعيم مالك على النفوس واستولى عليها بخطابه الحماسي الرائع فقد بعث روح العزم والنشاط في نفوس الجيش. وتعالّت الاصوات من كل جانب تعرب له الطاعة والانقياد. . خذ . حيث احببت .

وسارعوا إليه يتسابقون نحو الموت صامدين امام العدو ، وكانت كتائب من همدان قد أبيد فريق من زعمائها وقوادها الباسلين في المعركة وكان آخر من أخذ اللواء بيده وهب بن كريب فبادر إليه جمع من احبائه قائلين له :
« رحمك الله قد قتل أشرف قومك حولها . اي حول الراية . فلا تقتل نفسك ولا من بقى من قومك. »

انصرف وهب ومن معه عن ساحة الحرب وهم يطلبون فئة قوية ينضمون إليها وهتفوا امام الجموع بما يرومونه قائلين :
« ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل أو نظفر. »

واجتازوا على الاشر فسمع نداءهم ، فرحب بفكرتهم وقال لهم.
« أنا أحالفكم واعاقدكم على ان لا نرجع ابدا حتى نظفر أو نهلك » وابتهجوا بكلام الاشر وانضمونا تحت لوائه ، وفي فعلهم هذا يقول كعب بن جعيل : « وحمدان زرق تبتغي من تحالف »
وهجم الأشر بمن معه من البهاليل على جموع أهل الشام فكانوا أمام بواترهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، وظهر الضعف في

جيش معاوية وكاد اصحاب معاوية يبلغون فسطاطه وهم معاوية بالفرار لو لا أن ذكر قول ابن الاطنابة :

أبـت لى عـفـتي وحياء نفسي وإقـدامي على البطل المشـيح
وإعطائي على المكروه مالي واخذى الحمد بالثمن الريح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
فردده ذلك الشعر الى الصبر والثبات كما كان يتحدث بذلك ايام العافية.

مصـرع عمار :

ولما رأى الصحابي العظيم عمار بن ياسر الرؤوس تتساقط ، والارض قد صبغت بالدماء أخذ يناجي نفسه قائلاً :

« صدق رسول الله (ص) هؤلاء القاسطون ، إنه اليوم الذي وعدني فيه رسول الله ، إني قد أريت على التسعين فما ذا انتظر؟! رحماك ربي قد اشتقت الى إخواني الذين سبقوني بالايمان إليك .. سأمشي الى لقاء ربي مجاهدا أعداءه بين يدي وليه ووصيي رسوله وخليفته من بعده ، فاني أراه اليوم الذي وعدني به رسول الله (ص) ... »

وأطال النظر في رايات معاوية فانطلق يقول : « إن مراكزنا على مراكز رايات رسول الله يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين ، وإن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الاحزاب .. »^(١)
وتمثلت أمامه في ذلك اليوم صفحات من تأريخه البعيد والقريب ، فعرضت له صورة أبويه ياسر وسمية وهما يعذبان أعنف التعذيب وأمره

(١) شرح ابن ابى الحديد ١ / ٥٠٦

وهو شاب معهما يلاقى ما لاقياه من الارهاق على يد جبابرة قريش ففاضت روح أبويه ، وأفلت هو من التعذيب ، وتذكر ما عناه في شيخوخته من عثمان من التنكيل والتعذيب كل ذلك في سبيل مبدئه وعقيدته ، وقد اودعت هذه الذكريات في نفسه شوقا عارما الى ملاقاته الله فانفجر في البكاء وأخذ يناجي الله قائلا :

« اللهم انك تعلم. أني لو أعلم أن رضاك ان اضع ظبة سيفي ^(١) في صدري ثم انحنى عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت ، ولو اعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت ، ولو اعلم أن رضاك أن أرمى بنفسي من هذا الجبل فاتردى واسقط فعلت ، وإني لا اعلم اليوم عملا هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم من الاعمال هو أرضى لك منه لفعلته. »

ثم انعطف الى أمير المؤمنين ودموعه تتبلور على كرمته الشريفة فلما رآه الامام قام إليه وعانقه واحتفى به فالتفت الى الامام.

. يا أخا رسول الله أتأذن لي في القتال؟

فقد قلب الامام وأريع من كلامه لانه ساعده الذي به يصول فقال له بصوت راعش النبرات.
مهلا يرحمك الله!

انصرف عمار فلم يلبث الا قليلا حتى عرضت له تلك الذكريات فحفزته الى لقاء الله فرجع الى الامام قائلا :

. أتأذن لي في القتال؟

. مهلا يرحمك الله

(١) الظبة : حد السيف او السنان جمع ظبات

ومضى فلم يحكث الا برهة حتى عاوده الشوق الى لقاء احبائه الذين سبقوه الى الايمان فكر
راجعا الى الامام فقال له :

« أتأذن لي بالقتال؟ فاني أراه اليوم الذي وصفه رسول الله (ص) وقد اشتقت الى لقاء ربي
والى اخواني الذين سبقوني. »

فلم يجد الامام بدا من اجابته فقام إليه وعانقه وقد ذابت نفسه اسى وحسرات وقال له :

« يا أبا اليقظان. جزاك الله عنى وعن نبيك خيرا فنعم الاخ كنت ونعم الصاحب. »

واجهش الامام بالبكاء وبكى عمار لبكائه وقال له :

« والله يا أمير المؤمنين ما تبعتك الا ببصيرة فاني سمعت رسول الله يقول يوم حنين : « يا
عمار ستكون بعدي فتنة فاذا كان كذلك فاتبع عليا وحزبه ، فانه مع الحق والحق معه ، وسيقاتل
بعدي الناكثين والقاسطين » فجزاك الله يا أمير المؤمنين عن الاسلام أفضل الجزاء فلقد أديت ،
وبلغت ونصحت .. »

ثم تقدم عمار الى ساحة الشرف وميدان القتال وهو جذلان مسرور بملاقة الله وقد استرد قوته
ونشاطه ، وارتفع صوته عاليا وهو يقول :

« الجنة تحت ظلال العوالي ، اليوم القى الأحبة محمدا وحزبه .. »

وتبعه المهاجرون والانصار والشباب المؤمن فانعطف بهم الى القائد العام هاشم بن عتبة المرقال
(١) فطلب منه أن يتولى القيادة فاجابه إلى

(١) هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الزهري القرشي يكنى ابا عمرو ويعرف بالمرقال اسلم يوم فتح مكة ، كان من ذوي
الفضيلة والدين وفي طليعة شجعان العرب فقتت عينه في واقعة اليرموك بالشام ، وهو الفاتح لجلولاء

ذلك وحمل هاشم فجعل عمار يحثه على الهجوم وهو يقول له :

« احمل فذاك أبي وأمي .. »

وجعل هاشم يزحف باللواء زحفا فضاق على عمار ذلك لأنه في شوق عارم لملاقاة الله

والوفود على حبيبه محمد فوجه لهاشم اعنف التقريع قائلا له :

« يا هاشم. أعور وجبان؟ »

وثقل على هاشم هذا العتاب المر فقال له :

« رحمك الله يا عمار. إنك رجل تأخذك خفة في الحرب ، وإني إنما أزحف باللواء زحفا أرجو

أن أنال بذلك حاجتي ، وإني إن خففت لم آمن الهلكة. »

وما زال عمار بهاشم يحرضه ، ويحثه على الهجوم حتى حمل وهو يرتجز :

قد أكثروا لومي وما أقلا إني شرير النفس لن اعتلا

أعور يغى نفسه محلا لا بد أن يفل أو يفللا

قد عالج الحياة حتى ملا أشدهم بذى الكعوب شلا

فجال هاشم في ميد القتال ، وعمار يقاتل معه فنظر الى راية ابن العاص فجعل يقول :

من بلاد الفرس ، وكانت جلولاء تسمى فتح الفتوح بلغت غنائمها ثمانية عشر الف الف ، كان على الرحالة في واقعة صفين فقطعت رجله فجعل يقاتل كل من دنا إليه وهو بارك وهو يقول : « الفحل يحمى شوله معقولا » وفيه يقول ابو الطفيل عامر بن وائلة :

يا هاشم الخير جزيت الجنة قاتلت في الله عـدو السـنة

اسد الغابة ٥ / ٤٩

« والله إن هذه الراية قاتلتها ثلاث عركات وما هذه بأرشدهن. »

وجعل يقاتل أشد القتاتل وهو موفور النشاط خفيف الحركة وهو يرتجز ويقول :

نحن ضربناكم على تنزيله واليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق الى سبيله

لقد قاتل عمار قريشا مع النبي على الاقرار بكلمة التوحيد واليوم يقاتلهم على الايمان بما في القرآن وعلى التصديق بما جاء به الاسلام.

وبعد كفاح رهيب سقط عمار الى الارض صريعا قد قتله الفئة الباغية ^(١) التي طبع على قلوبها بالزيغ ، ونسيت ذكر الله فسبحت في ظلام قائم ، ولما أذيع خبر مقتله انهد ركن الامام ، واحاطت به موجات وموجات من الهموم والأحزان لأنه فقد بمقتله كوكبة من الاعوان والانصار ومشى لمصرعه حزينا باكيا تحف به قواد الجيش وأمراء القبائل والبقية الصالحة من المهاجرين والانصار ، وهم يهرقون الدموع وعلا منهم النحيب والبكاء ، ووقف الامام عليه فلما رآه صريعا متخبطا بدمه انهارت قواه وجعل يؤبنه بكلمات تنم عن قلب موجد قائلا :

« إن امراً من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر ، وتدخل عليه المصيبة الموجهة لغير رشيد. رحم الله عمارا يوم اسلم ، ورحم الله عمارا يوم قتل ، ورحم الله عمارا يوم يبعث حيا. لقد رأيت عمارا وما

(١) قتله ابو العادية وكان يدخل على معاوية فيقول لحاجبه قاتل عمار بالباب فيأذن له ، اسد الغابة ٥ / ٢٦٧ واثر عن النبي انه قال : لو ان عمارا قتله اهل الارض لدخلوا النار.

يذكر من أصحاب رسول الله أربعة الا كان رابعا ، ولا خمسة إلا كان خامسا. وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله يشك أن عمارا قد وجبت له الجنة في غير موطن ولا اثنين. فهنيئا لعمار بالجنة .. »

وأخذ الامام رأس عمار ووضعه في حجره وجعل ينظم ذوب الحشا وهو يقول :
ألا أيها الموت الذي ليس تاركي أرحنى فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيرا بالذين أحبهم كأنك تسعى نحوهم بدليل
ووقف الامام الحسن واجما مستعبرا عند مصرع الشهيد العظيم الذي ساهم في بناء الاسلام فأخذ يتلو على المسلمين ما سمعه من جده النبي (ص) في فضله والاشادة بعظيم منزلته فقال (ع)
: ان رسول الله (ص) قال لأصحابه : « ابنوا لى عريشا كعريش موسى » وجعل يتناول اللبن من قومه ، وهو يقول : اللهم لا خير الا خير الآخرة ، فاغفر للانصار والمهاجرة ، وجعل يتناول اللبن من عمار ، وهو يقول : ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية.

وقال : إن جدى قال إن الجنة لتشتاق الى ثلاثة علي وعمار وسلمان « ولما اذيع خبر مقتله حدثت الفتنة والانشقاق في صفوف أهل الشام فقد سمعوا ممن سمع من رسول الله أنه قال : في عمار تقتله الفئة الباغية وقد حدثهم بذلك عمرو بن العاص ، وقد اتضح لهم بعد مقتله أنهم هم الفئة الباغية التي عناها الرسول ، ولكن ابن العاص قد استطاع بمكره وأكاذيبه أن يزيل ذلك ، ويرجع الحياة الى مجراها الطبيعي ، فقد القى المسؤولية على الامام زاعما انه هو الذي أخرجه وقتله ، واذعن جهال أهل الشام ، وصدقوا مقالته وراحوا يهتفون.

وثقل على أمير المؤمنين مقتل عمار ، وأحاطت به المآسي والشجون ، فهتف بريعة وهمدان ، فاستجابوا له فقال لهم :

فأجابه اثنا عشر الفا منهم فحمل بهم وهو هائج غضبان ، فلم يبق صف لأهل الشام الا انتقض ، وأبادوا كل فصيلة انتهوا إليها حتى قربوا من فسطاط معاوية ، وكان الامام يرتجز ويقول في رجزه :

علام يقتل الناس بيننا؟ هلم احاكمك الى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الامور. »
فانبرى ابن العاص الى معاوية مستهزئاً به قائلاً :

. وما يجمل بك الا مبارزته

واستمر القتال عنيفا بين الفريقين وهم ماضون في الحرب لا يرجون ولا يستريحون ، وقد بان الضعف في جيش معاوية ، وتحطمت جميع كتائبه وتفللت جميع قواه حتى همّ بالفرار والانحزام.

१०७

رفع المصاحف :

ولما رأى معاوية بسالة جيش الامام وخور جيشه ، وعجزه عن المقاومة ونهاية أمره دعا وزيره الماكر عمرو بن العاص وقد مشت الرعدة باوصاله وخيم عليه الخوف فقال له :
« إنما هي الليلة حتى يغدو علينا بالفيصل ، فما ترى؟. »

وقد اعرب عن قرب نهايته وعدم قدرته على مقاومة جيش الامام فقال له ابن العاص :
« أرى رجالك لا يقومون برجاله ، ولست مثله فهو يقاتلك على امر وأنت تقاتله على أمر آخر ، إن أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم ، وأهل الشام لا يخافون من على إن ظفر بهم .. »

لقد حدد ابن العاص النزاع القائم بين الامام ومعاوية فالامام يقاتله من اجل الاسلام والذب عن مثله ومعاوية يقاتله من اجل الملك والسلطان فكل واحد منهما يقاتل على امر لا ينشده الآخر ، وقد اعرب له عن السر في بسالة جيش الامام وخور جيشه فجيش الامام يدافع عن كرامته وحياته لأنه على علم بنفسية معاوية واتجاهه ان تغلب عليهم فانه ينكل بهم ويصب عليهم وابلا من العذاب الأليم فلذلك كان جادا في حربه وأما جيشه فانه يعرف اتجاه الامام إن ظفر بهم فانه يقابلهم بالمعروف والاحسان وقد سمعوا عن عفوه واحسانه حينما ظفر بخصومه في واقعة الجمل. فجيش الامام لا بد أن يحوز النصر والظفر ، وقد ادلى له ابن العاص بفكرة كانت هي السبب في تغلبه على الأحداث والسبب في تدمير جيش الامام فقال له :

« الق إليهم أمرا إن قبلوه اختلفوا ، وإن ردوه اختلفوا ، ادعهم إلى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم ، فانك بالغ حاجتك في القوم فاني لم أزل أؤخر هذا الأمر لحاجتك إليه .. »
ورأى معاوية الصواب في رأي ابن العاص فبادره بالتصديق والاجابة وأمر بالوقت أن ترفع المصاحف فرفعت زهاء خمس مائة مصحف على الرماح ، وارتفعت الصيحة من أهل الشام وهم يهتفون بلهجة واحدة قائلين :

« هذا كتاب الله بيننا وبينكم من فاتحته الى خاتمته ، من لثغور أهل الشام بعد أهل الشام؟ ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟ ومن لجهاد الروم؟ ومن للترك؟ ومن للكفار؟ .. »
لقد رفعوا المصاحف حيلة ومكرا ، وتذرعوا بها لحقن دمائهم فانهم من دون شك لا يؤمنون بما فيها ولا يحزنون على مصير الاسلام والمسلمين ولا يرجون الله وقارا ، ولا يهمهم سوى الحكم والسلطان ، ولو كان في نفوسهم بصيص من نور الاسلام لما فتحوا باب الحرب على وصيي رسول الله وأراقوا دماء المسلمين بغير حق.

الفتنة الكبرى :

إن من أبشع المهازل وأسوئها في التاريخ الانساني هي حيلة رفع المصاحف فقد افتتن بها الجيش العراقي ، وانقلب رأسا على عقب. فاذا بهم يخلعون الطاعة ويعلنون العصيان والتمرد من دون تفكير ولا تدبر وهم قد أشرفوا على الفتح والظفر بعدوهم الذي أراق سيلا عارما من دمائهم.

يا للمصيبة والأسف لقد استعلى الباطل على الحق باسم الحق ، فقد عملت مكيدة ابن العاص عملها الفظيع في قلب حكومة العدل والمساواة فقد اندفعت كتائب منهم كالسيل فأحاطوا بالامام مرغمية على الاذعان والخضوع لدعوة معاوية وهم يهتفون بلسان واحد.

« لقد اعطاك معاوية الحق ، دعاك الى كتاب الله فاقبل منه!! »

وكان في طليعة المهاتفين بدعوة التحكيم الأشعث بن قيس الذي كان سوسة تنخر في المعسكر العراقي ، وأداة للشعب والتمرد ، أما بواعث ذلك فانه كانت له رئاسة كندة وربيعة وقد عزله الامام عنها وجعلها لحسان ابن مخدوج ، وتكلم جماعة مع الامام في ارجاعه وعدم عزله فابى^(١) وقد أثار ذلك كوامن الحقد في نفسه على الامام وجعلته يتطلب الفرصة المواتية للانتقام وقد وجدها في تلك الفترة الرهيبة ، ومن الخطأ أن يقال إنه انخدع بدعوة معاوية فانه ليس من السذج والبسطاء حتى يخفى عليه الامر وعلى أي حال فقد جاء يشتد كأنه الكلب نحو الامام وهو يقول :

« ما أرى الناس إلا قد رضوا ، وسرهم أن يجيبوا القوم الى ما دعوهم إليه من حكم القرآن فان شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد؟ فنظرت ما يسأل. »

وأخذ يلح على الامام بان يوفده الى معاوية فامتنع من اجابته ولكنه اصر عليه اصرارا شديدا فلم يجد «ع» بدا من اجابته ، فمضى وهو يحمل شارات الشر والشقاء ، فقال لمعاوية :

« لأي شيء رفعتكم هذه المصاحف؟ »

فأجابه معاوية بالخداع والأباطيل قائلا :

(١) وقعة صفين : ص ١٥٣

« لنرجع نحن وأنتم إلى أمر الله عز وجل في كتابه ، تبعثون منكم رجلا ترضون به ونبعث منا رجلا ، ثم نأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله لا يعدوانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه. »
وانبرى مصدقا لمقالة معاوية :

« هذا هو الحق. »

وأغلب الظن ان معاوية مناه وارشاه لأنه كان يعلم بانحرافه عن أمير المؤمنين ، وقد استجاب لدعوته وقفل راجعا الى الامام وهو ينادي بالتحكيم ، فقال الامام (ع) له ولغيره من المعاندين الذين لا يجدون لذة سوى العناد والتمرد :

« عباد الله ، إني أحق من أجاب إلى كتاب الله ، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إني أعرف بهم منكم ، صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال ، إنها كلمة حق يراد بها باطل. إنهم يعرفونها ولا يعملون بها ، وما رفعوها لكم إلا خديعة ومكيدة ، اعبروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة ، فقد بلغ الحق مقطعه ، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا. ».

لقد اعرب (ع) في كلامه كذب ما يدعيه معاوية من الانقياد إلى كتاب الله ، وأبان لهم عن غيهم وتمردهم عن الدين فهو أدري بهم من غيره ، ولكن ذلك المجتمع الهزيل لم يذعن لكلام الامام واعار حديثه أذنا صماء ، فقد انبرى إليه زهاء أثنى عشر الفا من الذين يظهرون القداسة والدين وهم لا يفهمون منهما شيئا فخاطبوه باسمه الصريح منذرين ومتوعدين إن لم يخضع لما يرومونه قائلين :

« يا علي .. أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه ، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان ، فو الله لنفعلنها إن لم تجبهم. »

فأجابهم ٧

« ويحكم ، أنا أول من دعا الى كتاب الله ، وأول من أجاب إليه وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله ، إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن ، فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم ، ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ، ولكن قد اعلمتكم أنهم قد كادوكم ، وأنهم ليسوا بالعمل بالقرآن يريدون. »

وكلما حاول الامام إقناعهم وإفهامهم بشتى الاساليب بأنها خديعة بعد فشلهم وعجزهم عن المقاومة فلم يتمكن ، وأخذوا يصرون عليه بأن يأمر قائده الأشتر بالانسحاب عن ساحة الحرب. ورأى الامام الشرفي وجوهمهم وقد اجمعوا على مناجزته واحاطوا به مهددين ومنذرين فلم يجد (ع) بدا من إجابتهم فانفذ بالوقت الى الأشتر يزيد بن هانئ يأمره بالانسحاب عن الحرب ، فلما انتهى الرسول الى الاشترا وبلغه رسالة الامام ، انبرى الأشتر قائلاً مقالة رجل تهمه مصلحة الأمة والنفع العام.

« قل لسيدى : ليست هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقعي ، إني قد رجوت الله أن يفتح لي فلا تعجلني. »

رجع الرسول الى الامام فأخبره بمقالة الحازم اليقظ ، وكانت إمارة الفتح والظفر قد بدت على يده وأوشك أن ينتهى الأمر ، وارتفعت الأصوات من كتائب جيشه معلنة بالفتح المبين ، فلما سمع هؤلاء المتمردون ذلك أحاطوا بالامام قائلين له :

والله ما نراك إلا امرته أن يقاتل.
- أرايتموني ساررت رسولى (إليه)؟ أليس إنما كلمته على رءوسكم علانية وانتم تسمعون.
فانطلقوا يهتفون بلسان واحد :
فابعث إليه فليأتيك ، وإلا فوالله اعتزلناك.
فأربع الامام منهم وقد أوشكوا أن يفتكوا به فقال (ع) :
« ويحك يا يزيد ، قل له : اقبل إلى ، فان الفتنة قد وقعت!! »
فانطلق يزيد مسرعا إلى الأشر فقال له :
« أقبل إلى أمير المؤمنين ، فان الفتنة قد وقعت. »
فقد قلب الأشر فقال ليزيد والذهول باد عليه مستفهما عن مدرك هذه الفتنة والانقلاب
الذي وقع في الجيش :
الرفع هذه المصاحف؟
- نعم.
وقال الأشر مصدقا تنبؤ نفسه وحدها في وقوع هذا الانقلاب : « أما والله لقد ظننت أنها
حين رفعت ستوقع اختلافا وفرقة ، إنها مشورة ابن العاهرة ، ثم التففت الى الرسول والألم يحز في
نفسه.
« ألا ترى إلى الفتح ، ألا ترى الى ما يلقون ، ألا ترى الى الذي يصنع الله لنا ، أينبغى أن ندع
هذا ونصرف عنه؟. »
فانطلق يزيد يخرجه بحراجه الموقف والاختطار التي تحف بالامام قائلا :
- أحب أنك ظفرت هاهنا ، وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه ويسلم الى عدوه؟
- سبحان الله. لا والله ما احب ذلك.

- فانهم قالوا : لترسلن الى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك بأسيفنا كما قتلنا ابن عفان ، أو لنسلمنك الى عدوك.

فقفل الأشتر راجعا إلى الامام والحزن قد استولى عليه لضياع أمله المنشود ، فقد ظفر بالفتح واهريق دماء جيشه حتى اشرف على النهاية وإذا بتلك المتاعب والجهود تذهب سدى لمكر ابن العاص ، وخاطب أولئك الاراذل بشدة وصرامه منددا بهم قائلا :

« يا أهل الذل والوهن ، أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟! وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه ، فلا تجيبوهم ، أمهلوني فواقا ، فاني قد أحسست بالفتح. »

فانطلق هؤلاء المتمردون مظهرين له الغي والعناد قائلين بلسان واحد « لا. لا. لا. »
. امهلوني عدوة الفرس ، فاني قد طمعت في النصر.

. إذن ندخل معك في خطيئتك.

وانبرى الأشتر يحاججهم ويقيم لهم الأدلة على خطل رأيهم وبعدهم عن الصواب حدثوني عنكم . وقد قتل أمثالكم وبقى أراذلكم . متى كنتم محقين ، أحين كنتم تقتلون أهل الشام ، فانتم الآن حين أمسكنم عن القتال مبطلون ، أم انتم الآن في إمساكنكم عن القتال محقون؟ فقتلاكهم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيرا منكم ، في النار. »

ولم يجد هذا الكلام المشفوع بالأدلة معهم شيئا فأجابوه :

« دعنا منك يا أشتر قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله ، إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا »

فقال لهم الاشر :

« خدعتم والله فانخدعتم ، ودعيتم الى وضع الحرب فأجبتكم ، يا اصحاب الجباه السود ، كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوق إلى لقاء الله فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ، ألا فقبحا يا اشباه النيب الجلالة ما أنتم برائين بعدها عزا أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون. »
وما انهى الاشر كلامه حتى اقبلوا عليه يكيلون له أصواعا من السب والشتم ، فقابلهم بالمثل والتفت الى الامام بحماس قائلا :

« يا أمير المؤمنين. احمل الصف على الصف يصرع القوم. »
ولم يجبه الامام وأطرق برأسه وهو يفكر في العاقبة المرة التي جرّها هؤلاء المتمرّدون على الأمة ، وقد اتخذه هؤلاء سكوتهم رضى منه بالأمر فهتفوا :
« إن عليا أمير المؤمنين. قد رضى الحكومة ، ورضى بحكم القرآن » ولم يسع الامام الا الرضا كما لم يسع الاشر إلا الازعان والقبول فقال :
« إن كان أمير المؤمنين قد قبل ورضى بحكم القرآن فقد رضيت بما رضى به أمير المؤمنين. »
فانبروا يهتفون :

« رضى أمير المؤمنين. رضى أمير المؤمنين. »
والامام (ع) ساكت لا يجيبهم بشيء قد استولى عليه الهم والحزن لأنه ينظر الى جيشه قد فتكت به ومزقته حيلة ابن العاص ، وليس بوسعه اصلاحهم وارجاعهم إلى طريق الحق والصواب ، فانه لم يكن له نفوذ وسلطان عليهم كما أعرب (ع) عن ذلك بقوله :
« لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً. وكنت أمس

ناهيا فأصبحت اليوم منهيًا»^(١)

انتخاب الأشعري :

ولم تقف محنة الامام وبلاؤه في جيشه على هذا التمرد ، وإنما أخذوا يسعون جاهدين للاطاحة بحكومته فقد اصرروا عليه في ترشيح عدوه الخبيث أبي موسى الأشعري ، وانتخابه للتحكيم ، وعدم الرضا بغيره ممن رشحه الامام كابن عباس ومالك الأشتر وغيرهما من ذوي البصيرة والرأي ، والسبب في ذلك انهم يعلمون بانحراف الاشعري عن أمير المؤمنين فاذا تولى مهمة التحكيم فانه لابه أن يختار للخلافة غير الامام ، ويذهب الدكتور طه حسين إلى ان اصرارهم لم يأت مصادفة وإنما كان عن مؤامرة وتدير بين طلاب الدنيا من أصحاب علي وأصحاب معاوية جميعا^(٢) وعلى أي حال فقد أحاطوا بالامام يهتفون :

« إنا رضينا بأبي موسى الأشعري. »

فزجرهم الامام ونهاهم عن انتخابه قائلا :

« إنكم قد عصيتموني في أول الامر. فلا تعصوني الآن ، إني لا أرى أن أولى أبا موسى!! »

ولم يجد معهم نصح الامام شيئا وإنما أخذوا يلحون عليه قائلين :

« لا نرضى إلا به ، فما كان يحذرنا وقعنا فيه »

وأخذ الامام يبين لهم الوجه في كراهيته له قائلا لهم :

« إنه ليس لي بثقة ، قد فارقتني وخذل الناس عني ، ثم هرب مني

(١) نصح البلاغة محمد عبده ج ٢ ص ٢١٢

(٢) علي وبنوه : ص ٩٠

حتى آمنته بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك .. »
فلم يقتنعوا واصرروا على غيهم وجهلهم قائلين :
« ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس ، لا نريد إلا رجلا هو منك ، ومن معاوية سواء ليس الى واحد منكما بادنى منه الى الآخر .. »
فدلهم الامام على الاشترا فانه ليس رحما له فردوا عليه قائلين :
« وهل سعر الأرض غير الأشر !! »
ولم يجد الامام بعد هذه المحاوره وسيله يسلكها في اقناعهم فاطلق سراحهم وخلقى بينهم وبين جهلهم وأصبحت الأمور بيد هؤلاء العصاة المتمردين.

وثيقة التحكيم :

وتسابق القوم الى تسجيل ما يرومونه في وثيقة التحكيم وهذا نصها كما رواها الطبري :
بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضي علي أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضي معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين إنا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ولا يجمع بيننا غيره ، وان كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته الى خاتمته نحبي ما احيا ونميت ما امات فما وجد الحكماء في كتاب الله عز وجل. وهما أبو موسى الاشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي ، عملا به وما لم يجدا في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة ، وأخذ الحكماء من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق والثقة

من الناس انهما آمنان على انفسهما وأهلهم ، والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه ، إنا على ما في هذه الصحيفة وان قد وجبت قضيتهما على المؤمنين فان الامن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وشاهدهم وغائبهم ، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة ولا يردها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا ، وأجل القضاء الى رمضان ، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخره على تراض منهما وإن توفي أحد الحكمين فان أمير الشيعة يختار مكانه ولا يألو من أهل المعدلة والقسط ، وإن مكان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام وإن رضيا وأحبا فلا يحضرهما فيه إلا من أَرادوا ويأخذ الحكمان من ارادوا من الشهود ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة وهم انصار على من ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيه إلحادا وظلما ، اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة » (١)

وسجل فريق من زعماء العراق والشام شهادتهم في هذه الوثيقة ، وتدل بنصها الصريح على عدم اهتمام معاوية وحزبه بدم عثمان ولو كان لهم إرب في ذلك لجاء ذكر قتله فيها صريحا أو ضمنا.

لقد أقاموا الدنيا وأقعدوها من أجل عثمان فنشروا ثيابه على منبر دمشق ، وهم سيكون على مصابه وأثاروا هذه الحرب من أجل المطالبة بدمه ، فما بالهم لم يتعرضوا له في وثيقة التحكيم ، ولم يذكروه بقليل ولا كثير.

وعلى أي حال فقد حفلت هذه الصحيفة بتحقيق رغبات الاشعث

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٣٠

وسائر ذوي الاطماع والمنحرفين من قومه لأنه قد تم لهم ما أرادوا من تفلل الجيش العراقي وانقلابه وتغلب القوى الباغية على قوى الحق والاسلام

انبثاق الفكرة الحزبية :

واعقبت مهزلة رفع المصاحف انبثاق الفكرة الثورية الهدامة وهي فكرة الخوارج التي لم يكن الباعث لها الا التماس المصالح الدنيوية ، والسعي وراء النفوذ والسلطان ، وتحقيق المطامع الشخصية الرخيصة ، وقد اتخذوا « الحكم لله » شعارا لهم ، ولكنهم سرعان ما جعلوا الحكم للسيف وذلك بما أراقوه من دماء الابرياء ونشر الذعر والخوف بين المسلمين ، وكان سمتهم الذي اتصفوا به هو اعلان البغي والتمرد ، والحكم بالكفر على من لا يدين بفكرتهم واباحة دماء المسلمين ، وقد تضافرت الاخبار الواردة عن النبي (ص) بكفرهم ومروقهم من الاسلام قال (ص) : « سيكون بعدي من أمتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه هم شر الخلق والخلقة » ^(١) وروى أبو سعيد الخدري ان رسول الله (ص) أتاه مال فجعل يضرب بيده فيه فيعطي يمينا وشمالا وفيهم رجل مقلص الثياب ذو سيماء بين عينيه أثر السجود فجعل رسول الله يضرب يده يمينا وشمالا حتى نفذ المال ، فلما نفذ المال ولى مدبرا ، وقال والله ما عدلت منذ اليوم ، قال فجعل رسول الله (ص) يقلب كفه ويقول : إذا لم أعدل فمن يعدل بعدي؟ أما إنه ستمرق مارقة يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى

(١) صحيح مسلم ١ / ٣٩٨

يرجع السهم على فوّه يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يحسنون القول ويسئئون الفعل ، فمن لقيهم فليقاتلهم فمن قتلهم فله أفضل الأجر ، ومن قتلوه فله أفضل الشهادة ، برىء الله منهم تقتلهم أولى الطائفتين بالحق^(١) إلى غير ذلك من الاخبار التي رواها الفريقان عن النبي (ص) في خروجهم من الدين ومروقهم عن الاسلام وهي تعد من معاجزه (ص) ومن آيات نبوته وذلك لما فيها من انباء الغيب التي تحققت بعده وعلى أي حال فقد تكتل هؤلاء المارقون وانحازوا إلى جانب آخر وهم ينادون بفكرتهم ، ويعلنون تمردهم ، ولما نزح الامام من صفين الى الكوفة ، لم يدخلوا معه إليها وانحازوا الى (حروراء)^(٢) فنسبوا إليها وكان عددهم اثني عشر الفا وقد اذن مؤذنه ان أمير القتال شبت بن ربيعي التميمي وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

احتجاج ومناظرات :

واضطرب الامام من هؤلاء المارقين عن الدين فأرسل إليهم عبد الله ابن عباس وأمره أن لا يخوض معهم في ميدان البحث والخصومة حتى يأتيه ولما اجتمع بهم ابن عباس لم يجد بدا من الدخول معهم في مسرح البحث فقال لهم :

« ما نقيم من الحكمين؟ وقد قال الله عز وجل : (إِنَّ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)

^(٣) فكيف بأمة محمد (ص) ».

(١) مستدرك الحاكم ٢ / ١٥٤

(٢) حروراء . بفتح الحاء والراء وسكون الواو . قيل هي قرية بظهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها ، معجم البلدان

٣ / ٢٥٦

(٣) سورة النساء : آية ٣٥

فأجابه الخوارج :

« أما ما جعل حكمه الى الناس وأمر بالنظر فيه والاصلاح له فهو إليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حكم في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده فليس للعباد أن ينظروا فيه » واندفع ابن عباس يجيبهم :

- إن الله عز وجل يقول : (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) ^(١) . أو تجعل الحكم في الصيد ، والحدث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين؟ وهذه الآية بيننا وبينك ، أعدل عندك ابن العاص؟ وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا ، فان كان عدلا فلسنا بعدول ونحن اهل حربه وقد حكمتهم في أمر الله الرجال وقد امضى الله عز وجل حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا وقبل ذلك دعوناهم الى كتاب الله عز وجل فأبوه ثم كتبتم بينكم وبينه كتابا وجعلتم بينكم وبينه الموادة والاستفاضة وقد قطع الله الاستفاضة والموادة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت (براءة) إلا من أقر بالجزية.

وبقى ابن عباس يحاججهم ويحاججونه ، لم تغن معهم شيئا الأدلة القطعية والبراهين الحاسمة التي أقامها على خطل رأيهم.

ورحل الامام إليهم تصحبه زمرة من اصحابه لينظر هؤلاء المارقين فانتهى (ع) الى فسطاط يزيد بن قيس فدخل فيه وتوضأ وصلى ركعتين ثم اقبل نحو القوم فرأى ابن عباس يناظرهم فزجره قائلا : : انته عن كلامهم ، ألم اهلك رحمك الله؟ ثم التفت الى القوم قائلا :
« اللهم. إن هذا مقام من افلج فيه كان اولى بالفلج يوم

(١) سورة المائدة آية ٩٥

القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ثم قال لهم :

. من زعيمكم؟

. ابن الكواء

فوجه (ع) خطابه إليه وإليهم :

. ما اخرجكم علينا؟

. حكومتكم يوم صفين

. انشدكم بالله أتعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم نجيبهم الى كتاب الله ، قلت لكم
إني اعلم بالقوم منكم إنهم ليسوا باصحاب دين ولا قرآن ، اني صحبتهم وعرفتهم اطفالا ورجالا
فكانوا شر اطفال وشر رجال ، امضوا على حقكم وصدقكم فانما رفع القوم هذه المصاحف
خديعة ودهنا ومكيدة فرددتم على رأيي وقلتم لا. بل نقبل منهم ، فقلت لكم اذكروا قولي لكم
ومعصيتكم اياي ، فلما ايتم الا الكتاب اشتترطت على الحكمين ان يجيبا ما أحيا القرآن ، وأن
يميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما في القرآن ،
وإن أييا فنحن من حكمهما برآء

فدحضت هذه الحجة النيرة جميع ما تمسكوا به لاثبات فكرتهم الواهنة واندفعوا بلين لا عسف
فيه نحو الامام قائلين له :

. اتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟

. لسنا حكمنا الرجال إنما حكمنا القرآن ، وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا

ينطق انما يتكلم به الرجال.

. فخبّرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم؟

. ليعلم الجاهل ، ويثبت العالم ، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة.

ورأى الامام (ع) منهم اذعاناً لكلامه ومقاربة شديدة له ، فقال لهم :

« ادخلوا مصركم رحمكم الله »

فاجابوا الى ذلك ورحلوا عن آخرهم معه الى الكوفة ، ولكنهم بقوا على فكرتهم يذيعونها بين الكوفيين وينشرون الشغب ويدعون الى البغي وقد شاع أمرهم وقويت شوكتهم واندفع بعضهم الى الامام وهو يخطب فقطع عليه خطابه تاليا قوله تعالى (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)^(١) فأجابه الامام بآية اخرى (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)^(٢)

وجعل الأمر يعنى في الفساد بين الامام وبين هؤلاء المارقين ، فقد أخذوا يتعرضون للآمنين ، وينشرون الرعب والفرع في البلاد الأمر الذي أوجب اضطراب الامن العام وشيوع الخوف بين جميع المواطنين.

اجتماع الحكمين :

واسترد معاوية قواه واحكم أمره بعد الانهيار الذي أصابه ، وقد أوفد الى الامام رسله يستنجزه الوفاء بالتحكيم ، ويطلب منه المبادرة باجتماع الحكمين ، وانما بادر لذلك لعلمه بالفتن والخطوب التي منى بها الجيش العراقي حتى تفرق الى طوائف وأحزاب يضاف الى ذلك علمه بانحراف ابي موسى الاشعري عن الامام ، وقد أراد أن يحوز بذلك الى

(١) سورة الزمر آية ٦٥

(٢) سورة الروم آية ٦٠

نصره نصرا ، وقد اجابه الامام (ع) الى ذلك وانفذ اربع مائة رجل عليهم شريح بن هاني الحارثي^(١) ومعهم عبد الله بن عباس يصلى بهم ويولي أمورهم : ومن بينهم ابو موسى الأشعري المنتخب للتحكيم ، وكذلك فعل معاوية فأشخص عمرو بن العاص ومعه اربع مائة شخص ، وزوده بدراسة وافية عن نفسية الخامل أبي موسى قائلا :

« إنك قد رميت برجل طويل اللسان قصير الرأي فلا ترمه بعقلك كله »^(٢)

وسارت الكتائب فانتهت الى أذرح^(٣) أو دومة الجندل^(٤)

(١) شريح : بن هاني بن يزيد بن الحرث : كان جاهليا فاسلم يكنى ابا المقدام وابوه هاني له صحبة مع النبي (ص) ، وشريح من اجل اصحاب الامام ، الاستيعاب ٢ / ١٤٩
(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ١١٥ .

(٣) اذرح : . بفتح اوله وسكون الذال وضم الراء . جمع مفردة ذريح ، وهو اسم لبلد من اطراف الشام تقرب من ارض الحجاز وفيها كان التحكيم بين ابن العاص والأشعري ، وهو الصحيح لقول ذي الرمة يمدح بلالا حفيد ابي موسى :
ابوك تلافى الدين والناس بعد ما تساءوا وبيت الدين منقطع الكسر
فشدد إصار الدين ايام اذرح ورد حروبا قد لقحن الى عقر
معجم البلدان ج ١ ص ١٦١ .

(٤) دومة الجندل بفتح اوله وضمه وقد انكر ابن دريد الفتح وعده من اغلاط المحدثين ، وهو اسم مكان على سبع مراحل من دمشق ومن مدينة الرسول ، وقال ابو عبيد السكوني : دومة الجندل حصن وقرى بين

فكان هناك الاجتماع والتحكيم ، واجتمع الماكر المخادع عمرو بن العاص بضعيف العقل الخامل ابي موسى ، فأمهله ثلاثة ايام وافرد له مكانا خاصا به وجعل يقدم له ما لذ من الطعام والشراب ولم يفتح معه الحديث حتى استبطنه وارشاه ، ولما علم بأنه قد هيمن عليه وصار زمامه بيده أخذ يحدثه بانخفاض ولين مبديا له الاكبار والتقديس والتعظيم قائلا له :

« يا أبا موسى .. انك شيخ اصحاب محمد (ص) وذو فضلها ،

الشام والمدينة قرب جبل طىء كانت به بنو كنانة من كلب ويقال إن بدومة الجندل كان التحكيم فقد حدث عبد الله بن عيسى حفيد ابي ليلي قال مررت مع ابي موسى بدومة الجندل ، فقال ابو موسى حدثني رسول الله انه حكم في بني اسرائيل في هذا الموضع حكمان بالجور ، وانه يحكم في امتي في هذا المكان حكمان بالجور ، قال : فما ذهبت الايام حتى حكم هو وعمرو ابن العاص فيما حكما ، وقد اكثر الشعراء في ذكر الاجتماع بأذرج إلا قول الأعور الشني فانه ذكر دومة الجندل في قوله :

رضينا بحكم الله في كل موطن	وعمرو وعبد الله مختلفان
فليس بهادى امه من ضلالة	بدومة شيخا فتنه عميان
بكت عين من يكي ابن عفان بعد ما	نفا ورق الفرقان كل مكان
ثوى تاركا للحق متبع الهوى	ووارث حزننا لاحقا بطعان
كلا الفتنتين كان حيا وميتا	يكادان لو لا القتل يشتهان

وإن كان الوزن يستقيم لو جيء بمكان دومة اذرج جاء ذلك في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٦ ، واحتمل الدكتور (طه حسين) في كتابه (علي وبنوه) ص ١٠٧ ، ان الاجتماع كان في دومة الجندل اولاً ثم في اذرج بعد ذلك.

وذو سابقتها ، وقد ترى ما وقعت فيه هذه الامة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها ، فهل لك ان تكون ميمون هذه الأمة فيحقق الله بك دماءها ، فانه يقول : في نفس واحدة. ومن احيائها فكأنما احيا الناس جميعا ، فكيف بمن احيا انفس هذا الخلق كله. »

ومتى كان ابو موسى شيخ صحابة النبي ومن ذوي الفضائل والسوابق في الاسلام ،؟! وقد لعبت هذه الكلمات في نفسه فطفق يسأل عن الكيفية التي يحسم بها النزاع قائلا : كيف ذلك؟ « تخلع أنت على بن ابي طالب ، واخلع انا معاوية بن ابي سفيان ونختار لهذه الامة رجلا لم يحضر في شيء من الفتنة ولم يغمس يده فيها » فبادره ابو موسى عن الشخص الذي يشرح لكرسى الخلافة قائلا :

« ومن يكون ذلك؟ »

وكان عمرو قد فهم ميول ابي موسى واتجاهه نحو عبد الله بن عمر فقال له :

« انه عبد الله بن عمر. »

واستتر الاشعري بذلك اى سرور واندفع إليه يطلب منه المواثيق على وفائه بما قال ، قائلا له : كيف لى بالوثيقة منك؟

. يا أبا موسى .. الا بذكر الله تطمئن القلوب ، خذ من العهود والمواثيق حتى ترضى.

ثم انبرى يكيل له العهود والمواثيق والايمان المغلظة ، حتى لم يبق يمين او شيء مقدس إلا واقسم به على الوفاء والالتزام بما قال ، وبقي الشيخ الكبير السن الصغير العقل مبهورا بهذه اللباقة التي ابداهها ابن العاص فأجابه بالرضا والقبول ، واذيع بين المجتمع اتفاقهما ، والوقت الذي يكون

فيه الاجتماع.

وأقبلت الساعة الرهيبة التي تغير فيها مجرى التاريخ ، فاجتمعت الجماهير لتأخذ النتيجة الحاسمة من هذا التحكيم المنتظر بفارغ الصبر ، فأقبل الخاتل ابن العاص مع أبي موسى المخدوع الى منصة الخطابة ليعلنا للجماهير الصورة التي اتفقا عليها ، فالتفت ابن العاص الى أبي موسى قائلاً :
. قم فاخطب الناس ، يا أبا موسى.

. قم. أنت فاخطبهم.

. سبحان الله أنا اتقدمك ، وأنت شيخ أصحاب رسول الله والله لا فعلت ذلك أبدا.

. أفي نفسك شيء؟

فزاده أيماناً مغلظة على الالتزام بالعهد الذي أعطاه له ^(١) وعرف ابن عباس هذه المخادعة من ابن العاص وتحلت له الحيلة التي يرومها هذا الماكر فالتفت الى الأشعري قائلاً :
« ويحك والله ، إني لأظنه قد خدعك ، إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ، ثم تكلم أنت بعده ، فان عمرو رجل غادر ولا آمن من أن يكون قد اعطاك الرضا فيما بينك وبينه فاذا قمت في الناس خالفك » ^(٢).

فلم يلتفت الصعلوك الى كلام ابن عباس وراح يشتد كأنه الحمار نحو منصة الخطابة فلما استوى عليها ، حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي الكريم ، ثم قال :

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ١١٥.

(٢) تأريخ الطبرى ج ٦ ص ٣٩.

« أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الالفة ، خلعنا عليا ومعاوية وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتي هذه (وأهوى الى عمامته فخلعها) واستخلفنا رجلا قد صحب رسول الله (ص) بنفسه وصحب أبوه النبي ٦ فبرز في سابقته وهو عبد الله بن عمر ».

وأخذ يثنى عليه بالثناء العاطر ويخلع عليه النعوت الحسنة والأوصاف الشريفة.
وقد عدل الاشعري عن انتخاب الامام أمير المؤمنين وهو نفس النبي وباب مدينة علمه فرشح عبد الله بن عمر وهو لا يحسن طلاق زوجته . على حد تعبير أبيه . أف للزمان وتعسا للدهر أن يتحكم في المسلمين ويفرض رأيه عليهم مثل هذا الصعلوك النذل ، وعلى اى حال فقد انبرى ابن العاص فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي (ص) ثم قال :

« أيها الناس ، إن أبا موسى عبد الله بن قيس خلع عليا واخرجه من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو اعلم به ، ألا وإني خلعت عليا معه وأثبت معاوية علىّ وعليكم ، وإن أبا موسى قد كتب في الصحيفة ^(١) إن عثمان قد قتل مظلوما شهيدا وإن لوليه أن يطلب بدمه حيث كان ، وقد صحب معاوية رسول الله (ص) بنفسه ، وصحب أبوه النبي وأخذ يفيض عليه بالثناء والمديح ، ثم قال : هو الخليفة علينا ، وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان .
وانطلق الخامل المخدوع أبو موسى الى ابن العاص قائلا :

(١) يشير بالصحيفة الى إقرار ابى موسى حول قتلة عثمان الذي سجله عنده ، وقد ذكر المسعودي تفصيل ذلك في مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٧

« ما لك؟ عليك لعنة الله! ما أنت إلا كمثل الكلب تلهث. »

فزجره ابن العاص بعد أن جعله جسرا فعبر عليه ، قائلا له :

« لكنك مثل الحمار يحمل اسفارا »^(١)

نعم هما كلب وحمار وقد احسن كل منهما في وصف صاحبه ، وانطلق أبو موسى الى مكة يصحب معه الخزي والعار بعد ما أحدث هذه الفتنة العمياء والفتق الذي لا يرتق وترك إمام الحق يئن من جراء حكمه المهزول ، وقد سجل للعراقيين بتحكيمة عارا وخزيا لا ينساه التأريخ ، وقد أكثر الشعراء في الهجاء المقذع لهم فمن ذلك ما قاله أيمن بن خريم الأسدي^(٢) :

لو كان للقوم رأي يعصمون به من الضلال رموكم باين عباس
لله در أبيه أيما رجلا ما مثله لفصال الخطب في الناس
لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن لم يدر ما ضرب اخماس لأسداس
إن يخل عمرو به يقذفه في لجج يهوى به النجم تيسا بين أتياس
ابلغ لديك عليا غير عاتبه قول امرئ لا يرى بالحق من باس
ما الأشعري بمأمون ، أبا حسن فاعلم هديت وليس العجز كالراس
فاصدم بصاحبك الادنى زعيمهم إن ابن عمك عباس هو الآسى
لقد سجل العراقيون في تأريخهم صفحات من الخزي بانتخابهم لأبي موسى الخامل الرأي ،
الضعيف العقل الذي لم يتمتع به النظر ، ولا باصالة في التفكير ، فكيف ينتخبونه ليقرر مصيرهم
ومصير الاجيال اللاحقة؟

(١) الامامة والسياسة ج ١ ص ١٤٣ .

(٢) أيمن بن خريم . بالراء المهملة . وهو ابن شداد الاسدي ، احد الشعراء ، وقد اختلف في صحبته للنبي ، وقد روى عنه في شهادة الزور ، تهذيب التهذيب ١ / ٣٩٢

خطاب الامام الحسن :

ولما أذيع الخبر المؤلم بين العراقيين في خلع أبي موسى للامام زادت الفتنة ، وكثر الاختلاف والانشقاق بينهم ، وجعل بعضهم يتبرأ من بعض ويشتم بعضهم بعضا ، ورأى الامام أن خطورة الموقف تقضي بأن يقوم تفر من أهل بيته فيخطب بين الناس ليوقفهم على حقيقة الحال ويبين لهم فساد التحكيم ، فقال للحسن : قم يا بني. فقل في هذين الرجلين عبد الله ابن قيس ، وعمرو بن العاص فقام الحسن فاعتلى أعواد المنبر فقال :

« أيها الناس. قد أكثرتم في هذين الرجلين ، وإنما بعثنا ليحكم بالكتاب على الهوى ، فحكمنا بالهوى على الكتاب ، ومن كان هكذا لم يسم حكما ولكنه محكوم عليه ، وقد أخطأ عبد الله بن قيس إذ جعلها لعبد الله ابن عمر فأخطأ في ثلاث خصال ، واحدة انه خالف (يعني ابا موسى) أباه (يعني عمر) إذ لم يرضه لها ولا جعله من اهل الشورى واخرى إنه لم يستأمره في نفسه ^(١) وثالثها : إنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الامارة ويحكمون بها على الناس. وأما الحكومة فقد حكم النبي (ص) سعد بن معاذ ^(٢) في بني قريظة فحكم بما يرضى الله به ،

(١) وفي رواية ابن قتيبة في الامامة والسياسة ١ / ١٤٤ إنه لم يستأمر الرجل في نفسه ولا علم ما عنده من رد او قبول.

(٢) سعيد بن معاذ بن النعمان الانصارى من الاوس اسلم على يد مصعب بن عمير لما ارسله النبي الى المدينة ليعلم المسلمين ، ولما اسلم سعد قال لبني عبد الاشهل : كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا فأسلموا وكان من اعظم الناس بركة في الاسلام ، وقد شهد مع النبي بدرا بغير خلاف ، ولما توجه النبي الى بدر جاءه الخبر بتوجه قريش الى حربه

ولا شك لو خالف لم يرضه رسول الله «ص» ثم نزل عن منصة الخطابة.

فاستشار (ص) أصحابه في الأمر فأنبأه إليه المقداد وأبو بكر يعلنان الطاعة ، وكان نظره (ص) إلى الانصار لان أكثرية جيشه منهم ، وعرف سعد انه يريد باستشارته الانصار فقال له : لكأنك تريدنا يا رسول الله ، فقال (ص) : اجل ، فقال سعد يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به الحق واعطيناك موافقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك فينا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر (ص) وابتهج من كلامه ونشط للقاء المشركين ولما صارت وقعة الخندق خرج سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه وفي يده حربة وهو يقول :

لبث قليلا يلحق الهيجا جمل لا بأس بالمولت إذا حان الاجل
فالتفتت إليه أمه قائلة الحق يا بني قد والله احرث ، واصابه في ذلك اليوم سهم فقطع اكحله ، ولما اذعن بنو قريظة على النزول على حكم سعد جاء وهو جريح ، فقال النبي (ص) لأصحابه قوموا الى سيدكم او خيركم فلما حل بالمجلس قال رسول الله له : يا سعد احكم فيهم فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلهم وتسبي ذرارهم فقال (ص) حكمت فيهم بحكم الله : ولما فرغ من التحكيم انفجر جرحه فاحتضنه رسول الله ﷺ فجعلت الدماء تسيل عليه وقبض من جرحه ، وبكى عليه رسول الله ومشىخة الصحابة وقالت أمه رائية له :

ويــــل أم ســــعد ســــعدا براءــــة ونجــــدا
ويــــل أم ســــعد ســــعدا صــــرامة وجــــدا

فلما سمع النبي رثاءها قال : إن كل نادبة كاذبة إلا نادبة سعد ، جاء ذلك في اسد الغابة ج ٢ ص ٢٩٦.

لقد ذكر الحسن في خطابه الرائع أهم النقاط الحساسة التي هي محور النزاع ومصدر الفتنة فأشبعها بالتفصيل وبين جلية الحال للجموع الحاشدة حتى لم يترك ثغرة ينفذ منها المتمردون إلا وسدها في وجوههم فأبان (ع) أن المختار للتحكيم إنما يتبع قوله ويكون رأيه فيصلا للخصومة فيما إذا حكم بالحق ولم يخضع للنزعات والأهواء الفاسدة ، وأبو موسى لم يكن في تحكيمه هذا خاضعا للحق بل اتبع هواه وميوله فرشح عبد الله ابن عمر للخلافة مع أن أباه كان لا يراه أهلها ولو كان يراه اهلا للخلافة لرشحه لها او جعله من اعضاء الشورى مضا الى أن الشرط الأساسي في الانتخاب هو أن يجتمع على المنتخب المهاجرون والأنصار ولم يحصل ذلك له ، وأعرب (ع) في خطابه عن مشروعية التحكيم الامر الذي أنكرته الخوارج مستدلا على ذلك بتحكيم النبي (ص) لسعد بن معاذ في بني قريظة ، ولو كان التحكيم غير مشروع لما ارتكبه الرسول الأعظم (ص).

وقام بعد الحسن عبد الله بن عباس فحمد الله واثني عليه وقال :
« أيها الناس. إن للحق أناسا أصابوه بالتوفيق والرضا ، والناس بين راض به ، وراغب عنه وإنما سار أبو موسى يهدى الى ضلال ، وسار عمرو بضلال إلى هدى ، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه ، ومضى عمر على ضلاله ، فو الله لو كانا حكما عليه بالقرآن لقد حكما عليه ، ولئن كانا حكما بهماهما على القرآن ، ولئن مسكا بما سارا به ، لقد سار أبو موسى وعلى إمامه وسار عمرو ومعاوية إمامه ».

ولما انتهى خطابه أمر الامام عبد الله بن جعفر أن يخطب فتقدم عبد الله فصعد المنبر فقال :
« أيها الناس. هذا أمر كان النظر فيه لعل. والرضا فيه الى غيره

جتثم بأبي موسى ، فقلتم قد رضينا هذا فارض به ، وأيم الله ما أصلحنا بما فعلا الشام ، ولا أفسدا العراق ، ولا أمانا حق علي ، ولا أحيا باطل معاوية ، ولا يذهب الحق قلة رأى ، ولا نفخة شيطان ، وانا لعلى اليوم كما كنا أمس عليه « ثم نزل عن المنبر ^(١) وقد استجاب الناس لندائهم وارتدع الكثيرون منهم عن الغي والتمرد.

تمرد الخوارج :

ولما فشل أمر التحكيم ورجع الوفد الكوفي وهو يجمر رداء الخيبة والفشل أخذ الامام يبذل قصارى جهوده على إخراج الناس لمحاربة القوى الباغية عليه فأجابه الناس الى ذلك ، ولكن الخوارج أخذوا يعيشون في الارض فسادا فقد رحلوا عن الكوفة وعسكروا في النهروان ^(٢) فاجتاز

(١) الامامة والسياسة ج ١ ص ١٤٤

(٢) النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد ، وفيها عدة بلدان منها اسكاف والصفافية وغيرهما وقد تخرج منها جماعة من اهل العلم والأدب وكانت بها الواقعة بين الامام على والخوارج ، وكان فيها نهر عظيم ، وقد خرب وسبب خرابه اختلاف الملوك وقتال بعضهم بعضا في ايام السلجوقية إذ ان كل من ملك لا يحفل بتعميره بل كان قصده ان يحوصل ويطير ، وكان أيضا في ممر العساكر ، وهذه الاسباب اوجبت ان يجلو عنه اهله حتى استولى عليه الخراب ، جاء ذلك في معجم البلدان ج ٨ ص ٣٤٧.

عليهم الصحابي الجليل عبد الله بن خباب بن الأرت ^(١) فأقبلوا إليه قائلين له :

. من أنت؟

. رجل مؤمن.

. ما تقول في علي بن أبي طالب؟

. إنه أمير المؤمنين ، وأول المسلمين إيماناً بالله ورسوله.

. ما اسمك؟

. عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله.

. أفرعناك؟

. نعم.

. لا روع عليك.

. حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من رسول الله ، لعل الله أن ينفعنا به.

(١) عبد الله بن خباب بن الأرت المدني حليف بني زهرة ، روى عن أبيه وعن أبي بن كعب وروى عنه جماعة منهم عبد الله بن الحارث وعبد الرحمن بن ابري الصحابي ، وقال العجلي فيه إنه ثقة من كبار التابعين قتلته الخوارجية ، وقد ارسله الامام علي إليهم فقتلوه ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الغلابي كان عبد الله من سادات المسلمين جاء ذلك في تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٩٦ ، اقول : لم تنص كتب التأريخ والتراجم على إرسال الامام الى الخوارج عبد الله وقد انفرد العجلي في هذا القول ، وجاء في الاصابة ج ٢ ص ٣٠٢ ان عبد الله كان متوجها الى الكوفة للاجتماع بالامام فصادف الخوارج فقتلوه وذكر القصة في قتله.

- نعم حدثني عن رسول الله (ص) أنه قال : ستكون فتنة بعدى يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يمسي مؤمنا ويصبح كافرا.

. لهذا الحديث سألناك؟ والله لنقتلنك قتلة ما قتلنا بمثلها احدا.

ثم أوثقوه كتافا ، وأقبلوا به وبامراته وكانت حبلى قد اشرفت على الولادة ، فنزلوا بهما تحت نخل ، فسقطت رطبة منها فبادر بعضهم إليها فوضعها في فيه ، فأقبل إليه بعضهم منكرا عليه قائلا :

« بغير حل أكلتها!! »

فالقاهما بالوقت من فيه ، واختلط بعضهم سيفه فضرب به خنزيرا لأهل الذمة فقتله ، فصاح بعضهم فيه :

« إن هذا من الفساد في الأرض. »

فبادر الرجل الى صاحب الخنزير فأرضاه ، فلما نظر الى ذلك عبد الله ابن خباب قال لهم :
« لئن كنتم صادقين فيما أرى ، ما علي منكم بأس ، وو الله ما احدثت حدثا في الاسلام ، وإني لمؤمن ، وقد آمنتموني ، وقلتم لا روع عليك » فلم يلتفتوا الى قوله ، فجاءوا به وبامراته ، فأضجعوه على شفير النهر ووضعوه على ذلك الخنزير الذي قتلوه ، ثم ذبحوه ، وأقبلوا الى امرأته وهي ترتعد من الخوف ترى شبح الموت قد حيم عليها وتنظر الى زوجها وهو جثة هامدة فقالت لهم مسترحمة ومتضرعة :

« إنما أنا امرأة ، أما تتقون الله؟ »

فلم يعتنوا باسترحامها وتضرعها ، وأقبلوا عليها كالكلاب فقتلوها وبقروا بطنها ، وانعطفوا على ثلاث نسوة فقتلوهن وفيهن أم سنان الصيداوية وكانت قد صحبت النبي (ص) ، ولم يقف شرهم عند هذا الحد بل أخذوا

يستعرضون الناس ، ويذيعون الذعر بين المسلمين وينشرون الفساد في الارض

واقعة النهروان :

وأرسل الامام الى الخوارج الحارث بن مرة العبدى يسألهم عن ترويعهم للآمنين ونشرهم للخوف وعن الفساد الذي أحدثوه في الأرض ، فحينما انتهى إليهم قتلوه ، ولما جاء خبر قتله الى الامام قام إليه فريق من اصحابه فقالوا له :

« يا أمير المؤمنين ، علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في اموالنا وعيالنا ، سرنا الى القوم فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا الى عدونا من أهل الشام ».

فاستصوب الامام رأيهم ورأى ان الخطر الناجم من هؤلاء أشد وأعظم من خطر معاوية وذلك لقربهم من عاصمته وهم لا شك سيحدثون الاضطراب والقلق فيما لو نزح لجرب معاوية فأزمع الامام على الرحيل إليهم ونادى مناديه في الجيش :

« الرحيل ، عباد الله ، الرحيل. »

وتحركت قوات الامام تحذوها العقيدة الى محاربة هؤلاء المارقين عن الدين والعابثين بالأمن فلما انتهوا إليهم بعث الامام لهم رسولا يطلب منهم قتلة عبد الله بن خباب ومن كان معه وقتلة رسوله الحارث بن مرة ، فاندفعوا مجيبين بجواب واحد.

« إنا كلنا قتلناهم ، وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم. »

فأقبل (ع) بنفسه إليهم فوجه لهم خطابا مشفوعا بالنصح والارشاد وحب الخير قائلاً :

« أيتها العصابة ، إني نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأمة غدا ، وانتم صرعى بازاء هذا النهر
بغير برهان ولا سنة ، ألم تعلموا أنني نهيتمكم عن الحكومة ، واخبرتكم أن طلب القوم لها مكيدة ،
وانبأتكم ان القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأني أعرف بهم منكم ، قد عرفتهم اطفالا ،
وعرفتهم رجالا ، فهم شر رجال ، وشر أطفال ، وهم أهل المكر والغدر ، وانكم إن فارقتهموني
ورأى جانبهم الخير والحزم ، فعصيتهموني وأكرهتهموني ، حتى حكمت ، فلما أن فعلت شرطت
واستوثقت ، واخذت على الحكمين أن يحيا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فاختلفا
، وخالفا حكم الكتاب والسنة ، وعملا بالهوى ، فنبذنا أمرهم ، ونحن على أمرنا الاول ، فما
نبؤكم ومن أين أتيتم؟ »

لقد بين (ع) في خطابه اجبارهم وإكراههم له في بادئ الامر على التحكيم ، وإنه ما قبله إلا
وهو مكره مخاطر على حياته منهم ، وانه قد شرط على الحكمين أن يحكما بما وافق كتاب الله
وسنة نبيه ولما لم يحكما بذلك ولم يتبع الحق كان حكمهما مردودا ولكن هؤلاء العتاة الذين لم
يفهموا من المنطق شيئا اجابوا الامام بجواب دل على تماديهم في الجهل قائلين :

« .. إنا حيث حكمنا الرجلين أخطأنا بذلك ، وكنا كافرين ، وقد تبنا من ذلك ، فان
شهدت على نفسك بالكفر ، وتبت كما تبنا واشهدنا فنحن معك ومنك ، وإلا فاعتزلنا ، وإن
أبيت فنحن منابذك على سواء » فأجابهم الامام منكرا عليهم ذلك قائلا :
« أبعد إيماني بالله وهجري وجهادي مع رسول الله (ص) ، أبوء وأشهد على نفسي بالكفر ،
لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين ، ومحكم

بم استحللتم قتالنا والخروج من جماعتنا إن اختار الناس رجلين ، فقالوا لهما : انظرا بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ، ويوضع آخر مكان آخر. أحل لكم أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم تضربون بها هامات الناس وتسفكون دماءهم ، إن هذا هو الخسران المبين »^(١)

ولما علموا أنهم لا يستطيعون أن يناقشوا الامام في كلامه نادى بعضهم بعضا :

« لا تخاطبوهم ولا تكلموهم ، تهيئوا للقاء الحرب ، الرواح الرواح إلى الجنة. »

ولما يئس الامام من ارشادهم وإرجاعهم الى طريق الحق عبأ جيشه وأمر بان لا يبدءوهم بقتال حتى يقاتلوهم ، ولما نظر الخوارج الى هذا التهيؤ استعدادا وتهيؤا ، وكانت نفوسهم مترعة بالشوق الى الحرب وقلوبهم تتحرق الى القتال تحرق الظمان الى الماء ، وهتف بعضهم فيهم :

« هل من رائح الى الجنة؟ »

فأجابوه جميعا الرواح الى الجنة ، ثم حملوا حملة منكرة وهم يهتفون بشعارهم (لا حكم إلا لله) فانفجرت لهم خيل الامام فرقين ، فرق تمضي الى اليمينه وفرق تمضي الى الميسرة ، والخوارج يندفعون بين الفريقين ، فتلقاهم أصحاب الامام بالنبل وما هي إلا ساعة حتى قتلوا عن آخرهم ولم يفلت منهم الا تسعة^(٢)

(١) الامامة والسياسة ج ١ ص ١٥٥.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٩ وجاء فيه انه انهزم منهم اثنان الى عمان ، واثنان الى كرمان ، واثنان الى سجستان ، واثنان الى الجزيرة ، وواحد الى تل موزون ، واخذ هؤلاء يثبون فكرتهم في

ولما وضعت الحرب أوزارها طلب الامام من اصحابه أن يلتمسوا له ذا الثدية ^(١) في القتلى
فبحثوا عنه بحثا دقيقا فلم يظفروا به فعادوا إليه يخبرونه بعدم ظفرهم به ، فأمرهم أن يلتمسوه له
مرة اخرى قائلا :

هذه المواضع حتى ظهرت فيها بدعة الخوارج.

(١) ذو الثدية ، قال فيه انس كان في عهد الرسول (ص) رجل يعجبنا تعبده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله (ص) وسميناه له
فلم يعرفه فبينما نحن في ذكره إذ طلع علينا الرجل ، فقلنا له يا رسول الله هو هذا ، فلما نظر إليه قال (ص) إنكم
لتخبروني عن رجل إن وجهه لسفعة (السفعة العلامة والسمة) من الشيطان فاقبل حتى وقف ولم يسلم ، فقال له رسول
الله ﷺ انشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم احد افضل مني او خير مني ، قال اللهم نعم. ثم دخل
يصلي فقال رسول الله من يقتل الرجل؟ فقال ابو بكر انا فمضى إليه فوجده يصلي ، فقال سبحان الله اقتل رجلا يصلي
، وقد نهي رسول الله عن قتل المصلين فخرج فقال له رسول الله ما فعلت؟ فقال كرهت ان اقتله وهو يصلي وأنت قد
نحيت عن قتل المصلين ، فقال (ص) لاصحابه من يقتل الرجل؟ فقال عمر انا فمضى إليه فوجده واضعا جبهته على
الارض ، فقال عمر ابو بكر افضل مني ثم خرج ، فقال له رسول الله ما فعلت؟ فقال عمر وجدته واضعا وجهه لله
فكرهت ان اقتله ، فقال (ص) : من يقتل الرجل ، فقال الامام انا ، فقال له رسول الله أنت له إن ادركته ، فمضى
الامام إليه فوجده قد خرج ، فجاء الى رسول الله فأخبره بالامر فقال (ص) لو قتل ما اختلف من امتي رجلان كان اولهم
وآخرهم سواء ، جاء ذلك في الاصابة ج ١ ص ٤٨٤.

« ما كذبت ، ولا كذبت ، ويحكم!! التمسوا الرجل فانه في القتلى .. »
فانطلقوا يفتشون عنه ، فظفر به رجل من اصحابه بين القتلى ، فمضى يهرول فأخبر الامام به
فقال : « الله اكبر!! ما كذبت على محمد ، وإنه لناقص اليد ليس فيها عظم في طرفها حلمة مثل
ثدي المرأة عليها خمس شعرات أو سبع رءوسها معقفة .. »
وأمر باحضار جثته ، فاحضرت له فتبين عضده فاذا على منكبه ثدى كثدي المرأة وعليه
شعرات سود تمتد حتى تحاذي بطن يده الأخرى فاذا تركت عادت الى منكبه ، فلما رأى ذلك
خرّ لله ساجدا ، ثم قسم بين اصحابه سلاح الخوارج ودوابهم ، ورد الأمتعة والعبيد الى أهلهم^(١)
وبذلك انتهت حادثة النهروان.

المتارك البغيضة :

واعقبت حادثة صفين والنهروان أعظم الحن والمشاكل واغرقت البلاد في الاحداث والخطوب ،
وقد اوجبت خذلان الامام وولده الحسن في دوره ، ونشير الى بعضها :

١ . تمرد الجيش

لقد منى الجيش العراقي عقيب الحادثتين بالانشقاق والتمرد ، والضعف والسئم من الحرب
وسبب ذلك يرجع الى كثرة من قتل منه ، وان القتلى كانوا ينتمون الى تلك الكتائب العسكرية
فشاع فيها الحزن وانتشر الجزع والتذمر ، واصبح الجيش على أثر ذلك يسأم من الحرب ، ويجب
السلم ويؤثر العافية ، وقد ظهر ذلك بوضوح حينما أراد الامام أن يزحف الى

(١) مروج الذهب ٢ / ٣٨٥

حرب معاوية عقيب حادثة النهروان فانهم لم يجيئوه الى ذلك ، وقد تصدى الاشعث بن قيس الى جوابه فقال له :

« يا أمير المؤمنين .. نفذت نبالنا ، وكلت سيوفنا ، ونصلت أسنة رماحنا ، فارجع بنا الى مقرنا لنستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عددنا عدد من هلك منا ، فانه أوفى لنا على عدونا .. »

وعلى أثر كلام هذا الماكر الخبيث تسلل الجنود من معسكراتهم ، منهزمين ولاذ من لاذ منهم بالمدن القريبة ، وأيقن الامام أنهم مارقون من يده ، ولا طاعة له عليهم ، فاضطر الى الرجوع إلى عاصمته وبهذا نقف على مدى رغبة الجيش في الاستسلام وسئمه من الحرب ، وكلما حاول الامام بعد ذلك بشق الوسائل والاساليب أن يقضى على هذا الانحلال والتمرد فلم يتمكن.

٢ . فقدته لأعلام أصحابه

وفقد الامام في صفين أهم أصحابه الذين يعتمد على اخلاصهم وإيمانهم بقضيته ، وهم البقية الصالحة من المهاجرين والانصار الذين ناضلوا عن كرامة الاسلام وشيدوا صروحه ، ولو كانوا في قيد الحياة لما حدث التفكك في جيشه ، وقد حزن عليهم حزنا مرهقا ، وبكى عليهم أمر البكاء وقد تذكروهم وهو يخطب على منبر الكوفة فصعد آهاته وبث زفراته وانطلق يقول : « ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص ويشربون الرنق ^(١) ، ! - قد والله . لقوا الله فوفاهم اجورهم ، واحلهم دار الأمن بعد خوفهم ، اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق ، اين عمار ، واين ابن التيهان ^(٢) واين

(١) الرنق : بكسر النون ، وفتحها ، الشيء الكدر.

(٢) ابن التيهان هو مالك بن التيهان بن مالك الأوسى كان احد الستة

ذو الشهادتين ^(١) واين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاهدوا على النية ، وأبرد برءوسهم الى الفجرة؟! »

ثم وضع يده على كرمته الشريفة فأطال البكاء ثم قال :
« أوه ^(٢) على إخواني الذين قرءوا القرآن فأحكموه ، وتدبروا

الذين لقوا رسول الله ، وهو اول من لقيه من الانصار ، وهو اول من بايعه في ليلة العقبة ، وقيل ليس هو اول من بايع ، وكان مالك نقيب بني عبد الأشهل هو واسيد بن خضير ، وشهد بدرا واحدا والمشاهد كلها قيل مات في خلافة عمر سنة عشرين ، وقيل شهد مع الامام صفين ومات بعدها بقليل جاء ذلك في اسد الغابة ج ٤ ص ٢٧٤ وجاء في الاستيعاب ان مالكا شهد مع الامام صفين وقتل فيها وصريح خطاب الامام يدل على ذلك.

(١) ذو الشهادتين : هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه الانصارى الأوسي يكنى ابا عمارة ، وقد جعل رسول الله (ص) شهادته كشهادة رجلين ، وسبب ذلك ان النبي اشترى فرسا من سواء بن قيس المحاربى فجحد سواء الشراء فشهد خزيمة بن ثابت للنبي فقال له رسول الله : ما حملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضرا فقال : صدقتك بما جئت به وعلمت انك لا تقول إلا حقا فكيف لا اصدقك في هذا الأمر ، فقال رسول الله من شهد له خزيمة او عليه فحسبه ، وقد شهد مع رسول الله بدرا واحدا والمشاهد كلها وشهد مع الامام الجمل وصفين ولم يقاتل فيهما ولما قتل عمار بن ياسر بصفين قال خزيمة سمعت رسول الله يقول : تقتل عمارا الفئة الباغية ، ثم سل سيفه وقاتل حتى قتل جاء ذلك في اسد الغابة ج ٢ ص ١١٤ .

(٢) أوه . بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الهاء . كلمة توجع .

الفرض فأقاموه ، أحيوا السنة ، وأماتوا البدعة ، دعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فأتبعوه^(١) لقد ذابت نفسه أسى على فقد هذه الصفوة التي عرفت مكانته ووعت أهدافه ، وسارت على ضوء إرشاداته القيمة وتعاليمه الرفيعة حتى صارت أمثلة للكمال والتهذيب والسمو ، ولما طحنت هؤلاء المثاليين حرب صفين صار الامام أعزلا لا يجد أحدا في ذلك المجتمع الهزيل يساعده ويساعده على تحقيق ما يصبو إليه في هذه الحياة من إصلاح المجتمع ونشر ألوية العدالة والمساواة بين الناس ، .. وأما خصمه معاوية فإنه لم يخسر في حرب صفين أحدا من بطائه والدهاة الذين عنده بل انضم إليه جمع كثير من الذين باعوا ضمائرهم عليه حتى قوي أمره.

٣. الاحتلال والغزو

لقد درس معاوية نفسية الجيش العراقي ووقف على تخاذله وعدم انقياده للامام فجعل يحتل الاقطار الاسلامية قطرا بعد قطر فبعث جيشا جرارا لاحتلال مصر التي هي أمل ابن العاص وبغيته ، فاحتلها وقتل حاكمها الطيب محمد بن أبي بكر قتلة مروعة ، والعراقيون متقاعسون عن إجابة الامام والنهوض معه الى رد هذا العدوان. وبعث جيشا آخر بقيادة الوغد الأثيم بسر بن أبي أرطاة^(٢) لاحتلال الحجاز واليمن ، فتوجه القائد القاسي الى المدينة وكان حاكمها أبا أيوب

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٢ / ١٣٠.

(٢) بسر بن أبي أرطاة القرشي واسم أبي أرطاة عمير ، وقيل عويمر العامري وقد ارتكب هذا الجاني من الجرائم والآثام ما لا يرتكبه احد ، منها قتله ولدى عبيدي الله بن العباس ، وهما عبد الرحمن وقتم وكانا

الأنصاري^(١) فهرب وقد استولى عليه الخوف ، ودخل بسر الى المدينة

طفلين « ولم يرع قرابتهما من رسول الله (ص) وصغر سنهما ، ومنها غارته على همدان وسي نساءهم فكن اول مسلمات سبين في الاسلام ، ومنها قتله أحياء من بني سعد ، الى غير ذلك من الجرائم التي ارتكبتها ، وقد برز هذا الأثيم يوم صفين لخاربة الامام ، فطعنه الامام فسقط الى الأرض وكشف عن عورته فتركه الامام وفي فعله يقول الحرث احد الشعراء :

أني كل يوم فارس ليس ينتهي	وعورته وسط العجاجة باديته
يكف لها عنه على سنانه	ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت امس من عمرو فقتنع راسه	وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقلولا لعمرو ثم بسر الا انظروا	سبيلكما لا تلقيها الليث ثانيته
ولا تحمدا إلا الحياء وخصاكما	هما كانتا والله للنفس واقيه
ولولاهما لم تنجوا من سنانه	وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيها الخيل المشيخة صبحه	وفيهما علي فتركها الخيل ناحيه
وكونا بعيدا حيث لا تبلغ القنا	نحور كما ان التجارب كافيته

وقد خرف في آخر عمره ومات بالمدينة ، وقيل بل مات بالشام في بقية ايام معاوية الاستيعاب ١ / ١٥٤ - ١٦٣ .
(١) ابو ايوب هو خالد بن زيد بن كليب الانصاري من بني النجار وهو معروف باسمه وكنيته ، شهد مع النبي العقبة وبدر وما بعدها من المشاهد ، ولما قدم النبي الى المدينة نزل في بيته الى ان بنى بيوته ومسجده وأخى النبي بينه وبين مصعب بن عمير ، وقد استخلفه الامام علي الى المدينة لما خرج الى العراق ، ثم لحق به بعده وشهد معه قتال الخوارج ولزم ابو ايوب الجهاد بعد النبي الى ان توفي بالقسطنطينية سنة خمسين ، وقيل اثنتين وخمسين جاء ذلك في الاصابة ج ١

ص ٤٠٥

فأدخل الرعب والخوف في القلوب ، وخطب الناس فكان خطابه حافلا بالجفاء والغلظة والقسوة فمن جملة خطابه.

« يا أهل المدينة ، والله لو لا ما عهد الي معاوية ما تركت بها محتلما إلا قتلته . »

ولما انتهى هذا الأثيم أمر المدينة توجه إلى مكة فاحتلها ، وأخذ البيعة من أهلها قسرا ، ثم انعطف بعد ذلك الى اليمن وكان واليها عبيد الله ابن العباس فانهمز بنفسه ناجيا من شره قاصدا نحو الكوفة ليعرف الامام بذلك ولما دخل بسر الى اليمن أخذ البيعة من أهلها ، وفتش عن طفلين لعبيد الله فلما ظفر بهما قتلتهما ^(١) ولما انتهى خبرهما الى امهما ضاقت بها الدنيا وأكلها الحزن وبرى البكاء عينيها ، فكان الحزن والجزع لها غذاء وشرابا حتى فقدت شعورها وقد رثتهما بذوب روحها قائلة :

يا من احس بابني اللذين هما كالدرتين تشطى عنهما الصدف
يا من أحس بابني اللذين هما قلبي وسمعي ، فقلبي اليوم مختطف
من ذل والهة حيرى مدلهة على صبيين ذلا : إذ غدا السلف
خبرت بسرا وما صدقت ما زعموا من افكهم ومن القول الذي اقترفوا
أنحى على ودجى ابني مرهفة مشحودة وكذلك الأثم يقترف ^(٢)
ولما انتهت الأنباء المريعة الى الامام أقبل الى اصحابه وانمسه المقدسة ملؤها اللوعة والاستياء
على هذا التمرد الناشب في جيشه فخطب فيهم فمن جملة خطابه قوله :

(١) تأريخ ابي الفداء ١ / ١٨٠

(٢) شرح النهج محمد عبده ج ١ ص ٥٩

« أنبئت بسرا قد اطلع اليمن ^(١) واني والله لأظن ان هؤلاء القوم سيدالون ^(٢) منكم ،
باجتماعهم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، وبمعصيتكم امامكم في الحق ، وطاعتهم
امامهم في الباطل ، وبأدائهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم ، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم.
فلو ائتمنت أحدكم على قعب ^(٣) لخشيت أن يذهب بعلاقته ^(٤) ! اللهم اني قد مللتهم وسئمتهم
وسئموني فابدلني بهم خيرا منهم وابدلهم بي شرا مني ، اللهم مٹ في قلوبهم كما يماٹ الملح في الماء
^(٥) أما والله لو ددت ان لي الف فارس من بني فرس ابن غنم ^(٦) :

هنالك ، لو دعوت ، أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم
ثم نزل (ع) عن المنبر ^(٧) وبهذا الخطاب نقف على مدى فساد جيشه وخيائته ، ولا عجب في
رفض الامام الحسن له والتخلية بينه وبين معاوية فان شعبا لا يساند الحق ولا يدافع عن كرامته
لجدير بأن يكون لقمة سائغة لذوي الأطماع والأهواء.

(١) اطلع اليمن : بلغها واحتلها بجيشه.

(٢) سيدالون : اى ستكون لهم الدولة بدلکم وذلك بسبب اجتماع كلمتهم ووحدة رأيهم وانشقاق العراقيين وعدم اتفاقهم.

(٣) القعب : بالضم القدح الضخم.

(٤) علاقته : بكسر العين ما يعلق به من ليف ونحوه.

(٥) ماٹ : اى ذاب

(٦) بنو فرس قبيلة مشهورة بالشجاعة والاقدام منهم علقمة بن فراس وهو جذل الطعان ، ومنهم ربيعة بن مكدم حامي
الظعن حيا وميتا ، ولم يحم احد حريمه غيره.

(٧) شرح النهج محمد عبده ١ / ٦٠

ولم يكتف معاوية بذلك فأرسل جيشا جرارا بقيادة سفيان بن عوف للاغارة على أهل العراق في عقر دارهم فغزى جيشه هيت ^(١) والأنبار ^(٢) وقد أوقع بنفوس اهليهما قتلا فظيعا ، وبأموالهم أضرارا جسيمة ، ولما انتهت الأنباء الى الامام بلغ منه الحزن أقصاه لأنه يرى الباطل قد قويت شوكته ولا يمكنه تحطيمه والقضاء عليه ، وينظر الى اصحابه وقد امتلأت قلوبهم خوفا وذلا وجبنا ، فصعد ٧ على المنبر فخطبهم بخطاب رائع مثل ما في نفسه من هم مقيم وأسى شديد ، وصور ما في نفوس اصحابه من خنوع وخور وتحاذل قائلا :

« ألا وإني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، وسرا واعلانا ، وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم الا ذلوا ^(٣) فتواكلتم ، وتحاذلتم حتى شنت الغارات عليكم ، وملكت عليكم الاوطان. وهذا أخو غامد ^(٤) وقد وردت خيله الأنبار

(١) هيت بكسر الهاء قال ابن السكيت : إنما سميت هيت بهذا الاسم لأنها في هوة من الأرض ، وقد انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وهي بلدة من نواحي بغداد فوق الأنبار وهي ذات نخل كثير وخيرات واسعة جاء ذلك في المعجم ج ٨ ص ٤٨٦ .

(٢) الأنبار : بفتح اوله ، مدينة. على الفرات تقع في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ ، وكان اول من عمرها سابور بن هرمز ذو الاكتاف ثم جددها ابو العباس السفاح اول خلفاء بني العباس وبني بها قصورا ، وقام بها الى ان مات ، معجم البلدان ١ / ٣٤٠

(٣) عقر الدار : بالضم وسطها واصلها.

(٤) أخو غامد : هو سفيان بن عوف من بني غامد قبيلة من اليمن

وقد قتل حسان بن حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها ^(١) ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والاخرى المعاهدة فيتنزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ^(٢) ما تمنع منه الا بالاسترجاع ^(٣) والاسترحام ثم انصرفوا وافرین ^(٤) ما نال رجلا منهم كلم ^(٥) ولا أريق لهم دم ، فلو أن امراً مسلماً مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوما ، بل كان به عندي جديرا ، فيا عجباً . والله . يميم القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا ، حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون ، وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير إليهم في ايام الصيف قلتهم هذه حمارة القيظ ^(٦) امهلنا يسليخ عنا الحر ^(٧) واذا امرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتهم : هذه صبارة القر ^(٨) امهلنا ينسليخ عنا البرد ، كل هذا فرارا من الحر والقر ، فأنتم والله من السيف افر ، يا أشباه الرجال ولا رجال!

(١) المسالـح : جمع مسلـحة بالفتح ، وهي الثغر الذي يزود بالجيش لئلا يطرق العدو الى البلاد.

(٢) المعاهدة : الذمية ، والحجل ، بالكسر : الخلل ، والقلب ، بالضم : السوار ، والرعاث : جمع رعثة بالفتح : القرط.

(٣) الاسترجاع : ترديد الصوت بالبكاء.

(٤) وافرین : اى تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم.

(٥) الكلم : بالفتح ، الجرح.

(٦) حمارة القيظ : بتشديد الراء ، وهي شدة الحر.

(٧) يسليخ : اي يخف وتذهب شدته.

(٨) صبارة القر : الصبارة بتشديد الراء وهي شدة الشيء ، والقر بالضم هو البرد.

حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال ^(١) لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندما ، واعقبت سدم ^(٢) قاتلكم الله!! لقد ملأتم قلبي قيحا ، وشحنتم صدرى غيظا ، وجرعتموني نغب التهمام انفاسا ^(٣) وافسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان .»
ولم يثر هذا الخطاب الحماسي الرائع حفاظ نفوسهم ولم يقلع روح الخور والتمرد منهم ، قد اسلموا انفسهم للعداء المسلح ، يصيب معاوية من اموالهم وانفسهم ما شاء ومتى اراد.

٤ . فتنة الخريت

ولم يقف بلاء الامام ومحتته في أصحابه ، وخصمه معاوية الى هذا الحد فقد تجاوز البلاء والشر الى ما هو اعظم واشد ، تلك هي فكرة الخوارج التي لم يقض عليها يوم النهروان وانما قضى على بعض معتنقيها وقد اخذت تتسع ويكثر انصارها ، وقد خلقوا افطع المشاكل في الحقل الاسلامي فدعوا الى التمرد على حكومة الامام وكان من اهمهم هو الخريت ^(٤) ، فقد خرج هو وفريق من اصحابه وقد اعلنوا الحرب والعصيان ، فأرسل الامام إليهم جيشا لردهم الى الطاعة وحرهم ان أبوا ذلك ، فلحق بهم الجيش

(١) الحجال : جمع حجلة وهي القبة ، وربات الحجال : النساء.

(٢) السدم : بالتحريك الهم مشفوع بالاسف او الغيظ.

(٣) النغب : جمع نغبة وهي الجرعة ، التهمام بالفتح : الهم. انفاسا ، اى جرعة بعد جرعة.

(٤) الخريت بن راشد الناجي ، كان على مضر كلها يوم الجمل واستعمله عبد الله بن عامر على كورة من كور فارس ، وكان مع الامام حتى صار امر الحكمين ففارقه الى بلاد فارس مخالفا . (الاصابة ١ / ٤٢٢) .

فكانت بينهم . أولا . مناظرة وجدال ، ولما امتنع الخريت من الرجوع الى الطاعة وقع بين الفريقين قتال عنيف ، ولكن لم يتغلب أحدهما على الآخر وهرب الخريت بأصحابه نحو البصرة ، فرجع جيش الامام ولم يظفر بشيء فأرسل الامام له جيشا آخر اكثر منه عدة وأعظم قوة وأمره بأن يتعقبهم وكتب الى عبد الله بن عباس عامله على البصرة أن يمد الجيش ويروده بما يحتاج إليه فامثل عبد الله بن عباس ذلك ، والتقى الفريقان فكان بينهما أشد القتال وأعنفه ، وبدأت امارة الانحلال والخور في جيش الخريت الا أنه استطاع أن ينهزم بأصحابه في غلس الليل البهيم ، فولى هاربا نحو الأهواز فأخذ يذر الفتنة ويشر بفكرته بين اولئك البسطاء الذين لم يعوا المفاهيم الاسلامية ولم يتعقلوا أهدافها وواقعها فاستجابوا له ، وقد أخذ يزهّد الاسلام في نفوسهم ، فمنع العرب من اعطاء الصدقة ، والنصارى من اعطاء الجزية ، حتى ارتد كثير من النصارى ممن كان قد اسلم وقد التف حوله جمع كثير من اولئك الاغبياء حتى ظهر امره وقويت شوكته ، ولكن جيش الامام قد تتبعهم الى ان ظفر بهم فكانت بينهما موقعة ادت اخيرا الى قتل الخريت وفريق من حزه ، واخذ قائد جيش الامام ما بقى من اصحاب الخريت اسرى فمن اسلم منهم منّ عليه ، ومن ارتد استتابه ، فان اسلم منّ عليه ، وان لم يسلم اخذه أسيرا معه .

وهكذا أخذت الفتن تتسع وتزايد في الحاضرة الاسلامية التي هي تحت سيطرة حكم الامام حتى اوجبت خذلان الامام وقتله وخذلان ولده الحسن في دوره والحقت اضرارا كثيرة في المجتمع الاسلامي جعلته غارقا في المآسي والشجون .

ان حادثة صفين بما اعقبته من المتارك الفضيعة قد اوجبت تدهور

المسلمين وانحطاطهم ، وتغلب قوى البغي على قوى الحق والاسلام ، ومهدت الطريق للامويين أن يتحكموا في رقاب المسلمين ، وان يستأثروا باموالهم وسائر امكانياتهم ، وان يسعوا جاهدين في محاربة الاصلاح وسائر النزعات الخيرة حتى ضج المسلمون من جورهم واستبدادهم وظلمهم.

مصنع الحق

بقي الامام أمير المؤمنين بعد حادثة صفين في أرباض الكوفة وهو مخزون النفس مكلوم القلب يتلقى في كل فترة من زمانه الوانا مريعة من الرزايا والخطوب ، ينظر الى العدل وهو مضام ، وإلى الخير مضيع ، وإلى البغي قد كثر وإلى الجور قد طغى ، ويرى باطل معاوية قد استحکم ، وأمره قد تم ، وهو لا يتمكن على مناجزته لأن جيشه اصبح متمردا عليه بأمره فلا يطيع ، ويدعوه فلا يستجيب قد خلد الى الراحة ، وسئم التعب وكره الجهاد في سبيل الله.

وتركت هذه الكوارث أسى مريرا في نفسه فكان يتمنى الرحيل عن الدنيا في كل آونة من الزمن ليستريح من مشاكلها وشروها ، وقد انطلق يدعو الله ليعجل انتقاله إليه قائلا : « اللهم عجل للمرادى شقاءه » ويقول مخاطبا لأهل الكوفة :

« أما والله لوددت أن الله أخرجني من أظهركم ، وقبضني الى رحمته منكم .. »

لقد قرر « ماكس نورداو » بقاء الأحيال دون الأصلح لأن الأصلح لا يدوم طويلا في دنيا الابطال. وقد كان الامام أمير المؤمنين (ع) من المع المصلحين في الدنيا فقد اجهد نفسه على اقامة العدل وبسط المساواة في الأرض ، فكيف يبقى في عالم المنافع والاضاليل فقد حاربه النفعيون وقاومه طلاب الجاه والسلطان ، وتنكر له ذلك المجتمع الذي لعبت به الالهواء ، وفسدته الاطماع فكيف يدوم حكمه في ذلك المجتمع الهزيل!!

وزاد في أسى الامام وأحزانه فقدته للبقية الصالحة من صحابة الرسول ﷺ من الذين عرفوا اتجاهه ودرسوا في مدرسته امثال عمار ابن ياسر ، وهاشم المرقال وذى الشهاداتين وامثالهم من عيون المؤمنين الذين

يعتمد عليهم في إقامة الحق ودحض الباطل واحياء معالم الدين ، وبعد فقدده لهم اصبح غريبا في ذلك المجتمع لا ناصر له ولا صديق وأخذ يتهل الى الله ويتضرع إليه أن ينقله الى جواره ليستريح من آلام هذه الحياة التي ما وجد فيها غير الارهاق والعناء.

المؤامرة الدنيئة :

وشهد موسم الحج جمع من الخوارج فتذاكروا من قتل من رفاقهم ومن قتل من سائر المسلمين وقد جعلوا تبعة ذلك على ثلاث من الكفار . في زعمهم . وهم : الامام أمير المؤمنين ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص فقال ابن ملجم : انا أكفيكم على بن أبي طالب ، وقال عمرو بن بكير التميمي : أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي أنا أكفيكم معاوية ، واتفقوا على يوم معين يقومون فيه بعملية الاغتيال وهو اليوم الثامن عشر من شهر رمضان سنة اربعين من الهجرة ، كما عينوا ساعة الاغتيال وهي ساعة الخروج الى صلاة الصبح ، ثم تفرقوا وقصد كل واحد منهم الجهة التي عينها ، ووصل الأثيم ابن ملجم الى الكوفة ، وهو يحمل معه الشر والشقاء لجميع سكان الأرض ، فقد جاء ليخمد ذلك النور الذي اضاء الدنيا ، وقد قصد الماكرة الخبيثة ابنة عمه قطام ، وكان هائما بجبها ، وكانت تدين بفكرة الخوارج وقد قتل أبوها وأخوها في واقعة النهروان فكانت مثكولة بهم ، وقد خطبها ابن ملجم ^(١) فلم ترض به زوجا إلا أن يشفى غليلها ، ويحقق اربها ، فقال لها :

(١) مروج الذهب ٢ / ٢٨٩ . وفي الاخبار الطوال ص ١٩٧ : ان ابن ملجم خطب الرباب بنت قطام.

« ما تريدن شيئا الا أنفذته وحققه .. »

فعرضت عليه المهر الذي تريده وهو ثلاثة آلاف درهم ، وعبد وقينة وقتل علي ، فقال لها الأئيم :

« ما سألت هو لك مهر الا قتل علي فلا أراك تدركينه » وقد قصد إخفاء الأمر عليها ، ولكن الأئيمة اندفعت تحبذ له قتل الامام وتشجعه على ارتكاب الجريمة قائلة :
« إن أصبته شفيت نفسي ونفعك العيش ، وإن هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا »
ولما عرف الأئيم الحد في قولها عرفها بنيتها ، وأنه ما جاء لهذا المصير إلا لهذه الغاية ، وفي هذا المهر المشوم يقول الفرزدق :

ولم أر مهرا ساقه ذو سماعة كمهر قطام من فصيح واعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب على بالحسام المسمم
فلا مهر أغلى من علي وإن غلى ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم^(١)
وقد أوجس أصحاب الامام الخوف عليه من اغتيال الخوارج فتكلموا معه في أن يجعل له رسدا
يخرسونه إن خرج لعبادة الله او في بعض مهامه ، فامتنع (ع) من ذلك وقال لهم :
« إن علي من الله جنة حصينة^(٢) فاذا جاء يومي انفرجت غنى

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤٣ ونور الابصار ص ٩٥ وذكر زيادة على هذه الايات بيتين وهما.

ولا غرو للاشراف إن ظفرت بما كلاب الأعادي من فصيح واعجم
فحربة وحشى سقت حمزة الردى وحلف علي من حسام ابن ملجم
وفي بعض المصادر ان الايات لابن ابي مياس المرادي.
(٢) الجنة بالضم ، الوقاية.

واسلمتني ، فحيث لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم ^(١) »

الفاجعة الكبرى :

ولما أطل على الوجود شهر رمضان ، أفضل الشهور ، وأعظمها حرمة وقدرا عند الله حتى نسب إليه فقيل شهر الله ، كان الامام على علم بانتقاله إلى حضيرة القدس في ظرف هذا الشهر العظيم ، فكان يتناول طعام الافطار الليلة عند الحسن ، وأخرى عند الحسين ، ومرة عند عبد الله بن جعفر وهو لا يزيد في طعامه على ثلاث لقم ، ويحدث عن السبب في قلة اكله قائلا : « أحب أن يأتيني أمر الله ، وأنا خميص البطن » ^(٢)

ولما أقبلت الليلة الثامنة عشرة من شهر رمضان اضطرب الامام أشد الاضطراب ، فجعل يمشي في صحن الدار وهو محزون النفس خائر القوى ينظر إلى الكواكب ويتأمل فيها فيزداد همه وحزنه ، وهو يقول متنبئا عن وقوع الحادث الخطير في تلك الليلة :

« ما كذبت ، ولا كذبت ، إنها الليلة التي وعدت فيها » ^(٣)

وبقي «ع» طيلة تلك الليلة ، قلقا حزينا يناجي ربه ويطلب منه المغفرة والرضوان ، ويتلو آي الذكر الحكيم ، وقبل أن تشرق أنوار الفجر وينسلخ ظلام الليل القاتم ، أقبل فسبغ الوضوء ، ولما عزم على الخروج من بيته الى مناجاة الله وعبادته في بيته الكريم صاحت في وجهه وز ^(٤)

(١) طاش السهم : اي جاوز الهدف ولم يصبه : الكلم : بالفتح الجرح جمعه كلوم وكلام.

(٢) تأريخ ابن الاثير ج ٣ ص ١٦٨ .

(٣) الصواعق ص ٨٠ .

(٤) الوز : نوع من الطيور .

كانت قد أهديت الى الحسن ، فتنبأ «ع» من صياحهن وقوع الحادث العظيم والرزء القاصم
قائلا :

« لا حول ولا قوة إلا بالله ، صوائح تتبعها نوائح »^(١)

وأقبل الحسن وهو مضطرب من خروج أبيه في هذا الوقت الباكر فقال له :
. ما أخرجك في هذا الوقت؟

. رؤيا رأيته في هذه الليلة أهالتي.

. خيرا رأيته ، وخيرا يكون قصصها على.

. رأيته جبرئيل قد نزل من السماء على جبل أبي قبيس ، فتناول منه حجرتين ، ومضى بهما
الى الكعبة ، فضرب احدهما بالآخر فصارا كالرميم ، فما بقى بمكة ولا بالمدينة بيت إلا ودخله
من ذلك الرماد شيء . ما تأويل هذه الرؤيا؟
. إن صدقت رؤياي ، فان أباك مقتول ، ولا يبقى بمكة ولا بالمدينة بيت إلا ودخله الهم والحزن
من أجلي.

فالتاع الحسن وذهل وانبرى قائلا بصوت خافت حزين النبرات :
. متى يكون ذلك؟

. إن الله تعالى يقول (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ
(^(٢) ولكن عهد الي حبيبي رسول الله (ص) أنه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان ،
يقتلني عبد الرحمن بن ملجم.

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٩١

(٢) سورة لقمان آية ٣٤.

. إذا علمت ذلك فاقتله.

. لا يجوز القصاص قبل الجناية والجناية لم تحصل منه.

وأقسم الامام على ولده الحسن أن يرجع الى فراشه ، فلم يجد الحسن بدا من الامتثال ^(١) وخرج الامام الى بيت الله في السحر ، وقد جاء في الأخبار أن السحر وقت تجلى الله فيمنح فيه الرحمات ويهب به البر والخير ويستجيب فيه الدعاء.

ولما انتهى الامام الى بيت الله ، جعل على عادته يوقض الناس لعبادة الله ومناجاته ، وحينما فرغ من ذلك شرع في صلاته ، وبينما هو مائل بين يدي الخالق الحكيم والصلاة بين شفتيه وقلبه مشغول بذكر الله إذ هوى عليه الوغد الأثيم ابن ملجم ^(٢) وهو يهتف بشعار الخوارج (الحكم لله لا لك) وضرب الامام على رأسه فقد جبهته الشريفة التي طالما عفرها بالخضوع لله بكل ما للخضوع من معنى ، وانتهت الضربة القاسية إلى دماغه المقدس الذي ما فكر إلا في نفع الناس وسعادتهم ورفع الشقاء عنهم ، ولما احس

(١) وجاء في الاستيعاب ان الحسن خرج مع ابيه ولم ينفصل عنه.

(٢) لم يكن الاثيم وحده هو الذي قدم على قتل الامام بل كان معه شبيب بن بحيرة ومجاشع بن وردان ، واقبلوا الى قطام فعصبتهم بحير وكان معتكفة بالمسجد ، فاخذ هؤلاء اسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها الامام للمسجد ، وقد علم الاشعث نية ابن ملجم فقال له مخفزا على ارتكاب الجريمة (النجا فضحك الصبح) ولما سمع حجر بن عدى كلامه قال له : قتلته يا اعور قتلك الله ، إما ابن ملجم فضرب الامام على راسه ، وإما شبيب فوقعته ضربته بعضادة المسجد وإما ابن وردان فهرب جاء ذلك في مروج الذهب ج ٢ ص ٢٩٠

٧ بلذع السيف في رأسه صاح :

« فزت ورب الكعبة »

لقد فاز الامام ، وأى فوز اعظم من فوزه؟ فقد جاءته النهاية المحتومة وهو بين يدي الله وذكره بين شفتيه ، فى أقدس بيت ، واعظم شهر.

لقد فاز إمام الحق لأنه أَرْضَى ضميره الحي فلم يوارب ولم يخادع منذ بداية حياته حتى النهاية ، ولقد قتل على غير مال احتجبه ولا على دنيا أصابها ولا سنة في الاسلام غيرها.

لقد فاز الامام ، وأى فوز أعظم من فوزه؟ فقد أفاض عليه الخلود لباس البقاء ليكون مظهرًا للعدالة وعنوانًا للحق. ومثالا للانسانية الكاملة التي ارتقت سلم الكمال حتى بلغت نهايته.

لقد فاز الامام ، وأى فوز اعظم؟ من أن يذكر قرينا للحق والعدل وتذكر مبادئه المقدسة اعجوبة لقادة الفكر الانساني يسيرون على ضوئها للعمل في حقل الاصلاح ، ولما وقع الامام صريعا في محرابه هتف معرفا بقاتله :

« قتلني ابن اليهودية عبد الرحمن بن ملجم ، فلا يفوتكم. »

فهرع الناس الى المسجد بجميع طبقاتهم وهم معولون نادبون قد اذهلهم الخطب وروعهم المصاب وبلغ بهم الحزن الى قرار سحيق وفي مقدمتهم أولاد أمير المؤمنين ، فوجدوا الامام طريحاً في محرابه وجعدة ابن هبيرة^(١) وجماعة حافون به يعالجونه للصلاة وهو لا يستطيع ولما وقع نظره

(١) جعدة بن هبيرة المخزومي ابن أم هاني بنت ابي طالب له صحبة مع النبي. وقال ابن معين لم يسمع من النبي شيئا ، وقال العجلي : إنه تابعي ثقة ، جاء ذلك في خلاصة تهذيب الكمال ص ٥٣ ، وجاء في الاستيعاب : ان

على ولده الحسن أمره أن يصلى بالناس ^(١) وصلى الامام وهو جالس والدم ينزف منه ، ولما فرغ الحسن من صلاته أخذ رأس أبيه فوضعه في حجره ودموعه تتبلور على وجهه الشريف ، فقال له :
. من فعل بك هذا؟

. ابن اليهودية عبد الرحمن بن ملجم.

. من أي طريق مضى؟

. لا يمض أحد في طلبه ، إنه سيطلع عليكم من هذا الباب ، وأشار الى باب كندة ، فاشتغل الناس بالنظر إليها وما هي إلا فترات وإذا الصيحة قد ارتفعت فقد ظفر بالاثيم المجرم ابن ملجم ^(٢) فحيء به مكتوفا مكشوف الرأس ، فأوقف بين يدي الحسن فقال له « :
« يا ملعون ، قتلت أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، هذا جزاؤه حين آواك وقربك حتى تجازيه بهذا الجزاء ».

والتفت الى أبيه قائلاً : يا أبة هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكننا الله منه. ففتح الامام عينيه وقال له بصوت خافت :

« لقد جئت شيئاً إدا وأمرًا عظيماً ، ألم أشفق عليك واقدملك على

جعدة كان فقيها ، قد ولاه خاله الامام على خراسان وقال ابو عبيدة ولدت أم هاني بنت ابي طالب من هبيرة ثلاث بنين : جعدة وهاني ويوسف.

(١) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ص ٦٣.

(٢) ذكر المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٢٩٠ ان الاثيم ابن ملجم لما ضرب الامام شد عليه الناس فجعلوا يرمونه بالحصباء ويصيحون عليه ، ف ضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث وجهه فصرعه واقبل به الى الحسن ، وهناك اقوال آخر في كيفية القبض عليه.

غيرك في العطاء؟ فلما ذا تجازيني بهذا الجزاء؟» وقال للحسن يوصيه ببره والاحسان إليه.

« يا بني ارفق بأسيرك وارحمه ، واشفق عليه . »

فقال له الحسن :

« يا أبتاه ، قتلك هذا اللعين ، وفجعنا بك ، وأنت تأمرنا بالرفق به!! »

فاجابه أمير المؤمنين :

يا بني نحن أهل بيت الرحمة والمغفرة ، أطعمه مما تأكل ، واسقه مما تشرب ، فان أنامت فاقتص منه بأن تقتله ، ولا تمثل بالرجل فاني سمعت جدك رسول الله (ص) يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور وإن أنا عشت فأنا أعلم ما افعل به ، وأنا أولى بالعفو ، فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا عفوا وكرما . »

وأمر (ع) بحمله الى الدار فحمل والناس تهرول خلفه قد اشرفت على الهلاك من البكاء والعويل قد أخذتهم المائقة وهم يهتفون بذوب الروح :

قتل إمام الحق ، قتل إمام الحق.

واستقبلته بناته وعياله بالبكاء والعويل ولما استقر في ثوبه ، التفت إليه الحسن وقد حرق الهم والجزع قلبه قائلاً :

« يا أبة ، من لنا بعدك؟ إن مصابنا بك مثل مصابنا برسول الله » فضمه الامام وقال مهذا

روعه :

يا بني ، اسكن الله قلبك بالصبر ، وعظم أجرك ، واجر اخوتك بقدر مصابكم بي.

وجمع الحسن لجنة من الاطباء لمعالجته وكان ابصرهم بالطب أثير بن

عمرو السكوني^(١) فاستدعى برئة شاة حارة فتتبع عرقا منها فاستخرجه فأدخله في جرح الامام ثم نفخ العرق فاستخرجه فاذا هو مكلل ببياض الدماغ ، لأن الضربة قد وصلت الى دماغ الامام فارتبك أثير والتفت إلى الامام . واليأس في صوته . قائلا :

« يا أمير المؤمنين ، اعهد عهدك ، فانك ميت »^(٢)

فالتفت الحسن الى ابيه ودموعه تتبلور على وجهه ، وشظايا قلبه يلفظها بنبرات صوته قائلا :
« أبة. كسرت ظهري ، كيف استطيع أن أراك بهذه الحالة؟ » وبصر الامام فرأى الأسى قد استوعب نفسه فقال له برفق :

« يا بني لا غم على أيبك بعد هذا اليوم ولا جزع ، اليوم القى جدك محمد المصطفى ، وجدتك خديجة الكبرى ، وامك الزهراء ، وإن الحور العين ينتظرن أباك ويترقبن قدومه ساعة بعد ساعة ، فلا بأس عليك ، يا بني لا تبك. »

وتسمم دم الامام ، ومال وجهه الشريف الى الصفرة ، وكان في تلك الحالة هادئ النفس قدير العين لا يفتر عن ذكر الله وتسبيحه وهو ينظر الى آفاق السماء ، ويبتهل الى الله بالدعاء قائلا :
« إلهي. أسألك مرافقة الأنبياء ، والأوصياء وأعلى درجات الجنة » وغشى عليه فذاب قلب الحسن وجعل يبكي مهما ساعدته الجفون ، فسقطت قطرات من دموعه على وجه الامام فأفاق ، فلما رآه قال له :

(١) اثير بن عمرو السكوني ، كان احد الاطباء الماهرين يعالج الجراحات الصعبة وكان صاحب كرسي ، وله تنسب صحراء اثير .

(٢) الاستيعاب ج ٢ ص ٦٢ .

مهدأ روعه :

« يا بني ما هذا البكاء؟ لا خوف ولا جزع على أبيك بعد اليوم ، يا بني لا تبك ، فأنت تقتل بالسم ، ويقتل أخوك الحسين بالسيف. »

وصاياه :

وأخذ الامام يوصى أولاده بمكارم الاخلاق ، ويضع بين أيديهم المثل الرفيعة ويلقي عليهم الدروس القيمة ، وقد وجه «ع» نصائحه الرفيعة أولا لولديه الحسن والحسين ، وثانيا لبقية اولاده ولعموم المسلمين.

قائلا :

« أوصيكمما بتقوى الله ، وان لا تبغيا الدنيا وان بغتكما ^(١) ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما ، وقولا للحق واعملا للاجر ، وكونا للظالم خصما وللمظلوم عوناً. أوصيكمما ، وجميع ولدى وأهلي ومن بلغه كتابي ، بتقوى الله ، ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم ، فاني سمعت جدكما ٦ يقول : صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام. الله الله في الأيتام ، فلا تغبوا أفواههم ^(٢) ولا يضيعوا بحضرتكم ، والله الله في جيرانكم ، فانهم وصية نبيكم ، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم والله الله في القرآن ، لا يسبقكم بالعمل به غيركم ، والله الله في الصلاة ، فانها عمود دينكم ، والله الله في بيت ربكم ، لا تخلوه ما بقيتم فانه إن ترك

(١) المعنى : لا تطلبوا الدنيا ، وإن طلبتكمما.

(٢) لا تغبوا افواههم : اى لا تقطعوا صلتكم عنهم وصلوا افواههم بالطعام دوما.

لم تناظروا^(١) والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم والسنتكم في سبيل الله ، وعليكم بالتواصل والتبازل^(٢) وإياكم والتدابير والتقاطيع ، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

ثم قال ٧ مخاطبا لآله وذويه :

يا بني عبد المطلب لا ألفينكم^(٣) تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل أمير المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي

انظروا إذا أنامت من ضررته هذه فاضربوه ضربة بضربة ، ولا يمثل بالرجل ، فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور «^(٤)

وأخذ (ع) يوصي ولده الحسن خاصة بمعالم الدين وإقامة شعائره قائلا :

« أوصيك ، اى بني ، بتقوى الله ، وإقام الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء ، فانه لا صلاة إلا بطهور ، وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين ، والتثبت في الامر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار والأمر بالمعروف

(١) لم تناظروا ، مبني للمجهول : اي لا ينظر إليكم بالكرامة والرحمة من الله وغيره إن إن اهتمتم تعاليم الدين وفروضه.

(٢) التبازل : العطاء.

(٣) لا ألفينكم : اي لا اجدنكم تخوضون دماء المسلمين بالسفك انتقاما منهم بقتلى.

(٤) شرح النهج محمد عبده ج ٣ ص ٨٥.

والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش »^(١)

وفي اليوم العشرين من شهر رمضان ازدحمت الجماهير من الناس على بيت الامام طالبين الاذن لعيادته ، فاذن لهم اذنا عاما ، فلما استقر بهم المجلس التفت لهم قائلا :
« سلوني قبل أن تفقدوني ، وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم »
فاشفق الناس أن يسألوه ، نظرا لما ألم به من شدة الألم والجرح.

اقامة الحسن من بعده :

ولما علم أمير المؤمنين أنه مفارق لهذه الدنيا ، وان لقاءه بربه لقريب عهد بالخلافة والامامة لولده الحسن فاقامه من بعده لترجع إليه الأمة في شئونها كافة ، ولم تختلف كلمة الشيعة في ذلك فقد ذكر ثقة الاسلام الكليني^(٢) ان أمير المؤمنين اوصى إلى الحسن ، واشهد على وصيته الحسين ومحمدا وجميع ولده ، ورؤساء شيعته وأهل بيته ، ثم دفع إليه الكتب والسلاح ، وقال له : يا بني. أمرني رسول الله (ص) أن أوصي إليك ، وأن ادفع إليك كتبي وسلاحي كما اوصى الى رسول الله ، ودفع إلي كتبه وسلاحه

(١) تاريخ ابن الاثير ج ٣ ص ١٧٠.

(٢) الكليني : هو محمد بن يعقوب بن اسحاق ، وهو من اعظم علماء الشيعة ، ومن المجددين لمذهب الامامية في المائة الثالثة من الهجرة ومن اشهر مؤلفاته : الكافي انفق على تأليفه من الوقت عشرين سنة ، وهو من اجل الكتب الاسلامية ومن اهمها « وقال محمد امين الأسترابادي في محكي فوائده : انه سمع من بعض العلماء انه لم يصنف في الاسلام كتاب يوازي الكافي ويدانيه ، توفي ؛ في بغداد سنة ٣٢٩ هجرية وصلى عليه محمد ابن جعفر الحسيني ودفن بباب الكوفة (الكنى واللقاب ٣ / ٩٨)

وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين. »
وروى أيضا انه قال له : « يا بني أنت ولي الدم فان عفوت فلك وإن قتلت فضربة مكان ضربة »^(١)

وذهب جماعة من اهل السنة والجماعة الى أن أمير المؤمنين لم يعهد بالامر الى ولده الحسن مستدلين على ذلك بما رواه شعيب بن ميمون الواسطي^(٢) ان عليا قيل له ألا تستخلف؟ فقال : إن يرد الله بالأمة خيرا يجمعهم على خيرهم. وهذه الرواية من موضوعات شعيب ومن مناكيره كما نص على ذلك ابن حجر^(٣)

ان الامام الحسن ربحانة رسول الله ، وسيد شباب أهل الجنة ، وهو امام إن قام أو قعد . على حد تعبير رسول الله . وقد هذبه الله عن كل نقص ورجس . كما دلت على ذلك آية التطهير . بالاضافة الى توفر جميع ما تتطلبه الخلافة من الصفات الرفيعة في شخصيته كالعلم والتقوى والحزم والجدارة فكيف لا يرشد الامام أمير المؤمنين الى مبايعته ولا يجعله علما من بعده؟!
ان أمير المؤمنين من احرص المسلمين على جمع كلمتهم وتوحيد أمرهم فكيف يترك الأمر فوضى من بعده ولا يجعل لهم مفزعا وملجأ يلجئون إليه لا سيما في تلك الفترة الرهيبة التي احاطت بهم الاخطار والمشاكل؟!!

(١) اصول الكافي ١ / ٢٩٧ . ٢٩٨

(٢) شعيب بن ميمون الواسطي صاحب البزور ، قال ابو حاتم : مجهول وكذا قال العجلي : وقال البخاري : فيه نظر ، وقال ابن حبان يروى المناكير عن المشاهير على قلته لا يحتج به اذا انفرد ، تهذيب التهذيب ٤ / ٣٥٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٤ / ٣٥٧ وجاء فيه : ومن مناكيره عن حصين عن الشعبي عن أبي وائل قال قيل لعلي الا تستخلف الرواية .

الى الرفيق الاعلى :

ولما فرغ الامام امير المؤمنين من وصاياه اخذ يعاني آلام الموت وشدته ، وهو يتلو آى الذكر الحكيم ويكثر من الدعاء والاستغفار ، ولما دنا منه الأجل المحتوم كان آخر ما نطق به قوله تعالى (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) ثم فاضت روحه الزكية الى جنة المأوى وسمت الى الرفيق الاعلى ^(١) وارتفع ذلك اللطف الإلهي الى مصدره فهو النور الذي خلقه الله ليبدد به غياهب الظلمات. لقد مادت اركان العدل وانطمست معالم الدين ، ومات عون الضعفاء وأخو الغرباء وأبو اليتام.

سيدى : أبا الحسن لقد مضيت الى عالم الخلود وأنت مكدود مجهود مجهول حقك وقدرك ، فقد قضيت حياتك في ذلك الجيل القاتم الذي لا يقيم وزنا للعلم ولا للعدل ، ولا يعي ما تنشده من الأهداف الرامية الى بناء مجتمع تسوده العدالة والرفاهية والخير ، ولو كان للانسانية حظ لثبيت لك الوسادة وتسلمت قيادة الامة لتفيض على العالم بمعارفك وعلومك فانا لله وإنا إليه راجعون.

(١) اختلف المؤرخون فى الليلة التي ضربه فيها ابن ملجم فقيلاً : ليلة الثامن عشر من رمضان. ذهب الى ذلك المسعودي فى مروج الذهب ، وقيل ليلة السابع عشر ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب. وذهب مؤرخو الشيعة ان ذلك كان فى الليلة التاسعة عشرة ، واما عمره الشريف فقيلاً اربع وستون وقيل ثلاث وستون وقيل غير ذلك ، ومدة خلافته اربع سنين وتسعة اشهر وستة ايام ، وعمر الحسن فى ذلك الوقت سبع وثلاثون سنة. جاء ذلك فى كشف الغمة ص ١٥٤

تجهيزه ودفنه :

وأخذ الحسن (ع) في تجهيز أبيه فغسل الجسد الطاهر وطيبه بالحنوط ، وأدرجه في أكفانه ، ولما حل الهزيع الأخير من الليل خرج ومعه حفنة من آله وأصحابه يحملون الجثمان المقدس الى مقره الأخير فدفنه في النجف الأشرف حيث مقره الآن كعبة للوافدين ومقرا للمؤمنين والمتقين ومدرسة للمتعلمين ، ورجع الامام الحسن بعد أن وارى أباه الى بيته وقد استولى عليه الاسى والذهول وأحاط به الحزن.

القصاص من ابن ملجم :

وفي صبيحة ذلك اليوم الخالد في دنيا الأحزان طلب الامام الحسن احضار المجرم الأثيم عبد الرحمن بن ملجم فلما مثل بين يديه قال له ابن ملجم :
- ما الذي أمرك به أبوك؟
- أمرني أن لا أقتل غير قاتله ، وأن أشبع بطنك وانعم وطأك ، فان عاش اقتص أو عفا وإن مات ألحقتك به.

فقال الأثيم متبها :
« إن كان أبوك ليقول الحق ، ويقضي به في حال الغضب والرضا!! » ثم ان الامام الحسن ضربه بالسيف فاتقى اللعين الضربة بيده فبدرت ثم جهز عليه فقتله ولم يمثل به ^(١) « وحلت على ابن ملجم لعنة الله ولعنة اللاعنين ومن ولدوا ومن ماتوا ومن قال الله لهم : كونوا فكانوا!! لعنة

(١) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٩١ ، تاريخ الطبري ٦ / ٨٦ ، مقاتل الطالبين ص ١٦ ، تأريخ ابن الأثير ٣ / ١٧٠

تجفف النبع وتخضم الزرع ، وتحرق النبت في الارض وهو وسيم ، وجعل الله زفير جهنم وشهيقها في أصول تكوينه! وأهلكه الف شيطان كبوه على وجهه في سواء الجحيم وفيها لفتح وفيها أفواه من اللهب ذات أجيح وذات صفير ^(١) »

وأما التمثيل به فقد ذهب إليه فريق من المؤرخين ولا شك انه من الموضوعات وذلك لنهي أمير المؤمنين عنه ، مكررا لقول النبي (ص) : « المثلة حرام ولو بالكلب العقور » فكيف يسوغ لريحانة الرسول (ص) وسبطه أن يعرض عن وصية أبيه ، ويرتكب ما خالف الشريعة الاسلامية؟ وقد اختلف القائلون بذلك في الشخص الذي مثل بابه ملجم : فالحب الطبري ذكر ان الذي مثل به الامام الحسين ومحمد بن الحنفية ، وقد نهاهما الحسن عن ذلك فلم يدعنا له ^(٢) وذكر أبو الفداء ان الذي قام بذلك عبد الله بن جعفر ^(٣) وذكر ابن أبي الحديد ان الحسن هو الذي قام به ^(٤) ان هذا الاختلاف يزيدنا وثوقا بافتعال ذلك وعدم صحته ، وجزم الدكتور طه حسين بصدور التمثيل من اولياء الدم قال :

« والشيء المحقق هو ان ولادة الدم لم ينفذوا وصية علي في أمر قاتله فهو قد امرهم أن يلحقوه به ، ولا يعتدوا ، ولكنهم مثلوا به أشنع التمثيل فلما مات حرقوه بالنار » ^(٥)

(١) الامام علي صوت العدالة الانسانية ٤ / ١٠٠٣

(٢) الرياض النضرة.

(٣) تأريخ ابي الفداء ١ / ١٨٠

(٤) شرح النهج ٥ / ٤٥٢

(٥) على وبنوه ص ١٨٤

ان الشيء المحقق على خلاف ما ذكره الدكتور وذلك لما ذكرناه من عدم اتفاق المؤرخين على التمثيل به ، والذين اتفقوا عليه قد اختلفوا في ذلك كما ذكرنا ، بالاضافة الى أن أولياء الدم بعيدون كل البعد عن ارتكاب ما خالف الشريعة الاسلامية.

وعلى أي حال فان الامام الحسن بعد ما فرغ من قتل ابن ملجم ، انثال الناس على مبايعته . كما سنذكر ذلك بالتفصيل . وقد استقبل الحسن الخلافة بما لم يستقبلها احد من الذين سبقوه فقد اصبحت الحاضرة الاسلامية الخاضعة لنفوذه مهددة بخطر معاوية فقد قوى أمره ، واستحكم سلطانه ، وعظم شره ، وانضم إليه كل من لم يع الاسلام من ذوي الاطماع والأهواء فعملوا جاهدين على إفساد امر الامام وتقويض خلافته ، ومضافا لهذا الخطر الخارجي الفتن الداخلية التي نشبت أظفارها في المجتمع العراقي وأهمها خطرا واعظمها محنة وبلاء هي فتنة الخوارج التي كانت سوسة تنخر في المعسكر العراقي ، وخطرا مسلحا من أهم الاخطار الفتاكة في الدولة الجديدة ، فقد انجرف بفكرتهم السذج والمغرر بهم من البسطاء.

هذان الخطران معظم ما استقبله الامام الحسن في دور خلافته ، ولقد ابتلى بهما أشد البلاء ، ولم يتل وحده بهما ، فقد ابتلى بهما النظام الاسلامي والخلافة الرشيدة فقد كان يرجى في دوره ان تنتشر مفاهيم الاسلام وتسود العدالة الاجتماعية في الارض ويقضى على الغبن الاجتماعي والظلم الاجتماعي وهنا ينتهي بنا المطاف عن الحلقة الأولى من هذا الكتاب ونستقبل الامام الحسن في عهد خلافته لنقف على انبائها بالتفصيل.

محتويات الكتاب

الإهداء.....	٣
تقديم.....	٥
لامام المصلح كاشف الغطاء.....	٥
سمو منزلتها :.....	٣٣
خطبة الامام لها :	٣٦
المهر :.....	٣٨
الجهاز :.....	٣٩
خطبة العقد :.....	٤١
الوليمة :.....	٤٣
الزفاف :	٤٣
الوليد الجديد	٤٧
سنن الولادة :.....	٥١
١ . الأذان والإقامة :	٥١
٢ . التسمية :	٥١
٣ . العقيقة :.....	٥٣
٤ . حلق رأسه :.....	٥٣
٥ . الختان :.....	٥٤
٦ . كنيته :	٥٤
ألقابه :.....	٥٥
ملاحمه :.....	٥٥
ذكاء وعبقريّة	٥٧
حفظه للحديث :	٦٢

٦٥	تكریم وحفاوة
٦٧	الكتاب العزيز :
٦٧	١ . آية المودة :
٦٩	٢ . آية التطهير :
٧٠	أ . دلالتها على العصمة :
٧٠	ب . المختصون بها :
٧٢	ج . خروج نساء النبي :
٧٣	د . مزاعم عكرمة :
٧٤	٣ . آية المباهلة :
٧٧	٤ . سورة هل أتى :
٧٩	السنة :
٧٩	الطائفة الاولى :
٨٢	الطائفة الثانية :
٨٨	الطائفة الثالثة :
٩٤	احتفاء المسلمين به :
٩٥	الفاجعة الكبرى
٩٨	حجة الوداع :
٩٩	غدير خم :
١٠٣	استغفاره لاهل البقيع :
١٠٤	سرية اسامة :
١٠٩	اشتداد مرضه :
١١٠	اعطاء القصاص من نفسه :
١١٢	توجع الزهراء
١١٣	التصدق بما عنده
١١٤	الرزقة الكبرى
١١٦	الى الرفيق الاعلى

١٢٣.....	في عهد الشيخين.....
١٢٦	السقيفة
١٢٨	فذلكة عمر
١٣١	مباغطة الانصار :
١٣٤	بيعة ابي بكر :
١٣٨	امتناع امير المؤمنين عن البيعة :
١٣٩	احتجاج ومناظرات :
١٣٩	١ . الامام امير المؤمنين
١٤١	٢ . الزهراء
١٤٧	٣ . الامام الحسن
١٤٩	٤ . سلمان الفارسي
١٤٩	٥ . عمار بن ياسر
١٥٠	٦ . خزيمة بن ثابت
١٥٠	٧ . أبو الهيثم بن التيهان
١٥١	٨ . سهل بن حنيف
١٥١	٩ . عثمان بن حنيف
١٥١	١٠ . أبو أيوب الانصاري
١٥٢	١١ . عتبة بن أبي لهب
١٥٢	كبس دار الامام
١٥٥	مصادرة فدك
١٥٨	ندم ابي بكر
١٦٠	شجون الزهراء
١٦٣	الى الرفيق الاعلى
١٦٩	اعتزال الامام
١٧١	وفاة ابي بكر

١٧٤	 خلافة عمر
١٧٦	 اعتزال الامام
١٧٧	 اغتياله :
١٧٩	 الشورى :
١٨٦	 نظرة في الشورى :
١٩١	 الانتخاب :
١٩٩	 في عهد عثمان
٢٠٥	 عفو عن عبيد الله
٢١٠	 سياسته المالية
٢١٢	 ١ . هباته للأمويين
٢١٢	 أ . أبو سفيان
٢١٣	 ب . الحارث بن الحكم
٢١٣	 ج . عبد الله بن سعد
٢١٤	 د . الحكم بن أبي العاص
٢١٤	 ١ . محاربه للإسلام
٢١٥	 ٢ . استهزاؤه بالنبي
٢١٥	 ٣ . لعن النبي له
٢١٦	 ٤ . نفيه الى الطائف
٢١٦	 ٥ . رجوعه الى يشرب
٢١٦	 ٦ . توليته على الصدقات
٢١٧	 ٥ . سعيد بن العاص
٢١٧	 ٦ . الوليد بن عقبة
٢١٧	 ٧ . مروان بن الحكم
٢٢٠	 الانكار على عثمان :
٢٢١	 اعتذار عثمان
٢٢٣	 ٢ . منحه للاعيان

٢٢٤	٣ . استشاره بالاموال
٢٣٠	ولاته على الامصار
٢٣٠	١ . الوليد بن عقبة
٢٣١	أ . نشأته
٢٣٢	ب . فسقه
٢٣٣	ج . ولايته على الكوفة
٢٣٣	د . شربه للخمر
٢٣٨	هـ . اقامة الحد عليه
٢٤٠	٢ . سعيد بن العاص
٢٤٣	٣ . عبد الله بن عامر
٢٤٦	٤ . معاوية بن أبي سفيان
٢٤٨	٥ . عبد الله بن سعد
٢٥٠	تنكيله بالصحابة :
٢٥٠	١ . عبد الله بن مسعود
٢٥٥	٢ . أبو ذر
٢٥٧	نفيه الى الشام
٢٥٩	نفيه الى الريزة
٢٦٤	٣ . عمار بن ياسر
٢٦٩	الافتراء على الامام الحسن
٢٧٧	استنجاهه بالامصار
٢٧٨	يوم الدار
٢٧٩	موقف الامام الحسن
٢٨٠	الاجهاز على عثمان
٢٨٥	امامته
٢٨٥	أ . معنى الامامة
٢٨٥	ب . الحاجة الى الامامة

ج . واجبات الامام	٢٨٦
د . اوصافه	٢٨٧
هـ . تعيينه	٢٨٩
اخلاقه الرفيعة	٢٩٠
كرمه وسخاؤه :	٢٩٤
عبادته وتقواه	٣٠٣
١ . وضوؤه وصلاته	٣٠٤
٢ . حجه	٣٠٤
٣ . تلاوته للقرآن	٣٠٥
٤ . التصديق بأمواله	٣٠٥
زهد	٣٠٥
هيئته ووقاره	٣٠٧
فصاحته وبلاغته :	٣١٠
الآداب الاجتماعية :	٣١٠
مكارم الأخلاق :	٣١٣
الجرائم الاخلاقية :	٣١٤
التحريض على طلب العلم :	٣١٥
فضل العقل :	٣١٥
فضل القرآن الكريم :	٣١٥
الدعاء :	٣١٦
السياسة :	٣١٦
الصديق والصاحب :	٣١٧
السخاء والمعروف :	٣١٨
التواضع :	٣١٩
التوكل على الله :	٣١٩
ابطال الجبر :	٣١٩

٣٢٠	تقوى الله :
٣٢١	الوعظ والارشاد
٣٢٣	طلب الرزق
٣٢٣	آداب المائدة
٣٢٤	ولاء اهل البيت
٣٢٤	التحذير من المحرفين لكتاب الله
٣٢٥	الشاهد والمشهود
٣٢٧	بعض خطبه :
٣٢٨	كلماته الحكمية القصار :
٣٣٠	نظمه للشعر :
٣٣١	في عهد الإمام على «ع»
٣٣٣	البيعة :
٣٣٧	تأييد الصحابة :
٣٣٩	وجوم القرشيين :
٣٤١	القعاد :
٣٤٣	مصادرة الاموال المنهوبة :
٣٤٤	عزل الولاة :
٣٤٥	اعلان المساواة :
٣٤٦	وصاياه لولده الحسن :
٣٥٧	في البصرة
٣٥٩	تمرد طلحة والزبير
٣٦٣	خروج عائشة :
٣٦٥	دوافع تمردها :
٣٦٩	اعلان العصيان :
٣٧١	مع أم سلمة :
٣٧٤	الزحف الى البصرة :

ماء الحوآب :	٣٧٦
في ربوع البصرة :	٣٧٨
عقد الهدنة :	٣٨١
غدر وخيانة :	٣٨١
مقتل حكيم بن جبلة :	٣٨٤
استنجد الامام بالكوفة :	٣٨٥
ايفاد الحسن :	٣٨٧
الافتراء على الحسن :	٣٩٣
التقاء الفريقين :	٣٩٦
خطاب ابن الزبير :	٣٩٨
خطاب الحسن :	٣٩٨
الدعوة الى كتاب الله	٤٠٠
اعلان الحرب :	٤٠١
مصرع الزبير :	٤٠٢
الاحتفاف بعائشة :	٤٠٦
أ. الأزد.....	٤٠٦
ب . بنو ضبة.....	٤٠٧
ج . بنو ناجية.....	٤٠٧
عقر الحمل :	٤٠٨
الصفح عن عائشة :	٤٠٩
العفو العام :	٤١٠
تسريح عائشة :	٤١٠
في صقّين	٤١٥
تمرد معاوية :	٤١٨
ايفاد جرير :	٤٢١
مراسلة معاوية لعمره :	٤٢٤

٤٢٥		حيرة وذهول :
٤٢٧		قدومه الى الشام :
٤٢٨		المساومة الرخيصة :
٤٢٩		رد جدير :
٤٣٠		زحف معاوية لصفين :
٤٣١		تهيؤ الامام للحرب :
٤٣٢		خطبة الحسن :
٤٣٣		الحسن مع سليمان :
٤٣٤		المسير الى صفين :
٤٣٦		القتال على الماء :
٤٣٩		ايفاد السفراء الى معاوية :
٤٤٢		اعلان الحرب :
٤٤٤		الحسن مع عبيد الله :
٤٤٦		الحرب العامة :
٤٥٠		مصرع عمار :
٤٥٧		رفع المصاحف :
٤٥٨		الفتنة الكبرى :
٤٦٥		انتخاب الاشعري :
٤٦٦		وثيقة التحكيم :
٤٦٨		انبثاق الفكرة الحورية :
٤٦٩		احتجاج ومناظرات :
٤٧٢		اجتماع الحكمين :
٤٧٩		خطاب الامام الحسن :
٤٨٢		تمرد الخوارج :
٤٨٥		واقعة النهروان :
٤٨٩		المتارك البغيضة :

٤٨٩	١ . تمرد الجيش
٤٩٠	٢ . فقده لأعلام أصحابه
٤٩٢	٣ . الاحتلال والغزو
٤٩٨	٤ . فتنة الخريت
٥٠١	مصراع الحق
٥٠٤	المؤامرة الدنيئة :
٥٠٦	الفاجعة الكبرى :
٥١٣	وصاياه :
٥١٥	اقامة الحسن من بعده :
٥١٧	الى الرفيق الاعلى :
٥١٨	تجهيزه ودفنه :
٥١٨	القصاص من ابن ملجم :